

كتاب التيجان في ملوك حمير



تحقيق ونشر
مركز الدراسات والأبحاث اليمنية
الجمهورية العربية اليمنية
صنعاء

مشروع المئة كتاب

كتاب التيجان
في ملوك حمير

كتاب التيجان^{شاميت} في ملوك حمير

عن وهب بن منبه رواية ابي محمد عبد الملك بن
هشام عن اسد بن موسى عن ابي ادريس
ابن سنان عن جده لامه وهب
ابن منبه رضى الله عنهم
الطبعة الاولى ١٣٤٧ هجرية

تحقيق ونشر
مركز الدراسات والأبحاث اليمنية
الجمهورية العربية اليمنية
صنعاء

نَشْرُ

مركز الدراسات والأبحاث اليمنية

الجمهورية العربية اليمنية

صنعاء

بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

عندما كنت طالباً في القاهرة ، كنت أقابل عدداً كبيراً من الباحثين والأساتذة الكبار ، في قاعة المكتبة ، وفي أروقة الجامعة ، وفي المجالس الأدبية والندوات الشعرية قابلت أكثر من دارس وشاعر ، وكان على السنة الجميع سؤال يكاد يكون واحداً وهو : من فضلك هل أستطيع الحصول على نسخة من كتاب التيجان ؟ وكان جوابي دائماً بالنفي لأن الكتاب المطلوب الحصول عليه تم طبعة مرة واحدة في الهند ، ولم يتكرر طبعه بعد ذلك ، بل لقد تنوسي هذا الكتاب ولم يعد له من ذكر الآن في محيط الباحثين الجامعيين أو عشاق الأساطير العربية من الشعراء والأدباء .

وكنت - بصراحة - استغرب الاهتمام بهذا الكتاب واللهم وراءه ، وهو من الكتب التي قرأتها - صدفة - في بداية حياتي الأدبية كان ذلك منذ عشرين عاماً تقريباً حين عثرت عليه في مكتبة الجامع الكبير ، ولم تثر قراءتي له أية حماسة لأنه لا يزيد في نظري عن مجموعة من الأساطير والأسمار والأخبار المثيرة خاصة ما يتعلق منها بأخبار آدم وبقية الأنبياء عليهم السلام

وما دار بين أبناء نوح من صراع ، ان ما سمي بالاسرائيليات واضح كل الوضوح في هذا الجانب من الكتاب ، يبقى الجانب التاريخي أو الأسطوري من هذا الكتاب وهو الذي يشوق الباحثين والأدباء . وذلك لأن الأساطير أصبحت هدفاً في ذاتها ، أصبحت قيمة أدبية وفنية وإنسانية وهذا ما كنت أجهله ولا أستطيع تصوره عندما تصفحت الكتاب لأول مرة .

وأذكر - بالمناسبة - أنني دخلت ذات يوم في مناقشة طويلة مع الأستاذ الباحث الكبير « فاروق خورشيد » حول هذا الكتاب بالذات . كان يحدثني عنه وكأنه يتحدث عن كنز ثمين ، كان يقول عنه : لقد فتح هذا الكتاب عيني على عوالم عديدة وشكل بداية الصلة الحميمة بيني وبين اليمن شعباً وتاريخاً وحضارة وأساطير ، انه تحفة من الفن المكتوب .

وعندما رجعت من القاهرة إلى صنعاء وبدأت العمل في مركز الدراسات كان أول ما بدأت البحث عنه هو كتاب « التيجان » هذا الذي فتن عقول العلماء والشعراء على السواء، وقد عرفت بعد بحث طويل أن بلادنا لا تحتفظ بسوى نسخة واحدة منه ، هي تلك النسخة التي كانت في الجامع الكبير وانتقلت ضمن الكتب المطبوعة إلى « دار الكتب الجديدة » في قلب مدينة صنعاء . وهناك عكفت على قراءته للمرة الثانية ، قرأته هذه المرة بعين وقلب الشاعر لا بعقل الباحث أو المؤرخ ، وقد أدهشني حقاً وحمليني إلى عوالم من الخيال والأساطير تتضاءل أمامها تلك الأفلام الغريبة المدهشة التي تمطرنا بها استديوهات هوليوود الكتاب كما قال عنه الأستاذ فاروق خورشيد تحفة فنية مرسومة بالكلمات .

ومنذ ذلك الحين - أي منذ عام ونصف العام - وأنا أتحين القرص

لأعداد هذا الكتاب للنشر بعد استكمال تحقيقه ، لأن الطبعة الأولى منه لم تحظ بأي تحقيق سوى ما قام به ناشره السيد « زين العابدين الموسوي » من الإشراف على الطبع ، وما قام به المستشرق الألماني « سالم كرتكو » من المقارنة بين النسخة الأصلية ونسخة أخرى في مكتبة لندن .

ولكن كل ما هممت بنسخ صورة الكتاب وإعداده للنشر حالت المشاغل العامة والخاصة دون تحقيق ذلك الغرض ، لقد توزع وقتي بين المركز والجامعة ومجلس الشعب وبلجانه المختلفة ، وكنت أرجو وما زلت أرجو أن أخلص للجامعة والمركز حتى أستطيع أن أحقق بعض الأهداف التي يرجوها كباحث لبلادنا ، وقد كان ما سمعته عن هذا الكتاب من ثناء ومن إعجاب حافز لي على أن أعكف على تحقيقه والعناية باخراجه ولكن كيف يتسنى لي ذلك في مثل هذه الظروف ! لقد تم طبعه للمرة الأولى على عجل وعلى أمل أن يظهر من أبناء اليمن أو من أبناء العربية الآخرين من يقوم بتحقيقه ونشره على أكمل وجه .

ومرت الشهور ، والوقت يفر من بين أصابعي ، ولا مجال لتحقيق الكتاب أو حتى لكتابة مقدمة تعريفية شاملة ، ورأيت بعد مواجهة صادقة مع النفس أن يقوم المركز بإعادة طبع الكتاب كما هو ، وعندما يتداوله الناس ، ويكثر من حوله الباحثون سيوجد من بينهم من له من العلم والوقت ما يعطي هذا الكتاب ما يستحقه من العناية والتحقيق .

بقي أن أذكر أن كتاب « التيجان » يجمع بين الحادثة التاريخية والقصص الديني ، وبين الخرافة والأسطورة ، والاهتمام به ليس اهتماماً بالتاريخ فهو لا يشكل مرجعاً تاريخياً أو مصدرأً علمياً ، وإنما يأتي الإهتمام به والحرص

عليه من أنه كتاب في يسجل ميلاد فجر القصة العربية ، وطريقة روايتها .

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٣٤٧ هجرية بمطبعة مجلس ادارة المعارف العثمانية في الهند ببلدة حيدرآباد . وقد تم العثور على النسخة الأصلية في صنعاء ، وهي نسخة قديمة يبلغ عمرها خمسمائة عام تقريباً ، فقد انتهى من كتابتها يوم السبت ١٦ شهر رجب سنة ١٠٣٤ - هجرية ، وكتبها بخط يده مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين ، وهو سجين بقصر صنعاء المسمى « الدار الحمراء » وكان قد مضى عليه في السجن - كما يقول في خاتمة النسخة - سبع سنوات وهو لذلك يسأل الله فك أسره وأن يفرج عنه وعن كل سجين .

أما النسخة الثانية التي قوبلت بها النسخة الأصلية فقد كانت محفوظة في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ٢٩٠١ ، وقد فرغ ناسخها من كتابتها في غرة شعبان ١٠٣١ هجرية وناسخها هو أحد أبناء اليمن ويسمى علي بن محمد ابن هاجر القملاني ، والفرق بين تاريخ كتابة النسختين أربع سنوات .

ذلك هو كتاب التيجان يقدمه مركز الدراسات والبحوث اليمني في سلسلة ما يقدمه من كتب التراث راجياً أن يكون قد أسهم في خدمة اليمن والعروبة والإسلام والله ولي التوفيق .

عبد العزيز المقالح

١٩٧٩/ ٤/ ١٩

مركز الدراسات والبحوث اليمني

بسم الله الرحمن الرحيم
(رب يسر وأعن يا كريم)

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي ادريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه أنه قال (١) : قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء فوجدت فيها أن الكتب التي أنزل الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً أنزل صحيفتين على آدم بكتابين صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وعلى نوح صحيفتين صحيفة قبل الطوفان وأخرى بعد الطوفان وعلى هود أربعاً وعلى صالح صحيفتين وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وعلى موسى خمسين صحيفة وهي الألواح قال الله (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان صلى الله عليه وآله وسلم وعلى

(١) في الأصل أنه قرأ مائة وسبعين كتاباً مما أنزل الله تعالى على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً .

جميع النبيين ^(١) .

قال وهب بن منبه: وأنزل الله على عيسى بدأ الخلق حين أنشأه وابتدأ ابتدعه فقصه الله على نبيه موسى صلى الله عليه من يوم ابتدأه حتى أنزل عليه التوراة .

قال وهب: إن الله لما خلق الماء على الهواء وخلق الهواء على ماء ^(٢) الله بجميع ما وراء ذلك إلى الحي القيوم وكان عرشه على الماء حين لاسماء مبنية ولا أرض مدحية .

قال وهب : فاضطرب الماء وهاج فاصطقق فازبد فصار أرضاً فخلق الله الحوت والبحر من ذلك الزبد ثم رفع الله السماء وهي دخان (فقال لها : للأرض اثبتا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين) وخلق الملائكة وأوحى في كل سماء أمرها أسكنهم السموات يسبحون ويهللون ويقديسون الواحد القهار وخلق الجبال في الأرض أوتاداً .

قال وهب : وخلق فلك سماء الدنيا شمس وقمره ودراريه ونجومه وخلق دوائر مستمراً ^(٣) قال الله : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) .

قال وهب : وخلق الجنة وخلق فيها أجناس الملائكة يسبحون الليل

(١) الذي في الأصل من ل إلى طائعين وهي عبارة سقيمة وفي ب والأصل - ووجد في التوراة وفي الانجيل وابتدعه فضله الله على موسى من يوم ابتدأ .

(٢) هاهنا بياض .

(٣) بالأصل مسخراً وكذا في بول .

والنهار لا يفترون ثم خلق النار بعد الجنة بألف عام^(١) فزفرت النار وتغيظت فتطاير منها الشرر فخلق الله من ذلك الشرر ابليس والجان وأسكنهم الجنة يسبحون الله تعالى كما يرون الملائكة يفعلون ويعبد الله ابليس مع الملائكة .

قال وهب : وخلق الله الأزمنة أربعة، شتاء وصيفاً وربيعاً وخريفاً .

قال وهب : فبسط الله الأرض بقدرته وأمسكها كيف شاء بحكمته وخضعت لعظمته ورفع السموات كيف شاء بحكمته وأدار الأفلاك باتقان حكمه^(٢) وحسن تدبيره فدار الفلك بهذه الأزمنة الأربعة فأول ما خلق الله من الأزمنة الشتاء بارداً^(٣) رطباً وخلق الربيع حاراً رطباً فكان متصلاً بالشتاء بالرطوبة مخالفاً له بالحرارة^(٤) وخلق الله الصيف حاراً يابساً فكان ملائماً متصلاً بالربيع بالحرارة^(٥) مخالفاً له باليبوسة وخلق الخريف بارداً يابساً^(٦) فكان ملائماً متصلاً بالصيف باليبوسة مخالفاً له بالبرد^(٧) ولذلك زعمت الفلاسفة ان الله خلق الانسان على خلق الأربعة الأزمنة على أربع طبائع كطبائع الأزمنة فأول طبائع الانسان البلغم وهي مبنية^(٨) الجسد وقوامه وأسكنه الأعضاء والمفاصل وعنصره الرأس وكان البلغم مضاهياً للشتاء لبرده^(٩) ورطوبته ثم خلق الدم حاراً رطباً متصلاً بالبلغم ملائماً له بالرطوبة

(١) ل - بألف سنة .

(٢) بالأصل حكمته .

(٣) ب - بارداً يابساً وهو خطأ - ك .

(٤) ب ل في الحرارة .

(٥) ب ل - في الحرارة .

(٦) ب - بارداً رطباً .

(٧) ل في البرودة .

(٨) لعله بنية وهذه الجملة من ل إلى مضاهيا .

(٩) ل - في برودته .

مخالفاً له بالحرارة مضاهياً للربيع وخلقه سفاهاً مسكنه العروق والعصب
وعنصره الكبد وهو جوهر الجسد وحياته ثم خالق الصفراء حارة يابسة متصلة
بالدم ملائمة له بالحرارة مخالفة له باليبوسة وهي خادمة الجسد منضجة للغذاء
مميزة له ومسكنها المعدة وعنصرها الكلى ثم خلق الله السوداء باردة يابسة متصلة
بالصفراء ملائمة باليبوسة مخالفة لها بالبرد ^(١) مضاهية للخريف بالبرد واليبوسة
وزعموا أنها ريح خاملة في الجسد عنصرها الطحال وأنها ميزان الجسد وأنها
ضد الدم والصفراء ضد البلغم .

قالوا : وحقيق ^(٢) على التحرير العاقل أن يقابل الأزمنة بما يضادها من
الأغذية فيقابل الشتاء بالحر اليبس لأنه ضده ويقابل الربيع بالبارد اليبس
لأنه ضده ويقابل الصيف بالبارد الرطب لأنه ضده ويقابل الخريف بالحر
الرطب لأنه ضده وقالوا الآن كل طبيعة يهيج سلطانها في زمانها فيعدل الجسد
والطبيعة باختلاف الأغذية ولا باقي مع الله .

قالوا : فوجدنا ذلك مبيناً عيناً موجوداً في الإنسان وذلك ان الجوع حار
قاتل فإذا قوبل بالشبع مات ^(٣) الجوع وأن العطش حار قاتل فإذا قوبل بالري
أمات ^(٤) ذا العطش فكان هذا دليلاً على غيره من الأدوية ودليلاً على غيره
من الأدوية الدافعة الآفات تدفع الآفات المعينة .

قال وهب : وان الله لما خلق الجنة حين شاء كيف شاء حيث شاء في
سابق علمه وخلق النار وصار ابليس والجان إلى الجنة وهم ^(٥) لا يتناسلون

(١) لوب - بالبرودة .

(٢) ل - فلما اتفقت هكذا كان حقيقاً .

(٣) ب - أمات .

(٤) في الأصل مات ذا العطش .

(٥) ل - فجعلوا يتناسلون .

في الجنة وان الجنان تنافسوا في الجنة وطفى بعضهم على بعض وعصوا الله وسفك بعضهم^(١) دم بعض عج الملائكة إلى الله بالدعاء - قالوا سبحانك ربنا ما أحلمك وأكرمك يتقلب في نعمك من يكفر بك لم تعبد زيادة في ملكك ولم تعص مغالبة في سلطانك تمهل من أساء وتصفح عن عصى لم تخش القوات فأليك المصير وأنت على كل شيء قدير لا يفوتك هارب ولا ينجو منك هارب^(٢) لم ينقص ملكك من عصاك ولا زاده من أطاعك أنت قبل كل شيء وأنت بعد كل شيء لم يؤدك حفظ ما خلقت فأنت بكل شيء عليم .

قال ابن منبه : فغضب الله على الجنان فأوحى الله إلى جبريل أن أخرج الجنان من جوارى وطهر منهم جنتي فأخرجهم جبريل من الجنة إلى أرضنا هذه فأسكنهم جزائر البحار وقفار الأرض وبقي ابليس مع الملائكة يعبد الله ثم خلق الله آدم عليه السلام لما شاء كيف شاء حين شاء في سابق علمه المكنون وحكمه النافذ من أديم الأرض من سهلها وجبلها وأبيضها وأسودها وأحمرها فجمع الطين فصار صلصالاً حمأً مسنوناً فصور آدم من تلك الطينة .

قال وهب : فلذلك وجد في بني آدم اختلاف الصور للسهل والجبل واختلاف الألوان لاختلاف ألوانهم^(٣) فرفع جبريل آدم إلى الجنة فلما رآته الملائكة قالوا ربنا ما هذا قال الله تعالى (اني جاعل في الأرض خليفة قالوا ربنا أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وأنت أعلم ربنا (قال إني أعلم ما لا تعلمون) وطاف ابليس بآدم فغمه ما رأى من جماله وحسن خلقه حسداً ثم جسده بيده فدوى آدم فقال خلق مجوفاً

(١) ب - دماء .

(٢) ب - منك غالب ل - منك طالب - ولعله محارب .

(٣) ب - ألوان التراب .

أصبت والله فيه حاجتي ونفخ الله تبارك وتعالى الروح في آدم صلى الله عليه وعلى محمد وسلم فجال الروح في رأسه فأبصر فرأى جبريل فقال له جبريل عليه السلام ^(١) : يا آدم وكان قد خلق الله تعالى آدم ملهماً ثم انتشر الروح في جسم آدم فشق جوفه إلى حقويه فاستوى جالساً فلذلك أنزل الله (وخلق الإنسان عجولاً) ^(٢) لأنه جالس قبل أن يصل الروح إلى ساقيه وفخذه وقدميه .

قال وهب : فقال جبريل يا آدم ان الله لم يخلق بشراً قبلك أنت أبو البشر فاشكر الله تعالى قال فرفع آدم بصره إلى العرش فلم يحجب عنه العرش فرأى في ساق العرش مكتوباً بالنور (لا اله إلا الله محمد رسول الله) وكان ملهماً للقراءة فقال يا جبريل ألم تقل اني أبو البشر وهذا محمد مكتوب في ساق العرش فقال له جبريل صدقت يا آدم صدقتك ^(٣) هذا محمد حبيب الله أكرم البشر على الله خاتم الأنبياء من ولدك وبه تكنى يا أبا محمد له غداً المقام المحمود وله الشفاعة واللواء والحوض والكوثر .

قال وهب : وان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم اليسرى .
قال وهب : ^(٤) فقال بعض أهل العلم إن الله خلق حواء من الأرض كما قال (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) قال : أولئك الأولون قال الله ^(٥) : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها) ، فعطف على النفس لا على الأرض لأنه لم يسبق هاهنا الأرض قصة ^(٦) .

-
- (١) كذا في الأصول ولعله فقال له جبريل عليك السلام يا آدم - ل ملهوماً - وقال عليك السلام وانتشر ... الخ .
(٢) ل - من عجل .
(٣) ل والأصل - صدقتكم .
(٤) ن - هذا قول بعض أهل العلم .
(٥) ل - يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم ... الخ .
(٦) ب - ذكر .

قال وهب : خلق حواء بيضاء نقية صافية البياض ناصعة كحلاء سوداء
الاشعار وبه سميت حواء فأسكنها الله الجنة فعلم الله آدم اسم كل شيء في
الجنة بكل لسان نطقت به ذريته بعده ثم قال تعالى للملائكة (انبثوني باسماء
هؤلاء إن كنتم صادقين) في قولكم ،(أتجعل فيها من يفسد فيها)،(قالوا :
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)،(قال : يا آدم
انبثهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات
والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)،(وأمر الله تعالى الملائكة وابليس
بالسجود لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) وعتا
أن يسجد لآدم وقال أأأمرني أن أسجد لمن ^(١) أنا خير منه خلقتني من نار
وخلقتهم من طين فغضب الله عليه وقال له (اخرج منها فإنك رجيم وان عليك
اللعنة إلى يوم الدين قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون) قال الله له (إنك من
المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) قال وهب : ولم يعطه الله سؤاله ولكن أخره
لما سبق في علمه أنه يكون محنة وابتلاء لآدم وبنيه .

قال وهب : ولم يعط الله تعالى ابليس الحياة إلى يوم القيامة ولكن إلى يوم
الوقت المعلوم، وهو نذر قبلته الملائكة قال الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى
إنا منتقمون) وقال قوم أنه باق إلى موت الخلق كلهم فيموت .
قال وهب : وان الله أنزل صحيفة على آدم قال (يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) ونهاه
عن فتنة ابليس ألا يفتنه ويطفئه وان ابليس أظهر لآدم عبادة الله رياء ثم طرده
ووسوس إليه وقال له : يا آدم أنا أحبك وأنا لك ناصح إن الله لم ينزل عليك
النهاية عن هذه الشجرة إلا أن لا تكون أنت وزوجك ملكين فتكونا من
الخالدين في الجنة واقسم بالله إني لكما ناصح ، قالت له حواء : يا آدم هل
يحلف خلق الله وهو كاذب لا يكون ذلك . فذكر آدم النهاية فأبى وان ابليس

(١) في ب - له .

راعى (١) أحوال آدم فلم يجده يغفل إلا عند افاقة من نومه فلما أفاق آدم من نومه أتاه ابليس فقال له كل من هذه الشجرة يذهب عنك ما تجد من كسل ووسن وهو رأس النهي (٢) ، فمد يده فأكل وأكلت حواء لما رأتها أكل ثم ذكر النهاية آدم فرمى بما في يده وتفل بما في فمه وفعلت ذلك حواء وزجر آدم ابليس عن نفسه فقال له ابليس : إني برىء منك يا آدم عصيت الله ، قال آدم : رب إني نسيت واستغفرني عدوي عند ساعة نومي وذلك قول الله (فنى ولم نجد له عزماً) أي لم يعزم على مضغ ما في فمه ولا حبس ما في يده.

قال : ثم تطايرت عنهما حلل الجنة فعلم أنه عاص (فلما بدت لهما سواتهما طفقاً يخرصان عليهما من ورق الجنة) .

قال وهب بن منبه : ولما أراد الله خروج آدم من الجنة للذي سبق في علمه قال : يا آدم اخرج أنت وزوجك (٣) من جوارى .

قال وهب : قال بعض أهل العلم ان ابليس ركب الحية وكانت ذات قوائم أربع حين أتى آدم ليأكل من الشجرة : قال لهم الله اخرجوا من الجنة اهبطوا إلى الأرض بعضهم لبعض عدو قال وسلبت الحية قوائمها وأخذ جبريل بجناحه فرماه بجبل جي بخراسان .

وزعم بعض أهل العلم أنه يخرج منه الدجال في آخر الزمان فتزل آدم على جبل لبنان وقال قوم على اليهودي ونزلت حواء على جبل الطور وأن آدم لما غوى وأمره الله بالخروج من الجنة أخذ جوهرة من الجنة يمسح بها دموعه فلما صار إلى الأرض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة

(١) ل - ل احوال .

(٢) لعله وهو ناسي .

(٣) الأصل أخر جوا من جوارى .

حتى اسودت من دموع الخطيئة وقاب الله على آدم قال الله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ثم أنزل الله عليه صحيفة نزل بها جبريل كتاب من عند الله أمره أن يسير إلى البلد الحرام ويبني البيت العتيق وكيف يكون نكاح ولده وولد ولده بما يصلحهم من معاشهم وهو قول الله تعالى (إهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يأتاكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً) (١).

قال وهب : وان آدم قال يا حبيبي يا جبريل لا أعرف البلد الحرام فأوحى الله إلى جبريل اني دليل الأدلاء (٢) دله على البلد الحرام فسار جبريل بآدم حتى أوقفه على الحرم وعلى المسجد وأراه مبتدأ البيت وأن حواء وجدت رائحة الجنة من قبل المسجد الحرام عن آدم فتوجهت قبل آدم (٣) فاما رأى آدم شخصها من بعيد سعى إليها فالتقيا بعرفات فتعارفا فمن ثم سميت عرفات ثم بنى آدم البيت (٤) وتعيينه حواء حتى رفع الحطيم فأمره جبريل أن يجعل فيه الجوهرة التي خرج بها من الجنة ففعل وقال هذا منسك لك ولولدك من بعدك فلما تم بناء البيت أمره جبريل بقطع خشبة من المسجع (٥) بين الطائف ومكة وقال بعض الناس بل من المسجد الحرام فقطع خشبة فرفع سماك البيت وأمره بالحج إليه والصلاة وأعلمه أنه قبلة له ولبنيه فأول أثر على وجه الأرض مكة وقال الله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً).

(١) بالأصل ضنكي .

(٢) الأصل الادلاء .

(٣) ل - فأقبلت تستدل به اليه حتى وصلت اليه .

(٤) ب - هو يبني وحواء تعيينه .

(٥) المسجع اسم موضع غير مذكور في الكتب التي بأيدينا - ول المخشع - ك .

قال وهب : وأول ما تكاثف من الأرض وانعقد وصار أرض البيت ^(١) حين كانت الأرض زبدًا ثم تكاثف المسجد الحرام حولها ثم دحى الله الأرض تحتها قال الله تعالى (ولتندر أم القرى ومن حولها) مكة أم الدنيا وما فيها من أثر .

قال ^(٢) الذي ألف هذا الكتاب: أن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اختلفت في الجنة التي اهبط منها آدم عليه السلام فقالت فرقة أن الجنة التي خرج منها آدم هي جنة من جنات الدنيا وليست جنة الخلد التي وعد الله المتقين وكذلك النار التي أوعد ^(٣) الكافرين ولم يخلقا وإنما يخلقان غدًا يوم الفصل واحتجوا في ذلك وقالوا أقاويل فكان ما احتجوا به أن قالوا قال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) فإن كانتا خلقتا فهما يهلكان بهلاك الدنيا وما فيها وقالوا قوله إلا وجهه ما أراد إلا هو كما تقول هذا وجه الأمر وهذا وجه الحق أرادوا بوجه هنا هو الأمر وأما الأمر فما له وجه ولا قفا ^(٤) وهذا هو الحق وكذلك قوله لا وجهه إلا هو .

ومما احتجوا به أيضاً ان قالوا انما سميت الدنيا دنيا لأنها دنت بجميع ما فيها من خلق الله من كل شيء مخلوق ^(٥) وسميت الآخرة آخرة لأنها تأخرت بعد الدنيا بجميع ما فيها فهذه الدنيا بما فيها وتلك آخرة بما فيها وليس في

(١) لعله أرضا .

(٢) ل - قال وهب .

(٣) ل - أعدت للكافرين .

(٤) ب - فالمراد بوجه هنا هو الأمر لأن الأمر لا يوصف بوجه ولا قفا .

(٥) ب - شيء خلقه الله تعالى .

الآخرة الا داران جنة ونار فان كانتا خلقتا فقد خلقت الآخرة في الدنيا ^(١)
فحينئذ يكونان دنيا جميعهما وانتفت الآخرة وذلك غير جائز ويكونان
جميعاً آخرة ولادنيا وقد بينها الله في كتابه فقال في الآخرة تلك الدار الآخرة
وقال في الدنيا (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) فدار الآخرة عند الله
ممدوحة غير غرور وهذه غرور فهذا من الله تبارك وتعالى البيان .

ومن حجتهم ان قالوا : ان الجنة دار الخلد لا يخرج منها من قد دخلها
وهذه قد خرج منها آدم وحواء وابليس والجان فهذا دليل على أنها ليست
جنة الخلد .

ومن حجتهم ان قالوا : ان جنة الخلد ليست دار تكليف وانما هي دار
جزاء لعمل الدنيا وليس يكلف فيها أحد وقد كلف فيها آدم وحواء ألا يأكل
من الشجرة وكلف ابليس والملائكة السجود لآدم فهذه عبادة تعبدهم الله بها .

ومما احتجوا به ان قالوا ان الجنة التي وعد المتقون فيها فاكهة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وقد منع آدم وحواء في هذه الأكل من الشجرة وقالوا ان احتج
من ناظرنا ان الله قال (اسكن أنت وزجك الجنة) إنما هي جنة الخلد سماها
الجنة فقال الله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) فهذا يلزم أن تكون جنة الخلد لأنه
سماها جنة ^(٢) .

وقد احتج أيضاً من زعم أن الجنة مخلوقة والنار مخلوقة ^(٣) فقالوا : قال

(١) في الأصل - وان الآخرة والدنيا دنيا ولا آخرة ثم أنهما ممتزجتان في هذه الدنيا وأما
أن يكونا جميعاً دنيا أو فيكونا جميعاً آخرة وقد أبانها الله عن الدنيا بقوله تلك الدار الآخرة وما
الحياة الدنيا الا متاع الغرور - وفي ل وان الدنيا والآخرة آخرة وأن يكونا متأخرين في هذه الدنيا .

(٢) ب - وذلك معلوم البطلان .

(٣) قد خلقت - في الموضعين - ومما .

الله (جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) وأخبر أنها أعدت ولم يقل تعد لأن قوله أعدت فعل ماض وتعد فعل مستقبل وقال (اتقوا النار التي أعدت للكافرين) وقد أبان الله الماضي من المستقبل قال (فأتى الله بنيانهم من القواعد) ماض وقال (يوم يأتيهم الله في ظلل من الغمام) مستقبل والماضي كثير شاهده في القرآن .

ومما احتجوا ان قالوا : قال الله (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب. النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) .

ومما احتجوا ان قالوا : قال الله تعالى في حبيب النجار الشهيد (قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فأراد قومه الذين خلف في دار الدنيا يعلمون كرامة الله له .

ومما احتجوا به ان قالوا : قال الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

لا خوف ولا حزن على الذين لم يلحقوا بهم من اخوانهم المؤمنين الذين في دار الدنيا قالوا : والآثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة^(١) غير أنا اكتفينا بالقرآن وجعلنا القرآن الناطق المحكم .

وقالوا بالقياس السوء فقد حمل القياس الفاسد على القرآن الناطق والآثار الصادقة فحملوا القياس السوء وادعوا به علم الغيوب ويعلمون من علم الله ما لا يعلمونه^(٢) وقد قال الله تعالى^(٣) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات

(١) بالأصل كثير .

(٢) بالأصل يعلموا - يعلموه .

(٣) ل - لا تقول ما ليس لك به علم .

بل أحياء ولكن لا تشعرون) فقال الله لا تشعرون وقالوا بل نشعر نحن رداً على الله وقد نهاهم فقال ولا تقولوا فقال (١) لا هم أموات وقد احتجوا به ان قالوا قد حملوا رأيهم بالقياس على الخصوص فجعلوه عموماً في قوله (كل شيء هالك الا وجهه) وقد أجمعنا (٢) نحن وإياهم على أن أعمال العباد أشياء وان الله عدل لا يجوز أن يعذبهم على غير شيء وقال (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) فهل تفي أعمال العباد والكتب التي (٣) كتبها الحفظة الكرام الكاتبين والله يقول (اقرأ كتابك) فإن هلك الأعمال والكتب فما يقرأون غداً وما يجزون - واعظم غيهم أنهم يقولون أن أسماء الله وصفاته أشياء وهي غيره فهل تفي أسماء وصفاته فأرادوا أن يتركوا علم الغيب بالقياس وقال الله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض) وقال آخرون احتج هؤلاء ونحن نرد علم هذا إلى الله وقال الله (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيامة) فلم نؤمر إلا بهذا ونرد علمه إلى الله تعالى غير انا نعلم أن لله جنة وناراً يشب بهذه المتقين ويعذب بهذه الكافرين وهو العالم ان كان خلقهما الآن أو يخلقهما غداً فقد صدقنا بما قال والكلام في هذا كثير غير انا اختصرنا تأليف هذا الكتاب عن السلف الصالح .

قال أبو محمد عن أنس عن أبي ادريس عن وهب قال : حبلت حواء وآدم بمكة يبني فولدت شيئاً وعناقاً في كل بطن غلاماً وجارية وكانت حواء

(١) لعله فقالوا بل هم أموات - ح .

(٢) وقد أجمعنا وإياها على أن .

(٣) ب - كتبها .

تحمل في كل عام فتلد في كل بطن غلاماً وجارية فتزل جبريل على آدم فأمره أن يزوج الغلام من البطن الأول الجارية من البطن الآخر ويزوج أيضاً الغلام من البطن الأخير الجارية من البطن الأول ثم أمر الله تعالى آدم بالسير إلى البلد المقدس فأراه جبريل كيف يبني بيت المقدس فبنى بيت المقدس ونسك فيه وقبلته منه المسجد الحرام ويحج إليه وقت الحج ويحج معه ولده فكان آدم وولده يبنون البيت ويقربون قربان في جبل الطور فمن قبل سعيه نزلت نار من السماء على قربانه فأكلته فمن أكل قربانه علم أنه قبل سعيه ^(١) ومن لم تأكل النار قربانه علم أنه لم يتقبل سعيه فتفكر في ذنبه وسأل آدم أن يستغفر الله له من ذنبه ثم يقرب قرباناً آخر حتى إذا أكلت النار قربانه علم أن سعيه ^(٢) مقبول وقد تاب الله عليه .

قال وهب : وأنه لما أتى وقت الحج نزل جبريل على آدم فقال السلام يقرئك السلام يا أبا محمد ويقول لك أنا الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء حكمت عليك بالموت وعلى زوجك وعلى ولدك إلى يوم الدين ^(٣) ولا يبقى معي لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا جن ولا شيطان كل يذوق الموت فأتى آدم حواء وهو باك قالت له مالك قال لها حكم ربي علي بالموت وعليك وعلى جميع الخلق من الجن والانس والملائكة فبكت حواء لفراق الدنيا فقال لها آدم : الدار الآخرة خير للمتقين ثم سار آدم إلى الحج وإن هابيل وقايل قربا قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل قربان قاييل فقال له قاييل قربت قربانك وأخرت قرباني لأقتلك قال له هابيل : (انما يتقبل الله من المتقين

(١) ب - قبل حجه - في الموضفين .

(٢) ب - حجه .

(٣) ب يوم القيامة .

لَن بَسَطتَ إِلَي يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ .

قال وهب : قال ابن عباس كانت منافستهما على أخت قابيل التي ولدت
معه في بطن وكانت جميلة فطلب هابيل أن يتزوجها وقال له قابيل أنا أتزوجها
فقال له هابيل أن تحل لك قال له قابيل أقرب معك قرباناً فمن أكلت النار
قربانه تزوجها فقرباً فأكلت النار قربان هابيل فبقي قربان قابيل فحسد هابيل
عليها ونهز^(١) عليه فقتله .

قال وهب: قال بعض أهل العلم أن شيثاً وهابيل وقابيل وحبیب وعبد
الصمد وعبد الرحمن وصالحاً وعبد الله وعبد الجبار^(٢)

قال وهب : قال ابن عباس قتل قابيل هابيل بحجر هشم به رأسه وقال
جبیر بن مطعم قتله بقدوم كانت عنده وكان يبني بها البيت .

قال وهب: فلما رآه ميتاً حين قتله أقبل عليه يدعو وينادي: يا هابيل يا
هابيل فلما لم يجبه أقبل عليه يقلبه ليتحرك ، فلما رآه ميتاً لا يتحرك ولا يحير
جواباً ولا ينظر ، ندم وأدركه الخوف وعلم أنه الموت وداخلته وحشة الموت
وعلم أنه عصي الله فطلب الحيلة له فلم يدر ما يفعل فيه وضاعت عليه الأرض
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فلما مات بحث الغراب الحي
حتى خد في الأرض أخذوداً ثم جر اليه الغراب القليل فالتقاه في الأخدود فقال : هذا
غراب علم ما يعمل بأخيه فما لي لا أؤاري سوءة أخي هكذا فلما حفر ليواريه

(١) بالأصل - ونفس .

(٢) بياض في الأصول ولعل الباقي - أبناء آدم من حواء - ك .

أتت حواء لتطلبهما لما غابا عنها فوجدته قد حفر له قبراً ووجدت هابيل قتيلاً فحملته وسارت به إلى آدم وقالت : له يا آدم هذا هابيل أكلمه فلا يكلمني ولا ينظر ولا يتحرك . قال : ما باله ، قال له قابيل : أنا فعلت به هذا ، قال آدم : اذهب عني فقد عصيت الله إياك أن تلقاني ، فذهب فلم يلتق آدم بعدها . وقال آدم لحواء : هذا الموت الذي أعلمتك به تزودي منه فإنك لن تريه إلى يوم الدين يرجع إلى الأرض التي خلقنا منها ، فلما أيقنت بفراقه وأنها لا تراه أبد إلاً بد عظمت عليها المصيبة ورفعت يديها إلى رأسها صاحت ، فمن أجل ذلك صارت كل امرأة على ^(١) الدنيا إذا أصابتها مصيبة تأدت بيدها على رأسها ^(٢) وصاحت كفعل حواء ، فلما بكت حواء قال لها آدم : مذ خلق الموت في الدنيا لم تحف لعاقل فيها عين ولا تحف لأهلها عين يبيكون ويبكي عليهم حتى يتفارقوا ^(٣) وتفارقهم يا حواء ذهب الأمل وحل الأجل فمن قدم خيراً وجده ومن قدم شراً وجده وأنشأ يقول يرثي هابيل ^(٤) :

تغيرت البلاد ومن عليها	فوجه الأرض مغبر قبيح
وجاورنا عدوً ليس يهدي	لعين لا يموت فاستريح
أيا هابيل يا ثمر الفؤاد ^(٥)	أبعد العين مسكنك الضريح
محل تخلق الأجسام فيه	ويبلى عنده الوجه الصبيح ^(٦)

(١) ل - في الدنيا .

(٢) ب - تأدت ووضعت يديها على رأسها .

(٣) الاصل - تفارقوا .

(٤) قد وردت هذه الأبيات في مروج الذهب باختلاف الألفاظ والترتيب - ك .

(٥) ل - أيا هابيل يا بصري وسمي .

(٦) زيادة في ب مأخوذة من مروج الذهب - ك .

تغير كل ذي طعم ولون	وقل بشاشة الوجه المليح
قتل قابيل هابيلاً أخاه	فوا أسنا على الوجه الصبيح

فعيني لا تجف عليك سحراً وقلبي الدهر محزون قريح^(١)

قال وهب : قال قوم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن قابيل لم يقتل أخاه هابيل قتلاً مفنياً ولكنه تناظر معه في الملكوت وكان قابيل أبعد بالحجة في ذلك فقتله بالحجة . والغراب عندهم تأويل ويحتجون أن الأنبياء لا تقتل الأنبياء ولو كان ذلك لما ذم بني اسرائيل بغير حق وإذا كانت الأنبياء تفعل ذلك فما بال غير الأنبياء — واحتجوا فقالوا : قال الله (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) أي من استدعى نفساً إلى الشرك فقتلها فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها ودعاها إلى الإيمان فأحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً فكان قتل ابن آدم لأخيه بالحجة لا بالقوة لأنه لم يقتل نبي نبياً .

قال وهب : قال جبير بن مطعم هذه القصيدة ليست لآدم هي منحولة ، وقال ابن عباس : تكلم آدم بجميع الألسن التي نطق بها بنوه ومن بعده من عربي وعجمي ، وهذه الأسماء لم تعلمها الملائكة (فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم) .

قال وهب : ان آدم غرس الثمار التي هبط بها من الجنة فأول ما غرس بالبلد المقدس ثم انتشر بنو آدم إلى الجزيرة وإلى بابل وإلى اليمامة وإلى الطائف

(١) زيادة في ل — فأجابه ابليس لعنه الله تعالى :

تنح عن البلاد ومن عليها	بدار الخلد ضاق بك الفسيح
وكننت بها وزوجك في رجاء	وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدي ومكري	إلى أن فاتك الثمن الربيع
فلولا رحمة الجبار أضحي	قلبك من جنان الخلد رويح

وبلغوا البحرين يغرسون الثمار وبلغوا اليمن وعمان يغرسون الثمار ويحفرون^(١)
 الأنهار ويبنون المصانع وينحتون الجبال . ثم ان آدم لما بلغ دعوة الله وعلت^(٢)
 حجة الله في بنيه وفي الجن وكثرت ذريته في الأرض فتكملت أيامه آتاه وعد
 الله آتاه جبريل فقال له : يا أبا محمد السلام يقرئك السلام ويأمرك أن تقيم
 شيشا خليفة من بعدك في الأرض الأنس والجن يقيم فيهم حجة الله وينهاهم
 عن معصيته فعلم آدم أن نعت اليه نفسه فأوصى شيشا واستخلفه .

قال وهب : لم يقبض الله آدم عليه السلام حتى صلى خلفه الف رجل من
 بنيه وبني بنيه^(٣) ، ثم ان الله قبل روح آدم وأعلمه جبريل فلذلك قال : يا
 حبيبي يا جبريل نعت إلى نفسي بموت حواء ، وكان موت حواء قبل موت
 آدم بعامين ، ثم دعا آدم فقال : رب هب لأوصيائي القائمين بجنبك عمري
 ما قاموا على عهدك وأظهروا حجتك وقاموا بحقك^(٤) فمن بدل فإنك أنت
 العليم الحكيم .

قال وهب : وكان عمر آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين^(٥) سنة ثم
 قبضه الله صلى الله عليه وسلم واسمه^(٦) بالسرياني والعربي (آدم) وكان عمر
 حواء تسعمائة وثمانية وعشرين^(٧) سنة ، خلقت حواء بعد خلقه بعام . وولي
 أمر بني آدم من أنس ومن الجن شيث (شيث) اسم عبراني وتفسيره باللسان

(١) الأصل - يفجرون .

(٢) ب - وكلت آياته .

(٣) ب - بنيه غير بني بنيه ول - ذريته من غير بني بنيه .

(٤) ل - مظهرين لحجتك قائمين بحقك .

(٥) ب - وسبعاً وثلاثين - ل - وسبعة وعشرين سنة .

(٦) زيادة في ب - واسمه الذي في التوراة على موسى (كذا) اذم بالذال .

(٧) ل - وخمسة وعشرين .

العربي خلف وشايث باللسان السرياني وتفسيره بالعربي نصب لأن عليه نصب الدنيا على ذريته ليس على الدنيا غير ذرية شيث وجميع ولد بني آدم أغرقهم الطوفان فقام شيث في الأرض وخليفة بأمر الله يصدع بالحق وذلك أن بني آدم وبني البنين انتشروا في الأرض يبنون ويغرسون فتنافسوا فيها وطغى بعضهم على بعض فأنزل الله على شيث خمسين صحيفة في صلاح الأرض يدعو الثقيلين الجن والأنس وكان شيث محبوباً^(١) على القراءة ولا يكتب . فأنزل الله شريعة آدم في نكاح الأخ للأخت لأن آدم صلى الله عليه وسلم كان يزوج الأخ من الأخت إذا اختلفت البطون فأتت شريعته بخلاف ذلك ولا يزوج إلا ما تباعد نسبه كبنات العم وغير ذلك . قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) . فأنكر عليه ذلك بنو آدم^(٢) وسرحوا فقام فيهم بأمر الله وغلب عليهم بحق الله حتى تمت كلمة الله وعمت دعوته .

قال وهب : وان لامك بن هنوش^(٣) بن هابيل بن آدم وهو هابيل قاتل قابيل مر عليه وهو يرعى غنماً له راكباً على فرسه ولامك أعمى فتكلم قابيل فقال : لامك من هذا المتكلم فقد انتفض لكلامه كبدي واقشعر له جلدي فقالوا : هذا قابيل قاتل هابيل جدك قال : أوتروا إلى قوساً فأوتروا له قوساً ثم استمع الكلام من أين^(٤) يأتيه حتى علم أين هو ثم قال : اللهم اهلهني وانتقم ثم رمى فأصاب نحر قابيل فسقط عن فرسه . ثم سأل من هذا قيل لامك بن هنوش بن هابيل قال : حسبي أبناء الأبناء قروا حدود^(٥) الأجداد

(١) الصواب محبوباً - ح .

(٢) لعله ومرحوا .

(٣) بالأصل هوش والصواب في ل في المواضع كلها - ك .

(٤) ب - من أي جهة .

(٥) بالأصل مر وحدور - وكذا في ب علامة مع الشك وليست هذه الجملة في ل - فتأمل .

ومات فأتوا بنو قابيل بلامك الأعمى إلى شيث فقالوا : هذا قتل أبانا قابيل قال لهم : أخذ الله حقه بأضعف خلقه دعوه النفس بالنفس فان الله أوحى إلى آدم أنا أرحم الراحمين قتل ولدك ولا آمرك بقتل ولدك الآخر دعه لا يفوتني هارب ولا ينجو مني غالب وأنا القوي الطالب فلما بلغ شيث حجة الله وتمت كلمة الله بالصحف خمسين صحيفة وخمسين كتاباً وقد ذكر الله صحف شيث وغيرها من الصحف فقال : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وقال : (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) حكما حق في الأولين والآخرين ، وقال : لا تبديل لكلمات الله فأوحى الله إلى شيث ان اتخذ ابنك أنوش صفيّاً ووصياً فعلم أنه نعت إليه نفسه فأوصى إلى ابنه انوش واستخلفه فلما بلغ تسعمائة سنة واثنى عشرة سنة قبضه الله وولي أمر الله في الأرض ومن فيها انوش ^(١) بن شيث فحكم بما في صحف شيث واسمه باللسان العبراني انوش بكسر الهمزة الألف والشين ^(٢) وتفسيره باللسان العربي انسان واسمه باللسان السرياني انوش بفتح الألف والشين وتفسيره باللسان العربي صادق فعمل في الأرض بطاعة الله حتى بلغ عمره تسعمائة وخمسين سنة ^(٣)، فلما بلغ العمر المسمى في الدعوة أوصى إلى ابنه قينان ثم قبضه الله عز وجل . (قينان) : عبراني تفسيره باللسان العربي مشترى وكذلك اسمه بالسرياني ، فعمل بأمر الله وقام بحق الله واسمه في الانجيل واينان ^(٤) وتفسيره بالعربي عيسى . فلما بلغ من العمر غاية دعوة آدم وعاش تسعمائة سنة وعشر

(١) ل - وصي شيث وخليفته من بعده ولما ولي انوش الأمر من بعد شيث حكم ... الخ .

(٢) لعله بكسر الألف والشين - ح .

(٣) ل - والأصل وخمس سنين .

(٤) ل - ارجان .

سنين أوصى إلى مهليل^(١) ابنه ، ومات قينان وولي الأمر ابنه . (مهليل) :
عبراني وتفسيره باللسان العربي ممدوح واسمه بالسرياني في الانجيل مالالي^(٢)
وتفسيره بالعربي مسيح الله فصار بأمر الله قائماً فلما بلغ الغاية من العمر من
دعوة آدم وعاش بضع^(٣) مائة سنة وعشرين سنة أوصى إلى ابنه يارد : اسمه
في التوراة عبراني وتفسيره بالعربي ضابط ، واسمه في الانجيل سرياني
وتفسيره بالعربي هبط أي هبط في الأيام ثم قبض الله مهليل ووال الأمر في
بني آدم يارد^(٤) ، فعمل بأمر الله فلما بلغ إلى غاية الدعوة وعاش تسعمائة سنة
واثنين وستين سنة أوصى إلى ابنه (اخنوخ) ثم قبضه الله إليه . (واخنوخ)^(٥) :
اسمه في التوراة عبراني وتفسيره بالعربي ادريس وهو ادريس عليه السلام ،
واخنوخ اسمه سرياني وأنزل في التوراة أنه حي إلى موت جميع الخلق وموت
الملائكة فيذوق الموت حتماً مقضياً ، وأنه عاش في الأرض ثلاث مائة سنة
وخمساً وستين سنة ثم رفعه الله إلى السماء السابعة فهو مع الملائكة . وقال
الله : (واذكر في الكتاب ادريس أنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً) .
وقال بعض أهل العلم : ورفعناه مكاناً علياً أي أنه رفعه في النسب مكاناً علياً
أن ليس بعد آدم وشيث نبي غيره والله أعلم .

قال وهب^(٦) : ادريس النبي أول من كتب بيده من أهل الدنيا أنزل

(١) ل - فهلائيل .

(٢) ل - مالان .

(٣) كذا في الأصول ولعل الصواب تسع مائة لأنه العمر المسمى في الدعوة - ح .

(٤) بالاصل - بارد في الموضعين هذا والذي قبله وفي تاريخ ابي الفداء (يرد) بالذال
المهمل والذال المعجمة أيضاً - ح .

(٥) بالاصل خنوخ وفي تاريخ ابي الفداء (خنوخ) بحاء مهمل ونون وخاء معجمة - ح .

(٦) أوردها ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار عن وهب ج اص ٤٣ طبعة مصر - ك .

عليه الكتاب السرياني وعلمه اياه جبريل ، فأول من أنزل الله تبارك وتعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) في صحيفة وبعده في الصحيفة مكتوب - شهد الله أنه لا اله إلا هو ، إلى آخر الآية - ثم أنزل عليه أجد إلى آخرها فكتب وقرأ ولما رفع الله ادريس استخلف ابنه متوشلح ^(١) : عبراني تفسيره باللسان العربي مطلق وهو بالسرياني متشالح وتفسيره بالعربي مات الرسول . فعمل متوشلح بأمر الله وحكم بحكم الله حتى بلغ علم المدة التي علم بها آدم فأوصى إلى ابنه لامخ ^(٢) : (لامخ) : عبراني وهو بالعربي ملك وهو بالسرياني لامخ فبنى المصانع وتجبر واحتجب فلما رآه بنوه كذلك فعلوا كفعله ونافسوه ودافعوه ^(٣) ، فعاش لامخ تسعمائة سنة وسبعاً وسبعين ^(٤) سنة ثم قبضه الله ومرج ^(٥) الناس وطفى بعضهم على بعض فبعث الله نوحاً (نوح) صلى الله عليه وسلم : هو نوح بن لامخ فدعا الناس والجن ^(٦) إلى طاعة الله وأنزل الله عليه صحيفتين بكتابين ودعاهم إلى ما في الصحف فعصوه وارتفع عنهم الغيث فقال لهم : (استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين) .

قال وهب : وأوحى الله إلى نوح (لا تبتئس بما كانوا يفعلون) فان حكم الله نافذ إلى يوم الوقت المعلوم فاصنع الفلك ^(٧) فكانوا يسخرون منه

(١) الاصل - متشلح .

(٢) بالاصل لامخ بالحاء المهملة والمشهور ملك بالكاف - ك .

(٣) ل - فارفعوه .

(٤) ل - وتسعين وفي ابي الفداء زتسعاً وستين .

(٥) في الاصل مرج .

(٦) ب - الناس والخلق .

(٧) ل - فصنع الفلك .

ويقولون ترك الكذب وصار ^(١) نجاراً فأقام نوح يدعو الثقيلين الخن والانس
الف سنة إلا خمسين عاماً فكان الآباء يوصون الأبناء بتكذيبه ويقولون لهم :
لا تطيعوا هذا الشيخ الكذاب فانا أدركنا سلفنا يكذبونه ، فأوصى الأبناء أبناء
الأبناء بتكذيبه فكلما طاف الأرض يبلغ حجة الله فيأتيه وقت الحج فيرجع
إلى البيت الحرام فيحج . فلما رأوه يفعل ذلك قالوا : لو هدمت بيت نوح
لكف عنكم آذاه فائتمروا بهدم البيت وخراب المسجد الحرام فيها . البيت
وخربوا آثار المسجد الحرام . فأوحى الله إلى نوح فقال له جبريل : يا نوح
السلام يقرئك السلام ، يا نوح جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً
اشتد غضب الله وحقّت كلمة العذاب على الكافرين لا ملجأ ولا منجأ لأهل
الأرض من عذاب الله - احمل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك إلا
من سبق عليه القول منهم : فإذا رأيت التنور فاركب أنت ومن معك وكان
الذي آمن معه سبعين رجلاً . قال الله : (وما آمن معه إلا قليل) فلما رأى
التنور ركب بالسبعين رجلاً بلا نساء معهم وركب بنوه سام وحام ويافث
ونساءهم كن قد آمن ، ثم رفعت الأرض ماءها وهرب ابن نوح الرابع إلى
جبل فقال له نوح : يا بني آمن واركب معنا (قال سأوي إلى جبل يعصمني
من الماء) ، قال له نوح : (لا عاصم اليوم من أمر الله) . والعرب تجعل فاعل
في موضع مفعول قال الله (في عيشة راضية) و (ماء دافق) أي مرضية ومدفوق

قال وهب : فأوى ابن نوح إلى جبل وهربت معه امرأة بابنها فلما طما
الماء على قن الجبال وأخذها الماء . جعلت المرأة ابنها على رأسها فلما ألحمها الماء
جعلت ابنها تحت رجلها لتنجو ثم علاها الماء فغرقا وغرق ابن نوح . فأوحى
الله إلى نوح (لو كنت أرحم منهم أحداً لرحمت أم الطفل) . ثم انهمرت

(١) ب- يا نوح تركت الكذب وصرت نجار .

السماء بماء منهمر والتقى الماء ان ماء الأرض وماء السماء . قال الله : (فالتقى الماء على أمر قد قدر) ولو نزل ماء السماء على الأرض لأغرقها ولكنهما التقيا في الهواء ودار الماء على البيت وعلى المسجد فلم يعلو وبقي ما فوقه هواء وأنه لما آن وقت الحج قذفت الرياح السفينة إلى البلد الحرام فطاف نوح بالبيت أسبوعاً ثم قال نوح لبنيه : انكم في حج فاعتزلوا النساء فجعل نوح النساء بمعزل وجعل دون النساء رماداً وان حام جاز إلى امرأته ليلاً فوطئها فلما أصبح نوح رأى الأثر في الرماد قال : من جاز إلى النساء ؟ قالوا : لا نعلم من جاز ، وكنمه حام . فقال نوح (اللهم سود ^(١) وجهه ووجه ذرية من عصى ووطئ أهله) فولدت امرأة حام غلاماً أسود فسماه كوشا فعلم أن الدعوة أدركته .

قال وهب : أقام الماء على الأرض أربعين عاماً ^(٢) وقال بعض الرواة أربعين يوماً ثم أمر الله السماء فأقلعت ماءها وأمر الأرض فغاضت ماءها ونزلت السفينة بنوح على الجودي فقال : (بعداً للقوم الظالمين) .

قال وهب : وعاش نوح بعد الطوفان خمسمائة عام وأن السبعين رجلاً الذين كانوا معه في السفينة ماتوا بلا عقب وانما أعقب بنو نوح الثلاثة سام وحام ويافث ^(٣) ، فولد سام ارفخشذ وارم وبنين كثيراً درجوا ودرج أبناؤهم ، فولد أرم : عوص فولد عوص عاد الأكبر ، وولد ^(٤) عابر بن

(١) لعله سودوجه ذرية .

(٢) ذراعاً .

(٣) زيادة ل - نسب بني سام .

(٤) زياده ل - ارم أيضاً عاسراً - وفي أبي الفداء غاثر .

أرم فولد عابر ثموداً وطسم^(١) وولد ارم أيضاً لاوي فولد لاوي عملاقاً ور يشاً وولد أيضاً فارساً ومارما ، فولد فارس الفرس . وقال بعض الرواة أن طسم وجديس ورايش وعملاقاً أولاد من ابن ارم فأما بني ارفخشذ فهم النخلة يعني نسبهم في نخلة النسب فاغنى^(٢) عن أبنائهم هنا .

نسب ولد حام

ولد حام كوشا وماريع ، فولد كوش الحبشة ، وولد لماريح بن حام^(٣) كنعان بن ماريح بن حام فولد بربر^(٤) بن ماريح ونوبة بن ماريح ، وولد حام قبط بن حام وسند بن حام وقول بن حام وعامور بن حام^(٥) ، وولد يافث عجلان بن يافث ، وولد يافث عوجان بن يافث وبرجان بن يافث ، فولد عجلان^(٦) بن يافث ياجوج وماجوج والترك والخزر أولاد عجلان بن يافث ، وولد عوجان بن يافث صقالب بن عوجان وسكس بن عوجان وقوط بن عوجان^(٧) .

(١) ل - فولد ارم أيضاً لاوذ بن ارم والأسود بن لوي ابن مادم بنوار فحتشد النخلة يعني نسبهم في نخلة النسب .

(٢) ل - أعني عن أبنائهم هاهنا .

(٣) بالأصل بن كنعان .

(٤) بالأصل يزيد .

(٥) ل - وولد كنعان بربر بن كنعان وولد أيضاً حام قبط بن حام وسند بن حام وقران ابن كنعان بن حام وعينون بن حمام فهؤلاء بنو حام والله أعلم .

(٦) ل - عجلان - ل .

(٧) وولد عرجان مثقال وبسكيش وقوطه فهؤلاء أولاد عرجان وولد لوهان الديلم - قال وهب فهؤلاء أولاد نوح وبنوه وليس على الأرض إلا أولاد هؤلاء إلى يوم القيامة ولم يصح لنا بعض الاسماء لأنها غير منقوطة بالأصل - ك .

قال وهب بن منبه : ولما خلق الله الجنة جعلها خير معد لأوليائه وخلق الألسن فاختار لجنته من جميعها العربية وخلق بني آدم فاختار للعربية العرب^(١).

قال وهب : ولما أراد الله اتمام أمره واظهار العربية^(٢) أنزل كتاباً مقطوعاً وهو : (شهد الله بالحق بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) . حكم الحى القيوم أنه اذا اعتكر الزمان وكثر النسيان وحكم في ذرية آدم الشيطان وغلب هذا اللسان^(٣) فعبدت الأوثان وقتل الولدان بعث الله محمداً بالعدل والبيان يصدع بالقرآن وينصر الايمان زمان ظهور السودان نبي لا نبي بعده ولم يخلف الله وعده .

قال وهب : قال جبريل يا نوح خذ هذه الصحيفة فانها كنز لذريتك فاحبسها عنهم فانه من صارت له من ولدك القسلة تعلم أنه خير ولدك وذريته خير ذريتك محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فلم يزل تبارك وتعالى ينقله من الأصلاب الطاهرة والمحتد^(٤) الطيب حتى بعثه الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكانت الصحيفة عند نوح لا يعلم ما فيها حتى نعت اليه نفسه فقال له جبريل : ساهم بين بنيك بني سام وحام ويافث فقال لهم نوح : اقترعوا على هذه الصحيفة فأيكم صارت له فهو خير ولدي وذريته خير ذريتي ، فاقترعوا عليها فطارت لسام فأخذها سام فصارت اليه وكانت في يدي سام^(٥) ولا

(١) ب - العربية للعرب .

(٢) زيادة ل لأهلها أنزل على نوح صحيفة مكتوبة بالعربية .

(٣) ل - وغلب عليهم العصيان .

(٤) ل - الجسد .

(٥) زيادة قال - قال حام بل نقترع فاقترعوا فطارت في الثلاث لسام فأخذها سام

فصارت اليه .

يعلم ما فيها . (سام) : تفسيره بالعربية اسما ، ومات نوح وولي أمر أهل الأرض سام وهو وصي نوح . وقال بعض أهل العلم : أن وصي نوح ابنه نون بن نوح .

قال وهب : وكان سام جزوعاً من الموت فسأل نوح الله ألا يميته حتى يسأل الموت . فعاش أربعة آلاف عام نبي الفين وعمر الفين وان سام اعتل بنسمة ^(١) فسأل ربه الموت فمات .

قال وهب : أتى الحواريون عيسى بن مريم فقالوا له : يا روح الله وكلمته أرنا جدنا ^(٢) سام بن نوح ليزيدنا الله يقيناً فسار بهم عيسى إلى قبر سام فقال : أجب باذن الله يا سام بن نوح فقام بقلرة الله كالنخلة السحوق قال له : كم عشت يا سام ؟ قال له : عشت أربعة آلاف سنة تنبئت ^(٣) الفين وعمرت الفين ، قال له عيسى : فكيف كانت الدنيا عندك ؟ قال له سام : كبيت بباين ^(٤) دخلت من هذا وخرجت من هذا ثم ان سام قرع بين أولاده ^(٥) في الصحيفة فصارت إلى ارفخشذ فعلم سام أنه خير ولده فأوصى له واستخلفه وولي ارفخشذ . وتفسير (ارفخشذ) بالعربي مصباح مضى ، و ارفخشذ باللسان السرياني واسمه بالعبراني ارفخشاذ ، فعاش ارفخشذ اربعمائة وثلاثاً وستين سنة فكانت الصحيفة عنده لا يعلم ما فيها وهو على دين الله فساهم بين بنيه فصارت الصحيفة بالسهم إلى شالخ بن ارفخشذ وولي أمر الناس شالخ . وشالخ بالعربي وكيل وكان على حق والصحيفة عنده لا يعلم ما فيها ، فعاش

(١) ب - وان ساما اعتل حتى سئم الحياة .

(٢) ل - قبر جدنا .

(٣) ب - نبئت .

(٤) ل - له بابان .

(٥) ب - والأصل - قد اقرع بين بنيه .

ثلاث مائة سنة وثلاثاً وستين سنة ، فلما حضرته الوفاة ساهم بين بنيه فصارت الصحيفة إلى عابر بن شالح فأوصى شالح إلى ابنه عابر^(١) فولي أمر الناس عابر بالحق والعدل فبنى المجدل وحلب النهر^(٢) والصحيفة عنده لا يعلم ما فيها حتى أراد الله تفرقة^(٣) الألسن للذي سبق في علمه لظهور الحجة . قال الله : (واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) .

قال وهب : وان عابر رأى في منامه كأن باباً من السماء قتح له ونزل منه ملك فأخذ بيديه فأقامه قائماً فشق صدره ونزع قلبه فشقه وغسله ثم أطبقه فعاد صحيحاً كما كان ثم رده في صدره وجريده على صدره فعاد سوياً . فلما أصبح داخلته وحشة وهيام منها فتوارى عن أخوته وقومه وأنكره أهله وولده وامتنع من الطعام . فلما أوى إلى فراشه رأى كما رأى في الليلة الأولى ، فرأى كأن الملك آتاه فأخذ بيده وأقامه على نفسه ثم قال : هات الصحيفة يا عابر فأتى بالصحيفة عابر^(٤) فقال له الملك : اقرأ يا عابر ، قال له عابر : ما الذي اقرأ ؟ قال : اقرأ (شهد الله بالحق بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا اله إلا هو^(٥)) . إلى آخر الصحيفة ثم قرأها معه مراراً فلما أصبح عابر ازداد وحشة وفراراً من قومه ، فقالوا : ان عابر خولط في عقله ، فجعلوا يحرسونه وهو يتوارى عنهم بالصحيفة يتذاكر^(٦) ما علمه الملك ويتدبر الأحرف بعقله وافتراقها كيف واتصالها كيف نهاره أجمع . فلما أوى إلى فراشه عادت

(١) ل - وهو أول ملك ملك في الدنيا .

(٢) ل - جلب الدهر بعده بياض .

(٣) بالأصل - بفرقه .

(٤) ل - فكأنه ناوله إياها .

(٥) زيادة ل - والملائكة والولاء العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم .

(٦) ل - يتدبر .

الرؤيا ثم أخذ الملك بيده فأقامه وقال : هات الصحيفة يا عابر ! فلما آتاه بها قال له : يا عابر تدبر أمر هذه الأحرف وسمها بما أعطاك لسانك وشفتك ألا ترى أنك قلت باء بشفتك فسم الحرف الباء ، ثم قلت سين فهو سين ، ثم قلت ميم توالي ^(١) الحرف بالحرف يكن بسم . وكذلك في سائر الحروف فتدبرها وسمها بما أعطاك لسانك وشفتك لتسعد . فلما أفاق عابر تدبر الصحيفة كما رأى فسهل عليه أمرها وفتحت له قراءتها فقرأها وعلم ما فيها فدعا ابنه هود — وهو هود النبي صلى الله عليه وسلم — فقال له : يا هود ان الله اختصني بعلم عظيم جليل القدر لنا به الشرف في الدنيا والآخرة ، ثم أخرج الصحيفة فقرأها فقال له هود : يا أبت رأيت رؤيا كأن آتياً آتاني فأطعمني طعاماً فلما وصل إلى جوفي تضرع له ^(٢) من فمي نور ملأ ما بين المشرق والمغرب . قال له عابر : أنت يا بني صاحب الصحيفة سيقال لك وتقول فاحرس بما ^(٣) في يديك . ثم تبلبلت ألسن الخلق فأقاموا بالمجدل وبأرض بابل يمجون ويعالجون اللغات فسلموا اللسان السرياني إلا أهل الجودي فانهم لم يعتوج لهم لسان يتكلمون بالسرياني . واجرى جبريل صلى الله عليه على كل لسان كل أمة لغة فنطق الناس بالألسن العجمي والعربي وأفصح يعرب بالعربية وهود أبوه ^(٤) ، فالغ بن عابر أخو هود بالجودي يتكلم بالسرياني ، ويتكلم مع عابر جميع أخوته وبني عمه أرم بن سام ما خلا الفرس فانها تكلمت بلسان أعجمي ، وأما عاد وثمود وطسم ويحديس وعملاق ورائش فانهم نطقوا مع ابن عمهم عابر بالعربية فأدركتهم بركتها وشرفوا وتغلبوا على جميع من كان معهم من الألسن

(١) ل — ثم وال .

(٢) ب — تطوع له — ل — أضاء له .

(٣) ل — فاحرض على ما .

(٤) ل — وأوضح عابر بالعربية وابنه هود .

حتى زهوا على الناس وأظهروا فيهم الطغيان وأشرفوا على الناس وكانوا كذلك إلى حين والناس اذ ذاك يبابل .

قال وهب : ولما تغلب المتعربون من ولد سام بن نوح على الناس يبابل وطفخوا عليهم وعاثوا فيهم ، بعث الله إليهم أخاهم هوداً نبياً ^(١) فدعاهم إلى طاعة الله فعتوا وهو قول الله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هوداً) . فإنه لما تغلب بنو عابر على جميع أهل الألسن وقهروا الناس ، هبت الرياح الأربع الصبا والدبور والشمال والجنوب وهو أن تقف وتستقبل بوجهك مطلع الشمس فما هب عن وجهك فهو صبا وما هب عن يمينك فهو جنوب وما هب عن شمالك فهو شمال وما هب عن خلفك فهو دبور .

قال وهب : ولما هبت ^(٢) لقوم تبعوا ريح الصبا أين سارت واقتدوا بها وهم بنو حام فساروا حتى نزلوا اليمن ولم يسم إذ ذاك يمن . ثم هبت بعدهم ريح فتبعها قوم من بني يافث وهم القوط ^(٣) فنزلوا بجوار بني حام والموضع الذي نزلت به بنو حام ^(٤) يسمى العالية والموضع الذي نزلت فيه بنو يافث يسمى الهيفاء ، فعملوا الأرض وافتحوها وغرسوا الثمار وأجروا الأنهار ثم تنافس ^(٥) بنو حام وبنو يافث فاقتتلوا فغلب بنو حام على بني يافث وملكوهم وأجروا عليهم الخراج ، والقوط أول من أدى الخراج على الأرض من ولد نوح ، وفي ذلك كله هود يدعو الناس يبابل إلى الله ثم أن هوداً رأى رؤيا كأن

(١) ل - قصة هود وما جرى له مع قوم عاد حتى أهلكهم الله بالريح وآراهم الآية الباهرة

(٢) ب - ولما هب ذهب قوم - ل - هبت بقوم .

(٣) ل - القوط كذا بالفاء وهو غلط .

(٤) بالأصل نزلوه بني حام .

(٥) بالأصل تنافسوا .

أتياً آتاه فقال له : يا هود إذا ضربت رائحة المسك إليك أو إلى أحد من ولدك من ناحية من نواحي الأرض فليتبع تلك الناحية من وجد رائحة المسك ذلك النسيم حتى إذا كف عنه نزل فذلك مستقره وللناس سعى والله فيه علم وقضاء سبق ذلك فجاء مكنون علم الله . فقص الرؤيا هود صلى الله عليه وسلم على ولده وقومه . ثم آتاه آت في الليلة الثانية فقال له : يا هود من وجد ريح المسك اتبعه فإنه يفضي به إلى خير بلد الله وفيه بيته العتيق وحرمة وهو البيت الذي بناه آدم ^(١) والملائكة ورفع الله من الطوفان ^(٢) . وقال بعض الرواة : بل هدمه قوم نوح . فأقام هود ببابل على الرجاء فلا يجد شيئاً وهو يدعو الناس المتقربين ^(٣) من ولد سام بن نوح عاد أو ثموداً وطسماً وجديساً وراثشاً وعلاقاً وبني ارفخشذ بن سام وعاد وأخوانهم بنو أرم بن سام ببابل .

قال وهب : وان يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام وجد رائحة المسك فقال له هود : دانت ميمون النقية يا يعرب أنت ايمن ولدي مر فاذا سكن عنك ما تجد فانزل على اليمن ولا تمر فانها لك خير وطن وجاور بيت الله يا خير جوار . فصار ^(٤) يعرب بمن تبعه من بني قحطان وبني عابر ومن خف معه من بني ارفخشذ فساروا في جمع عظيم ووجوه أهل بابل وكان يعرب وسيماً كريماً أفضل غلام ببابل وقال في ذلك :

أنا ^(٥) ابن قحطان الهمام الأquil لست لسكناك ولا مؤمل
يا قوم سيروا في الرحيل الأول قحطاننا الأوفر غير الأرذل

(١) ل - ابراهيم وهو غلط هنا .

(٢) ل - عند الطوفان .

(٣) لعله المتعربين - ح .

(٤) ل - فسار صح - ك .

(٥) ل - أنا الغلام ذو النصيب الاجزل - الايمن المعروف بالتجمل .

اني أنادي باللسان المسهل^(١) بالمنطق الأبسين غير المشكل
ومنطق الأملاك بعدي الكمل حسرت الأمة في تبليل
أجرى بعين الشمس في تمهل لا قهر الأملاك بالتفضل^(٢)
عن قول نوح غير ذي تغزل وقول نوح ذاك علم الفيصل
يُرجى لتعقيب الزمان الأحول زمان ذي الوحي الكريم المفضل^(٣)
محمد الهادي النبي المرسل والناس عند سبقنا بمعزل
عن خير قول قلته واجمل لله در الماجد المستقبل

قوله بمنطق الأملاك بعدي الكمل: طعن في علم ما يكون بعده أراد منطق
التبابعة من ولده وأراد بقوله الزمان الأهول بعد ما بعث محمد صلى الله عليه
وآله وسلم أنه يحارب الجار جاره ويعادي المرء كلبه ووالده وأمه .

قال وهب : وقوله عن قول نوح - يريد الصحيفة التي كثر ذرية سام -
ثم سكنت عنه رائحة المسك على رأس العالية فتزل بجوار بني حام فشاجره
بنو حام كما فعلوا ببني يافث فرجعوا إلى يعرب وبني عابر الذين معه فقاتلهم
قتالاً شديداً فهزمهم يعرب ونفاهم إلى غربي الأرض فأتاه بنو يافث مذعنين
فأمرهم بالإقامة ورفع عنهم الخراج الذي كانوا يؤدونه إلى بني حام .

قال وهب وورث يعرب أرض اليمن^(٤) .

قال وهب : اسم (يعرب) يمن ولذلك قيل أرض يمن وأقام يعرب

(١) لعل الرعيل .

(٢) ل - الأسهل .

(٣) ب - في التفضل ل ب - المفضل

(٤) في الاصل زيادة ليعرب

بها يغرس الثمار ويجري الأنهار . وكان يعرب أول من قال الشعر ووزنه
وذهب في جميع الأعراف ومدح ووصف وقص وشبب (١) فتعلم منه
أخوته وبنو عمه حتى وصل الأمر إلى المتعربين بابل عاد وثمود وطسم
وعملاق ورائش فاستطابوا الشعر وخف على ألسنتهم وراموا قوله فنسج
لهم قوله (٢) .

قال وهب : وبلغ عاد ما يعرب فيه هو وبنو أبيه من النعمة ورفد العيش
وكان شخص مع يعرب من بابل إلى أرض يمن رجل من عاد يقال له رقيم
ابن عويل (٣) بن الجماهر بن عوص بن أرم فلما رأى يعرب ومن معه في
أمن وسعة ورغد من عيشهم حسدهم وكان يعرب يرى الأسباب في منامه
وكان يخبر بها قومه ليكون الذي رأى رواية - رأى أن آتياً آتاه فقال له : يا
يعرب هلا جعلت نقباً في الجبل الأغر من أرض برهوت في غربي (٤) الأرض
فإنه معدن عقيان وأفقر (٥) شرقيه فإنه معدن لحين ففعل ثم أنه يرى ويستخرج
معدن الجواهر من العقيق والجواهر فكثر اللجين والعقيان في أرض يمن وإنما
زيد في يمن الألف واللام لصلة الكلام ، وإن رقيم بن عويل لما رأى أرض
اليمن أتى قومه عاداً وكان فيهم رأساً فجمع عاداً ثم أخبرهم بما فيه بنو
قحطان مع يعرب وأنكم ها هنا لستم على شيء واعتم على أنفسكم هوداً بكل
من غشيت عليه وقهرتموه من جميع الناس فصاروا يداً عليكم مع هود ولكن

(١) بالأصل شيد - ل سبه .

(٢) ب - فنسج له قوله فقالوا الشعر - ول وسهل عليهم قوله .

(٣) ل - عويد بالبدال .

(٤) ل - عريض .

(٥) لعله وآخر .

لا ينوا هوداً واعطوه عقوداً حتى يلين لكم ثم اخرجوا إلى اليمن وانزلوا ناحية منها واسألوا أخوانكم الجوار فإذا سكنتم كنتم من وراء أمركم فويل للمنزول عليه من النازل .

قال وهب : فأوحى الله إلى هود يخادعونك والله من وراءهم محيط اعطهم ما سألوا فاني لا أخشى فوتاً فوعزتي وجلالي ما ينتقلون إلا من أرضي إلى أرضي ولا يفرون من قدرتي إلا إلى قدرتي . فأعطاهم هود ما سألوه ورفعوا إلى اليمن فنزلوا بالأحقاف فلما نزلوا الأحقاف لم يتعرض لهم يعرب بشيء وقال لقومه : أخوانكم لجأوا إليكم فقال لهم رقيم : تحرموا عليهم الديون ^(١) حتى يقاتلوكم فاذا ظفرت بهم قويتم على حرب هود بقتلكم ذريته فليس لأحد بكم طاقة وذلك ان الله خلقهم خلقاً عظيماً . قال الله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ^(٢)) أي ذات الأضلاب الطوال التي لم يخلق مثلها في البلاد ثم ان عاداً شاجرت يعرب ^(٣) وبني قحطان وتسببوا اليهم للحرب ^(٤) . فقال يعرب : يا بني قحطان ان كان أعطى الله عاداً أعظم الأجسام فقد أعطاكم الصبر والجلد فقاتلوهم بإذن الله تعالى ثم التقى بنو قحطان ويعرب ومن معهم مع عاد بموضع من اليمن يقال له بارق ^(٥) بين الأحقاف والعالية فاقتلوا قتلاً شديداً فهزمهم يعرب وقتلهم مقتلة عظيمة فقال يعرب في ذلك :

لعمرى لقد شادت على الدهر خطبة سيف بني قحطان في يوم بارق

(١) ل - تحرموا يعرب ومن معه الجراير ودينوهم بالديون .

(٢) أي عاد بن ارم .

(٣) بالاصل يعربا وكذا في ب .

(٤) ب - الحرب .

(٥) قد ذكر ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم ولكن عباراته غير واضحة - ك .

لقد حضرت عاد الى الموت ضحوة
دلفنا إلى عاد بجمع كأنه
أرادوا دفاع الله والله غالب
لنا بلحة وسط العجاج يرى لها
إذا عجبوا أو لحنوا خلت جمعهم
بكل فتى ماضٍ على الهول باسق
نفينا بني حام عن الأرض عنوة
لنا شرفات العز من حصن عابر
ابونا هو الهادي النبي الذي له
سمونا إلى هود ومن كان مثلنا
وللمرهفات الغر فوق العواتق
على الأرض يعدو كالسيول الدوافق
فكن عليهم منه إحدى الصواعق
على (١) فارسات الصبر حر الودائع
صخوراً تدلت من رؤوس الشواهد
يلاقى المنايا بالسيوف البوارق
إلى الجانب الغربي رجم (٢) المضايق
علونا بها عن كل بان وسابق (٣)
على أمم الدنيا عهد الموائق
يقول بفخر واضح النور صادق

قال وهب : وان الله أنزل على هود صحيفة أمره فيها بالحج إلى البيت
الحرام وأنزل عليه ما بقي على أبيه من العربية وأنزل عليه (ا ب ت ث ج ح
خ د ذ ر ز ط ظ ع غ ف ق س ش ه و ل ا ي) فأنزل لها تسعة وعشرين
حرفاً (٤) ولذلك علا اللسان العربي على جميع الألسن لأن كل لسان من
الألسن مثل العبراني والسياني إنما هو اثنان وعشرون حرفاً ، وأنزل عليه -
يا هود ان الله قد آثرك أنت وذريتك بسيد الكلام وبهذا الكلام يكون لك
ولذريتك من بعدك استطالة وقدرة وفضيلة على جميع العباد إلى يوم القيامة
ويجري هذا الكلام فيهم أبد الأبد حتى يتختم بنبوة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم آخره في الأصلاب الطاهرات يخرج من صلب إلى صلب نبي مطهر
ثم يخرج من ولد أخيك فالغ على عشر آباء من نوح اليه .

(١) الأصل خطة .

(٢) الأصل فارشات .

(٣) الأصل شؤون .

(٤) ب - زحم .

(٥) ب باسق ولعله ب الصواب - ك .

قال وهب : فحج هود وقحطان ابنه ولحق بهم بمكة يعرب بن قحطان
وحج معه يعرب بن قحطان والبيت مهذوم ، فإذا مر بموضع الحجر الأسود
وهو مدفون أوماً اليه واستلم فقضى حجه . فقال يعرب : أتأمرني يا رسول
الله أبنيه قال له : لا قد أخرج^(١) الله أمره يبنيه ويبنى معه النبي بعده وتعينه
الملائكة وذلك قول الله (واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) (وقال) واذ يرفع
إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل) .

قال وهب : نبي معه اسماعيل .

قال وهب ثم إن راس عاد وهو عاد بن رقيم بن عابر بن عوص بن ارم
قال لرقيم : أنت مشؤوم ورأيتك نكد دعوتنا إلى حرب يعرب ولم يردونا
بسوء^(٢) فلما قتل عاد أدركك الجزع فلبست الذل وإن ملك عاد عاد بن رقيم
دعاه إلى حرب يعرب وأنشأ يقول :

ألا يا عاد ويحكم فسيروا إلى العلياء واحتملوا برشد
لقد ظفرت بنو قحطان منا بيوم طالع من غير سعد
لقد نزلوا البلاد فأوطنوها وكانوا في المحافل غير جند^(٣)
ولينوا في مداهنة لهود فقد صرتم إلى ذل وجهد
وداروه ومن يهوى هواه ليرضى من سجيتمكم بود
وفي غب النفوس يكون غلا دفينا في الصدور له بحقد

(١) ل - لا قد أخرج الله أمره لنبيه يبنيه وهو نبي من ذرية أخي فالغ يعينه فيه الملائكة .
مع ولد له وذلك قول الله تعالى (واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت واذ يرفع إبراهيم القواعد من
البيت واسماعيل - ولعله الصواب - ح .

(٢) بالاصل لم يرحونا .

(٣) - حيد .

فأجابوه إلى المسير وخرجوا إلى حربه ويعرب بمكة ^(١) ومعه وجوه بني قحطان وحملة أمورهم فلما برزت عاد أنشأ يقول عاد بن رقيم :

يا قوم أجيبوا صوت ذا المنادي سيروا اليهم غير ما أرواد
إني أنا عاد الطويل النادي وسام جدي غير جد هادي
سيروا إلى أرض بذي اطواد بتهد أرض في ثرى الثماد
اذ يعرب سار على الجياد بظهر قفر أو ببطن وادي
قد شد من قبل على الآساد حتى سبا وعاث في البلاد
قوموا ليشهد خافق الفؤاد ويلق منا صولة الأعادي

يرمي إلينا مرسن القياد

وبلغ بنو قحطان خروج عاد بقومه فعادوا اليهم فخرجوا والتقوا ببارق فاقتلوا قتالاً شديداً ونال بعضهم من بعض فكان بينهم قتل عظيم وبلغ ذلك يعرب بمكة فأمره هود بالانصراف إلى اليمن ، فلما جاءهم يعرب تهباً للزحف إلى عاد ^(٢) وان الله أمر هود بالمسير إلى اليمن لينذر عاداً و يدعوهم إلى طاعة الله تعالى . فسار هود حتى نزل بجوار الأحقاف بموضع يقال له الهنيق ^(٣) وأمر يعرب فكف عما كان عليه من حرب عاد ودعا عاداً إلى الله تعالى ووعدهم الجنة ان هم أطاعوا الله وخوفهم بالنار إن هم لجوا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر فقالوا له : صف لنا هذه الجنة التي وعدتنا ؟ فقال

(١) مع هود جده عليه السلام فخرج اليهم قحطان فاتقوا ببارق مرة فاقتلوا فلما برزت عاد انشأ يقول ،

(٢) زيادة ل - فلما بلغ أمرهم إلى هود صلى الله عليه وسلم أمر يعرب بالانصراف اليهم فسار حتى وصل اليهم وهم يقاتلون قحطان فتنبأ للزحف فهزمهم ثانية وقتلهم قتلاً ذريعاً .

(٣) ل - الحسنوا (كذا) والكتابة غير واضحة بالأصل في الأماكن كلها ولم أجد لهذا الموضع ذكراً في الكتب التي بأيدينا - ك .

لهم : هي جنة بناؤها بطون العقيان وطينها لحين وفيها حور العين أبكار ^(١) والفواكه الدائمة التي لا تنقطع والأنهار من كل الأشربة تجري بين القصور تحتها والغرف المبنية من الياقوت على أعمدة اللؤلؤ والزمرد والزبرجد وقيعانها من فتي ^(٢) المسك والكافور والزعفران . قالوا : فصف لنا النار ؟ قال لهم : هي سوداء مظلمة ملهمة وهي طبقات الهاوية والجحيم ولظاً وجهنم والسعير وأوديتها موبق والزمهرير ^(٣) وطعامها الزقوم من أكله سالت عيناه وأحرق حشاه وشرابها الغسلين يتساقط منها لحم الوجوه ^(٤) قبل أن يصل إلى أفواه الشاربين مع مقاربة الزبانية المعذنين . فقالوا : وهذا هود قد وصف لنا ولكن أرسلوا إليه وفداً من أهل الرياسة والشرف والعقول يسألونه أن يرهم الجنة ويرهم النار ؟ فأجمع أمرهم على ذلك فأرسلوا ألف رجل وفداً . فقال لهم ملكهم عاد بن رقيم : اسألوه أن يرهم هذه الجنة وسموها على اسم جدكم أرم بن سام بن نوح فيكون اسم جدكم موجوداً مذكوراً أبداً ويكون له به فضيلة على الخلق أجمعين وينسى اسم جدكم أرفخشذ فيكون لكم علواً ولهم ضعة ^(٥) إلى آخر الدهر . فبعثوا منهم رجلاً من أهل الشرف والرياسة والمنطق يقال له البغيث بن وقاد بن خضرم ^(٦) بن هاد بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ، فوفد البغيث على هود مع ألف رجل فقال له : يا هود أنت وعدتنا بالجنة ووصفتها لنا وأوعدتنا بالنار ووصفتها لنا في الآخرة وخير

(١) ل - قالوا صف لنا النار وصف لنا الجنة اللتين وعدتنا بهما فقال لهم هي بها تهتور

(كذا) العقيان وطيبها لحين وفيها حور العين أبكار ... الخ .

(٢) بالأصل نبت والصواب في ل - ك .

(٣) ب - موبوق .

(٤) زيادة في ل - بنس الشراب .

(٥) ل - وضيمة .

(٦) ب - خضرم بعلامة الإهمال فوق الحاء وفي ل خضوم بن همد - ك .

هذه الدنيا قد رأيناها فلسنا تاركين الحاضر للغائب بقول قائل صادق أو كاذب فنحن من قولك في شك أو تبين ما قلت من جنة أو نار وإلا فأنت كاذب وأنا رأينا حور الدنيا وفواكه الدنيا ، ثم وصفت لنا ما هو أحسن من هذا فحقيق على من كان له لب أن يرغب فيما وصفت ثم رأينا نار الدنيا محرقة فرعمت أن تلك النار أشد احراقاً وظلماً ^(١) فحقيق لمن خوفته بها أن يخافها فاخرج لنا مدينة نسكنها ونسميها على اسم أيينا أرم بن سار بن نوح تكون لنا فضيلة إلى آخر الأبد واخرج لنا ناراً نتعظ بها ونزداد فيما دعوتنا إليه رغبة وتخرج لنا حيث نريد - وهم يسألونه ذلك على وجه الاستهزاء به وأنه لا يقدر على ذلك - فقال لهم هود : سألتكم الله أمراً وهو يسير عليه ولكن أخشى عليكم أن لا تقوموا لله بوفاء العهود وإنما يقول له كن فيكون فان عصيتم الآية قال : لما يهلككم كن فيكون فاذهب يا بيعث مع أصحابك فخذوا عهودهم لله ثم اعلموهم ان هم أعطاهم الله سوء لهم ان كذبوا ان الله يهلكهم بمثلة تكون عبرة للعابرين فرجع البعث والذين معه فقال للملك ولعاد البعث ^(٢) :

لقد جئتكم من عند هود بقصة	وما عنده قول إلى الحق يتبع
دعاكم لأمر ليس فيه حقيقة	وما فيه شيء للجماعة ينفع
دعاكم لآمال غرور بعيدة	وترك الذي يهوى الذ وأنفع
كتمت له في النفس مني جوابه	وظني به يا عاد بالقول يخدع
واني مشير فيكم بنصيحة	وان أصبحت عاد تطيع وتسمع
فان قبلوا رأي تنالوا سعادة	خذوه برشد في الذي قال او دعوا

(١) ب - ظلاما .

(٢) ل - إلى قومهم فقال الملك مالك يا بيعث فأنشأ يقول .

ذروني أقل من قبل يبدأ قائل فاني له ان قلت بالفلج أطمع
قال له عاد : ما رأيك يا بيعث ؟ قال له : نسير إلى هود فنسأله أن يخرج
لنا هذه المدينة في الحفيف . وهو واد يسيل ويخرج من بين جبال وجرز سود
شعث والحفيف نهر يسيل ليلاً ونهاراً بالرمل يتيهاً ^(١) بالرياح العواصف .
فخرج من عاد ثلاثة آلاف وفدا إلى هود ، فاتوا هوداً فقالوا له : يا هود
اخرج لنا هذه المدينة على عهد الله علينا وعلى قومنا أن نؤمن وأخرجها لنا
بنهر الحفيف ؟ فسار معهم حتى وقفوا على الحفيف . فقال لهم هود : اذهبوا
عني إلى نجاد الأحقاف فإذا هب لكم نسيم المسك أقبلتم إلي . فذهبوا وناجى
هود ربه فاخرجها الله لهم قصور الياقوت على أعمدة اللؤلؤ والزمرد والدر
والزبرجد وقصوراً مبنية بلبن اللجين والعقيان وقيعانها بالمسك والكافور
والزعفران . فلما رأوا ذلك عشت أبصارهم وخشعت قلوبهم وداخل قلوبهم
منها رعب ورقى اليهم منها نور كشعاع الشمس . فقال لهم هود : هذه التي
اسمها أرم على اسم أبيكم فان آمنتم كان لكم بها فضيلة على الخلق إلى يوم
القيامة وان رغبتم فان الله قوي عزيز يهلككم كما أهلك من قبلكم ممن كان
أشد منكم عتواً في الأرض ، فأنا أعلم أنكم لم تؤمنوا ولن يراها أحد من خلق
الله إلا رجل من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال وهب بن منبه : رآها تميم الداري ^(٢) زمان عمر بن الخطاب ، ثم
هموا بدخولها فعميت ^(٣) أبصارهم واقشعرت جلودهم فولوا مدبرين ،
فقال لهم ميسعان بن عفير : ويحكم آمنوا فانها آية من الله ، فقالوا : ان هوداً

(١) لعله ينهار - ح .

(٢) هو صحابي مشهور - ك .

(٣) ل - عنها .

لساحر من سحرة أرض بابل ، قال لهم ميسعان : آمنت بما جاء به هر د . ثم ساروا ومعهم ميسعان يعظهم حتى بلغوا موضعاً يقال له لكنة المعتال ^(١) فأنزل الله عليهم ناراً بريح صرصر عاتية فأحرقتهم ^(٢) وخلص ميسعان فلذلك الموضع يسمى الحرقانة ^(٣) إلى اليوم فانطلق ميسعان سالماً حتى أتى عاداً ليلاً أول رقدته فاستوى على شرف من رمل ونادى بأعلى صوته وهو يقول شعراً :

قد منحت القوم رشداً ناصحاً	فأبى لي النصيح من قد وفدوا ^(٤)
آمنوا بالله وارضوا بالذي	قال هود يال قوم اعبـدوا
بعد أن ساروا وسألوا آية	فرضوها بعد عقد عقدوا ^(٥)
جعلوا الآية فيهم نسبا	كانتساب الأب لما وردوا
ثم قالوا انما هم أرم	وهي بحر ^(٦) عليها وكـدوا
فرضى هود بما قالوا معا	فسنى ^(٧) المسك ولاح العمد
قد رضوها فأوها نسبا	واليها بعد عاد قصدوا
ثم خانوا بعد صلح ورضى	وعهود لني عهدوا
انما مهرج ^(٨) شؤم وبه	عن هوى هود لعمرى عمدوا
حلت النار لهم فاحترقوا	وكذا النار عليهم تقـد
أوقد النار عليهم خيرهم	ما نجا غيري منهم أحد
ويل عاد ثم يا ويل لهم	قدموا شيئاً فها هم وجدوا

(١) لم أجد ذكر لهذا الموضع في الكتب التي بأيدينا - ك - ل - لكنة الميعاد .

(٢) ريحاً صرصرا أحرقتهم .

(٣) بالأصل الحرقانة بالقاف فلا ذكر لموضعين على هذا الاسم - ك .

(٤) الأصل من قذا وقدوا .

(٥) ل - بالعهد لما عهدوا .

(٦) ل - بالجد .

(٧) الأصل فسبا .

(٨) ل - واتي امهرج .

ومهرج هو الذي أمرهم أن لا يؤمنوا لهود ، وأنها لما سمعت عاد قول
 ميسعان ثاروا اليه في جوف الليل فقص عليهم ما كان من شأنهم فصاروا اليه
 يداً واحدة وقالوا له : يا ميسعان لقد دلنا شعرك على هوجك ولقد أعميت على
 وفدنا بالهوى . ولميسعان منعة بأخوته وولده وقومه فكرهوا أن يسرعوا اليه
 بسوء حتى يعذروا إلى قومه ، فلما أعذروا اليهم قال له قومه : يا ميسعان ما
 حملك على خلاف جماعة قوم عاد ؟ قال لهم ميسعان : لقد أوضحت لهم المنهاج
 أنرت لهم السراج لئلا يجهلوا الحق لاشتباه الفتنة وتخليط العمى أني رأيت آية
 باهرة للعقول أقام الله علينا بها حجة ثم صدرنا إلى قومنا منذرين لهم فرجعوا
 عنه إلى جماعة يعتذرون عنه فكفت عنه عاد فقال لهم هجال بن رفيدة : يا
 معشر عاد عليكم بهود فلاينوه حتى يسكن جأشكم فان مصيبتكم بما حل في
 وفدكم عظيمة . قال لهم ميسعان : يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به ثم سيروا
 اليه في الهنيق ^(١) نستبدل ما هو خير بما هو أدنى . قالوا له : لا حاجة لنا
 بقولك يا ميسعان فأنشأ ميسعان يقول شعراً :

إلى جزع الهنيق عاد سيري	توافي الأمن والرأي المبينا
وتبدو لي الحرون ^(٢) وحقف زمل	وتترك بارقاً أبداً حزينا
وترتحلي إلى بلد كريم	وتتخذي المصانع والعيونا
من الماء المعين وكل غرس	بها ترضونه عنباً وتينا
وتتخذون فاكهة وزرعا	وماء في جعافره معينا
ترون برأيكم فيها بحزم	إذا ما كان رأيكم مبينا

وان عاداً عملت مهدياً فاسداً للماء غرسوا تحته الجحفات فكانت عجيبة بها

(١) ب - هنيق ول - هنيق .

(٢) الاصل الحروب وحيث زمل .

من جميع الفواكه والزرع، وأقاموا على ملايتهم لهود حولين كاملين يرجو
ايمانهم وهم من ذلك في حيرة ويعرب معتزل لحربهم فأرسل إلى هود أن
عادا قد مردت وأصرت فاذن لي في حربهم فأرسل اليه هود أن أمر الله أعظم
من حربك فكف .

قال وهب: وان الله تبارك وتعالى رفع عن عاد الغيث عامين العامين اللذين
هادنوا فيها هوداً فهلكت زروعهم وأسرع الهلاك في جناتهم وهلكت أنعامهم
وأسرع الهلاك في أموالهم فأتوا إلى ملكهم عاد فشكوا اليه ما نزل بهم فقال :
استسقوا فقصدوا إلى شيخ لهم يقال له قيل بن عتر^(١) كان طلق اللسان خطيباً
فقدموه وخرجوا خلفه فأنشأ أبو الهجال يقول :

ألا يا قيل ويحك قم فهيم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما
فما ترجو بها غرساً وزرعاً ولا الشيخ الكبير ولا الغلاما
ثم ان عاداً أرسلت إلى هود فشكت اليه ما نزل بها من القحط ، فقال
لهم هودان: الله يرسل عليكم ثلاث سحباب : سحابة صفراء وسحابة حمراء
وسحابة سوداء ويخيركم في احداهن فاختراروا لأنفسكم ما شئتم ؟ فرجعوا إلى
قومهم فاعلموهم بقول هود . ثم ان الله أرسل ثلاث سحباب : سحابة
صفراء وسحابة حمراء وسحابة سوداء فأقامت عليهم ثلاثة أيام معلقة من جهة
المغرب فأرسلوا إلى هود : انا قد اخترنا السوداء ولا حاجة لنا في الصفراء
والحمراء . قال لهم : ان الله يرسلها عليكم واضمحلت الصفراء وذهبت ثم
تبعثها الحمراء فذهبت ثم أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً أحمت^(٢) الشجر

(١) بالاصل غير والمعروف عتر - ك .

(٢) ب - احسنت .

ولونت الزرع ، وكان درب العرب في الغربي من ^(١) اليمن وكان في الدرب ثلاثة فجوج فنفتحت عليهم من الفج الأوسط من الدرب فذلك الفج يسمى إلى اليوم فج العقيم وكان في طاعة ^(٢) عاد خمس مائة رجل طوال الأجسام — كما ذكر الله — فخرج منهم ثلاث مائة رجل إلى الفج يريدون يبنون الفج لدفع الريح وتعسكر الباقون إلى هود لثلاثي ياربهم ^(٣) من خلفهم وبينهم وبينه ثلاثة أيام ، وبينهم وبين يعرب شهران ، وان عاد بن رقيم ملكهم انتصب إلى هود بعاد ^(٤) وتكفل الطوال بالفج فجعلوا إذا وضعوا حجراً قلبته الريح ، فقالوا : اجعلوا رجالاً منكم يردون الريح عن البناء حتى يثبت ، فقدموا الخللخال وكان أطول عاد جسماً وأشدهم بطشاً ، وخرج إليه هازل بن غسان ^(٥) فأمسك عنهم الريح وأسسوا بنيانهم إلى آخر النهار فعصفت الريح وصرصرت فأخذت رأس الخللخال وهازل فترعت رؤوسهما بقلوبهما وأكبادهما وحشا أجوافهما فرمت بهما والقت أجسامهما وبقي الأساس على حاله لما أراد الله من هلاكهم وكان ذلك يوم الأحد ثم أرسل الله الريح يوم الاثنين أول النهار لينة لما أراد الله من هلاكهم ويجعلهم مثلاً للأولين والآخرين وعبرة للعابرين فلما غدوا الفج قلبت الريح الحجر فأخرجوا شداد بن حمام والأمنع بن اصبغ ^(٦) إلى آخر نهارهم فهبت الريح وصرصرت ثم أخذت رؤوسهما فترعتهما بالاحشاء والقت بأجسامهما ثم قام يوم الثلاثاء سجار بن الهيعقان

(١) في الأصل في غربيهم .

(٢) ب — طغاة .

(٣) يحفر .

(٤) ل — لحرب هود بمن معه .

(٥) ب — ابن عينان — ل هاريل بن عينان .

(٦) ل — الحمام بن شداد والاصبغ .

ومبدع بن قفال فترل بهم مثل ما نزل بأولئك ، ثم قام يوم الأربعاء يافث بن شرعب وسلاف بن الهيلجان ^(١) فمثل ذلك ، ثم قام يوم الخميس شرس بن عقاب وسجيل بن واغل ^(٢) فمثل ذلك ، ثم قام يوم الجمعة تبان بن واقد وميدعان ^(٣) بن السبل فمثل ذلك ، ثم قام يوم السبت سرحان بن عنبل وعامر ابن سالف ^(٤) فمثل ذلك ، ثم قام يوم الأحد الرفضان بن هزيم ^(٥) فمثل ذلك ، وخلفه الهندوان بن العميل فمثل ذلك ، فاشتدت الريح وصرصرت لتمام سبع ليال وثمانية أيام فعصفت الريح وصرصرت فلم تدع منهم أحداً وهدمت الجبال وخذدت الأرض وحطمت الشجر وأخذت الحجر كما قال الله تبارك وتعالى : (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم) فأخرجتهم من الكهوف والقنون ^(٦) فكانوا كما قال الله : (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) ، فلم يبق منهم إلا ميسعان بن عفير وبنوه الذين آمنوا معه وانهم لعل الدنيا إلى اليوم ولم يبق من الكافرين أحد فقال في ذلك ميسعان :

ألم تر الريح العقيم إلا يدا والعارض العراض ^(٧) فيها الأسودا
تمطر بالنار وتهمی بالردى تخذد الأرض وتذري الجلمدا ^(٨)

(١) ل - الهيلجان .

(٢) ب - واغل .

(٣) ل - شرعان .

(٤) ل - عليد بن سالفه .

(٥) ل - الرمضا بن هود .

(٦) ل - الغيران .

(٧) ل - المعراض .

(٨) الأصل الجلمدا .

أرسلها صرا^(١) عليهم سرمدا أضحت بها عاد رماداً أرمدا
فلم تدع في الأرض منهم أحداً إلا هشيماً بالمنايا والردا

قال وهب : وان الله أنزل على هود أربع صحف ، ثم ان الله تبارك
وتعالى قبض هوداً ودفن بالأحقاف بموضع منه يقال انه الهنيق بجوار الحفيف
فان نهر الحفيف أخرج الله فيه الماء المعين وغرست فيه الثمار من يوم أخرج الله
فيه آية هود .

قال وهب عن ابن عباس : أن هود النبي عليه صلى الله وسلم أرى عاداً
الآيتين الجنة والنار فأما النار فرأوها في وادي برهوت وزعم أن برهوت
عيناً من عيون جهنم ، وأن جهنم في أرض المغرب يسكن عليها شرار خلق
الله وهم الحبشة .

قال وهب : وأراهم الجنة بنهر الحفيف - قال : وصار أمر هود إلى
وصيه ابنه (قحطان) . فقام قحطان بأمر الله وهو خليفة هود وانه تغلب
بآذريجان الاسكنان بن جاموس بن جلهم بن شاد بن علجان بن يافث بن
نوح فغلب على جميع الألسن ببابل بعد هود وطسم وجديس وعملاق فهربت
بنو عملاق إلى بيت مكة إلى جوار قحطان ولحقت بهم رائش وتبعتهم طسم
وجديس فنزلوا اليمامة ورحلت ثمود ونزلوا بمأرب من أرض اليمن
وشكوا إلى قحطان ما نزل بهم من الاسكنان بن جاموس فجمع قحطان أهل
اللسان العربي وزحف إلى بابل يريد الاسكنان بآذريجان وانتصب له الاسكنان
في بني يافث فلقية قحطان فهزمه وقتل الاسكنان وفضت جموعه من بني
يافث إلى أرض أرمينية وإلى ما خلفها من الأرض وما والاها وهربت القوط

(١) الاصل صريحا .

والسكس والافرنج وهم بنو عرجان بن يافث ولحق بهم أخوتهم الصقالب
بنو عرجان بن يافث .

قال وهب : وكان قد تملك بيت المقدس وملك الشام نمرود بن كنعان
ابن ماريح بن كنعان بن حام بن نوح وأنه زحف إلى بيت المقدس وقحطان
بسمرقند ، فلم يكن لبني عملاق به طاقة فأجابوه ^(١) ودافعه راثش بن لاوذ
ابن سام بن نوح فقتلها فممن بقي من راثش صاروا في اخوانهم عملاق في
آخر الدهر . فأول قبيل انقطع عن الدنيا من ولد ارم بن سام عاد وراثش وبلغ
قحطان خبر نمرود بن كنعان فأقبل اليه بجموعه فلم يستطع بنو حام مدافعة
بني سام ومن لف اليهم من بني يافث فهربت النوبة والفرار إلى المغرب فنزلت
النوبة والفرار بجوار القوط من بني يافث ولكنهم تقربوا إلى المغرب وكان
القوط قبل ذلك باليمن فتبعتهم عاد إلى الشام وهربوا من قحطان إلى المغرب
وان قحطان لما نزلوا على بني كنعان ببيت المقدس وخذلهم اخوانهم من بني
حام ورحلوا عنهم القوط فنزلوا على النيل أخذ نمرودا أسيراً فقتله وصلبه ببيت
المقدس وكان النمرود بن كنعان أول قتيل صلب . ثم حج قحطان ورجع إلى
اليمن فعاش مدة طويلة ثم مات بمأرب ، وولي أمره ابنه يعرب بن قحطان ،
وكان ولي الملك من ولد قحطان لصلبه عشرة إلا أنهم من تحت ملك أخيه
يعرب بن قحطان وهم : جرهم بن قحطان وعاد بن قحطان وناعم بن قحطان
وحضرموت بن قحطان وظالم بن قحطان وغازم بن قحطان وايمن بن قحطان
وقطان بن قحطان والسلف بن قحطان وهميسع بن قحطان . فولي جرهم بن
قحطان أمر مكة فتملك امر من كان بها ، وولي عاد بن قحطان أرض بابل ،
وولي حضرموت بن قحطان أرض الحبشة ، وولي ناعم بن قحطان عمان .

(١) الاصل فاحربوه .

وولي أيمن بن قحطان الجزيرة ، فلم يكن من هؤلاء من لم ينل الملك ، ويعرب يملكهم ذلك . وعاش يعرب مدة طويلة ثم مات فولي (يشجب بن يعرب) بعد أبيه وكان سقيماً فدام به السقم حيناً ثم مات ولم يعمر في الملك . فلما مات يشجب ادعى كل رجل شريف من بني عابر الملك وأراد أن يتمنع ومرج أمر الناس فقام (عبد شمس بن يشجب) فجمع بني قحطان وبني هود فملكوه على أنفسهم .

قال وهب : فلما ملك عبد شمس قال : يا بني قحطان إنكم إلا تقاتلوا الناس قاتلوكم والا تغزوهم غزوكم ولم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ركبتهم الذلة ، فاغزوا الناس قبل أن يغزوكم وقاتلوهم قبل أن يقاتلوكم واعلموا أن الصبر فوز والعمل مجد والأمل منهل فمن صبر أدرك ومن فعل فاز فلتطب أنفسكم لغزو الأمم يغز غابركم ، ففي الصبر النجاة وفي الجزع الدرك ، ولا تغشكم الدعة فيطول داءكم والرأي اليوم لا غد وهو رزق مطلوب فواجد ومحروم فاعتمدوا العزم وكل ما هو كائن كائن وكل جميع بائن والدهر صرفان صرف رخاء وصرف بلاء والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإن أدر يوم من يوميك فلا تقنط من الرجاء في يوم معقب ، وإن الناس رجلان رجل لك ورجل عليك والزمان دول له حين ينصر وحين يغدر— والناس مجتهدون فمن لقي رشداً كان محموداً و من لقي غياً كان مذموماً ورأى الناس منتظرين كل محتال لثواقب ^(١) الدهر غير محتال للموت والتجارب علم والعزم عون وكل هذا الناس بنو الدنيا صحبوا أقدارها خيراً وشرّاً راجين خائفين ليس أحد آخذاً منها عهداً ولا آمناً منها غدرأ قاصدين أجداداً حتمت وأقداراً قسمت حتمها غير نائم وقسمها من لا يلومه لأنم فقد

(١) لعله نوائب - ح .

يسعى المرء إلى مقصات يوم فيه فراق الدنيا أو بلوغ العليا والدنيا صاحبة
الغالب وعدوة المغلوب والصبر باب العز والجزع باب الذل وليس جمع
خيراً من جمع ولكن جد خير من جد ولرب حيلة أذكى من قوة وكيد أسرع
عياناً من جيش والأمل الخالب ولقدر الغالب والمرء الحازم من كيس دهره
خالس^(١) محملاً في بادلته اقتصاده في دوله^(٢) قدر ولم ينظر وبلى يخذل^(٣)
حذر من دهره ما لم ينزل به شرف همته بمحل النجم لم يرض من الزمان
بأيسر خطة فلا تصحبوا التواني فإنه شر صاحب ولا ترضوا بالمنى فإنه مراتع
العاجزين ولا تقروا على ضيم فإنه مصارع الأذلاء فقوموا قبل أن تمنعوا القيام.

قال وهب : فأجابوه فسار إلى أرض بابل فافتتحها وقتل من كان بها من
البوار حتى باغ أرض أرمينية وافتتح أرض بني يافث ، ثم أراد أن يعبر نهر
الأردن يريد الشام فلم يستطع ذلك ، فقبل له : أيها الملك ليس لك مجاز غير
الرجوع في طريقك فبنى قنطرة منجاة^(٤) وهي من أوابد الدنيا وجاز عليها
إلى الشام ، والشام اسم أعجمي من لغة بني حام وهو طيب تفسيره بالعربي
فأخذ الشام إلى الدرب ولم يكن خلف الدرب أحد ثم نهض إلى المغرب فبلغ
النيل فنزل عليه فدعا أهل مشورته ، ثم قال : لهم إني رأيت أن أبنى مصراً بين
هذين البحرين يكون صلة بين المشرق والمغرب فإنه يلجأ إليه أهل المشرق
والمغرب ، قائلوا له : نعم الرأي أيها الملك . فبنى المدينة وسميت مصر - كما
قال لهم - وبنو حام بالمغرب سكنوا براري مصر فوصل إلى قمونية والقوط
من ولد يافث بقمونية .

(١) كذا في الاصل .

(٢) ل - ونصره من أصله وعشيرته وخير الناس من قدر ... الخ .

(٣) لعله - وبلى فلم يخذل - ح .

(٤) كذا في الأصول .

قال وهب : وان عبد شمس كل من قتل من الأمم سبي ذراريهم وعيالاتهم ، ولذلك سمي سبأ ، وان سبأ ولي على مصر ابنه بابليون واليه تنسب مصر للملكه عايتها ثم انصرف سبأ عبد شمس يريد مكة فسار بالعساكر على الشام وأوصى ابنه بابليون وأنشأ يقول :

الاقبل لبابليون والقول حكمة	ملكتم زمام الشرق والغرب فاجمل
ونخذ لبني حام من الأمر وسطه	فان صدقوا يوماً عن الحق فاقتل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة	يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأي في الناس يجتروا	عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال من غير وجهه	فإنك أن تأخذن بالرفق تسهل
ولا تتلفن المال في غير حقه	وان جاء ما لا بد منه فابذل
وداو ذوي الأحقاد بالسيف انه	متى يلق منك السيف ذو الحقد يعقل
ونخذ لذوي الاحسان ليناً وشدة	ولا تلك جباراً عايتهم وأمهل
وكن لسؤال الناس غيثاً ورحمة	ومن يك ذا عرف من الناس يسأل
ولياك والسفر الغريب فانه	سيثني بما توليه في كل منهل

قال وهب: ورجع سبأ إلى اليمن فبنى السد الذي ذكر الله في كتابه وهو سد فيه سبعون نهراً ويقبل اليه السيل من مسيرة ثلاثة أشهر في ثلاثة أشهر وان سبأ لما أسس قواعد السد لم يتم له بناؤه حتى نزل به الموت وكان عمره خمسمائة عام وسبعين عاماً^(١) وكان ملكه خمسمائة عام فدعا^(٢) بحمير وكهلان ابنيه . وكان لسبأ عدد عظيم من ولده غير انه لم يكن له من ينقل ملكه اليه إلا إلى حمير وكهلان ، وانه لما مات سبأ صار الملك بعده إلى ابنه (حمير) وقال ابنه حمير يرثي آباه سبأ وهي أول مرثية في العرب فأنشأ يقول :

(١) ل - وخسين عاماً .

(٢) ل - فلما حضرته الوفاة دعا بحمير .

عجبت ليومك ماذا فعل
فاسلمت ملكك لا طائعاً
فيومك يوم وجيع الغراء
فلا تبعدن فكل امرئ
لأن صحبتك بنات الزمان
لقد كنت بالملك ذاقوة
بلغت من الملك أعلى المنى
فطحطحت في الشرق آفاقه
جريت مع الدهر اطلاقه
وحملت عزمك ثقل الأمور
فأبقيت ملكك بالخافقات
له قدم بمحل العلا
فسام لك العيش عيب الهوى
صحبت الدهور فافنيتهما
بنيت قصوراً كمثل الجبال
وجردت للدهر سيف الفنا
نعمنا * بأيامك الصالحات
تؤمل في الدهر أقصى المنى
فزالت لفقدك شم الجبال
كأن الذي قد مضى لم يكن
وللدهر صرف يريد الردى
نهار وليل به مسرعان
يسومان بالخسف ما يبديان

وسلطان عزك كيف انتقل
وسلمت للأمر لما نزل
ورزؤك في الدهر رزء جلل
سيدركه بالمنون الأجل
وبدت يد الدهر أوجه الأمل
لك الدهر بالعزعان وجل
نقلت وعزك لم ينتقل
وجبت من الغرب حرب الدول
فنت من الملك ما لم ينل
فقام بها حازماً واستقل
وليس لرأيك فيها زلل
فزلت بك النعل عنه فزل
شربت بذلك نهلا وعل
وما شاء سيفك فيها فعل
ذهبت ولم تبق إلا الطلل
تطائر عن جانبيه القلل
شربنا بسجلك وبلا وطل
ولم ندر بالأمر حتى نزل
ولم يك حزنك فيها هبل
وفقدك بعد الفناء لم يزل
فصرح عن قيل ما لم يقل
فهذا مقيم وهذا رحل
أطاعا لما شاء فينا لال^(١)

(١) ب - فعل ولعله - الازل .

* في طبعة حيدر آباد غير واضحة

فيا عبد شمس	بلغت المدى	وشيدت مجداً قلم يمثل
وشيدت ذخراً	لدار البقاء	فلما أفلت اليها اقبل
قلم يبق من ذاك الا	التقى	وذاك لعمرى ابقى العمل
فاحكمت من هود المحكمات		وآمنت من قبله بالرسل
واحرمت بالبيت توفي النذور		كما كان هود لديها فعل
فطفت فأهللت حتى إذا		أناف الهلال بها واستهل
رحلت وزادك خير التقى		وقوضت** عن حرميها بحل

(ملك حمير)

قال وهب: وولي حمير بن سبأ فجمع الملك الحيوش وسار يطأ الأمم ويدوس الأرضين ، وأمعن في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس وبقي قبائل من ولد يافث تحت يده ، وهم : الترك والزط والكرد والصعد والخزر والقذر^(١) والديلم وفرغان . ثم قفل نحو المغرب كما فعل أبوه سبأ ، فسار حتى نزل بمكة فأتاه قبائل من اليمن من بني هود يشكون اليه ثمود بن عابر بن ارم وما نزل بهم منه من الخسف والظلم وآتاه رسول أخيه بابليون من مصر يستدعيه لنصرته على بني حام ، وذلك لما بلغ بني حام موت سبأ بن يشجب ، عتوا على بابليون بمصر وكان بالشام قبائل من ولد كنعان ابن حام ، وهم : بنو ماريح بن كنعان ، وكان نزول الحبشة بني كوش بن حام على النيل إلى برية الرمل ، فتداعوا على مصر يريدون خرابها فرجع حمير إلى اليمن وأخرج ثموداً من اليمن فأنزلهم أيلة من أرض الحجاز فعمروها

(١) هذا الاسم غير معروف وفي ل العراريه بلا نقط .

* لعلها بالحكمات

من آيلة إلى ذات الاصاد إلى أطراف جبل نجد وذات الاصاد نهر من أنهار
الحجاز وهو يجري في صفا أملس يرده الحافر ولا يرده الخف تزلق فيه
فقطعت فيه ثمود الصخر لطرق الابل لمراعيها ونحتوا في جباله البيوت ستره
من حر الشمس في الحجاز . قال الله تعالى : (وثمرود الذين جابوا الصخر
بالوآد) وقال : (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) . وفي ذات الاصاد كان
السبق بين قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري وفيه حبس فرس
زهير داحس فقال في ذلك قيس شعراً :

كما لاقيت من حمل بن بدر	وأخوته على ذات الاصاد
هم فخروا على بغير فخر	وردوا دون غايته جوادي
وكنت اذا منيت بنخصم سوء	دلقت له بداهية نآد
فأني الصقر منطلق كريم	وسوف أريك من طعن الطراد
أقاتل ما أقاتل ثم آوى	إلى جار كجار أبي دواد
مقيما وسط عكرمة بن قيس	وهوب للطرائف والتلاد
كفاني ما أخاف أبو بلال (١)	ربيعه فانتهدت غني الأعادي

قال وهب : ونزل حمير بدمشق فقاتل بني ماريح حتى غلبهم وأجرى
عليهم الخراج ، ثم مضى إلى الحبشة فلقبهم بالقيس والبهشة فهزمهم على
النيل فتبعهم حتى بلغ بهم إلى البحر المحيط من المغرب فأذعنوا وأجرى عليهم
أتاوة يؤدونها كل عام . فدرّب الحبشة في غربي الأرض سبعة أشهر في
سبعة أشهر ، ثم رجع عنهم على النيل إلى مصر فتزود من مصر ، ثم مضى في
المغرب حتى بلغ إلى البحر المحيط ثم أجرى على القبط الخراج .

(١) الرواية المشهورة ابو هلال - ك .

قال وهب : لما توجه حمير إلى المغرب أقام في المغرب مائة عام يبني المدن ويتخذ المصانع ، فمات بعده أخوه بابليون بمصر . وولي أمر المغرب امرؤ القيس بن بابليون وتكبرت ^(١) عليه ثمود وطفوا على بني كنعان بالشام وعلى جميع من جاورهم . فأرسل اليهم صالح نبياً وهو صالح بن عويم بن ساهر بن هميسع بن همر بن عميل بن عابر ^(٢) فدعاهم إلى الله فعصوه وسألت أن يخرج لهم آية ؟ — كما سألت عاد هوداً — فقال لهم صالح : ما هذه الآية يا قوم ؟ قالوا له : اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة . فدعا الله فأخرج لهم ، فكانت تشرب الماء من نهر الاصاد ذات يوماً وهم يشربون يوماً ، فأبوا أن يؤمنوا بعد الآية ، ثم ائتمروا بها ليعقروها فمشى اليها قدار بن سالف فعقرها فأرسل الله عليهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

قال وهب : وان حمير قفل من أرض المغرب راجعاً وكان يكتب بالمسند في جميع سلاحه من الحديد . وفي الأجيال اذا مر عليها فأكثر من ذلك فرأى في منامه كأن آتياً آتاه فقال له : اتق الله يا حمير . قال له : ومالي ؟ قال : تكتب هذا الخط المسند الكريم على الله على الحديد والحجر والعود يدرس وتعلوه النجاسات والله كرمه واصطفاه وأدخره للفرقان يأتي به محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الزمان فصنه واحفظه فان الله تبارك وتعالى اصطفاه للقرآن أكرم الكتب إلى الله واللسان العربي سيد الألسن وللجنة خير خلق الله ولمحمد خير البشر ولكن استخدم هذا الخط أنت وولدك فان لكم به على الخلق فضيلة إلى مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومر بنيك من بعدك بحفظ هذا الخط ، ثم ارتفع . فلما أصبح دعا بنيه فقال : يا بني أنه كان من

(١) ب - وتكثرت .

(٢) بالاصل عامر .

أمري ما كذا وكذا ، قالوا له : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال له وائل
ابنه : سترى يا أبت أن الله كريم لا يمنعك شيئاً الا جعل لك منه عوضاً . فلما
نام الليلة الثانية آتاه آت فقال له : اقرأ يا حمير ! قال له : وما أقرأ فنظر إلى
جبينه فإذا عليه خط مكتوب قال له حمير : اقرن هذا بخط أبيك المسند من
الأول إلى آخره فاستخدم هذا الخط فقرأ حمير وردده حتى فهمه . فلما أصبح
دعا بنيه وكتبه وهو هذا (١) .

ثم قال له : يا حمير استخدم هذا ولا تستخدم المسند فإنه وديعة عندكم
إلى وقته وانما قيل له المسند لأنه أسند إلى هود عن جبريل .

قال وهب : وان حمير ملك الأرض ومن عليها حتى لم يبق منها مكان
كما ملكها أبوه سبأ وكان عمر حمير أربع مائة عام وخمسة وأربعين عاماً أقام
في الملك أربع مائة عام ، فلما جاوز مائة قال :

ملكيت من عدد السنين هنيئة ذا الملك عمرك زينة الأيام
وأرى الشباب يميل في هو الصبي ومع الشباب غواية الأيام

فلما بلغ مائتين قال :

ساميت عن مائتين ملكاً باذخاً والعمر لا يبقى مع الأعوام
قالوا لحمير مدة محجوبة والغيب لا يخفي على العلام

فلما بلغ ثلاثمائة قال :

لما ركبت من المأين ثلاثة كان الذي أمضيت كالأحلام
والعمر يدأب والمشيب كلاهما يتسابقان إلى محل حمام

(١) انظر الورقة الملحقة بهذا المحل . الورقة غير ملحقة في طبعة حيدر آباد

فلما بلغ أربع مائة قال :

بدلت من ذي أربع ملكتها عوضاً من الأيام بالاسقام
هيات ما حكم الخلود وقد أبى من ان أخلد حاكم التحكام

فلما بلغ أربع مائة سنة وخمساً وأربعين سنة واثاه وقته وأيقن بالمرية ،
دعا بنيه ثم قال لهم : يا بني لم تصحبوني على عهد ان لا أموت بل كنتم
تنتظرونه في صباحا وانتظره فيكم مساء فقد حل ما كنتم تنتظرون وقد أزف
الوقت الذي ترقبون وامري لك يا وائل ، ثم أنشأ يقول :

يا من رأى صرف الزمان مصوراً يغدو على الآباء والأعمام
غدر الزمان بعهد ملكك فانقضى وبعبد شمس قبل ذاك وسام
راميت دهرك بالني وخطوبه بالغدر دانية اليك روامي
أزف الزمان على زمانك بغتة فغدوت مرتحلاً بغير مرام
يكون ان مروا عليك وقلماً يغني البكاء على صوى الأعلام^(١)
ولانت بعد حلوله مستيقظ من ضحك فاقرة لفضل مقام

فلما مات حمير صار أمره وملكه إلى ابنه .

(وائل بن حمير)

ونزل قصر غمدان ، وكان يعرب أسسه وجعل يبي فيه ثم غزا البيت
فأصلح ما كان حوله من القبائل وأمر بنقش الخط الحميري في قصر غمدان ،
وقال في نقش الخط الحميري عمرو بن معديكرب .

(١) ب - يغني بكاء الأهل والأرحام .

ورثنا حصوناً شئت الدهر أهلها أولى العز^(١) قدماً والحلوم الرواجح
كان خطوطها فوقها حميرية تهاويل وشي في متون الصفائح

قال وهب : وكان يقال لحمير العرنجبج ، والعرنجبج : العتيق ، وكانت
علته التي مات منها الغم ، فقال : يا بني اني لاجد ثقل الثرى وغم الضريح
ولكن اجعلوا لي نفقاً في هذا الجبل ، جبل عنفر^(٢) ، ثم أجلسوني فيه ففعل به ذلك
ابنه وائل بن حمير ، فحمير أول من جعل في مغارة ، وان وائلاً جعل مع
حمير في تلك المغارة جميع لأمته غيرة وانفة أن لا يلبسها بعده أحد من الناس
وكتب في لوح من رخام هذا الشعر وعلقه فوق رأسه :

عبر العرنجبج مدة من دهره بعد الإقامة والأسى لم يعبر
واراش دهر لا تطيش سهامه ورمى فأثبت في العلا من حمير
قبر الندى والجود عند محله والشخص باد فيهم لم يُقبر
مات لميته المعالي جملة والعز أصبح ثاوياً في عنفر

(ملك وائل بن حمير)

قال وهب : وان الله لما أراد في سابق علمه أنه لما ولي الملك وائل بن حمير
نافسه أخوه مالك بن حمير ودافعه حيناً ، فتغلب على أطراف اليمن ملوك عدة
وعلى أرض بابل حسان بن حراش بن عمل^(٣) بن عابر وعلى الشام ملوك
آخر . فلم يزل وائل يحارب أخاه مالكا حتى مات مالك وولي أمره بعده

(١) ل - العزم .

(٢) بالاصل بلا نقطة على الفاء ولعل هذا الجبل الذي يسمى عيقر فيما بعد في خبر عامر

ذي رياش - ك .

(٣) ب - عميل .

قضاة بن مالك ، ومات بعده أخوه وائل بن حمير ، وولي بعده السكسك
ابن وائل .

(ملك السكسك بن وائل)

كان السكسك حازماً جلدأً وكان له مققع العمدة وكان إذا غلب على من
ناواه هدم بناءه وغير آثاره بالنار وهو أول من حرق بالنار وخرب المدن
فسمي مققع العمدة . وان سكسكاً زاحف قضاة بن مالك فغلب عليه وصار
إليه ملكه . فجمع الملك ، فلما اجتمع لسكسك الملك كله باليمن أنشأ يقول :
سأركب قطعاً للقرين وان أبى لي العزم في هذا الشقيق المجرب
واقطع حبل الوصل بالسيف كارهاً وأركب امرأً للردى ليس يركب
ألبس ثوب الذل والموت دونه أم اقطع قوماً قريبهم لي مشغب
عصيت به قول النصيح وإنما ألاقى لفقد الملك من ذاك أعجب
سألقي المنايا السود بالبيض ضحوة وأقرع وجه الدهر والدهر مغضب
وأبذل نفسي للمكاره طائناً إذا ما جبان القوم بالسيف يغضب
إذا الموت عند الجمع كالصاب طعمه يطيب لها عند الهياج ويعذب
إذا البيض من قاني الدماء كأنها عليها خطوط الحميرية تكتب

قال وهب : فغلب على الشام فلقبه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون
ابن سبأ من أرض مصر بالرملة بهدية فقبل منه هداياه وأقره على مصر
والمغرب ورجع إلى غزو أرض بابل يريد نمرود بن ماش ، فلما نزل بحنو
قراقر من أرض العراق اعتل فمات فحملوه ورجعوا به قافلين إلى اليمن
وافترق ملك اليمن على ملوك شتى ، وولي ابنه يعفر بن السكسك بعده في
مكانه وافترق أمر حمير للذي أراد الله وان نمرود بن ماش جمع جموعاً

ليقاتل بها السكسك بن وائل ، فلما مات السكسك ورجع جمعه إلى اليمن زاده ذلك جرأة واستكباراً في الأرض فطغى على بابل ونمرود بن ماسر أول أعجمي متوج .

(ملك يعفر بن السكسك)

قال وهب : ولما ولي يعفر بن السكسك زاحف ملوكاً من أهل اليمن وكان عمره يسيراً فمات ومرج أمر حمير وافترقوا على ملوك شتى .

قال وهب : وكان يعفر بن السكسك رجلاً سقيماً لم يكن يلي لزعوف بنفسه فكان يدخل عليه في عمالاته النقص ولم يكن له ولد فلما انقضت مدته وحن وقته وأيقن بالموت أخذ تاجه وهو تاج جده وائل بن حمير فقال لقومه : يا قوم هذا تاجكم فخذوه فأخذ قومه التاج ووضعوه على بطن امرأة يعفر وهي مثقلة وملكوا به ما في بطنها فولدت غلاماً فسموه النعمان فكان النعمان ملكاً في بطن أمه .

وقال وهب : كانت أم وائل ومالك وعوف بني حمير مالكة ابنة عميم ابن زهران^(١) بن يشجب بن يعرب ، وكان وائل بن حمير حين ولي الملك بعد أبيه حمير ولي أخويه مالكاً وعوفاً فنافساه في الملك ، فغلب على مالك أخيه فعزله وأذعن له عوف فأقره على عمان والبحرين ، فعظم أمره وشأنه بعد أخيه وائل حتى ولي السكسك بن وائل الملك فدان له عوف . ومات النعمان فولي أمره باران بن عوف بن حمير ، فلما هلك السكسك بن وائل بن حمير وولي بعده ابنه يعفر بن سكسك نابذه باران العداوة وراجعته وأخذ الهنيبق

(١) ل - زهوان .

والأحقاف ، وكان يعفر رجلاً سقيماً ولم يكن يغزو فانتقص ملكه وعظم
ملك باران بن عوف بن حمير ، ثم مات فولي الأمر بعده ابنه عامر ذورياش
فرحف إلى غمدان وأخذه وأخذ صنعاء وما والاها فغيب نفسه النعمان بن
يعفر بن سكسك في مغارة في جبل عنفر ومعه أمه نائلة بنت مالك بن الحاف
ابن قضاة بن مالك بن حمير .

(عامر ذو رياش) أول الانذواء ولم يكن تبعا

قال وهب : فطلب عامر ذورياش النعمان بن يعفر فلم يقدر عليه ولم
يجد له مكاناً فجمع كل منجم كان بأرض اليمن وكل عائف وزاجر فقال
لهم : ما الذي طلبت وقد فرقهم فجعل أهل النجم ناحية وأهل العيافة ناحية
وأهل الزجر ناحية فنظروا فلم يجدوا شيئاً غاب عنهم أمره إلى أن قام إليه
عائف فقال له : أيها الملك ان الذي تسأل عنه امرأة وصبي . قال له الملك :
لله درك من أين قلت ذلك . قال له العائف : أما ترى الجنازة التي مروا علي
بها سألتهم عنها فقيل : انها رجل فنظرت فإذا يده على صدره كأنه يقول : أنا
رجل والذي تسأل عنه صبي وامرأة ثم رجع إلى مكانه فنظر إلى صبي^(١)
يقفو أثر الميت والجنازة باكياً فرجع إلى الملك فقال : انه صبي باك حقيق ذلك
العلم ، ثم رجع فنظر إلى الصبي يتبع الجنازة حتى أدخلت مغارة ودخل الصبي
في أثرها . فرجع إلى الملك فقال له : ان الذي تسأل عنه صبي حي غيب في
مغارة في هذا الجبل فأمر العساكر فطافت بالجبل يتجسسون المغارات في

(١) في الاصل إلى أثر الميت .

الجبل ويقفون الآثار حتى دخلوا المغارة التي فيها النعمان وأمه فأخذهما
وأثوا بهما إلى عامر ذي رياش فأخذهما ورجع فنزل قصر غمدان ولم يكن
ينزل قصر غمدان إلا الملك الأعظم ولا ينزله إلا من استحق عندهم اسم
تبع من ملوك حمير وحبس النعمان وأمه عنده في قصر غمدان ، فلم يزل
النعمان محبوساً فماتت أمه وشب الصبي واحتلم . فبينما النعمان ليلة من ذلك
الزمان مع الحرس الذين كانوا يحرسونه وكانوا عشرة وفيهم رجل يقال له
همدان بن الوليد بن عاد الأصغر بن قحطان ، وكان يخدم السكسك جد
النعمان ، وكان يرق له سرّاً وكان أغلظ الحرس في العلان فبينما النعمان في
الحرس جالس اذ طلع القمر وقد خسف فبكى النعمان لما رأى القمر خاسفاً
وقالوا له : ما الذي يبكيك ؟ قال : أبكاني ثقلب الدهر بأهله لن ينجو من
غدر هذه الدنيا وعثراتها شيء في الأرض ولا في السماء . فلما كان في الليلة
الثانية طلع القمر مشرقاً زاهراً فضحك النعمان فقالوا له : ما الذي أضحكك ؟
قال لهم : لعل الذي أبكى يضحك ، ثم قال لهم : أرى هذا الدهر يقيل واحداً
عثرته فيدرك أمه وآخر يمضي عليه فيستريح وأنا كما ترون لا يمضي علي
فأستريح ولا يقيلني عثرتي فأبلغ أُملي ، وكان همدان بن الوليد رجلاً عاقلاً
قد استمال إليه الحرس بعقله ولطفه يصرفهم كيف شاء ، فقال لهم : ان في
الكلام راحة تريدون أن أجيب عنكم النعمان ؟ قالوا : نعم . فقال همدان :
يا نعمان لعل أملك أقرب من أجلك ، ثم نظر همدان إلى من حوله وتصفح
وجوههم ليرى من يرضى قوله ومن يسخطه ، فقالوا له : رضينا قولك يا
همدان — فنظر النعمان إلى القمر في الليلة الثالثة وهو مشرق زاهر فأنشأ يقول :

أربد وجهك بعد حسن ضيائه وخسفت بعد النور والاشراق
هل كان هذا الشأن منك سجية أم خان عهدك غادر الميثاق

واراك بعد محلة منمومة أمسيت مشرقاً^(١) على الآفاق
علّ الذي أنشا سناك بقسرة من بعد مهلكة يريح وثاق
ان الزمان بصرفه متقلب بين الورى كتقلب الأخلاق

قال وهب : وان همدان قال للذين معه ويلكم ان ذا رياش نكد جبار
لن يرحم قريباً ولا بعيداً ولن تروا معه راحة ولكن قدموا في النعمان يداً فإن
أدرك أمله ووفى لكم أفدتم وان لم يكن هذا كنتم قد وفيتم لسلفه فأجابوه
فقال لهم : يأتي كل رجل منكم غداً بحديدة ففعلوا ووضع النقب في وسط
المجلس حتى خرجوا من خارج القصر وكان ذلك وقت رجوع ذي رياش
إلى عمان خالفه إليها مالك بن الحاف بن قضاة فأخرجوا النعمان من ذلك
السرداب ليلاً وأن النعمان كان يرسل في وجوه بني وائل بن حمير وبني مالك
ابن حمير وسائر بني قحطان ، فأجابوه إلى القيام على ذي رياش . فجمع حمير
ثم سار يريد ذا رياش - وان ذا رياش لقي مالك بن الحاف فهزمه ذو رياش -
ومر مالك على وجهه يريد أرض برهوت فان طلبه لحق بأرض الحبشة ولما بلغ
ذا رياش ومن معه من أهل صنعاء وأهل العالية والهنبيق خروج النعمان بن
يعفر في ديارهم وطوع الناس له فارقوا عسكر ذي رياش هاربين إلى ديارهم
وذريتهم ، ثم خرج عنه من كان معه من بني وائل بن حمير وهم : أعد
حمير وتبعهم مالك بن حمير ، فلما رأى ذو رياش أن جمعه قد افترق أكثره
عنه وصار إلى النعمان جميع من معه ، سار يريد حرم مكة عائداً به . وسار
النعمان في أثره فلقية بالمشلل^(٢) فقاتله فهزمه النعمان وأخذه أسيراً . وسار
النعمان إلى مكة فأوفى نذره ورجع إلى غمدان بن ذي رياش أسيراً^(٣) ثم أن

(١) ل - متسما .

(٢) بالاصل بالمشال والمشلل جبل بين مكة والبحر - ك .

(٣) ل - فحبسه في غمدان .

النعمان دعا همدان فقال له : هذا الملك لك ولأصحابك فما رأيك في ذي ريش ؟ قال له همدان : حبس بحبس لا عدوان فقبل منه وأحسن إليه وإلى أصحابه وأنشأ يقول :

إذا أنت عافرت الأمور بقدرة
فما حمام النفس وإقامه عاجلاً
فهل يدفع النعمان أمراً يريده
إذا لم يكن بد من الموت حتمه
إذا لم يكن للمرء بد من التي
ويصبح في الأهلين يوماً جنازة
علام يداري^(٢) الدهر والدهر جائر
ولكن نباني الملك في درج العلا
يفوز سعيداً أو يلاقي منية
فما المرء للأيام تخلق نفسه
ألا أيها الراضي بأيسر خطة
قيامك في الدنيا حياة لأهلها
إذا لم يكن للمرء عزم يزيه
له سطوة تكسو العزيز مذلة
له علل تعلو النجوم وسطوة
وللموت خير من لباسك ذلة
محلاً يراه الزائرون شماته

بلغت معالي الأقدمين الأقاويل^(١)
وأما تراث الملك عن ملك وائل
وهل يتقي شر الذي غير نازل
فما تغن عني خافقات الجحافل
تبذ الأمانى عاجلاً أو بآجل
ويلحق حتماً بالقرون الأوائل
ويرضى بظلم من يد المتطاول
كنجم اعوجاج من فنا الملك وائل^(٣)
ويمسي على الدنيا بعيد المناهل
وهل كانت إلا حيضة للقوابل
صبرت على خسف من الذل نازل
وصبرك عنها* غير طائل
ولب يرى عيب القوي المخاتل
وتهدي حتوفاً للنساء الحوامل
تصم فيخشى طرقها كل جاهل
تجاذب مأسوراً صليل السلاسل
هواناً لمقدام العشيرة باسل

(١) ل - المقاول .

(٢) في الأصل على مرزى وفي ل ونحن ندارى .

(٣) كذا في الأصول .

* فراغ في ط حيدر آباد

(ملك اليمعافر بن يعفر)

قال وهب : كانت حمير إذا لقي بعضها بعضاً يقولون : ما حال اليتيم يريدون بذلك النعمان بن يعفر فيقول بعضهم لبعض : أصبح اليتيم معافراً للملك وذلك لبيت قاله وهو :

إذا أنت عافرت الأمور بقدرة بلغت معالي الأقدمين المقاول

قال وهب : فسمي بذلك المعافر بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير قال وهب : وان المعافر بن يعفر سار يريد أرض بابل ولم يكن للتبابعة ملك أرض بابل هي من الأرض وينبوع الناس فسار النعمان وهو المعافر راجعاً وسار بذي رياش معه لثلا يفتق عليه من بعده فتقاً ، فسار النعمان حتى أخذ أرض بابل وتوجه يريد خراسان حتى بلغ صحراء بر فنظر عامر ذو رياش إلى أفعى رقشاء قد خرجت إليه من تحت فرشه فمده يده فأخذ ذنبها والحرس ينظرون إليه فحركه فحركه حتى حميت وتلمظت وهم لا يدرون ما يريد ثم نصب ذراعيه ولدغته فمات مكانه وأعلموا بذلك النعمان فقال : سابقته في ميدان الموت فسبقني ، أما والله لو كنت أصبت مثل هذا لأرحت نفسي منه به واروه ، ثم مضى يأخذ البلدان ويتأدى إليه الخراج حتى أتى الفرات فعبره إلى أرمينية فأخذها وقتل من عانده من ملوكها ووجد فيها ملوكاً شتى. ثم مضى فعبر قنطرة سنجة^(١) إلى أرض الشام فأباح من وجد فيها من الملوك ، ثم قفل إلى البلد الحرام راجعاً فنزل بمكة فأصاب بها نفيلة بن مضاض الجرهمي وجرهم من قحطان وكان بها ملكاً بعد موت نابت بن اسماعيل فقدم بالبيت قيذار بن اسماعيل وأمر نفيل^(٢) بن مضاض بقصد مكة ورجع

(١) ل - قنطرة شيخة . في ط حيدر آباد شحة

(٢) تقدم - نفيلة ح .

* بياض في ط حيدر آباد

إلى غمدان ومات بها فكان عمره في الملك ثلاثمائة سنة .

قال وهب : وان النعمان — وهو المعافر بن يعفر — مات فقال لبنيه وقومه :

لا تضجعوني فينضج ملككم ولكن ادفنوني قائماً فلا يزال ملككم قائماً .

قال أبو محمد : قال أسد بن موسى عن أبي ادريس ان في خلافة سليمان

ابن عبد الملك بن مروان فتحت مغارة في اليمن فأصابوا فيها جوهراً كثيراً

وذهباً وسلاحاً ووجدوا فيها مالاً جسيماً ووجدوا فيها سارية من رخام قائمة

ختم رأسها بالرصاص فاعلم بذلك سليمان بن عبد الملك فأمر بقلع ذلك

الرصاص فأصابوا في السارية شيخاً واقفاً وعلى رأسه لوح من ذهب

فيه بالحميرية :

أنا المعافر بن يعفر بن مضر نسي إلى ذي يمن مقرر^(١)

اسمو بحر مضري حر من فتن بالبائع المحفر

باستق فرع وصميم سر

قال أبو محمد : لقيت الليث بن سعد وهو من أهل مصر وولاة المعافر ،

وذلك أن عمرو بن العاص افتتح مصر بعسكر معافر في سبعين ألفاً لم يكن معهم

أحد غيرهم خلا كلب في ألف رجل وبهرة في ألف رجل ومهرة في ألف رجل

فزعهم الليث أن الشعر منحول وذلك فعل بني أمية ينتصرون بهم لمضر .

قال وهب : حدثني كعب الأحبار قال سمعت أهل الكتب الأول والأخبار

المتقدمة يقولون أن حمير في الأرض كالسراج المضيء في الليلة الظلماء وان

الناس ليريدون هكذا وخفض يده ويريد الله بهم هذا : ورفع يده .

(١) في كتاب المعمرين لابي حاتم السجستاني — انا المعافرين يعفر بن مر — وليست بن

ذي يمن بقر — لكنني مضري حر — ك .

(ملك شداد بن عاد)

قال وهب : ثم استجمع أمر حمير وبني قحطان على شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان .

قال وهب : لما ولي (شداد بن عاد) الملك جمع الجنود وكان امرءاً حازماً فسار يدوس الأرض وبلغ أرمينية الكبرى فقتل فيها كل ثائر بها ثم عبر القرات إلى المشرق فبلغ أقصاها لا أحد يقف له إلا هلك ، ثم مضى على ساحل سمرقند إلى أرض التبت ، ثم عطف على أرمينية فأمعن ، ثم جاز إلى الشام وبلغ إلى المغرب فأكثر الآثار في المغرب حتى بلغ البحر المحيط ببني المدن ويتخذ المصانع فأقام في المغرب مائتي عام ، ثم قفل إلى المشرق فأنف أن يدخل غمدان ومضى إلى مأرب فبنى به القصر العتيق الذي يسميه بعض الرواة (ارم ذات العماد) فلم يدع باليمن درأً ولا جوهراً ولا عقيقاً ولا جزعاً ولا بأرض بابل وارسل في الآفاق يجمع ذلك فجمع جواهر الدنيا من الذهب والفضة والحديد والقصدير والنحاس والرصاص ، فبنى فيه وزخرفته ورصعه بجميع ذلك الجواهر وجعل أرضه رخاماً أبيض وأحمر وغير ذلك من الألوان وجعل تحتها أسراباً فاض إليها ماء السد فكان قصرأ لم يبن في الدنيا مثله ثم مات شداد بن عاد بعد أن عمر خمسمائة عام فنقبت له مغارة في جبل شمام ^(١) ودفن بها وجعل فيها جميع أمواله .

(قصة المغارة ^(٢) التي فيها شداد بن عاد والصعاليك الثلاثة حين دخلوها وما جرى عليهم)

(١) لعله شمام - ح .

(٢) قصة المغارة الآتية مزيدة من ل

قال وهب : قال ابو محمد عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الملك البكائي عن محمد بن اسحاق الملقبي عن عبيد بن شريفة الجرهمي قال : حدثنا شيخ من أهل اليمن بصنعاء عام الردة وكان معمرًا عالمًا بملوك حمير وأمورها قال لنا : كان باليمن رجل من عاد بن قحطان وهو عاد الأصغر وأما عاد الأكبر فلم يبق منهم أحد . قال الله تعالى : (فهل ترى لهم من باقية) وان هذا الرجل العادي كان يقال له الهميسع بن بكر وكان جسورًا لا يهاب أمرًا وكان يعرف بذلك ، وكانت الصعاليك تقصده من آفاق الأرض ، وكان أكثر طلبه المغارات يطلبها في جبال اليمن وعمان والبحرين وأنه آتاه رجل فاتك من عبس وآخر من خزاعة وكانا صعلوكين جسورين فقالا له : يا هميسع احملنا من أمرك على ما تريده فانا نبلغ مرادك ، فمضى معهما الهميسع حتى أتى بهما جبلاً وعليه غابة فيها ثعابين لا ترام والهميسع أمام الصعلوكين قد أتى الجبل مراراً وحده وكان إذا عاين الثعابين يجرع فيرجع فلما آتاه الصعلوكان جسر بهما وقال : التق رأسك بين اثنين ولو غم إلى الأذنين ثم أخذ سيفه وزناده ومشاعله وزاده وسار بهما حتى وصل إلى الجبل ولم يزل يترأى لهم الثعابين وتهرب حتى بلغ باب كهف عظيم وكأن الجبال على أكتافهم عظماً وثقلاً ، ودخلت قلوبهم وحشة عظيمة وسمعوا من داخل الكهف دويًا عظيمًا وهينمة وعلى باب الكهف نقش بالحميري فقالا له : اقرأ يا هميسع فقرأه فإذا هو مكتوب هذين البيتين :

لا يدخل البيت إلا ذو مخاطرة أو جاهل بدخول الكهف مغرور
ان الذي عنده الآجال حاضرة موكل بالذي يغشاه مأمور

فغاب الخوف والجزع على الخزاعي في أول أمره ثم ان الجزع غلب أيضاً على العبسي فاستدرك نفسه العبسي وثبت فقال الخزاعي : يا هميسع قد عاش في الدنيا كثير ممن لم تبلغ نفسه هذا المبلغ — ثم ولى العبسي عن صاحبه

هارباً . فقال الهميسع : نمضي في هذا الكهف أم لا ؟ فقال له : نعم . فسارا في الكهف حيناً ، فإذا حيات يصفرن عن يمين وشمال ورياح تجري عليهما من داخل الكهف ، وسمعا دويّاً من داخل الكهف ، فقال العبسي : لقد حملت نفسك على مكروه يا هميسع أعلى يقين أنت من هذا الكهف ؟ فقال له الهميسع : ما تيقنت إلا ما رأيته عيني ، والرجاء فقال له : افعلي شك أنت هارش^(١) الثعابين وأبيع مهجتي ببخس يا هميسع لقد بعت نفسك من دهرك أبخس ثمن وهميسع في ذلك لا يلوي إلى كلامه وهو يسير داخل الكهف حتى وقف به على باب آخر أعظم من الباب الأول وأهول وأشدّ وحشة وزاد عليهم الدوي والحسيس والهيمنة وعلى ذلك الباب بالخط الحميري . فقال له العبسي : اقرأ يا هميسع ! فقرأه فإذا هو :

انظر لرحلك لا يساق فانه حتم الحمام إلى العرين يساق
يا ساكني جبلي شمام لعله يوفي بما أجنتما الميثاق
قوموا إلى الانسي ان محله يدعو إلى يوم الفراق فراق

قال : فولى العبسي هارباً عنه وناداه الهميسع فلم يلتفت اليه ، وولى وهو يقول : قاتل الله أخا عاد ما أجسره ! قال : فهم الهميسع أن يفر ثم حمل نفسه على الأصعب ومضى حتى بلغ إلى باب هو أعظم هولاً وأشدّ وحشة وعليه نقش بالقلم الحميري فقرأه الهميسع فإذا فيه مكتوب :

قد كان فيما قد مضى واعظ لنفسك البينة المسمعه
ان جهل الجاهل ما قد أتى وكان حيناً قلبه في دعه
فدخل الباب الثالث فسمع دويّاً عظيماً كالرعد وهدة عظيماً ، فبينما

(١) لعله هارش .

هو كذلك إذ برز اليه تنين أحمر العينين فاتح فاه فلما رآه الهميسع رجع هارباً إلى خلفه ، فسكن حس التنين فوقف العادي وقال في نفسه : قد رأيته ولو كان حيواناً لم يدعني وما هو إلا طلسم فرجع له ثانية حتى ظهر له ، فسار نحوه فسمع له دويّاً عظيماً فهرب فأقبل يسمع الدوي فإذا هو في رجوع التنين كما قاله في ادباره فعلم أنه طلسم فأخذ حذره من صدمته وأقبل يمشي قليلاً قليلاً ويخفف وطأ قدميه حتى وضع قدمه في موضع فتحرك التنين ودوى ، فأخذ قدوماً كان معه فحفر على الموضع حتى ظهرت له سلاسل على بكرات . فأجذبه الليل فأسرع الخروج من الكهف وجمع حطباً من الغيضة وأضرمها ناراً وبات عند باب الكهف ، فلما غشيه ظلام الليل سمع بكاء وحينئذ داخل الكهف فلم يزل ينتظر ويرتقب وينظر حتى نظر إلى نار عظيمة خارجة إليه من داخل الكهف ، فلما رآها لم يبرح من موضعه حتى غشيته فصبر لها فلم تؤلم فيه شيئاً ثم أتته أخرى ثانية أكبر من الأولى فصبر لها كذلك ، فلما مالت عنه أخذ مقياس النيران التي أضرمها وأقبل يضرب بها حيطان الكهف يميناً وشمالاً حتى سمع نداء من داخل الكهف يهتف : يا هميسع لا حاجة لنا في دخولك . فأقام حتى أصبح فدخل باب الكهف إلى أن وصل إلى الباب الذي رأى فيه التنين ، ثم حفر على بقية حد التنين حتى قلعه وسقط التنين ، فسار اليه فقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان حمراوان لا قيمة لهما ، وسار حتى انتهى إلى باب هو أعظم هولاً وأشد وحشة فلما هم أن يفتحه سمع دويّاً عظيماً وبدا له أسد عظيم فرجع أيضاً إلى خلفه فرجع عنه الأسد بدوي عظيم فحفر على موضع حركته كما صنع بالتنين حتى أبطل حركته وقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان حمراوان لا قيمة لهما ، ثم دخل الباب فإذا هو بدار عظيمة وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب وعليه شيخ على رأسه لوح

من ذهب معلق وسقف البيت مرصع بأصناف اليواقيت وعلى رأسه في الحائط لوح من ذهب فيه مكتوب (أنا شداد بن عاد عشت خمس مائة عام وافتضضت فيها الف بكر وقتلت الف مبارز وركبت الف جواد من عتاق الخيل) وتحتة مكتوب :

من ذاك يا شداد عاد أصبحت آماله مهزومة الأقدام
يا من رأياني اني لك عبرة من بعد ملك الدهر والأعوام
فكأنني ضيف ترحل مسرعاً وكأنني حلم من الأحلام
احذر تصاريف الزمان وريبه لا تأمن حوادث الأيام
هلا يضررك من كلامي مرة يا ساكن الغيصات والآجام

قال : ثم ملت إلى الركن الذي عن يمينه فإذا هو سرير من ذهب وعليه جارتان فوق رأسهما في الحائط لوح من ذهب أو قال من عاج فيه مكتوب (أنا حبة وهذه لبة بنت شداد بن عاد أتت علينا أزمان انفقنا فيها الطارف والتلبد على عبيدنا ثم طلبنا صاعاً من بربصاع من در فلم نجده - فمن رأنا فلا يثق بالزمان وليكن على بيان فإنه يحدث العز والهوان) - قال فأخذ الهميسع الألواح وما بالبيت من در وجوهر وياقوت وخرج.

(ملك لقمان بن عاد)

قال وهب : فلما مات شداد بن عاد صار الأمر إلى أخيه لقمان بن عاد وكان أعطى الله لقمان ما لم يعط غيره من الناس في زمانه أعطاه حاسة^(١) مائة رجل وكان طويلاً لا يقاربه أهل زمانه .

(١) ل - قوة .

قال وهب : قال ابن عباس كان لقمان بن عاد بن الملقاط بن السكسك
ابن وائل بن حمير نبياً غير مرسل .

قال أبو محمد : لقيت عامة من العلماء يقولون أن لقمان وذا القرنين
ودانيال أنبياء غير مرسلين وعامة يقولون عباد صالحون والله أعلم بذلك .

قال وهب : لقمان بن عاد هو الذي سمته حمير الرايش لأنه كان (١)
متواضعاً لله لم يكن متوجاً .

قال وهب : وكان لقمان بن عاد يدعو قبل كل صلاة ويقول :

اللهم يا رب البحار الخضر والأرض ذات النبت بعد القطر

أسألك عمرا فوق كل عمر

فنودي قد أجيب دعوتك وأعطيت سؤالك ولا سبيل إلى الخلود
واختر ان شئت بقاء سبع بقرات عفر في جبل وعمر لا يمسهن ذغروان شئت
بقاء سبع نوايات من تمر - مستودعات في صخر لا يمسهن ندى ولا قطر
وان شئت بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر عقب بعده نسر . قال : فكان ذلك
أنه اختار سبعة نسور .

قال وهب : فيذكر أنه عاش ألفي سنة وأربعمائة سنة وهو صاحب لبد .

قال وهب : وكان لقمان يأخذ فرخ النسر من وكره فيريه حتى يموت
وهو يطير مع النسور ويرجع إليه .

قال وهب : وأعطى لقمان سؤاله وأخوه شداد في ملكه وعاش معه

(١) في الأصل - الرأس إلا أنه .

دهراً طويلاً وهو يدعو إلى الله ، فلما مات شداد صار إليه الأمر فكان الناس يأتونه من أقاصي الأرض وأدانيها .

قال وهب : وان عاد الأصغر بن قحطان كانوا أهل غدر ومكر وختر لا يأمن فيهم ابن السبيل ولا يطمئن فيهم جار ولا ينزل فيهم غريب ولا يثق بهم معاهد ، وكان فيهم قبيل يقال لهم : بنو كركر بن عاد بن قحطان فعاشوا بأقصى اليمن فحاربهم جميع قبائل عاد وأعانهم عليهم وناصرهم بنو غنم بن قحطان وبنو غانم بن قحطان وبنو ظالم بن قحطان فغلبوا على بني كركر . فلما رأى بنو كركر بن عاد ما صاروا إليه من الذل بعد العز ومن الضر والجهد بعد النعمة شكوا ضر ما نزل بهم إلى سيدهم وصاحب أمرهم السמידخ بن زهير فقال لهم : يا بني كركر كنتم أهل غدر ومكر لا يثق بكم قريب ولا بعيد ولا يأمنكم بغيب ولا حبيب أقرضتم الدهر قرضاً فردّه إليكم فلم ترضوه . قالوا له : قد علمنا أننا فتحنا على أنفسنا باب الموت فدلنا على باب الحياة ؟ قال لهم : أما هاهنا فلا ولكن سيروا بنا إلى هذا الملك الحميري لقمان بن عاد فان عنده رشداً وسداداً وصلاًحاً للعباد يدعو إلى الله وإلى أبواب البر ومن دعا إلى الله أمن من الأذية واطمأن من لجأ إليه وطاب له وجه أمره ورضي عاقبته . قالوا له : لك الأمر فخذ بنا حيث شئت ، قال لهم : يا بني كركر قدمتموني إلى أمر جليل وان الله لا يرضى من أفعالكم شيئاً وأنه رأى ما فعلتموه منكراً فغيره ، وأنشأ يقول :

من أضمر المكر وابدى الغدرا يلقي مدى الأيام ضراً مرا
لم يدر ما سر وما قد ضرا يعذل فيما قد لقيه الدهرا

ورحل بهم إلى لقمان بن عاد وقال .

سيروا بني كركر في البلاد اني أرى الدهر إلى فساد

قد قام من حمير ذو الرشاد لقمانها فقد هداه الهادي
يدعو لها النادي وأهل النادي من حمير السادة في العباد
فغير المنكر بالسداد يا حبذا من رائد مرتاد
دعو بني كركر كل عاد إلى مقام الفصل والميعاد (١)

فسار بهم السמידع إلى لقمان ، وأن لقمان عرض عليهم الايمان فأمنوا
كلهم ، فأنزلهم أرض عالية وتزوج منهم امرأة وهي سوداء بنت أمانة
— وكانت جميلة — وكان لقمان غيوراً فأخذها فجعلها في كهف عظيم في
رأس صخرة عالية لا يطيق أحد يطلع إليها إلا هو لطوله وتمامه ، وكان يعبد
الله في ذلك الكهف وكان له عيد يصلي بالناس فيه كل عام بالرجال والنساء
فصلى بني كركر وقد اجتمع النساء والرجال فبصر هميسع بن السמידع بن
زهير إلى امرأة لقمان فهويها فقال : (معشر عاد والله ان لم تحتالوا لي حيلة
أدرك فيها سوداء امرأة لقمان لاقتلن لقمان ثم تأتي على آخركم حمير) ،
وكان جسوراً فتاكاً وعلوموا أنهم ان لم يفعلوا ذلك يفعل ما قال ، فاجمع أمر
بني كركر على أن يحتالوا كيف يجمعون بينهما ولا يعلم لقمان فقال رجل منهم
— يقال له عامر بن مالك : أسأتم الجوار ونقضتم العهد فما أشبه أول أمركم
بالآخر لا أمان بعد مكر ولا عذر بعد غدر ولا نقض بعد أصر ، أطعمم غويّاً
عاهراً وعصيتم ناهياً آمراً أطعمم شيطانكم فكأنني بكم وقد رمتكم العرب عن
قوس واحدة فاحسن لقمان جواركم فكيف تخونونه في حريمه . فلم يلتفتوا
إلى ما قال ومضوا فيما هم فيه من الحرام فقال عامر :

أفي كل عام سنة تحدثونها ورأي على غير الطريقة تعبروا

(١) زيادة في ب — سيروا بنا الأرض بلا ارتياد — لكم بني عمر على المنادي بالمقضبات
الصقل الحداد — سيروا وعزنا بلاد الهادي — خليل رب بادي السداد .

وان لعاد سنة من حياضها سنحيا عليها ما حيننا ونقبر
وللموت خير من طريق تسبنا بهاجرهم فيما تسب وحمير

قال : فضربه الهميسع بن السמידع بن زهير فقال : يا بني كركر أراد
دماركم فاقتلوه فقتلوه ، ثم انهم أتوا لقمان فقالوا له : انا خشينا الحرب فيما
بيننا ، ولكن ان رأيت أن تحبس سلاحنا عندك في هذا الكهف فان تنازعنا
لم يكن لنا سلاح نفسك به دماً ولا نقطع به رحماً . قال : افعلوا فأخذوا السلاح
فجعلوا في وسطه الهميسع بن السמידع وستروه به من كل جانب وأعطوه
لقمان فطلع به الكهف ، فلما خرج لقمان تكلم هميسع إلى سوداء امرأة لقمان
وقال لها : أنا هميسع بن السמידع ، وأخرجته ونال منها وأطعمته وسقته ثم
ردته في السلاح ، فلم تزل تعمل معه إلى أن رقد معها على سرير لقمان ثم تنخم
ورمى النخامة إلى سمك الكهف وقد التصقت النخامة في سمك الكهف ثم أن
لقمان أتى وقد أعيا فألقى بنفسه على سريرته ثم رمى بصره إلى سمك الكهف
فرأى النخامة فقال لامرأته : من بصق هذه البصقة ؟ قالت : أنا . قال : ابصقي
فبصقت فلم تدرك . ثم قالت له : أنا جالسة حين بصقتها ، قال لها : اجلسي
فجلست فبصقت فلم تدرك ، قالت له : واقفة كنت ، قال لها : قفي ،
فوقفت وبصقت فلم تدرك ، فقال لها : من السلاح أتيت - ثم بادر إلى السلاح
ففتحه واستخرج هميسع . فدعا بحمير فقال لهم : ما رأيكم في بني كركر ؟
قالوا له : يا لقمان انف بني كركر بن عاد من أرض حمير فإنهم أهل غدر
ومكر لا يزرعون فينا الا الغدر ويحملونا الأحقاد ويورثونا الضغائن . فقال
لقمان لعاد : اخرجوا من جوارى . ثم طلع على الجبل وشد سوداء امرأته مع
هميسع في السلاح الذي كان هميسع فيه ، ثم رماه من أعلى الجبل ، ثم رماه
بالحجر ثم رماه جميع من كان معه ، فأول من رجم في الحد حد الزنا

لقمان فقتلهما ، ثم أخرج بني كركر من جواره . فقالوا له : يا لقمان ان أنت لم تشيعنا نتخطف من الأرض فسار معهم لقمان ليمنعهم من قبائل حمير ، فبينما هو يسير إذ سمع رجلاً يقول لامرأة منهم : يا رجيم ^(١) أين زوجك قالت له : يرعى غنمه وهذا عشي النهار وهو وقت ايابه الينا ولكن خذ ما تريد قبل أن يأتبك فزنى بها ولقمان يسمعهما ويراهما فهما كذلك إذ سمعت ثغاء الشاء فقالت له : هذه غنمنا . قال لها : خذي لي حيلة فأخذته فأدخلته تابوتاً لها وأقفلت عليه ثم أتى زوجها إلى حيه ثم انهم رحلوا ليلاً فقالت له : ان حلتي وجميع شأني في هذا التابوت فأحمله فحمله قال ، وساروا ومعهم لقمان فهم يسرون اذ ضيق البول على الذي في التابوت فبال فلما سال على رأس زوجها ، قال لها : ما هذا الذي سال على رأسي من هذا التابوت ؟ قالت له : في التابوت اداة الماء . قال لها : انه مالح ، ورمى بالتابوت عن رأسه فانكسر وثار الرجل هارباً يسعى في سند الجبل فثار في أثره زوج المرأة فأدركه وأخذه وجاء يدفعه يريد به لقمان وتعاوره من كان معه حتى أتى به لقمان فقال : يا لقمان ان هذا من شأنه كذا وكذا ، فلما أصبح أمرهم لقمان بالنزول ونزلوا ثم قال : جيئوني بالرجل المألخوذ وبالمراة فأتي بهما فأنكرا قول الرجل . فقال لهما لقمان : قد رأيتهما وسمعت كلامكما وعلمت كل ما فعلتما ، قال له بنو كركر : الأمر لك يا لقمان احكم فيهما . قال لهم : حملوها ما حملت زوجها فأخذ الرجل فحمله في التابوت وشده بالحبال على رأسها ، ثم قال لهم : دعوها تجول حتى تموت ويموت . فلم تزل تجول به حتى ماتت ومات على رأسها . وان رجلاً أتى لقمان قال له : يا لقمان ان سارقاً يأتي رحلي فيدخل يده في خرق الخيمة ويسرق ما أصابت يده من الخيمة ، فقال له لقمان : احرسه

(١) الأصل رجيم .

حتى إذا هو أدخل يده وسرق فخذ يده واقطعها . ففعل ذلك الرجل وان السارق آتاه كما كان يفعل أول مرة فقطع رب الجيمة يده وذلك ان أول من حكم بالقطع في السرقة لقمان .

قال وهب : وان لقمان أخرج بني كركر بن عاد من أرض حمير وردهم إلى قومهم عاد بن قحطان .

قال وهب : ورجع لقمان إلى مأرب ومعه لبد نسرهِ الآخر وهو أطول النسر عمرأ .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق المطلي قال : كان عمر لقمان بن عاد أربعة آلاف عام عاشت ستة نسر كل نسر خمسمائة عام وذلك ثلاثة آلاف عام وعاش لبد وكان آخرها الف عام .

قال وهب : فلما كان اليوم الذي أصبح فيه لقمان مشرفاً على الموت فأراد أن ينهض فضربت عروق ظهره ولم يكن قبل ذلك يشتكي شيئاً منها فقال :

يا ل قومي نعي إلي بموتي اختلاف النساء وحبل الوتين

ثم نظر إلى لبد وقد تطايرت النسر ولم يطير فلم يطق فقال له :

انهض لبد نهضاً شدد اذ لم يكن أبد الابـد

فأراك حين تطايرت تلك النسر فلم تعد

بشرت لقمان به ولعله لم يعتمد

قال : ثم أخذ لبدأ بيديه ورمى به ليطير فسقط لبد وتطاير وتناثر ريشه

فلم يطق أن ينهض ، ثم قال له : يا لبد صحبتني فصحبتك وكذبتني فكذبتك ،
ثم عاد لقمان فأخذ لبداً فرمى به ليعلو ويطير فسقط وتطاير ريشه فقال :

انهض لبد نهضاً شـدد فان الملك للمجرد

يشير إلى الحرث بن ذي شدد .

فلما أيقن بالموت قال : يا قوم دعوني من سير الجبارين واسلكوا بي
سبيل الصالحين احفروا لي ضريحاً واروني تراباً وحصباً ولا تجعلوني للناظرين
نصباً ومات لقمان ودفن بالأحقاف إلى جوار قبر هود النبي عليه السلام ^(١) .

وقد ذكر لقمان والنسور كثير من الشعراء فقال تيم اللات بعده : شعراً
رأيت الفتى ينسى من الدهر حقه حذار لريب الدهر والدهر آكله
ولو عاش ما عاشت للقمان انسر لصرف الليالي بعد ذلك يأكله

قال التابغة يصف لبداً :

امست خلاء وامسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وقال لبيد بن ربيعة الجعفري فذكر لقمان وقصته ولبداً وقصته :

لله نافله الأجل إلا فضل	وله العلى واثب كل موصل
لا يستطيع الناس محو كتابه	انى وليس قضاؤه بمبدل
سوى فاعدل دون عزة عرشه	سبعاً طباقاً فوق فرع المنقل
والأرض تحتهم مهاداً راسياً	نبت جنباثهم بصم الجندل ^(٢)
بل كان سعيك في حياتك باطل	وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
لو كان شيء خالد لتواءلت	عصماء مؤلفة ضواحي مائل
بظلوها ورق ابشام ودونها	طود يزل سراته بالأجدل

(١) من هنا إلى قال وهب مزيد من - ل .

(٢) كذا في الأصل .

أو ذو زوائد لا يطاف بأرضه
في نابه عوج يجاوز شدقه
فأصابه ريب الزمان فأصبحت
ولقد رأى صبح سواد خليله
صبحن صبحاً حين حق حذاره
ولقد جرى لبد فأدرك جربه
ولقد رأى لبد النسور تطايرت
من تحته لقمان يرجو سعيه
غلب الليالي بعد آل محرق
وغلبن أبرهة الذي الفينه
والحارث الحراب امسى قاطناً
والشاعرون الناطقون أبادهم
ودعت قومي بالسلام كأنني
وقال الأعشى في ذلك أيضاً :

فأنت الذي سقيت عمراً بكأسه
فقال ميمت الخلق ما يصحب الندى
لنفسك أن تختار سبعة أنسر
فقال ففسر حين أيقن أنه
وهي لبد والطير يخفقن حوله
فقال له لقمان إذ حلّ ريشه

يغشى المهجج كالذئوب المرسل
ويخالف الأعلى وراء الأسفل
أنياه مثل الزجاج النصل
ما بين قائم سيفه والمحمل
أصبحن صبحاً قائماً لم يعقل
ريب الزمان وكان غير مثقل
رفع القوادم كالفقير الأعزل
ولقد رأى لقمان ألاباتلي
وكما فعلن بتبع وبهرقل
قد كان عمر فوق غرفة^(١) موكل
داراً أقام بها ولم يتحمل
سلكوا سبيل مرقش ومهلل
ماض إلى سفر بعيد المرحل

ولقمان اذ خبرت لقمان في العمر
ثم لم يلق بدعوتها القطر^(٢)
إذا ما مضى نسر خلفت إلى نسر
خلود وهل تبقى النسور مع الدهر
وقد بلغت^(٣) منه المدى صحوة القدر
هلكت وقد أهلكت عاداً وما تدري

(١) في الأصل عزم .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) هكذا في الأصل أيضاً .

وأصبح مثل الفرخ أطلق ريشه وبادت به عمره في ليلة الحشر

قال وهب : كان بنو كركر بن عاد بن قحطان أصابهم قحط فصار لقمان إلى بيت مكة وسار معه قيل بن الكثير ^(١) بن عنز العادي يستسقيان ويدعوان الله تعالى ، فكان يسأل لقمان العمر وقيل يسأل القطر فأجبت دعوة لقمان ولم تقبل دعوة قيل إلا أنه رأى في المنام كأن آتياً آتاه فقال له : يا قيل انك ضيف الله في البلد الحرام قصدت الله وجاورت بيته فلك قرى الدعاء وقد استسقيت لقوم الله عليهم غضبان ولكن اذهب إلى الموضع الذي تدعو الله فيه فانك تصيب فيه كأساً ناشرب به كأساً من زمزم إجابة لدعائك فانك لن تصم ولن تعمى ولن تسقط لك سن ولا ضرر بعده حتى تلقى الله ، فلما أفاق سار إلى الموضع فأصاب به كأساً فأخذه وسار به إلى زمزم فشرب به كأساً كما أمره فما اعتل بعده بعة في جراحة حتى مات .

(ملك الهمال بن عاد)

المعروف بذي شدد ملك متوج

وأنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن الملطاط ابن السكسك بن وائل بن حمير . والهمال بن عاد هو ذو شدد ، فلما صار الملك إلى همال ذي شدد دخل إلى المغارة التي دفن فيها أخوه شداد بن عاد فأخرج التاج وتتوج به وكان لقمان غيبه في تلك المغارة لأنه لم يكن متوجاً كان متواضعاً لله ، فلما ولي الهمال بن عاد أخذ الملك أخذاً شديداً فولي ذلك

(١) ل - بن بكير .

حيناً من الدهر ثم مات ، واثماً قيل له ذو شدد بلغة حمير كقولك ذو شطط
ابن عاد بن مناح ^(١) أي ذو عطاء .

(ملك الحارث بن الهمال)

قال وهب : وولي أمر الملك بعد الهمال بن عاد ابنه الحارث بن الهمال
وهو الرائش الأصغر والرئاش الأكبر عمه لقمان بن عاد وهو الحارث ذو
مراثد بن الهمال ذي شدد بن عاد بن ذي مناح وكانت تأتي هدايا الهند إلى التبابعة
من أصناف الطيب والمسك والعنبر والكافور وحب البان والينجوج والزعفران
وغير ذلك من أنواع الطيب ومرافق أرض الهند والفلل والهيلج وغيره ،
ويأتي الجواهر والعقيق والدن ^(٢) ، فلما أتت الهدية إلى الرائش الحارث ذي
مراثد وذو مراثد في لغة حمير ذو أبيادي وذو مراثد ذو يد .

قال وهب : فلما أتت الهدية من قبل الهند إلى ذي مراثد ورأى ما رأى
من عجائب الهند تطلعت نفسه إلى غزوها فعبى الجنود وجمع العساكر وأظهر
أنه يريد المغرب في البحر وأعد السفن وكان غزاها قبله ثلاثة من الملوك على
البر من جبال حران ^(٣) وأرض التبت حتى وصلوا إليها وهم : عبد شمس
ابن * سبأ وبعده ابنه وائل بن حمير وبعده ابنه السكسك بن وائل ، فكان
خراجهم الذي أجروه على الهند جميع هذه الطرائف يطر فونهم بها .

قال وهب : فلما أمكن لذي مراثد الرئاش جواز البحر ركب وقدم بين

(١) في الأصل مناخ .

(٢) كذا في الأصول .

(٣) ل - حرسان .

* هكذا في ط حيدر آباد

يديه رجلاً من حمير يقال له : يعفر بن عمرو ^(١) . فسار يعفر حتى دخل أرض الهند وتبعه الرائش ذو مرثد فقاتل أهل الهند يعفر حتى آتاه الرائش فغلب عليهم فقتل المقاتلة له وسبي الذرية وغنم الأموال ورجع إلى اليمن من جهة مطلع الشمس وكان طريقه مدينة الصغد وهي سمرقند وخلف يعفر بن عمرو في اثني عشر ألفاً في مدينة بناها الرائش ذو مرثد وسمّاها على اسم الرائش . فلم يقدر أهل الهند يقيمون اسمها فسموها الرائد فهي مدينتهم اليوم وبها ملكهم . وقال في ذلك نوفل بن سعد من رؤساء حمير :

من ذا من الناس له ما لنا	من عارب في الناس أو اعجمي
سار بنا الرائش في جحفل	مثل منفيض السيل كالأنجم ^(٢)
يوماً لأرض الهند يسموها	تجري به الأمواج كالضيغم
فأول الغاية قاموا بها	واستسلموا للفيلق المظلم
في بحرها المنشور سام به	يوم أمام الملك المعلم
يغيرها يعفر إذ جاءها	يا حبذا ذلك من مقدم
فصبح الهند له وقعة	هدت قواه بالقنا الصيلم
وانغص الرائش أملاكها	وآب بالخيرات والأنعم
فالدر والياقوت يجبي له	والخرد الالبكار في الموسم

قال وهب : ولما صار الرائش بجبال خراسان أتته هدايا أرمينية اتقوه خوفاً لما وقع في الهند فأرسل ملوك أرمينية بيزاة بيض وديباج وسروج ومتاع عجيب مما يقابل به الملوك فقال للرسل : كل هذا في أرضكم ؟ قالوا : نعم أيها الملك . قال : فلم نأخذ شيئاً إذ لم نأخذ أرض أرمينية ، فسار يريد أرض

(١) ل - محمود

(٢) ل - منفيض السيل بالجم .

أرمينية فقدم بين يديه شمر بن العطف^(١) الحميري في مائة الف وسار يتبعه بالجمع فأخذ أرمينية وأخذ في دروب الأرض إلى عجز الأرض ما تحت بنات نعش وأبواب زوايا الأرض ، ثم قفل راجعاً حتى بلغ آذربيجان حتى بلغ إلى الصخرتين من آذربيجان وهما صخرتان قد تقابلا جبلان شامخان يحسر الطرف عنهما وليس يأخذ أحد بآذربيجان إلا بينهما . فكتب في الصخرتين بالحميري المسند وسموا الحميري المسند لأنه على عدده وهو منشور مثله فكتب في الصخرة الواحدة أن الرائي ذا مرثد سيد^(٢) الأوابد بلغ من الدنيا أمله وبقي ينتظر أجله فمتى ينقض يمض وتحت منقوش :

يا جاييا خرج خراسان	ملججاً في أرض حران
فتحت أرض الهند مستأثراً	يعفر الأول والثاني
يتبع قرن الشمس انأشرفت	حتى بدا نور الضحى قاني
سام على البيت ^(٣) مستهجلاً	مفتحاً أرض آذربيجان
سينقضي الرائي بعد الذي	نال ويبقى الناس في شان

وكتب في الأخرى :

الا ان الزمان أطاع أمري	وسوف أطيعه قهراً بقسر
ركبت الدهر اعصاراً عزيزاً	سيسام طول هذا الدهر دهري
ينقادني بأيام حسان	ويقطع دائباً في ذاك عمري
لقد صبر الزمان على اعتزامي	ليعلم ان عصاني كيف صبري
له ايد طوال عن قصار	تناول ذا الوري خسري ويسري ^(٤)

(١) ل - القطاف .

(٢) بالأصول - شيد .

(٣) ل - سار عن الأرمن .

(٤) كذا في الأصول .

قال أبو محمد : ان ذلك الكتاب لمكتوب فيها اليوم — قال : وان الراثش
ذا مراثد رجع إلى اليمن ونزل غمدان ومات ، فكان عمره في الملك مائة عام
 وخمسة وأربعين عاماً ، والله أعلم .

(ملك الصعب ذي القرنين)

وولي بعده ابنه الصعب ذو القرنين بن الحارث الراثش ذي مراثد بن
عمرو الهمال ذي مناح بن عاد ذي شدد بن عامر بن الملطاط بن سكسك بن
واثل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام
ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .

قال وهب : رفع الحديث إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه أنه قال (حدثوا عن حمير فان في أحاديثها عبراً) .

قال وهب : وولي الملك الصعب ذو القرنين بن الحارث الراثش ذي
مراثد بن عمرو الهمال ذي مناح بن عاد ذي شدد تجبر تجبراً لم يكن في التبابعة
متجبر مثله ولا أعظم سلطاناً ولا أشد سطوة وكان له عرش من ذهب صامت
مرصع بالدر والياقوت والزمرد والزبرجد ، وكان يلبس ثياباً منسوجة من
الذهب منظومة درأ وياقوتاً وكان عظيم الحجابة . قال : فبينما هو في ذلك
المكان إذ رأى رؤيا كأن آتياً آتاه فأخذ بيده وسار به حتى رقي به جبلاً عظيماً
منيفاً لا يسلك فيه سائر من هول ما رأى إذا شرف على جهنم وهي تحته تزفر
وأمواجها تلتطم وفيها قوم سود تتخطفهم النيران من كل جانب . فقال له
الصعب : من هؤلاء ؟ قال له : الجبابرة فاخلع يا صعب رداء الكبر وتواضع
لله يعطك عزاً أعظم من عزك وهيبة أجل من هيبة الكبر وعزاً أعظم من عز

الملك فاختر لنفسك أي المقامين أحب إليك . قال : فلما أصبح برز للناس بعد الحجابة وتواضع وانبسط بعد العز والقسوة وجلس بين الناس ودخل قلبه وحشة خروفاً من الله ثم أمر بالعرش فأخرج ، ثم قال : أيها الناس اهتكوا ولكل يد ما أخذت فهتك العرش وانتهبه الناس ثم رمى بثوبه فتخطفه الناس ، ثم قال : أيها الناس ان الله الجبار يبغض الجبارين ، قهر الموت من ادعى أنه نده وأذل بالملك من ادعى أنه ضده واستأثر بالبقاء بعد ذهاب الاملاء .

قال وهب : ثم أنه رأى في الليلة الثانية كأنه نصب له سلم إلى السماء ورقى عليه ، فلم يزل يرقى حتى بلغ إلى السماء فسل سيفه ثم علقه مصلتاً إلى الثريا ثم أخذ بيده اليمنى الشمس وأخذ القمر بيده اليسرى ثم سار بهما وتبعته الدراري والنجوم ، ثم نزل بهما إلى الأرض ، فلم يزل يمشي بهما وتبعته النجوم في الأرض ، فأفاق . فلما أصبح خرج إلى الناس هائماً لا يدري ما هو فيه فاستنكر الناس أمره .

قال وهب : ولما كانت الليلة الثالثة رأى كأنه جاع جوعاً شديداً وظهر إلى الأرض فصارت له غذاء فأقبل عليها يأكلها جبلاً جبلاً وأرضاً أرضاً حتى أتى عليها كلها ، ثم عطش فأقبل على البحار يشربها بجرأ بجرأ حتى أتى على السبعة الأبحر ، ثم أقبل على المحيط يشربه فما أمعن فيه إذا هو بطين وحمأة سوداء لم تسغ له بما آتاه ^(١) فترك ثم أفاق من نومه فلما أصبح هام وحار فيما رأى وغاب عن الناس لما به . فقال الناس : يوماً يظهر ويوماً يختبئ .

قال وهب : فلما نام في الليلة الرابعة رأى كأن الأنس والجن آتوه من

(١) كذا في الأصول .

الأرض كلها حتى جلسوا بين يديه ، ثم أقبلت البهائم والأنعام من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الوحوش من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الطير كلها حتى أظلمت وأقبلت الهوام من جميع الأرض كلها حتى حفت به ، ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه . قال : فأرسل أمماً من الانس والجن مع ريح الصبا إلى المغرب فهبت بهم إلى المغرب ، ثم أرسل أمماً من الانس والجن مع ريح الشمال ، فهبت بهم إلى يمين الأرض فلما ذهبت الانس والجن أمر البهائم والأنعام فذهبت بهم الرياح الأربع وجوهاً من الأرض ، فذهبوا في سبيل الانس والجن ، ثم أمر الطير فذهبت بها الرياح في الوجوه الأربع ، ثم أمر الرياح فذهبت بالوحوش وحبس سباعها تحت قدميه ، ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام في سبيل من مضى من جميع من أرسل ، فلما أصبح غلب عليه هول ما رأى من الرؤيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة فأرسل في وزرائه وأهل مشورته ووجوه قومه فجمعهم ، ثم قص عليهم ما رأى . قال لهم : كنت كتمتكم أمري وهو أمر جسيم . قالوا له : هال علينا حالك أيها الملك فتحيرنا في أمرك وخشنا من سخطك ان نحن سألناك من قبل أن تظهره ، فلما كان اظهاره منك فرجت علينا أيها الملك أمراً جليلاً واطمأنت قلوبنا فما هو أيها الملك ؟ قال لهم : رأيت رؤيا عظيمة ، ثم رأيت في الليلة الأخرى أعظم منها ، ثم رأيت في الليلة الثالثة ما هو أعظم منهما جميعاً ، ثم رأيت في الرابعة ما هو أعظم مما تقدم ، فلم أدر ما أفعل ؟ قالوا له : ما هي أيها الملك ؟ فقص عليهم جميع ما رأى . فهاهم ما سمعوا منه فقالوا له : نامت عينك أيها الملك اجمع أهل العلم بالتأويل والنجم والكهانة والحجابة ^(١) من أهل الدين الأول فإنهم يفسرون للملك جميع ما رأى في

(١) كذا بالأصل ولعله الجبورة - ح .

الليلة الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، فقالوا له : أيها الملك هذا شأن عظيم لم تدرك عقولنا تأويل هذا ، وان نحن تأولناه لك لم نأمن ان نحن لم نصب وجه الرؤيا يسخط علينا الملك وقد يخرج تأويل الرؤيا على غير ظن المتأول .

قال : ثم قام إليه شيخ منهم له عقل ودين وقد جرب الأمور وحكمته ^(١) الدهور . فقال له : أيها الملك اما أنهم قد أحسنوا إلى أنفسهم اذ لم يفسروا شيئاً من رؤيا الملك ولو أجابوا الملك لرددت عليهم ، أنا وان تقدمت في ذلك بين يدي الملك تحسن العاقبة قال له الصعب ذو القرنين : لم ذلك ؟ قال له الشيخ : ذلك لأن الله فوض اليك أمراً جليلاً وقلدك أمراً جسيماً ثم أراك وحياً عظيماً ، فقد استمسكت بأمر الملكوت واني يفسره لك من من الله عليه فاضطره إليك وجعل حكمك في دمه وماله فقد وقفك الله بين جنة ونار فان عدلت يميناً فجنة وان عدلت يساراً فنار ، ثم أراك هذا البناء العظيم فأردت أن تسبرن في علم الله من أباح لك جهله دمه وماله يحملون آراءهم على علم الملكوت ووحى الغيوب فقد رأيت أيها الملك عظيماً فليس على الأرض من يفسر تأويل رؤياك إلا نبي بيت المقدس من ولد اسحاق بن ابراهيم الخليل . قال له الصعب : والله نبي على الأرض ؟ قال له الشيخ : نعم أيها الملك ما أتيت الملك إلا وقد لقيتَه وسمعت منه ما يدعو اليه فأمر ذو القرنين بالجنود فجمعت ، فجمع جنودا لم يجمعها ملك قبله ، وذلك عند كمال قوة بي سام ابن نوح النبي صلى الله عليه وسلم وبه كانوا يتداعون في ذلك الزمان وهم عمود النسب على من ناواهم من جميع العجم ، فلما اجتمع للصعب ذي القرنين الجموع العظيمة والعساكر البرازة ^(٢) أوقفها بمأرب وعمل بطاعة

(١) ل - حنكه الدهر .

(٢) لعله - الحرارة - ح .

الله وحكم بحكمه ، ثم أمر بعمود من رخام فنقش فيه بالمسند الحميري :
يلوم اللاثمون الجهل جهلاً وداء الجهل ليس بذئ دواء (١)
وعلم العالم التحرير جهل إذا ما خاض في بحر البلاء
إذا كان الامام يحيف جوراً وقاضي الأرض يدهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

ثم أمر الصعب ذو القرنين الجنود فنهضت وجعل على طالعه الف الف
فارس ، ثم مشى بعد بالخليل والرجز فسار حتى انتهى إلى البلد الحرام فنزل
به ، ومشى في الحرم راجلاً حافياً وطاف بالبيت وحلق ونحر ، ثم قضى حجه
ومشى في الحرم راجلاً حافياً حتى إذا خرج منه ركب ثم سار إلى بيت المقدس ،
فلما نزل بيت المقدس سأل عن النبي الذي ذكر له ولم يطلب شيئاً غيره حتى
ظهر عليه . قال له الصعب : أنبي أنت ؟ قال له موسى الخضر : نعم ، قال له : ما
اسمك ونسبك ؟ قال له : موسى الخضر بن خضرون بن عموم بن يهوذا بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام . قال له الصعب : أيوحى
إليك يا موسى ؟ قال له : نعم يا ذا القرنين ، قال الصعب له : يوما هذا الاسم
الذي دعوتني به ما هو ؟ قال : أنت صاحب قرني الشمس وذلك أن أول من
سماه ذا القرنين الخضر .

قال وهب : ثم قص عليه كيف رأى جهنم والجنة ثم قص عليه كيف
رأى أنه علق سيفه بالثريا مصلتاً وأنه أخذ الشمس والقمر وتبعته النجوم
واللراري ونزل بهم إلى الأرض ومشى بهما في الأرض والنجوم تتبعه ، ثم قص عليه
كيف أكل الأرض بجبالها وشرب البحار كلها ، ثم شرب عامة ماء البحر المحيط

(١) بالأصل - ليس يبرأ بالدواء .

حتى آتاه كدر وحمأة فلم يستطع شربه وكف عنه . وقص عليه كيف رأى
الأنس والجن والبهائم والأنعام والوحوش والطير والهوام وعقد الريح وكيف
صرفهم في الأرض . قال له : ان الله مكن لك في الأرض وأعطاك من كل
شيء سبباً فاما جهنم فقد أُنذرت فانتبه . فاما طلوعك إلى السماء فهو علم من
عند الله تدركه ، وأما الشمس والقمر والدراري والنجوم فإنه لا يبقى معك
في الأرض ملك إلا خلعتة ولا رأس إلا تبعك ، وأما الأرض التي أكلتها إلى
غابتها فلم تبق منها شيئاً فإنك تملك الأرض ومن عليها . والسبعة البحار التي
شربتها فإنك تركب السبعة الأبحر وتملك جزائرها . وأما البحر المحيط فإنك
تركبه وتبلغ منه غاية حتى يأتيك عكر لا تستطيع تعبره فترجع دونه ، وأما
الأنس والجن فإنك تنقلهم في الأرض من مكان إلى مكان تحول أهل المغرب
إلى المشرق وأهل المشرق إلى المغرب وأهل يمين الأرض إلى شمالها وأهل
شمالها إلى يمينها ، وأما الانعام والبهائم فإنها تسخر لك ، وأما
الوحوش والطير والهوام فإنها تسخر لك لا تضر شيئاً في زمانك وحيث ما
شئت عقدتها بيدك زمامها ، وأما الرياح فإنك تملك عقدها تصرف ضرها عن
أي بلد شئت ، وأما رؤياك أنك طفت بالشمس والقمر في الأرض فإنك
ستجاوز مغرب الشمس وتصير في ظلمة لا تهدي إلا بما في يدك من العلم
ويذهب عنك ضوء الشمس والقمر فانهض بأمر الله واعمل بطاعة الله فان الله
يغنيك ويسددك ويوفقك .

قال وهب : وان ذا القرنين نام فرأى سبباً كأن الأرض كلها عليها
ليل إلى أن طلعت له الشمس من المغرب بيضاء صافية فسار يلقي الشمس فلم
يزل يتبع نورها حتى بلغ أرضاً مفروشة بنجوم السماء ، فمشى عليها . ثم
أفاق فاعلم الخضر بهذا السبب ، قال له الخضر : أمرت بأن تسير إلى المغرب

وتبلغ وادي الياقوت . فكان الخضر يأتيه الوحي فيعلم بذلك ذا القرنين ،
وتأتي الأسباب الصادقة إلى ذي القرنين فيعلم بها الخضر . فكان ذو القرنين
يعمل بالعلمين ، ثم سار ذو القرنين إلى المغرب وسار معه الخضر فسار ذو
القرنين يطأ المغرب بالجنود يقتل ويسبي وينقل الناس من أرض إلى أرض فعاد
على أرض الحبشة ، فلم يزل يفتحها أرضاً أرضاً وأمة أمة حتى بلغ أقصاها .

قال أبو محمد عن أسد بن موسى عن أبي ادريس عن وهب عن عبدالله
ابن عباس أنه قال : الدنيا مسيرة خمسمائة عام فثلاث مائة منها بحار ومائة
قفار ومائة عمران ، فثمانون منها لياجوج وماجوج وأربع عشرة للسودان
وست منها لما سوى ذلك من الخلق .

قال وهب : لما لجج ذو القرنين في أرض السودان يقتل ويحرق بالنار
إلى أن أتى إلى قوم بكم قال له الخضر : هل لك أن تسمعهم فانهم قوم لا
ينطقون فمن عمل بما أمرته علم أنه قبل ومن لم يعمل قتله . ثم مضى حتى
انتهى إلى قوم سود زرق الأعين فقتل من قتل وآمن من آمن ثم مضى حتى
انتهى إلى قوم بلق آذانهم كأذان الجمال فقتل منهم أمماً وعفا عمن آمن ، ثم
مضى حتى انتهى إلى قوم آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم إلى ذقنه فإذا
رقد وضع شقاً عليها وغطت الأخرى الشق الأعلى فقتل من كفر وعفا عمن
آمن حتى غلب على أرض السودان وجلب منهم أمماً بين يديه في غساكره ،
ثم مضى حتى بلغ أرض بني ماري بن كنعان بن حام فقتل وغنم وسبي وساق
منهم أمماً بين يديه ، ثم جاز إلى جزيرة الأندلس فغلب عليها إلى أقصاها ، ثم
رام ركوب البحر المحيط فزفر عليه البحر وصار كالجبال الشم فرأى في
الأسباب عقده فبنى منارة وجعل عليها صنماً من نحاس عقد بها عاصفات
الرياح ، ثم سكن البحر فلان فركبه وسار بجميع جموعه حتى أبعد عن العقدة ،

ثم طغى عليه البحر فبنى منارة أخرى ونصب عليها صنماً عقدا . فلم يزل يسير في المحيط وكلما عبر وزفر عليه بنى منارة وعقد عقداً حتى انتهى إلى عين الشمس فوجدها تغرب في عين حمأة في البحر المحيط ووجد من دونها جزائر فيها أمم لا يفقهون ما يقولون ولا ما يقال لهم فقال ذو القرنين : من رمى بكم هاهنا ؟ فقالوا له : سباً ، فأخذهم ذو القرنين فأراد قتلهم قال له الخضر : يا ذا القرنين (اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسناً ، قال : اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً ثم اتبع سبياً) حتى بلغ وادي الرمل وأقبلت الشمس حتى سقطت في العين الحمأة ، فكاد يهلك ويهلك جميع من معه من حر الشمس . فلما أتى وادي الرمل وجده يسيل بالرمل كالجبال الرواسي فرام أن يعبره فلم يطق ، وأقام عليه أربعة أيام حتى دخل عليه السبت فسبت وأمر عمرو بن عففر الحميري فعبر وادي الرمل في عشرين ألفاً فمضى حتى غاب عنه فلم يرجع إليه من عنده أحد ، ثم أمر زهير بن مالك الحميري فعبر في عشرة آلاف رجل وقال له : يا زهير انظر ما صار إليه عمرو ومن معه وانصرف ولا تمض فعبر زهير فلما صار إلى مكان عمرو ولى بمن معه . فلم يرجع إليه من عنده أحد وغاب عنه . فلما رأى أن عمراً ذهب وذهب زهير فلم يرجعاً بمن معهما علم أنه علم مغيب عنه فقال للمستقر^(١) بن حوشب يا مستقر أنت أعظم رجالي عندي وارجاهم فاعبر وارجع إلي بما رأيت وما صار إليه عمرو وزهير ، فعبر المستقر في خمسة آلاف رجل ، فلما عبر وصار مكان عمرو وزهير مضى جميع من معه مستعجلين ، ووقف المستقر مكانه لا يرجع ولا يذهب حتى غشيه الليل وسقطت الشمس فأصبح الوادي يوم الأحد

(١) ب - المشقر - ول المستقر .

وهو يجري كالجبال الشم وحال بينه وبين المسقر وغاب عنهم فلا يدري ما صاروا إليه . قال له الخضر : يكفيك يا ذا القرنين فإنه لن يجوز إلا من قد جاز ، اتبع ذو القرنين سبياً وسار مع وادي الرمل حتى بلغ إلى الظلمة فصار ليله ونهاره واحداً وعين الشمس تسقط خلفه فشق وادياً تزلق فيه الحيل والجمال وجميع ما معه . قالوا : يا ذا القرنين ما هذا ؟ قال لهم : أنتم بمكان من أخذ منه ندم ومن تأخر ندم . فساروا فيه أياماً ، ثم عطف بهم الوادي إلى جهة أشرق عليهم نور أبيض يكاد يخطف أبصارهم ، قالوا له : يا ذا القرنين ما هذا الوادي الذي عبرناه ؟ قال لهم : الوادي الذي عبرتم أنتم ذلك وادي الياقوت فمن أخذ منه قال : ليتني أخذت كثيراً ومن لم يأخذ قال : ليتني أخذت منه قليلاً . ثم انتهى إلى الصخرة البيضاء فكادت تذهب بأبصارهم من نورها وشعاعها وكان الذي وجدوا من الظلمة نور الصخرة ونظر ذو القرنين إلى منكب من مناكب الصخرة فرأى عليه نسوراً فعجب ذو القرنين منها ومن تعلقها في ذلك الموضع . قال ذو القرنين للخضر : يا ولي الله ما لهؤلاء النسور هاهنا ! قال له الخضر : لهم شأن عجيب ونبأ جسيم ، قال له ذو القرنين : ما هو يا نبي الله ؟ قال له الخضر نعم يا ذا القرنين انه لما أمر الله خليله ابراهيم بالهجرة إلى أرض بابلون أرسل ابراهيم جرجير بن عويم داعياً، وكان ولياً من أولياء الله داعياً من دعائه ، إلى المغرب ليقیم حجة الله تعالى على الناس فبلغ قمونية فدعا الناس إلى الله تعالى فأجابه أمم وعصى أمم ، ثم عبر إلى جزيرة الأندلس فأصاب بها أمما من بني يافث بن نوح وهم السكس^(١) والقبيط والافرنج والجلائق والبربر^(٢) والرعر فدعاهم إلى الله فقتلوه والقوه في

(١) ل - السكسكين .

(٢) بالاصل الترمز - وفي ل البرسة ق .

موضع يجتمع فيه حشوشهم ، فأرسل الله له هذه النسور للذي أراد من خلاص
وليه من ذلك الموضع فجبذوه ^(١) وأزالوه منه ونزل غيث وابل فطهره ، ثم
أكله هؤلاء النسور حتى نخر لحمه ^(٢) من عظامه وتفرقت عظامه وأوصاله ،
ثم أتى النسور إلى هذه الصخرة المنيعة فنزلوا فلم يقدروا على إمساك لحمه في
حواصلهم فتقيؤوا فألقوه في ذلك الموضع فلم يبق من لحمه في حواصلهم
شيء ، ثم أرسل الله على عظامه طيراً بعد من فرقها النسور فكانت تأخذها
عظماً عظماً فاذا استقلت بها في الهواء القتها في الأرض فتنزل العظام في غابة
عظيمة تغيب فيها فيتبعها الطير وتمنعه الغابة فلا يجد الطير إليها سبيلاً فعظامه
فيها إلى يوم القيامة ولحمه على هذه الصخرة إلى يوم القيامة طهره الله من
نجاسات المشركين وقد حرم الله النبيين والشهداء دماءهم ولحومهم على الأرض
والطير والوحوش والهوام حتى يقفوا بين يدي الحكم العدل فسائل ومسؤول
وخاصم ومخصوم فهناك الفوز والدرك ، ثم دنا ذو القرنين من الصخرة ليرقى
عليها فانتفضت وارتعدت وتقعقت فرجع عنها فسكنت ، ثم عاد إليها ثانية
فانتفضت وارتعدت وتقعقت فرجع عنها فسكنت ، ثم عاد إليها الثالثة فانتفضت
وارتعدت وقعقت ، ثم دنا منها الخضر فسكنت فرقى عليها فلم يزل يرقى
وذو القرنين ينظر إليه والخضر يطلع إلى السماء حتى غاب عنه فناداه مناد من
قبل السماء امض أمامك فاشرب فانها عين الحياة وتطهر فإنك تعيش إلى يوم
النفخ في الصور ويموت أهل السماوات وأهل الأرض فتذوق الموت حتماً
مقضيّاً. فمضى حتى انتهى إلى رأس الصخرة فأصاب عيناً ينزل فيها ماء من
ماء السماء فشرب منه وتطهر ، فلما رأى الماء ينزل ويستدير ولا يسيل منه شيء

(١) ب - فأخذوه .

(٢) ل - تجرد .

قال: إلى أين تذهب أيها الماء فنودي قد بلغ علمك ، فلما رجع الحضر إلى
ذي القرنين قال له : يا ذا القرنين إني شربت من ماء الحياة وتطهرت منه
وأعطيت الحياة إلى يوم النفخ في الصور وموت أهل السماوات والأرض
ثم أموت حتماً مقضياً ، ومنعت أنت ذلك ولك مدة تبلغها وتموت فارجع
فليس بعدها مزيد لأنس ولا جن — ولم ير ذو القرنين سبباً فأقام حيناً ينتظر
السبب ، فأنشأ يقول :

منع البقاء	تقلب الشمس	وطلوعها	من حيث لا تسمى
وطلوعها	بيضاء صافية	وغروبها	صفراء كالورس
تجري على	كبد السماء كما	يجري حمام	الموت للنفس
لم أدر ما	يقضيه حكم غد	ومضى بفصل	قضائه أمس
وتشتت	الأسباب تخرجني	نحو العراق	ومطلع الشمس
ازجي لهم	حرباً تؤدبهم	يلقون ذاك	بأوجه عبس
تهوى المنون	عليهم قذفاً	بليوث غاب	غير ما نكس
في الف الف	كالنجوم لهم	زجل كأسراب	القطا الهمس
والصعب ذو	القرنين قاد بها	لصلاح أرض	الترك والفرس
يا رب معصوم	لساحتها	عن هالك	بعالم درس
للدهر أيام	لعين بنا	يأتي القضاء	بمحكم الطرس
كم من قرير	العين في دعة	ومروع الأيام	في نحس
ومسود من	غير مكرمة	ومجد في ذاته	يمسى
وعسيف قوم	ظل في سعة	ومقام حر	عاش في تعس
ومعزز لم	يلق قط وغى	وحليف ذل	فارس الدعس
اني أرى	الأسباب واضحة	وأرى علوم	الغيب في طمس

يجري الزمان لنا بأربعة
يوم وليل دائر بهما
ان المسقر بعد عزته
والموت اس للنفوس متى
هيهات لم يخدع فكان فتي
رهننا يبطن تنوفة ابداً
غيرن ما أصلحن بالأمس
نحس وسعد غاية النفس
ناء عن الحلان والأنس
حل القضاء رجعن للاس
لا بد أن يمسي بلا حس
بالحنو حنو الرمل في رمس

وان الخضر عليه السلام قال لذي القرنين : قد بلغت مبلغاً ليس وراءه
من مزيد ولا مرمى ^(١) وطفئت جزائر المحيط وبلغت حجة الله على الجن
والأنس بالمغرب ، فانتظر ما يوحى اليك فأقام حيناً ينتظر حتى رأى السبب
الصادق فناده من السماء : يا ذا القرنين يحكم الحكم العدل على من يعرفه
بالصبر على الضر فيما يرضى يا ذا القرنين اليوم الغناء وغداً الفناء اليوم العارية
وغداً الهبة يا ذا القرنين ان النار زفرت وتغيظت على من يعرف الله ولم يغضب
له يا ذا القرنين عذ بالرضى من الغضب وبالولاء من السخط ، يا ذا القرنين
اطلع مشارق الأرض فانها ثلاثمائة مطلع وخمسة وستون مطلعاً تحت كل
مطلع أمة لا يعرفون الله ولا يوقنون بالبعث فبلغ حجة الله وأقمها على من لا
يعلم وعده ووعيده . وان الخضر أتى ذا القرنين فقال له : يا ذا القرنين ان لم
يقل لك فسيقال لك وإن لم تر فسترى فهل قيل لك أو رأيت ؟ قال له ذو
القرنين : رأيت الأسباب الصادقة وسمعت النبا العظيم يأمر وينهي .

(وصية الخضر عليه السلام)

قال له الخضر : يا ذا القرنين ان الله مكن لك في الأرض وآتاك من كل

(١) ل - بر ولا بحر -

شيء سبباً ولم تعلم إلا ما شاء الله أن تعلمه من علمه ولو ظهر إليك حرف مما
 غيب عنك لا نصدع قبلك فرقاً ، يا ذا القرنين حملت امانة لو حملت على
 السماء انفطرت وعلى الجبال انهدمت وعلى الأرض انشقت ، أعطيت الصبر
 وأوتيت النصر ، وسرى قوماً يرون أهل الأرض عبيداً لهم وأنهم شركاء الله
 في خلقه ، وهم يأجوج ومأجوج والله الطالب لا يفوته هارب ولا يغلبه
 غالب والعقوبة بعد القدرة والمنع قبل الذل والغضب تحت الرضا والوفاء بعد
 العهد ، يا ذا القرنين مرّينفع خير من حلوى يضر ، خذ ودع ، خذ ما لزمك
 ودع ما لم يلزمك ، يا ذا القرنين ربما رأت عينك شيئاً لم تدركه يدك ومثل لك
 أملك ما لم يبلغه عملك وحال دونه أجلك ، يا ذا القرنين اعمل عمل من لا
 يموت وازهد زهادة من نزل به الموت واقنع من عيشك بالقوت . يا ذا
 القرنين أيقن واتقن فاتقنك صلاح الدنيا ويقينك صلاح نفسك ، يا ذا
 القرنين اجعل نفسك يدك في الدنيا وعينك في الآخرة امش مشي من لا يغفل
 ولا تعجل ولا تمهل فان في الغفلة الهلكة وفي العجلة الندامة ومن المهمل العطب
 كن بين حالين سدد ففي السداد الرشاد والحق دليل فاستدل ترشد والغنى لهُو
 ومهلكة وانى يفيق غاوٍ لاهٍ — يا ذا القرنين من نظر إلى الدنيا بعين سقيمة
 نظرت اليه بعين صحيحة وأرته النجاة وأعاضته جدة لا تخلق ومن نظر إليها
 بعين صحيحة شوقته بالآمال الكاذبة وكان حظه منها غدرًا وزادته ندمًا ، يا
 ذا القرنين من عاش كذب ومن مات صدق مدة غايتها القطع كذب وغرور
 وابد لا يفي فالمطمئن إلى الحياة مخدوع والميت في منزل الأموات قدم علمه
 وآخر أجله فذلك الحي الذي لا يموت ^(١) ، يا ذا القرنين الناس عبيد الدنيا فمن
 نصح نفسه اعتقها ومن خلط طال رقه — راحة النفس القناعة وعذابها الحسد

(١) كذا في الأصل .

وزينتها العفاف — ، يا ذا القرنين خذ ما أتيت بحزم وعزم واجعل الصبر
دثاراً والحق ^(١) أشعاراً والخوف من الله جنة ، يزكو لك العمل وتأمين من
هول الأجل ، خذ بيدك سيف الله فإنه ليس له دافع ولا لنصره مانع وحسبك
من كان الله له ناصرأ ، يا ذا القرنين خذ تحت أكتاف السماء عن شمال
الأرض .

قال : فحمل عساكره في المحيط يريد جزائر الأرض خلف جزيرة
الأندلس ، فلما وصل وعبر إلى الأرض وأخذ أهل الجزائر ، أنشأ ذو
القرنين يقول :

ألا أيها الورد قد نلت خطـة	علوت بعلمـيها ملوك الأعاجم
سلكت غروب الأرض حزمأ بحـفل	لذآني أرضأ غير أرض التشأم ^(٢)
فعمت جميع الغرب لله دعوة	إلى غايـتها بالقنا والصوارم
خرجت على الدنيا عن اللهو محرمأ	وسقت جموعأ كالهضاب الرواكم
وردت بـباب الغرب والجمع مشرع ^(٣)	على موج بحر مزبد متراكم
عقدت بعين الريح عقداً يكفه	فامسك عن مجرى المدى المتفـاقم
فارجيت فيه أمة بعد أمة	وقدمت فيه عالماً بعد عالم
فأوردتها مثل القطا فيه نهلاً	لندرك في الدنيا قصي المعالم
تجرعته عذبأ من الماء سائغأ	وكان أجاجأ طعمه كالعلاقم
فصرت كمثل الطير فوق متونه	تطير خوافية بهز القوادم
أتيت إلى واد حـيث مسيله	برمل تراه كالجبال الرواسم

(١) ل - والحلم .

(٢) ل - التأم .

(٣) ل - وقدت كماء العرب والمعجم مسرعاً .

تسير نهراً والليالي كأنها
صحبت ولياً مسكن الوحي قلبه
وأعطيت أسباباً أرى الرشد عندها
فلما آتاه السبت اسبت وارتقى
فبادر سباقاً ويعفر بعده
وغودر إذ ذاك المستقر قائماً
فرجم بعض الناس بالظن أمرهم
وقالوا رأوا مالاً يقيمون عنده
ومن قال في علم الغيوب بعلمه
فهد جناحي المسقر فجعة
فودعني عمرو عليه تحيتي
فهل مبلغاً في العهد يأتيه أنه
كتبت بخط الحميرية آية
ولا مذهب غير (٣) الذي قد أتيتم
ولا بد مما أن تريحون غزوة
ويوشك أن تدعوا يقيناً لمثلها
ليعرف حق الله من قد أضاعه
ويلعلم أن الدهر يبلي جديده
ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى

ترامى بسافيه (١) حفي المخارم
ليعلم من أسرارهِ كل كاتم
تناهت بصدق العلم عن كل عالم
على متنه عمرو وعاد بعاصم (٢)
يجمعهما أهل النهى والمكارم
له همة تزري على كل قائم
وقال دعوا في الأمر دعوة حازم
فحثوا إلى الحور الحسان النواعم
له نومة تربي على كل نائم
وأنت على فقدانه غير نادم
وفارقتي من يعثر حزم حازم
ليعلم أن النقص غير المآثم
بأن ليس بعدي من مسير لقادم
بني حمير غير النور القشاعم
لقتل الأعادي والملوك النواجم
إلى المشرق الأقصى لأمر ملازم
ويهلك بالأسباب سجف المظالم
ومن قارع الأيام ليس بسالم
ومن يك مهدوما فليس بهادم

(١) ب - بنافيه .

(٢) ل - عاد بن عاصم .

(٣) ب - خلف .

ثم أرسل عساكره إلى جزيرة الأندلس وأمرهم أن لا يبقوا عليهم حقاً عليهم لما فعلوا بجرجير بن عويم داعي إبراهيم الخليل عليه صلوات الله إلا من آمن منهم أو من كان على دين جرجير وما دعا إليه من الحنيفية دين إبراهيم .
ثم أرسل الخضر إلى قمونية في عساكره وأمره أن يلقاه بدروب الشام ، وأخذ ذو القرنين على الأرض الفرقاء ، وإنما سميت الفرقاء لانفراق جزائرها في البحر حتى وصل إلى الشام لا يأتي على أمة إلا آمنت أو هلكت ، وسار الخضر إلى قمونية يفعل كذلك إلى أرض بابلون يقتل من صدف ويتجاوز عمن آمن ومر إلى الشام فاخربوه ونجوا هارين إلى بيت المقدس مستجيرين ، فأرسل إلى ذي القرنين استجاروا بالله نعم الجار ، فمن كان قد آمن فله ذمام الإيمان وحرمة الدين ومن كفر فان الله عدو للكافرين أخرجهم من حرم الله المقدس واجر عليهم الجزية ففعل ذلك الخضر حتى انتهى إلى الدروب ، فلقى ذا القرنين ، فسارا يريدان مطلع الشمس يدعوان إلى الإيمان ولا يأتیان على أمة إلا آمنت أو هلكت حتى بلغ المحيط من عجز الأرض تحت بنات نعش فأصاب فيها أمماً من بني يافث بن حام وأوساه^(١) من بني سام ، فلم يزل يحملهم على الإيمان فمن آمن نجوا ومن صدف عن الحق حملة على السيف ثم عطف على الجزيرة ومضى إلى العراق يدعو ويقتل ، ثم قصد أرض فارس فأمن من آمن وقتل من غدر وكفر ونزل على جبل الصخر ونزل على قصر المجدل وهو القصر الأبيض قصر عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح الذي بني في زمان الببله حين تبللت الألسن وكان من أمره وشأنه أنه استخرج الصحيفة المستودعة عند النبي نوح صلى الله عليه التي فيها العربية ، فكان عابر أول من نطق بالعربية ونطق بها معه هود عليه الصلاة والسلام ، وذلك أنه لما بني القصر

(١) لعله واو شابا .

الأبيض وبني فيه الصرح وجعل حول القصر المنجدل ^(١) ، وبني القصر بألواح
الرخام الأبيض وسقفه بالزجاج الأبيض وأرضه الواح الزجاج الأبيض
وكان لحامه الفردية ^(٢) ، وأفرغ الماء تحت الزجاج من أسفل القصر ، فكان
القصر الأبيض أعجب ما بني في الدنيا في وقته ولم يكن قبله في الدنيا مثله وهو
أبد من أوابد الدنيا ، فلما بناه عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح
وتكلم بالعربية تكلم بها معه ابنه هود النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتكلم
بها معه ابنه فالغ للذي أراد الله ، وذلك أن فالغ بن عابر جد ابراهيم النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروع بن ارعوي
ابن فالغ بن عابر ، وعابر بن هود النبي صلى الله عليه وسلم وأبو فالغ ،
فهود أبو بني قحطان وأخوه فالغ أبو بني عدنان ، فلما تكلم عابر بالعربية
تكلم بها معه ابنه هود وتكلم بها معه بنو عمه ارم بن سام بن نوح وعملاق بن
لاوي بن ارم بن سام بن نوح وظم وجديس ورائش وقطورا بني لاوذ
ابن ارم بن سام بن نوح فتكلم بنو ارم بن سام بالعربية كلهم ما خلا فارس
ابن لاوذ بن سام بن نوح فانه تكلم بالفارسية وهو فارس الأسود ورحل عابر
من أرض بابل حتى نزل العراق وحير الحيرة وهو أول من نزلها وحيرها وعرق
العراق بغرس النخيل وغير ذلك من الثمار وبقي ابنه فالغ بالقصر الأبيض
فتكلم بالفارسية مع بني فارس الأسود فأقام فيهم هو وولده حتى بعث الله
ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فأمره بالهجرة والخروج مع بني فارس إلى
بني عمه هود وهم العرب بنو قحطان ، فأمره أن ينزل ابنه اسماعيل في بيته
مكة في بني جرهم بن قحطان للذي أراد الله من تمام أمره ووعد له لنبيه
اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وبقي القصر الأبيض قصر عابر بن

(١) كذا في الأصل .

(٢) لعله لحامه القزدير - ح .

شالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح إلى زمان ذي القرنين الصعب بن ذي مرثد ،
فلما رحل ذي القرنين من جبل الصخر لاح له القصر الأبيض فقال : ما هذا ؟
قيل له : هذا القصر الأبيض قصر عابر بن شالغ ، فأنشأ يقول :

أين رب الملك بل أين الذي شيد القصر زماناً ثم جن
أين من ينجو من الموت ومن أخذ العهد على رب الزمن
ثم نزل على القصر ودخله فرأى فيه أعاجيب يرى من يمشي فيه من
داخل القصر ويرى من في مجالسه من ظاهرها فقال حكم فيه ما أرادوا حكم
فيه ما لم يرد ، وأنشأ يقول :

خرجنا من قري الصخر	إلى القصر	فقلنا
فمن يسأل عن القصر	فمبنيًا	وجدناه
رأينا القصر كالشمس	منيرًا	حين أمناه
فأين الساجد السامي	ملك القصر	بناه (١)
وقد كان به حيناً	ولو كان	سألناه
عن القوم وما قالوا	ولو قال	لقلناه
أراه العيش (٢) آمالاً	على بعد	ومناه
جرى باللهو اطلاقاً	وسلم الدهر	هناه
فراق القصر رب القصر	حيناً ثم	أفناه
إذا ما أقبلت منه	أماني	حمدناه
وان ألوى لسوء منه	أحياناً	سئمناه
إذا ما خاننا الدهر	بصرف منه	خناه

(١) لعله فصد .

(٢) ب - العيش .

سريعاً بعدنا يفني اذا نحن تركناه
ثم سار حتى بلغ إلى فج عظيم بنهاوند ثم لقيته جبال شم منيعة بينها شعاب
عظيمة . فقليل له : يا ذا القرنين هذا الشعب ينفذ إلى جابرصا وهذا الشعب
بصل إلى هرات ومرو وسمرقند وهذا ينفذ إلى جاجا^(١) وبلخا وحابلجا وبارد
وأرض ياجوج وماجوج ، فأخذ شعب جابرصا وجابلقا فقتل من قتل وآمن
من آمن وهو في عجز الأرض وغلب على أرمينية ومن بها ، ثم عطف إلى فج
نهاوند فقليل : هذا باب الأبواب وهو اسمه إلى اليوم باب الأبواب ، فأنشأ ذو
القرنين يقول هذه الأبيات :

جزعنا	الغرب والشرق	وجئنا	باب	أبواب
واعلا	ما من الدنيا	بآيات		وأسباب
بعلم	صادق الحزم	وبأس	غير	هيا
بأمر	الواحد القهار	رب	فوق	أرباب
وفي	الأمر تصاريف	وآيات		لألباب
وعلم	فوق ذي علم	وغلاب		لغلاب

ثم مضى حتى بلغ أرض ياجوج وماجوج فقاتلهم فغلب عليهم وأتاب
أمة منهم وهم بنو علجان بن يافث بن نوح فتركهم في جزيرة أرمينية إلى ناحية
جابرصا فسموا الترك لأن ذا القرنين تركهم ومضى يطلب ياجوج وماجوج
حتى لجح في أرضهم فلم يزل يأخذها أرضاً أرضاً وأمة أمة حتى انتهى إلى
الأرض السماء وهي جبال شم شواحق شوامخ ، فلم يزل يخرقها بالطرق وينزل

(١) هذه الاسماء كلها معروفة في الاصل والمراد بجاجا مدينة جاج فيما وراء النهر وهي
بجيمين فارسيين وقد عربت العرب اسم هذه المدينة فقالت شاش وبلجا محرف من بلخ بالخاء
وحابلجا لعله محرف من جابلق والظاهر ان هذه الأسماء كلها مأخوذة من كتاب باللغة الآرامية
بحيث في آخرها الف واما بارد فلا أدري أي بلد يعني بهذا - ك .

العلو ويرفع الوهاد ويفتتحها حتى غلب عليها وبلغ الأرض الهامدة فافتتحها
 — وهي أرض مبسوطة لا تلة فيها ولا ربوة عليها — وغلب من بها من ياجوج
 وماجوج . ثم بلغ جزائر الأرض الرواب (١) التي تراور عنها الشمس عند
 طلوعها ، فوجد عندها قوماً صغار الأعين صغار الوجوه مشعرين وجوههم
 كوجوه القردة وهم لا يظهرون في النهار وانما يظهرون في الليل يختفون من
 حر الشمس في المغارات والكهوف في الجبال فدعاهم بلسانهم وقد أعطاه الله
 سبباً من كل لسان ، ثم صار في أرضهم حتى بلغ أطراف جزائر المحيط فأصاب
 بها أمماً من ياجوج وماجوج يقال لهم الأحرار (٢) تطلع عليهم الشمس وهم
 قوم سود زرق الأعين طوال الوجوه طوال الأنوف تشبه وجوههم وجوه
 الخنازير وهم يختفون في النهار من حر الشمس ويظهرون في الليل فدعاهم
 وآمنوا . فكان كما قال الله تعالى وتبارك : (ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ مطلع
 الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً كذلك وقد أخطأنا
 بما لديه خبراً) . ثم ركب البحر المحيط فصار فيه حولاً حتى ترك الشمس عن
 يمينه ولحق في الظلمات حتى وصل إلى أرض بيضاء كالثلج فيها نبات وعليها
 ضوء ليس كنور الشمس نور أبيض يكاد يخطف الأبصار . قال أبو محمد :
 فرام أن يمشي فساخت بهم الدواب إلى الصدور فترك عساكره كلها ومضى
 وحده وأعطى سبباً عبر به الأرض فصار أياماً حتى أشرف على دار مفردة بيضاء
 فيها بيت واحد وعلى باب الدار رجل أبيض واقف وعلى سطح الدار رجل
 مبيض واقف قد أخذ شيئاً كزمار فحبسه في فمه وأمسكه بيديه جميعاً وعيناه
 تشخص إلى السماء يشخص بهما ، قال له الرجل الذي على باب الدار : إلى

(١) ل — الزور .

(٢) ل — الاجدار .

أين تريد يا ذا القرنين ألم يكفك أرض الأنس والجن حتى أتيت أرض الملائكة !
قال له ذو القرنين : من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا ملك من ملائكة الله ، قال
له ذو القرنين : فما هذه الدار ومن هذا عليها ؟ قال له الملك : هذه الدار دار
الدنيا وهذا الذي عليها ملك من ملائكة الله أوحى الله إليه أن يريك كيف أخذ
اسرافيل الصور وعينه شاخص بهما إلى العرش ينظر متى يؤمر بالنفخ في
الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ، ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون
إلى الميقات فهناك الفصل والعدل وكفى بالله حسيباً يا ذا القرنين ارجع فليس
لك مزيد وخذ هذا العنقود يا ذا القرنين فأعطاه عنقوداً من عنب وقال له :
كل منه يا ذا القرنين وليأكل منه عساكرك فان لهم فيه آية وهو يبلغكم إلى
أرض الأنس والجن وخذ هذا الحجر فأعطاه حجراً مثل البيضة وقال له :
زنه بما ترى عينك في الدنيا فان لك فيه عظة وعبرة فرجع ذو القرنين بالعنقود
والحجر إلى عساكره فأكل العنقود وأكل العساكر كلهم ولا ينقص حتى
بلغ أرض العمارة فكان مما زادهم يقيناً إلى يقين وكان لهم عبرة وآية ، ثم أخذ
الحجر فوزنه بجميع جواهر الأرض فرجح الحجر ، فلم يزل يزنه بالحجر
العظيم والحديد الكبير فرجح عليه ، ولم يزل يرجح كل ما وزنه به ولو
وزنه بالكثير من جميع ما في الأرض ما وزنه والحضر ينظر إليه ساكتاً .
قال له ذو القرنين : يا ولي الله هل عندك علم من هذا المثل ؟ قال له : نعم هذا
الحجر مثل لعينك لم يملأ عينك جميع ما في الأرض مثل هذا الحجر الذي لم
يرجح عليه شيء في الأرض ، ولكن هذا يملؤها ومد يده فأخذ قبضة من
تراب فجعلها في الكفة وجعل الحجر في الكفة فرجح عليها التراب وخف
الحجر . قال له الحضر : هذه عينك لا يملؤها إلا التراب وهو الغلب عليها .

قال أبو محمد عبد الملك : ثم ان ذا القرنين رجع حتى بلغ السد وهو

بالصدفين ولا سد فيه فوجه فيه قوماً أوقر آذانهم حسيس الفلك فقليل ما يسمعون . قال الله تبارك وتعالى : (ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) ، قالوا : يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ؟ قال : ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً ، أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال : أتوني افرغ عليه قطراً فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال : هذا رحمة من ربي ، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) .

قال أبو محمد : فبنى السد ذو القرنين بين ياجوج وماجوج وبين الناس قال : عظم السد في جسمه الف ذراع وفي طوله الف ذراع . بنى جسراً دونه وهو من اوابد الدنيا من الصدفين إلى أرض أرمينية وهو مسيرة سبعة أشهر ثم سار يريد أرض الهند حتى بلغ قطر بيل فوجد بها قوماً سموا بالترجمانيين وهم من بني يافث بن نوح وانما سموا بالترجمانيين لأنهم ترجموا صحف ابراهيم بلسانهم فأجابوا بما فيها ، فلما آتاهم ذو القرنين وجدهم بقرطيل^(١) وهم من بني عرجان بن يافث بن نوح وجدهم قد سكنوا مقابرهم ووجدهم لا غني فيهم ولا فقير ولا قاض فيهم ولا أمير ولا ناه فيهم ولا أمر ورأى مواشيهم بلا رعاة وآهم بين الأنهار في خلاء من الأرض وقفار^(٢) واستغنوا منها باليسير عن الكثير ، قال لهم : يا بني عرجان ما بالكم سكنتم المقابر ؟

(١) مضى بتقديم الطاء .

(٢) ل - وليس عندهم مزارع .

قالوا : يا ذا القرنين سكنها لثلاث نسي الموت ونطمئن إلى الحياة وتستهوينا الدنيا ، وانا رأينا الأرض كالبحر يسلكه المرء فيغطي قدميه ثم يمضي فيغطي ساقيه ثم يتمادى فيعلو حقويه ثم يمضي فيعلو منكبيه ثم يعلو رأسه ثم يضطرب يديه ورجليه فتقلبه أمواجه فتذهب به حيث شاءت فلا يدري ما تحته من الهواء ولا ما فوقه من السماء ، فكذلك تستدرج المرء تخدعه ويتبعها حتى إذا لجج سارت به حيث شاءت والدنيا دار ابليس والآخرة دار الله فمن عمل للآخرة أطاع الله وعصى ابليس ومن عمل للدنيا أطاع ابليس وعصى الله فان ابليس نصب فتنه بكل سبيل .

قال : وما بالكم أراكم ايس فيكم غني ولا فقير ؟ قالوا له : رأينا غني الدنيا فقيراً بالآخرة ، ورأينا معاش هذه الدنيا أعز أهلها وأعظمهم كعيش أذل من فيها وأحقرهم ، ولو أن الدنيا كلها للعزیز ذهب وفضة ودر وجوهر ليس له من جميع ماله غير شبعه ولا من كسوته غير لبسه ، فارفع طعام ذا في شبعه وأحسن لباس ذا في كسوته اذ دفع عنه حره وبرده كأحقر لباس ذا من كسوته اذ دفع عنه حره وبرده وكان الأمل من قلوبهما واحداً تواسينا فيما لا فضل فيه بين الأرواح والأجسام ، ثم رأينا القوي منا لا غنى له عن الضعيف ، والضعيف لا قوام له دون القوي وأنه متى هلك الضعيف منا هلك القوي ، ومتى هلك القوي هلك الضعيف فتساوينا لثلاث يكون منا ضعيف يحسد قوياً ويبغضه ولا يكون قوي يحقر ضعيفاً فواصل القوي الضعيف حتى تكافأ الناس في معاشهم فحسنت معاشرتنا .

قال لهم : فما بالكم لا أمير فيكم ولا قاض ولا آمر ولا ناه؟ قالوا له : رأينا القرون من قبلنا والأمم في دهرنا يغصب القوي الجاهل الضعيف القليل الناصر ، ويقهر العزيز القادر الدليل المهين ويستطيل كل ذي يد إلى ما قدرت

عليه . فما من عزيز إلا أرسل الله عليه أقوى منه يسلبه قواه وأذله بعد عزه ولا يد استطالت فبطشت إلا حال الله بينها وبين ذلك بيد أبطش منها وأجهل وما من متكبر إلا أدبل عليه بمتكبر ولا من أمة إلا انتقم الله منها بأمة ، فلما رأينا ذلك كففنا بعضنا عن بعض البغي والعدوان والجهل والتسافه والحسد والتواكل فأصبحنا وأمسينا أخواناً وليس فينا ظالم ولا مظلوم فلما لم يجر بيننا ظلم كفانا الله بغي غيرنا من الناس واطمأنت بنا الدار وطاب لنا القرار .

قال : فما بالكم بين أنهار وأنتم في خلاء وقفار ليست لكم إلا عمارة يسيرة ؟ قالوا له : اجترينا بالقوت ويسير المعاش . قال لهم : أحسنتم في جميع أحوالكم خلا عمارة الأرض اعمروها لعقبكم فإن العقب إذا لم يجد متعة يتمسك بها من معاشه تطاول بها إلى ما في يد غيره فحمل نفسه على الهلكة فاما لا دنيا ولا آخرة وأما دنيا بلا آخرة ان ظهر عليه عدوه كان بلا دنيا ولا آخرة وان ظفر فدنيا بلا آخرة . ولكن ذللوا الأرض للحرث واغرسوا الأشجار واستخدموا الأنهار فانها حياة النسل والبهائم والأنعام فإن لكل دين فترة ولكل فترة كفرة ولكل كفرة سكرة واحذروا التبديل فإن لكل أمة تبديلاً وتكديلاً .

ثم مضى إلى أرض سمرقند فوجد فيها الزط والكرد والصغد فقتل منهم من قتل وأجاب من أجاب ، ثم أخذ أرض مرو فوجد فيها الخزر وفرغان والديلم وجميع هؤلاء القبائل من بني يافث فقتل منهم من كفر وآمن من آمن ثم مضى إلى أرض هراة ^(١) فوجد فيها الخوز والافرنج فأجابوه فغلب عليهم وقتل الجبابرة وأهل العتوّ في الأرض ، ثم سار على البر إلى

أرض الصين فلقى السند ، وهم من بني حام بن نوح فقاتلهم فغلب عليهم وقتل من قتل ، ثم دخل أرض الهند - والهند أخوة السند - من بني حام بن نوح فقاتلهم فغلب عليهم وعلى جميع أرض الصين ، ثم رجع إلى أرض بابل فغلب عليها وعلى من بها من قبائل بني نوح حتى أجابوا ، ثم سار يريد أرض تهامة والحج بمكة ، فلما صار من رمل العراق بموضع يقال له حنوقراق من أرض برقة رحرحان رأى في الأسباب أنه يموت بالحنو ويكون فيه قبره ومنه محشره وكان رآه أيضاً حين امتنعت من طلوعه عليها الصخرة البيضاء - فلما رأى الموت وأيقن به ونعت إليه نفسه أعلم بذلك الخضر فقال له الخضر : يا ذا القرنين انقضى الأمل وحان الأجل وبقي العمل فحكم عليك اليأس لما تقحم ^(١) عليك الممات فتزل الرضا وغاب عنك القضاء ، وقد وعدك الله وعداً والله متم وعده - عصم دعائه في الدنيا من المكاره وحرّمهم في الآخرة على النار ، فقال ذو القرنين انصعب بن ذي مرثد الحميري :

لما رأيت من المنون وعيداً	قوضت رحلك سحرة تجريدا
مثل لنفسك ملحداً اخدودا	واحذر لنفسك موقفاً مشهودا
وبدت لك الأسباب عن آياتها	لما بدرت وجردت تجريدا
ان اليقين يزيد لحظاً صادقاً	وترى من الأمر الخفي وعيدا
قد حقق السبب الخبير بأمره	لما آتاك يصدق الموعدودا
ودعاك اذ حان الرحيل ولم تجد	لما دعاك عن الرحيل محيذا
ولقد رجوت بأن تقال فلم تجد	عند الرجاء من السنين مزيدا
ولت سنوك وغاب عنك مقامها	وأرى لعمرك فقدتها موجودا

(١) ب - لما هجم عليك .

ليس الذي ولى وان أملتـه
أنى يلوم أخو النهي أيامه
أسفاً لمن جارى الزمان ولم يسزل
أين الذي يخشى وينسى عمره
لا بد أن يلقي المنون وان نأت
ولقد رأى من حكمها فيما مضى
كم جددت من ذي السقام واخلقت
كم الفت من شاسعين وشتت
من كان في حقب الدهور مخلد
تستعبر الأيام منه جدّة
يهتكن عنقه والثبير ووائلا (١)
لا يطمئن إلى الزمان وريبه
فايأس فلا يبقى وان طال المدى
الوى بحمير والمقعقع بعده
يا صعب حقاً كل شيء هالك
هتكت خطوط الدهر عزك هتكة
أخذ الزمان من الشبيبة فرصة
عمرت الفأ بعد الف قبلها
يا سائلين عن الزمان وسيره
أعطيت ما لم يعط قبلي قائم
وجلبت أهل الأرض من آفاقها

مما تحب إلى المنى مردودا
سفهاً ويكثر عندها التفنيدا
بظي المنية نحره مقصودا
يوماً على بعد المدى معدودا
وتأبدت أيامه تأبيدا
عبرا مشين معجلاً ووئيدا
بعد الغضارة والنعيم جديدا
بعد الإقامة والجميع عديدا
أو كان في جمع العبيد عتيدا
بعد النعيم ولو غدا جلمودا
وتحط بعد علوه عبودا
من كان لم يعهد عليه خلودا
من كان فوق أديمها مولودا
وأباد عاداً قبله وثمرودا
الا الآله الواحد المعبودا
أمسى حسامك دونها مغمودا
فارى الزمان وعصره محمودا
في العالمين وقد دعيت وحيدا
مذ كنت منه مضغة مؤودا
وجمعت جمعاً كالدبا محشودا
الفت املاً كابها وجنودا

(١) كذا في الأصل .

عج النساء لدى الحجون بمكة
فنحرت فيها الف الف ضحوة
فلقد أحم اللحم فيها برهة
وقصدت آفاق الغروب بقدره
فهديت منها مؤمناً ذا همة
ما ان ارم لما أجاب مخافة
ورأيت عين الشمس عند سقوطها
وبلغت أعلام المشارق كلها
فوطئت بأجوجاً ومأجوجاً بها
فجعلت عن سريهما (١) مندوحة
وولجت في الظلمات حتى جبتها
ولقيت تحت الشمس قوماً خلتهم
وعلى بني حام غدوت بسطوة
فلقد كشفت الناس عن أسبابهم
ولقيت منهم أنوكاو وليبيا
يوماً (٢) يشب من الحروب خمودها
وعلوت في الدنيا بعزة قادر
حاولت أن أعطي الخلود وارتقي
فأبى لي الله الذي املته
فالحنو للصعب المعبhel منهل

لما رأين حريمها مقصودا
ودعوت قولاً بالمقام سديدا
وحنذت لما ان أضل قصيدا
فوجدت نحساً عندها وسعودا
وقسرت منها كافراً وجحودا
حتى يظل عن الصراط لدودا
ووردت أمواج المحيط ورودا
أبقى لمن أبقى بهن حدودا
وبنيت قطراً دونها وحديدا
والفج عن صدفيهما معقودا
خوفاً وكان رتاجها محدودا
تحت الظلام خنازرا وقرودا
بالصين حتى بددوا تبديدا
وبلوت منهم طارفاً وتليدا
ورأيت منهم عاجزاً وجليدا
يوماً وتطفئ للحروب وقسودا
أكدت فيها للبقاء تأكيداً
في الخافقين إلى السماء صعودا
أمسى المنى دون الرضا مردودا
يمسي به أمداً له ممدودا

(١) في هامش الأصل - شربها .

(٢) لعله قوما - ح .

سيموت من تنسى المنية يومه وتنال بنت الدهر منه بعيدا
سلّ المفاصل والنفوس رهائن تزجي البوارق فوقهن رعودا
من ذاك يدري الاين من ارواحهم أو ما تراهم راقبين خمودا
حالان لا تلقى النفوس سواهما فيها شقياً خاسراً و سعيّدا

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس
ابن سنان عن وهب بن منبه قال : لما نزل الصعب بن ذي مرثد بالحنو
حنو قراقر من أرض العراق مرض ثماني ليال ثم مات ثم غاب الخضر ،
فلم يظهر إلى أحد بعده إلا إلى موسى بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى جميع النبيين ودفن ذو القرنين بحنو قراقر ، فقال النعمان بن الأسود
ابن المعترف بن عمرو بن يعفر بن سكسك المقعقع الحميري يرثي ذا
القرنين الحميري :

بחנו قراقر امسى رهيناً أخو الأيام والدهر الهجان
لئن أمست وجوه الدهر سودا جلين بذاك للملك اليماني
لقد صحب الردى الفين عاما ولاقاه الحمام على ثمان
إذا جاوزت من شرفات جو وسرت بايك برقة رحرحان
وجاوزت العقيق بأرض هند إلى الصوبات ^(١) والنخل الدواني
هناك الصعب ذو القرنين ثاو بيطن تنوفة الحنوين عاني
فمن صحب الزمان بغير صعب لقد صحب الزمان بلا أمان
هو الوزر الذي يلجأ اليه بنو الأيام من أنس وجان
لقد جاز الخلود إلى مداه وسار كما جرى فرساً رهان
ألم تر أن حنو الرمل أمسى لملك الدهر والدنيا مغبان
فقل للنازلين بكل أرض لكم امن على بعد وآن

(١) في الأصل - الصواب .

وقال المحمود بن زيد بن غالب بن المنتاب بن زيد بن عملاق يرثي ذا القرنين بن الحارث ذي مراثد الملك الحميري :

اسمع	ذا القرنين	لما	علا	عن	المغاني	النبأ	الشامله
فيا	لها	من	نبأ	لم	تكن	مصرفه	عنه
ولا	حائله	بخدمها	عن	نفسه	ساعة	فيا	لها
من	خدعة	قاتله	صباحه	من	صيلم	نازله	قد
جهلت	أيامه	الجاهله	بسكسك	العز	ولا	عامله	ونفسه
بينهم	سائله	لما	أنته	الرمية	القاتله	فأصبح	الحنو
له	متزلا	قد	قدم	المرء	له	عدة	مستنصراً
زاداً	بلا	راحله	قال	ابو محمد :	حدثنا	أسد	عن أبي ادريس
عن وهب	عن عبد الله	بن عباس	أنه	سئل	عن ذي القرنين	ممن	كان ؟ قال :
هو من حمير	وهو الصعب	ابن ذي مراثد	هو الذي	مكن	الله	له	في الأرض
وآتاه	من كل شيء	سبباً	فبلغ	قرني الشمس	وداس	الأرض	وبني السد
على يأجوج	ومأجوج	فقيل	له :	فالاكندر	الرومي	قال :	كان الاسكندر
الرومي	رجلاً	صالحاً	حكيماً	بنى	على بحر	افريقس	منارتين
واحدة	بأرض	بابلون	وأخرى	في	غروبها	بأرض	ارمينية (١)
، وانما	سمي	بحر المغرب	بأفريقس	لأنه	عظيم	من	عظماء
التبابعة	اكثروا	الآثار	عليه	في	المغرب	من	المصانع
والمدن	والآبار						

(١) في الأصل رومية .

قال : وسئل كعب عن ذي القرنين فقال : الصحيح عندنا من علوم
أخبارنا وأسلافنا أنه من حمير وانه الصعب بن ذي مرثد والاسكندر رجل
من بني يونان بن عيص بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ورجاله
أدركوا عيسى بن مريم صلوات الله عليه منهم جالينوس وارسطاطاليس
ودانيال وجالينوس وارسطاطاليس من الروم من بني يونان ودانيال من بني
اسرائيل بني من أنبياء الله .

قال كعب : لم تكن الروم تروم ذلك ، ولا لها قوة ذلك . والذي بعث
محمداً بالحق ، ما حمير في أهل الدنيا الا كالأنف في الوجه أو قال : بين
العينين ولقد قال ، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أوحى الله
إلي (اني بعثتك أمياً وجعلت لك ما تحت قدميك وشدت ظهرك بمن خلفك
من اليمن وجعلت لك ما بين يديك غنيمة العراق والشام والمغرب أما أنه
ليزيدن الهدى فيهم وينقص من كل أمة) . فلا أدري قوله ليزيدن الهدى
فيهم عنه أو رفعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابو محمد : رفع الحديث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه
قال : كان ذو القرنين من حمير من أعظم تبايعتهم ، وهو الصعب بن ذي
مرثد الحميري .

قال أبو محمد : عن أسد بن موسى عن أبي ادريس عن وهب قال :
دخل عبدالله بن عباس بمكة على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص
بعد وفاة علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — ومعاوية وعمرو يقرآن
سورة (الحمد لله) الكهف فقرأ معهم حتى قرؤا (وجدها تغرب في عين
حمئة) فقرأ معاوية وعمرو وجدها تغرب في عين حامية من الحرارة وقرأ

عبد الله حمئة من الحمأة ، فقالا : يا بن عباس قرأت في عين حمئة من الحمأة وقرأنا نحن حامية من الحرارة ولنا صحبة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هي لك ونحن اثنان وأنت واحد فعليك البيان أو فارجع إلى قراءتنا . قال لهما : نعم فخرج من عندهما فلقي كعب الأحبار فقال كعب : مالك يا أبا محمد أراك حديثاً مشغولاً ؟ قال له عبدالله : نعم يا كعب الأحبار دخلت على معاوية وعمر بن الخطاب وهما يقرآن (الحمد لله الكهف) فقرأ (وجدها تغرب في عين حامية) وقرأت أنا (وجدها تغرب في عين حمئة) من الحمأة - فقال له : صدقت يا عبدالله والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما أنزل الله على موسى ابن عمران في التوراة الا حمئة ، قال له عبدالله : صدق الله ورسوله . ولكنهما طلبا شاهداً من كلام العرب ، ثم مضى عبدالله بن عباس فلقية نافع بن الأزرق فقال له : مالك يا ابن عباس ؟ فقال له : كما قال لكعب وادعا عليه قصة القوم ، فقال له : فأين أنت من قول تبع تبارك أبي كرب في قوله حين غزا المدينة ومكة ورفع الجزية التي كانت بنو خندف يؤدونها إلى جرهم وطسم وجديس واليهود . قال له عبدالله بن عباس : ما الذي قال تبع أبو كرب ؟ قال نافع قال تبع أبو كرب هذه الأبيات :

نحن الملوك ذو العلا والسؤدد	نحن الحماة بنو الهمام الأجد
سميت أسعد والسعود طوالع	لا بد أن ترقى النحوس لأسعد
أفبعد وائل والمقعقع بعده	ترجو الخلود وأنت غير مخلد
أودى يعفر والمعاقر فانقضى	ملك تضعضع للزمان الأنكد
يعلو على الدنيا بعزة قادر	يعلو العلو إلى المحل الأبعد (١)
نحن النجوم فلا نرام بهيضة	منا المقاول في الزمان الأوحد

(١) ب - الابد .

قدت الجياد إلى المشارق غازياً
فقتلتهم قتل الجهول سفاهة
ما بال عيني لا تنام كأنما
حنقاً على سبطين حلا يثربا
فنزلت منزل عرصة في خيمة
حتى آتاني من قريظة عالم
قالوا ازدجر عن قرية محجوبة
فعفوت عنها عفو راج ربه
وتركته لله أرجو عفو
والقد تركت بها لمؤمن قومنا
ومضيت قصداً نحو مكة عائداً
قوماً إلى البيت العتيق صلاتهم
قوم يكون محمد من نسلهم
فدفعت عنهم جزية يعطونها
ورفعت من احيا قريش عصبه
ووهبتهم أموالهم وسلاحهم
لما أتوا يستنصرون أجبتهم
والأمر مسدود الحجاب متى يحك
وهزرت سيفي في وجوه معاشر
غضباً لما فعل اليهود بخندق
حلوا حماهم يعلمون حجازهم

أضحت قلاع الروم قسراً في يدي
وتركتهم ترك الشقيق المسعد
كجلت مآقيها بسم الأسود
أولاً لهم بعقاب يوم مفسد
بين العقيق إلى بقيع الغرقد
من خير خبر في اليهود مسود
لني مكة من لؤي أحمد
وتركتها لعقاب يوم سرمد
يوم الحساب من الحميم الموقد
نقراً أولى حسب وبأس أيد
وتركت ترك مؤدب ومسدد
أكرم بقوم ركع أو سجد
ان الكريم إلى الأكارم يهتدي
في الدهر من حكم الزمان الأربد
وفككت عنها غل كل مقيد
والسيف فوق رؤوسهم لم يغمد
نجواب لا وكل ولا متبادل
في قلب ذي عزم يغرأ وينجد
طلباً لحق فيهم لم يردد
يرمون جرهم في الوريط الأوهد
بيض الكنائس بالعبيد الحسد^(١)

(١) كذا في الأصل .

أقسمت صدقاً لا أرى بشراً بها
ولقد آتاني من هذيل أعبد
قالوا بمكة بيت مال دائر
فأردت أمراً حال ربي دونه
لما أرادوني بمكر جبتهم
فرددت ما أملوه مني فيهم
فالحمد لله الذي صرف الردى
بيت يطاف به وينحر حوله
في رأس جلدة شديد أسرها
بيت به يوفي الحجيج نذورهم
وأقام ذو القرنين فيها حجه
اذ كان ذو القرنين جدي مسلماً
طاف المشارق والمغارب عالماً
ورأى مسير الشمس عند غروبها
فلقد أذل الصعب صعب زمانه
حكم الأمور وأحكمت أيامه
لم يدفع المقدور عنه قسوة
من ذا يحيد عن الردى وسهامه
قطع الزواجر لجة عن لجة
فهدي القبائل أمة عن أمة
كم من عمي القلب أضحي مبصراً

يأوي إلى طلع هناك منضد
يستعجلون بشؤم يوم أنكد
ومعاليق من لؤلؤ وزبرجد
والله يمنع من خراب المسجد
من عيشة الدنيا بحد مهند
وتركتهم مثلاً لأهل المشهد
عنا فلو لا منه لم تهتد
جزر لدى حرم وركن أسود
مما يشبهها سواد الأثمد
ويودعون طوافه للموعد
خوفاً يطوف على اللظى المتوقد
فمتى تراه له المقاول تسجد
يبغى علوماً من كريم مرشد
في عين ذي خلب وثأط حرمد
وأناط قوة عجزه بالفرقد
تجري إلى أجل ولما يقصد
عند المنون ولا ائتلاف المحتد
تقضي على أوتاده وكأن قد (١)
وعلا المهامه فدفعاً عن فدفع
وابار قتلا مفسداً عن مفسد
وعמיד قوم سيد لم يهتد

(١) لعله تمضي على أوتارها - ح .

جريا بأمر غاب عنا حكمه نحس على فصل القضاء واسعد
فلرب مسعود أزاح عقاله ولرب غاو منهم لم يرشد
والله أجرى ذي الأمور بعلمه جعل المنية للأنام بمرصد

قال : فروى عبد الله بن عباس الشعر عن نافع بن الأزرق ، ثم دخل
على معاوية وعلى عمرو فأتى به كما سمعه من نافع بن الأزرق ، فقال له
معاوية وعمرو : علمنا أن مقرأك أقرب إلا أنا طلبنا منك سبباً تأتي بهذا
الشاهد عليه ، ثم عطف معاوية على عبد الله بن عباس فقال له : يا أبا محمد
هل تدري شكر تبع فيما فعل بقومك وما كشف عنهم ؟ قال له عبد الله :
به جعله الله خيراً منك . قال لنبیه محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قومك
(أهم خير أم قوم تبع) ؟ قال معاوية : يا ابن عباس فما الخلب والثأط
والحرمد ؟ قال : الخلب الحمأة، والثأط ما تحتها من الطين، والحرمد ما تحته من
الحصى والحجر .

ولقد أتت العرب بالشواهد في أشعارها وخطبها بذی القرنين الصعب
ابن ذي مرثد . قال امرؤ القيس بن حجر المقصور بن الحارث آكل المرار
الكندي يذكر ذا القرنين الصعب بن ذي مرثد .

ألم يحزنك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجال
أزال من المصادر ذا ريش وقد ملك السهولة والجبال
همام طحطح الآفاق وحيا وقاد إلى مشارقها الرعالا
وسد بحيث ترقى الشمس سدا ليأجوج ومأجوج الجبال (١)

وفيه يقول قيس بن ساعدة الأيادي : — وكان قيس بن ساعدة أحكم

(١) قضية ما هنا أنه وصف لذي ريش والواقع أنه لذي القرنين فلعله سقط ذكره — ح .
* هكذا في ط حيدر آباد

العرب في زمانه وأخطبهم — حدثنا زياد البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي قال : أتى وفد أباد البيضاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أسلموا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل فيكم قيس بن ساعدة ؟ قالوا له : مات يا رسول الله في العام الأول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدته بعكاظ وهو على جمل أحمر وهو يخطب الناس ويقول :

معشر الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، أما بعد فانه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ، ان في السماء لخبراً وان في الأرض لعبراً نجوم تمور ولا تهور، وبحور تغور ولا تغور ، وسقف مرفوع ومهاد موضوع، ومولود يولد وحي يفقد، أقسم قيس قسماً بالله وما رفع ليطلبن من الأمر لخطأ وان كان في بعض الأمر رضا ان في بعضه لسخطا وان بلغت لقد قصرت .

أن وراء هذا لعجبا — أقسم بالله أن الله ديناً هو أَرْضِي من ديننا هذا الذي نحن عليه — مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون — يموتون ولا يحيون ارضوا بالمقام فأقاموا لم تركوا كلا ليعثن وقال أبياتاً لا أحفظها — وكان صلى الله عليه وسلم لا يروي الشعر ولا يقوله فقال له رجل من الوفد — أنا أحفظها يا رسول الله — قال له — قل — فقال له الأيادي قال يا رسول الله هذه الأبيات :

في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا	يبقى من الباقيين غابر
فعلمت أنني لا محـا	لة حيث صار القوم صائر

ثم قال رجل من الوفد - لقد شهدته قبل موته بعام يا رسول الله وهو على جمل وهو يخطب الناس ويقول : هيهات هيهات - أيها الناس كذب الكاذب وصدق الصادق وقد أفلا فاعتدلا ولا بد من موقف يشهد الشاهد ويحكم الحاكم - أين احسان المحسنين وإساءة المسيئين - كلا لتجدن كل نفس سعيها - أيها الناس هيهات والله هيهات كذب الأحياء الأموات يسكنون منازلهم فلا يعتبرون ويرون مضاجعهم فلا يتعظون ويأكلون تراثهم فلا يحزنون - ويعلمون ما يعلمون وهم آمنون - أما بعد فإن كل آكل مأكول وكل وارث موروث وكل ساكن ظاعن وكل آمن خائف اليوم يوم وغد يوم فغد سالب واليوم مسلوب والغالب خير من المغلوب - أيها الناس هل أتاكم ما لم يأت آباءكم الأولين أم أخذتم عهداً من السابقين أم عندكم من ذلك اليقين - أم أصبحتم من ذلك آمنين - بل والله أصبحتم في غفلة لاعبين - أين الصعب ذو القرنين جمع الثقلين وأداخ الحافقين وعمر الفين لم تكن الدنيا عنده إلا كلفتة عين من لم يتعظ اتعظ بها - أيها الناس أين الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والأبناء والبنات - أما ترون آيات بعد آيات وأمواتاً في إثر أموات إلا وأن علم الغيب باطن ونبأ الخلق ظاهر اضمحلت الأشخاص فذهبت العظام رفاتاً - كلا ليصلحن كل عامل عمله كلا بل هو الله إله واحد - ليس بمولود ولا والد أسكنهم التراب وإليه المآب *

أما بعد فإن الحي حكم بالموت أيها الأشهاد أين ثمود وعاد وأين الآباء والأجداد - أين الظالم والمظلوم - أين الحسن الذي لم يسكن واين الوعيد الذي لم ينتقم واين الوعد الذي لم يتم - هل تعلمون أين ذهب أبرهة ذو المنار وعمرو ذو الأذعار - أم تدرون ما صار إليه عبادة الفتاح وأذينة الصباح وجذيمة الوضاح - عزوا فقهروا ونهوا وأمروا وبنو المصانع

والآبار وجدولوا الأنهار وغرسوا الأشجار واستخدموا الليل والنهار فكافأ
مطاياهم إلى دار القرار - أرسلوا ما لهم وانتظروا ما يرجع به سؤلهم -
ارتقبوا فلم يرقبوا - هجمت الآجال دون الآمال ألا وأن كل شيء إلى
زوال وأنشأ يقول :

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى	أن الزمان يطيق نتف جناحي
فأراه أسرع في حتى أصبحت	بيضا متون عوارضي وصفاحي
وأنا الكبير بسنه في قومـه	هيهات كم راوحت من أرواح
صافحت ذا جدن وأدرك مولدي	عمرو بن شمر يتقى بالراح
والقيل ذو يزن رأيت محامـه	بالقصر بين مرامر الصفاح
فتك الزمان بملك حمير فتكة	يسعى بكل مساء وكل صباح
أودى ابو كرب وعمر وقبله	وابار ملك أذينة الصباح
واباد افريقيس بعد مقامه	بالمغرب المستغرق الفياح
والصعب ذو القرنين أصبح ثاويـاً	بالحنو بين ملاعب الأرواح
وغدا بأبرهة المنار فأصبحت	أيامه مسلوبة الأصباح
اخنى على صيفي بخادث صرفه	مستأثراً بجذيمة الوضاح
أم أين علكدة الهمام وملكه	أم أين عز عبادة الفتاح
والعبد والهدهاد صارا عبرة	طارا عن الدنيا بغير جناح
لا تمش (١) في شك الظنون أما ترى	أيامه مشهورة الإيضاح
لا تأمن مكر الزمان فإنه	أودى الزمان بشمر الصباح

(١) لعله لا تمش .

من بعد ملك الصين أصبح نالكا
برك الزمان على ابن هاتك عرشه
شخصت على بعد النوى أشخاصهم
أفبعد أملاك مضوا من حمير
من ذا يوافق كفه كف الردى
أكرم به من هالك محتاح
وعلى المققع حل بالاتراح
فرآهم الأوهاج بالأشباح
أرجو الفلاح ولات حين فلاح
يشرى البقاء عن بيعة الأرباح

قال أبو محمد : وفيه يقول الأعشى بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة :
والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث أشم مقيماً

في شعر له

قال أبو محمد : ومما ذكرت العرب به ذا القرنين في أشعارها قول ربيع
ابن ضبيع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة بن ذبيان
وكان معمرأ (عمر مائتي عام) وكان أحكم العرب في زمانه وأشعرهم وأخطبهم
وشهد يوم الهبأة وهو ابن مائة عام وكان من انجد فارس في حرب داحس
وهو القائل في يوم شبيم وامر شبيم^(١) : ظلمتم يا بني فزارة والظلم عاقبته
وخيمة ، فداووا الظلم بالرفق أو فأنتم شاة الذئب وغرض الرامي . وقال
لحمل بن بدر عند هزيمتهم :

يا حمل هل تعلم ما لا أعلمه سديت غزلاً لا تطيق نلحمه
والظلم للظالم حتماً يلجمه ألا ترى قيدا تأطت أسهمه

يقتل ذا الظلم ومن لا يظلمه

وكان انجد فارس يوم الهبأة حبس خلف بني فزارة حتى بلغوا

(١) كذا في الأصول .

حريمهم ، وهو القائل يوم الهبأة لما حبس خلف بني فزارة حتى اتخن
جراحاً فقال :

رأيت موتين علينا نزلوا موتي وموت الغر من قومي الملا
بذلت روحاً دونهم معجلاً كيما ألاقى الموت منها منها

قال أبو محمد : لما كبر وخرف وأدرك الإسلام فقال قوم : أسلم
وقال قوم : لم يسلم منعه قومه ذلك ، قال أبو محمد : جمع بنيه وبني
بنيه فقال لهم : (١)

ألا أبلغ بني بني ربيع فأشرار البنين لهم فداء
بأنى قد كبرت ودق عظمي فلا يشغلكم عني النساء
وان كناني لانت بقسر واني لا أسر ولا اساء
إذا جاء الشتاء فدثروني فان الشيخ يهرسه الشتاء
وان دفع الهواجر كل قر فسر بال خفيف أو رداء

ثم قال : يا بني اجمعوا لي بني ذبيان ، ثم قال : يا بني فزارة بن ذبيان
من أعزكم ؟ قالوا : أنت يا أبا سالم . قال : ان لكم أن تدوسوا أعزكم
عليكم بأرجلكم ، فذلك ارفع لقدره عندكم . يا بني ذبيان آمركم بأربع
وأنهاكم عن أربع : آمركم بالحلم فإنه بحسن المعاشرة والحدود فإنه يزرع
المودة ، وأمركم بحفظ بعضكم بعضاً يهابكم الناس الأباعد ، وأمركم
بالعلم فإنه زين ومحبة في قلوب العالم . وأنهاكم عن : السفه فإنه باب الندم
ومنزلة الذل وأنهاكم عن البخل فإنه سلم السب ، وأنهاكم عن التخاذل فإنه
آفة العز ، وأنهاكم عن الجهل فإنه رزية ومهلكة واسألوا عما جهلتم فإن

(١) انظر كتاب المعمرين لابن حاتم - ك .

في السؤال هدى وفي الصمت على الجهل عمى ولا تستصغروا من لا تعرفونه
ولا تحسدوا من لا تدركونه ولا تحمدوا غير كريم ولا تبخلوا على شريف (١)
ولا تفضلوا على غير محتاج فيذهب فضلكم هباء ولا تمنعوا السائل فان
منعه مقت ولا غيبة (٢) فانها قرض مردود ولا سيما أنها تعقب . يا بني
ذبيان : اجعلوا قبري علماً فاني قدمت في الناس خيراً فانه شأن وذكر
حسن وتركت للبنين فخراً ، ولو قدمت سيئاً أمرتكم أن تحفوه فانه علم
السب احفظوا قولي فانه مقامي ورائي فيكم ، وانشأ يقول :

لقد عزفت نفسي عن اللهو جمه
رأيت قروناً بعد قرن تقدمت
ألا أين ذو القرنين أين جموعه
خرفت وافتني السنون التي خلت
تجاوزت في يوم الهبة هنيـدة
فكم مشهداً وردت نفسي وطيسه
وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة
وكانت على الأيام نفسي عزيزة
هي النفس ما منيتها تاق شوقها
وقال أيضاً الربيع بن ضبع :

ألا يا لقومي قد تبدد اخواني
وأنسى قليلاً ثم آتي سبيلهم
وابلى ويبقى منطقي بعد ميتي

نداماي في شرب الخمر واخذاني
فتبلى عظامي يال سعد وذبيان
وكل امرئ الا أحاديثه فاني

(١) في الأصل غير شريف .

(٢) كذا في الأصول .

سيدر كني ما أدرك المرء تبعاً
أحار مجير النمل من عز ملكه
والوى بذى القرنين بعد بلوغه
أنا بين يومين فامس الذي مضى
ألم تر أن الدهر يا قوم طالب
سيأخذ ما أعطى وإن كان محسناً
وقال أيضاً الربيع بن ضبع :

قل للذي راح عن أخيه وقد
هل أبصرت عينه له أثراً
أين همام الحديد إذا مرا
أين بنو هود النبي ومن
والصعب لما عتت أرومته
لم يدفع الموت بالجنود ولا
فاز على الدهر ينحني^(١) فرمى
لا تعجبي يا أميم من صفتي
أصبو بهند وزينب أمماً
لما رماني الزمان عن عرض
أصبح غني الشباب قد حسرا
ودعنا قبل أن نودعه
أصبحت لا أحمل السلاح ولا
والذئب أخشاه إن مررت به
من بعد ما قوة أسر بها

(١) لعله نازعني الدهر بهجتي .

ويغتالي ما اغتال أنسر لقمان
وأنزل سيف البأس من رأس غمدان
مطالع قرن الشمس بالأنس والحنان
وصرف غد لا بد بالحتم يلقاني
وإن لم أكن يوماً لأوتاره جاني
وما كان من شرح الشبيبة أولاني

أودعه حين ودع الحجر
أو سمعت أذنه له خبراً
وأين رب السدير إذ قدرا
شمر عن راحتيه وابتكرا
وخان ريب الزمان فادكرا
رد بأسباب علمه القدر
فوق جناحي ومفرقي شررا
فقبل ما كنت أخسف القمر
ونسوة كن قبلها دررا
وقا مرتني خطوبه قمرا
أن ينأ عني فقد ثوى عصرا
لما قضى من جماعنا الوطرا
أملك رأس البعير إن نفرا
وحدي وأخشى الرياح والمطرا
أصبحت شيخاً أعالج الكبرا

ها أنا ذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي ومولدي حجرا
وقال أيضاً الربيع بن ضبع

طال الثواء عن السنين اميما
أنسيت أم لم انس ام عاهدته
لا بد أن القى المنون وان نأت
هلا ذكرت له العرنجج حميرا
والصعب ذو القرنين عمر ملكه
ونبت به أسبابه حتى رأى
امن الأمور أخوالدهور فهل رأى
طال الزمان وطال غني غيبه
الوى بشمر والمقعقع بعده
لما حشون حشا علي لطيفة
القي عذاباً للزمان اليما
فوجدته بعد السفاه حلما
عني الخطوب وصرفه المحتوما
ملك الملوك على القلب مقيما
الفين امسى بعد ذاك رميما
وجه الزمان بما يسوء نسيما (١)
ذا مرة من قبله معصوما
ما زال من قبلي الزمان قديما
واباد سعداً بعده وتميما
واستحسن القيصوم والتنوما (٢)

وفيه يقول الربيع بن ضبع بسوق عكاظ عند صلح عبس وذيان .

قال أبو محمد : لما همت عبس بصلح ذيان قام بأمر الصلح بينهم عوف
ابن حارثة بن أبي حارثة وحصن بن حذيفة وكان عوف بن مرة بن سعد بن
ذيان وكان حصن عن فزارة بن ذيان وقام هرم بن سنان بن أبي حارثة
المري عن بني عبس . قال : لما أتى بنو عبس بديّة بني ذيان ، وأتى بنو
ذيان بديّة عبس ، وقع على حصين بن ضمضم المري عشرة أبكار وكان
بخيلاً أكلوا لحمًا ، وكان فارس بن ذيان فأدركه البخل فأراد نقض

(١) لعله مسيما .

(٢) كذا في الأصول .

الصلح وقال : والله يا بني عبس لا نصالحكم الا الصلح المخزية جدع
 الأنوف والأذنين ، فقال الربيع بن زياد : الحريم ولج الغريم وطال الشر
 وغدر الدهر . فغضب عنثرة وقال : يا حصين الحرب خير لي والصلح خير
 لك . فدونك أضعفنا حقاً خسره الله فأرسلها مثلاً ، قال حصين : أيها
 الغراب جار بك الخطاب أسكت يا بني عبد شمس ^(١) ، قال له عروة بن
 الورد العبسي - وكان رأس الصعاليك وأجسرهم - : يا حصين شهدتك
 وأباك وأخاك وأنتم تسألون العرب بسوق عكاظ سنة المسغبة ؟ قال حصين :
 كف أيها الصعلوك الشاعر ، فقال عروة ارتجالاً :

أرى الناس في الآفاق جما واني	على كل فج خائف الشعب واحد
لي الذئب ندمان ولي الليث صاحب	تثور اذا أحدر النعام الشوارد
أطيل الطوى حتى اذا برح الخفا	طعمت يسيراً والتجمل رائد
وما بي أملاق ولكن تكرما	أشيد ما شاد الكرام الأماجد
ولست كمن يمسى بطيناً وانه	يبيت خميصاً جاره وهو راقد
أنيل نوالي الأقربين وانه	ليدرك معروفي الأفاصي الأبعاد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة	واحسوا قراح الماء والماء بارد

وقال الربيع بن ضبع : يا حصين تعرضت للسب ، وقال الربيع :

دار الصديق إذا استشاط تغيطا والغيط يخرج كامن الأحقاد
 ولربما كان التعصب باحثا مثالب الآباء والأجداد

وقال عروة بن الورد يهجو حصين بن ضمضم :

لن يكن ^(٢) فارس الهياج هجيناً ان شداد لم تلده العبيد

(١) كذا في الأصول ولعله يا عبد بني عبس والله أعلم .

(٢) هذا الشعر ليس في ديوان عروة وهو ظاهر التوليد - لك .

هل يجور الخطاب ليث عرين ولنار الخطوب فيه وقود
 ان خير العشير من جمع الشمـل وعاد بما تساد الصيد
 ويك أمر الاله في كل حين وقضاء بكل يوم جديد
 أين طسم ورائس وجديس ثم عاد من قبلها وثمود
 ثم أبيت الرشاد من سلم عبس وآتانا من دون ذاك الوعيد
 أنت أوعدت للحروب وعيدا ذاك وعد يأتي بك الموعود
 انما عاقبك العشار عن السلم وطعم الحروب مر شديد
 صدك البخل عن حريمك حتى جئت بالشؤم والبخل صدود
 هل تخوفت ما مضى من سؤال وزمان الردى عليك يعود
 ان من عضت الكلاب عصاه ثم أثرى حقيق ألا يعود

فجعل بنو عبس وبنو ذبيان أمرهم إلى حكم الربيع بن ضبع . فقام
 الربيع بعكاظ بين عبس وذبيان خطيباً فقال : أيها الناس أصاب الاياس
 وأخطأ القياس ، وبين الحق والباطل التباس - أيها الناس من عبر غير وكل
 عثار جبار وكل فائت مطلوب - يا بني ذبيان الخير والشر على اللسان والنجاة
 في البيان . يا بني ذبيان : داروا الحروب فانها تذلل ، يا بني ذبيان : طلب
 الثأر ضالة الأشرار ومزالق الأعمار وهلاك الأخيار ، أخوكم عبس عدوكم
 أمس فطلاب أمس الذهاب هلاك غد المقبل هلا سألتم عن الأحقاد طسم
 وجديس وعاد. اعلموا أن كل ذاكر لناس وكل مقيم ظاعن وكل ثابت
 زائل وبين (١) الأموات موت الأحياء والسرعة إلى الآجل ذهاب العاجل
 والذل غنيمة الظالم وقال :

على حرج يا عبس أضحي أخوكم وبت على أمر بغير جناح
 حذار حروب الأقربين وانه ليأتي افتلاتاً وجه كل صباح

(١) في ل - وبني الأموات

أنحاك أنحاك ان من لا أنحاله كساع إلى الهيجاء بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض الباغي بغير جناح
لنا عظة في الداهيين وعبرة تفيد ذوي الألباب أمر صلاح
ألم تعلموا ما حاول الصعب مدة وما صبح الساعي وآل رزاح
فهل بعد ذي القرنين ملك مخلد وهل بعد ذي الملكين يوم فلاح
تريش له الأطيوار عند غدوه وتجنح أن اومي لها برواح

فاضطلحوا على حكمه .

قال أبو محمد : قال أبو مخنف عن كميل بن زياد النخعي أنه لما سار
عمر بن الخطاب إلى الشام في خلافته سار بعلي بن أبي طالب من المدينة إلى
الشام ، فلما بلغ إلى الشام وعبر وادي الأردن قال : قاتل الله الربيع بن
ضبع حيث يقول :

وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة تجرعتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت عزمي على الأمر ذلت
هي النفس ما منيتها تاق شوقها والا فنفس أويست فتسلت

فزاد علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - عليه بيتاً فقال :

وما جزت وادي الأردن تطرباً ولكن أموراً وكلت بي فحلت

وفيه يقول طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبعة بن
قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن
هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن
عدنان ، حيث يقول :

وكيف يرجي المرء دهرًا مخلداً وأيامه عما قليل تحاسبه

ألم تر لقمان بن عاد تتابعت
وللصعب أسباب تجلت خطوبها
إذا الصعب ذو القرنين أزجى لواءه
يسير بوجه الحتف والعيش جمعه
وقال أوس بن حجر السعدي :

حنانك يا أوس بن حجر فانه
وتجري الليالي بانتقاص وفرقة
سيفقد من جاري الأمور ويهلك
وان سبيل الصعب لا شك يسلك

(ملك أبرهة)

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : لما مات ذو القرنين الصعب بن ذي
مراثد ، ولي الملك ابنه أبرهة ذو المنار سماه الصعب على اسم ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم ، وانما سمي أبرهة باللسان الحبشي وتفسيره وجه
أبيض . قال أبو محمد : كان أبرهة أبيض وسيماً جميلاً ، فلما دفن أبرهة
أباه ذا القرنين الصعب بن ذي مراثد بالحنو حنوقراق في رمل العراق ورجع
بعساكره ، ظهرت لهم الزمردة بعد موت ذي القرنين وهي صنف من
الحيات تسكن الرمل قصيرة لها رأسان في طرفيها وما أكلت بهذا الرأس
القتة برأسها الآخر وهي لا تظهر إلا في النهار وتعمى في الليل لأن جميع
حيوان الأرض لا يستطيعها يسري سمها في الأبدان كسير البرق في الهواء
تفر منها الثعابين والشجعان والأفاعي ، فلما كثرت على عساكره الزمردة
ذات الرأسين أضرت بعساكره ضراً شديداً . فكان يعرس نهاراً ويسير
ليلاً فكانت تضل العساكر في الليل بعضها عن بعض فأمرهم أن يوقدوا
النيران على رؤوس الجبال ليهدوا بها . وهو أول منار جعل في الدنيا

فسمي بذلك أبرهة ذا المنار . فسار أبرهة حتى نزل بالمشلل ، وكان أجمل الناس وجهاً فرأته امرأة من الجن فعشقتة فهجمت عليه ليلاً إلى فراشه . قالت له : أيها الملك إني عشقتك وليس لي منك بد وأنا حنيفة على دين ابراهيم ، وأنا لا أرضى بالزنا ولا أدين به فاختر من أربع خلال أي خصال واحدة ان شئت قتلتك وان شئت أعميتك وان شئت أبرصتك والا فتزوجني . قال لها العاقل اذا خير اختار أنا أختار منك العافية يا عيوف فذهبت مثلاً فأتته بنفر من الجن فيهم الرابع ^(١) أبو هافر وجه اياها قال له الرابع : أيها الملك منزلي وادي الجن بالمشلل من أرض جو وهي أرض اليمامة اليوم - وان الأنس ينزلون وادي الجن من أرض الجو فتتعري نساءهن إلى رجالنا ويتعري رجالهم إلى نساءنا . قال له أبرهة : أنا أبدر ^(٢) اليهم وأمنعهم من أن ينزلوا بوادي الجن وهم لا ينزلونه ما عشت فمن نزله أحرقوه بالنار ، فكان حرماً عند العرب حتى أتى رهط من بني حلوان بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير فنزلوه فبينما هم نائمون في جوف الليل اذ سمعوا دويماً وهينمة وناداهم مناد : انما هذا محرم الرابع وحمي أبرهة وأتتهم نار عظيمة فأكلت أموالهم وأكلت أناساً وولوا هاربين فسمي ذلك الموضع الحرقانة ^(٣) فهو اسمه إلى اليوم . حدثنا أبو مالك عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق المطلي : أن عمر بن الخطاب دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فوقف بين يديه رجل كالنخلة السحوق فقال له عمر : من أنت ؟ قال له الرجل : أنا حارق ، قال له عمر : ابن من ؟ قال له : ابن شهاب ، قال له عمر : وأين مسكنك ؟

(١) ل - الرائع وكذا في المواضع كلها - ك .

(٢) ل - أنظر اليهم .

(٣) في الأصل - الحرمانه ول - الحرقانة .

قال له الرجل : بالخرقانة خرقانة الجو ، فقال له عمر : ويحك ادرك أهلك
فقد احترقوا . قال : فرجع الرجل إلى الخرقانة فأصاب قومه قد أقبلت
عليهم نار ليلاً فاحترقوا ، وكان عمر أعيف العرب في الجاهلية وأزجرها
ولقد حكم بالقيافه .

قال أبو محمد : وإن العيوف ابنة الرابع ولدت لأبرهة ولدين العبد ذا
الأشرار وعمراً ذا الاذعار ، وفي العيوف يقول طرفة بن العبد بعد ذلك
الزمان ويقال أنه للرابع الجني حيث يقول :

لابنة الجني بالجو طلل	حله الرابع حيناً وارتحل
حرم الجن على الانس فمن	شاء بعد الملك والرابع حل
حل منه ذو منار أهله	فتولى الجمع عنه واحتمل
كل ما حل عليه رائد	أوقدت نار عليه فاشتعل
كم به من ذات دل حسن	وقوام ووسام ومقل
وجواد وهمام حازم	عاقه عنهم زماناً ونزل

قال أبو محمد : ثم إن أبرهة ذا المنار جمع الجموع العظيمة وسار يريد
المغرب أرض بابليون فأرسل إليه حلوان بن امرئ القيس بن عملاق بن
عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن بابليون بن سبأ بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم — وعمرو بن بابليون هو فرعون
ابراهيم بمصر -- فسار أبرهة يريد حلوان بن امرئ القيس إلى مصر أرض
بابليون ، وقد رجعت إليه الحبشة وبنو ماري بن كنعان ، فسار أبرهة بجموع
عظيمة حتى بلغ مأرب ثم سار حتى بلغ الأحقاف حتى بلغ نهر الحفيف ،
فأصابوا بنهر الحفيف نصل سهم قد رشق في شق من صخر في صخرة منيعة
وقد عفن القدح ، فذهب وبقي النصل فأخذوه فوجدوا بجانب منه مكتوب

بخط من ذهب :

لقلبك من بين الخليط سواد وحلت بمومة العراق سعاد^(١)
نأى النوم عن طرف المشوق فهل له بطرف الذي يهوى عليه سهاد
ألاهل إلى أبيات سمح بذي اللوى لوى الرمل يوماً فاعلمن معاد
بلاد بها كنا وكنا نحبها اذ الناس ناس والبلاد بلاد

وفي الجانب الآخر مكتوب :

ألا حبذا العيش السنين التي خلت وأيامنا دهر الملوك المقاول
خرجنا لنبي الملك للناس بعدنا ونتبع آثار القرون الأوائل
على عهد ذي القرنين والمرء حازم يموت ويحلى للأمر والنوازل
رأى سبباً والله بالغيب عالم فقام ولم يرقب مقالة قائل
فقرأوا تاريخ السهم فأصابوا مكتوباً فيه بالمسند لذلك السهم الف عام
مذ سقط في ذلك المكان : فسار أبرهة بجموعه حتى دخل مكة فنذر وأقام
حجه ، ثم أخذ على الشام يريد أرض^(٢) بابلين مصر وحمل ابنه العبد في
السفن إلى أرض الحبشة فبلغ ذلك الحبشة فولوا منهزمين ولحق أبرهة بحلوان
فتبع الحبشة على النيل وأمر حلوان أن يتبع بني ماريع بن كنعان إلى البحر
المحيط من أرض المغرب ، وسار أبرهة في طلب الحبشة وأن العبد بن أبرهة
مضى على وجهه في أرض الحبشة فقتل وسبي حتى تضلل ولم يدر أين يسير
وغرق في المخالب ، فكاد يهلك ويهلك من معه ، وكان العبد بن العيوف
الحنية ، فطلع على جبل من جبال أرض الحبشة في الليل ، فقال : يا معاشر
الجن أنا العبد بن العيوف بنت الرابع فاعطوني منكم دليلاً كيلا أضل فسمع

(١) لعله شراد .

(٢) ل - حلوان بن بابلين .

صوتاً وهو يقول :

خذ الجانب الغربي تنجو مسلماً على النيل تحذوك المناهل يا عبد
وخذ لبني حام من الأمر صعبه إذا ما بدت للناس أوجهها الربد
وعند حراج الأمر لو وبعده مقالة ليت لا يهولنك البعد
فانك تلقى أمة ليس مثلها على الأرض أقواماً جدودهم نكد
يكون مجال (١) عنده الموت نازل ويدخل فيه النحس اذ ذاك والسعد

فرجع إلى الموضع الذي أمره به فأصاب النيل ، فسار عليه شهراً حتى
فرغ النيل وانقطع عنه وذهب عنه أشهراً حتى لقي قوماً سوداً قصاراً (٢)
بيض العيون ليست لهم أعناق وجوههم على الصدور ، فقَاتَلَهُمْ فغلب عليهم
وأسر منهم أمماً وأصاب منهم مالاً كثيراً وأصاب إذ جاءهم الذهب يدخر
كما يدخر البر فغنم مالاً كثيراً وسبي أمماً من الحبشة ، وقدم اليمن وقد عبر
بحر النجاة (٣) ونزل بحرم مكة فجعل العرب يختلفون إلى الأسرى من الحبشة
ويتعجبون من خلق أمم مختلفة ، وأن أبرهة ذا المنار قفل من أرض الحبشة
راجعاً ، فأخذ على ساحل البحر حتى وصل إلى أرض بابليون ، ثم أخذ على
الشام وبلغ الدرب فلقيته هدايا الروم وأهل أرمينية ، ثم سار حتى بلغ مكة
فلقيه ابنه العبد بسبايا الحبشة . فرأى قوماً قصاراً فأمر بهم أن يمضي بهم
إلى أرض البحرين وعمان يخدمون المراكب فيزعمون أن النوتين الذين
كانوا بعمان والبحرين من بقايا سبايا الحبشة الذين سبي العبد بن أبرهة ، ثم

(١) لعله تكون بحال .

(٢) في الأصل عقار بيض العيون قصار الأعناق ليست ... الخ .

(٣) لعله البجاء .

رجع أبرهة إلى غمدان وهو دار مملكة التبابعة ، فكان ملك أبرهة ثلاثمائة سنة وستين عاماً ، ثم مات فرثاه المجهوم بن زيد بن غالب بن السياب بن عمرو بن ذي أنس بن قدم بن الصوár بن سكسك فقال :

أزفت خطوبك يا أبن هاتك عرشه
عاصيت ذا اذ لم يكن لك عاجل
فلقد بلغت من البلاد مبالغاً
قدت الجنود إلى الجنود سريعة
سرت الجيوش فأمعنت في سيرها
حتى وطئت جميع حيث تغلبت
أوغلت عبداً فاستقر به النوى
فسقيتهم سجلاً بكل مهند
فأتاك بالنسناس خلق وجوههم
زالت لك الشم الشوامخ هيبة
قالت لك الأرضون سمعاً وطاعة
قد قصرت همم الزمان عن التي
أنا هديت وأنت هاد للتي (١)
من ذا يجاري من سموك خطية
نخضع الملوك لوجه ملكك هيبة
لم تدر حتى صبحتك بذالك
وأطعت ذاك إلى مدى اذ لا لك
يا ذا المنار وضععت بحلالكا
وحملت منها على السفين كذالك
ما تهدي إلا بنور جمالكا
أسباط حام فاهتدت بهلاككا
حتى تشرد حالهم عن حالكا
حتى أبرت حرامهم بحلالكا
فوق الصدور وليس مثل رجالكا
لما قصدت إلى الوغى بنزالكا
لم تستطع أن تصطر لقتالكا
كانت لمن جر الكتائب سالكا
لما سعت لمتهى آجالكا
هيهات من يهدي لحسن فعالكا
لم ينج من حتم المنية ذالك

(ملك العبد بن أبرهة)

قال أبو محمد عبد الملك : عن محمد بن السائب الكلبي : لما مات أبرهة

(١) بالأضل كانت عرحرأ سالكا .

(٢) كذا فليتأمل .

ذو المنار ولي الملك بعده ابنه العبد بن أبرهة وهو ذو الأشرار ، وانما قيل
له ذو الأشرار لأن الحبشة هم الأشرار وكان العبد هو الذي غلب على جميع
أرض الحبشة وسباهم أمماً وساقهم في الأغلال إلى مكة ، وهو أول من رأت
العرب في زمانه داء الكلب . وداء الكلب داء يعرو الدماغ فيسكن من
حركته فلا يبرأ حتى يستقى الحمر بدم من دماء بني مذحج ، قال عبد الله
ابن حزم الأزدي :

وجوه بني زبيد ان تجلست إلى الأبصار تخطف كالبروق
إذا نطقوا يزينوه بعدل وان صمتوا على علم حقيق
وان فخروا آتوك بعز بأس وبالأفعال والحسب العتيق
دماؤهم على الأشفار أشهى إلى الكلبي من المسك الفتيق

وقال حصين بن الحمام المري لبني العنقاء حين أعطاهم ابنه ديا

زهينة فابوا :

خذوا ديتا بما أحدثت فيكم فليس بكم على داب غلاء
فلستم من بني عمرو بن عمرو ملوك والملوك لهم نماء
ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو دماء القوم للكلبي شفاء
زعم أنه من بني زبيد وذلك ان بني مرة بن سعد بن ذبيان يزعمون
أنهم من بني زبيد واما عبد الله بن حزم في قوله :

دماؤهم على الأشفار أشهى إلى الكلبي من المسك الفتيق
أراد أن دماءهم أطيب من المسك الذي ييري الدماغ عن داء الكلب
وذلك أن النتن (١) إذا خامر الدماغ أفسد طبيعته وأضعف قواه .

(١) كذا - ولعله السم .

قال عبد الملك : وولي أمر الملك العبد بن أبرهة بن الصعب فغزا الملوك ودانت له العرب والعجم وخضعت له الملوك فأقام في الملك ستين عاماً ، ثم سقط شقه من الفالج ، فلم يغز بنفسه وكان يرسل الجيوش فدخل عليه الوهن في ملكه ، ثم عدا عليه الفالج فمات وكان ملكه ستين عاماً .

(ملك عمرو بن أبرهة)

وولي الملك أخوه عمرو بن أبرهة وهو عمرو ذو الازعار وأمه العيوف بنت الرابع الجنية ، وقد أبى من هذا عامة الناس وزعموا أنه لا يظهر الجن للأنس وأنه لا يتناسل جنسان مختلفان ولا ينسل أنسي من جنية ولا جني من أنسية وإن هذا باطل وأتى بهذا الحديث علماء والله أعلم أي ذلك كان .

قال أبو محمد : لما ولي عمرو ذو الازعار الملك قهر الناس بالملك وذعرهم بالجنون فلا يرفق لقريب ولا بعيد وأسرف على العرب بالسلطان وشرد الناس ووسم من سخط عليه بالنار من أبناء الملوك وبدل على الناس السيرة التي كانوا عليها يعرفون . فدعر الناس من خوفه ذعراً شديداً وبه سمي عمرو ذو الازعار وأنه كان يزني ببنات الملوك من حمير ، فيؤتى بهن أبكاراً وغير أبكار فكن يشربن معه الخمر وكان ينادمهن على الخمر ويصيب منهن حاجته ، فلما فعل ذلك بحمير كرهوا أيامه وابتغضوا دولته وكان شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب (١) بن عمرو بن زيد بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ نازلاً بمأرب في قصر بينون ولم يكن بني مثله ومثل قصر غمدان وسلحين باليمن ، فجمع شرحبيل حمير وقبائل بني قحطان ممن كان بمأرب ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : يا بني قحطان

(١) ل - المتأب .

النساء هن الحمى فدون الحمى سفك الدماء هل جزعتم بسمكم بالنار فالنار ولا العار . والصبر صبركم وصبر كفر ^(١) . فقد صبرتم على ما لا يصبر عليه أحد . أغضبوا لله ولاعراضكم قبل أن تخذلوا ويسلط عليكم النقم وتسلبوا النعم وتلبسوا الذلة فلم كسبتم الأنساب ^(٢) واعتدتم اللامعات فتنافست فيكم الأحساب اذ لا تدفعون عن الحريم وتكشفون الضيم . قد شكت الأرحام وضجت إلى الله من الآثام . فاما عزة وسلامة أو ذلة وندامة وناصر الله منصور اما والله لئن لم تغضبوا لله ولا أنفسكم لأضعن سيفي هذا على صدري فأخرجه من ظهري . فالموث عن مثلكم حياة والذهاب عنكم نجاة فقدموه فيهم وملكوه .

(ملك شر حبيل)

فولى الملك بمأرب شرحبيل بن عمرو بن غالب فرجع الملك في نجلته ^(٣) ، الأولى نجلة يعفر بن سكسك ، فجمع القبائل من قحطان وأجابته حمير للذي أراد الله من انقطاع دولة ذي الازعار ، وبلغ خبر شرحبيل بن عمرو إلى عمرو ذي الازعار فجمع جنوده وزحف اليه وزحف اليه شرحبيل بن عمرو فالتقوا بالعالية فاقتلوا قتالاً شديداً ثم افترقا ومات بينهما خلق كثير ، ثم رجع عمرو ذو الازعار إلى غمدان ، ورجع شرحبيل إلى بينون فأقام شرحبيل في الملك سنة ثم مات .

(ملك الهدهاد ابنه)

وولى ابنه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهو الهدهاد أبو بلقيس الملكة

(١) كذا - والمعنى صبر حلم وصبر ذل - ح .

(٢) ل - الأسياف .

(٣) بالأصل نخلته .

باليمن ، وكان الهدهاد بن شرحبيل رجلاً شجاعاً حازماً .

قال أبو محمد ، حدثنا ابن لهيعة عن مكحول عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أنه لما ولي الهدهاد بن شرحبيل ، زحف اليه عمرو ذو الازعار وبرز اليه الهدهاد والتقوا بموضع معروف باليمن فتحاربوا أياماً فلما فصل العسكران ، وبرز بعضهما إلى بعض ، خرج الهدهاد على ناقة في زي اعرابي حتى وصل إلى عساكر عمرو ذي الازعار ، فطاف به وتدبر عساكره ، ثم سمع لغطهم وما يتوعدون به عمراً ذا الازعار من الخذلان واسترق ما يريدون له فزاده ذلك عزماً إلى لقاء عمرو ، فانصرف الهدهاد يريد عساكره ، فسار حتى بلغ إلى شرف العالية في يوم قاتل أجره^(١) فيه الصخور ، والتهبت الهواجر وقال الضب : فنظر إلى شجاع أسود عظيم هارب وفي طلبه شجاع رقيق أبيض فأدركه فاقتلا حتى لغبا ، ثم افترقا ، ثم أقبل الشجاع الأبيض إلى الهدهاد فتشبث مع ذراع ناقتة حتى بلغ رأسه إلى كتفها ففتح فمه كالمستغيث ، فرد يده الهدهاد إلى سقائه . فصب الماء في فيه حتى روي ، ثم عطف في طلب الأسود فأدركه فاقتلا طويلاً فلغبا فافترقا ، وأقبل الأبيض إلى الهدهاد كما فعل أولاً كالمستغيث فصب الهدهاد الماء في فيه حتى روي ، ثم أقبل على الأسود وأخذه ، فلم يزل الأبيض حتى قتل الأسود . ثم مضى على وجهه حتى غاب عنه ، ومضى الهدهاد إلى شعب عظيم فاختم في فيه ، فبينما هو مستر بشجر اراك إذ سمع كلاماً فراعته فسل سيفه فأقبل اليه نفر جان حسان الوجوه عليهم زي حسن فدنوا منه فقالوا : عم صباحاً يا هدهاد . لا بأس عليك وجلسوا وجلس

(١) بالأصل أحدهد .

فقالوا له : أتدري من نحن ؟ قال : لا . قالوا : نحن من الجن ولك عندنا يد عظيمة . قال : وما هي ؟ قالوا له : هذا الفتى أخونا من أبناء ملوكنا هرب له غلام أسود فطلبه فأدركه بين يديك فكان ما رأيت وفعلت فنظر الهدهاد إلى شاب أبيض أكحل في وجهه آثار خداهش . قال له : أنت هو ! قال : نعم ، قالوا له : ما جزاؤك عندنا يا هدهاد إلا أخته نزوجها منك وهي رواحة بنت سكن^(١) . فزوجوه إياها وقالوا له : لها عليك شرط لا تسألها عن شيء تفعله مما تستنكر منها فإن سألتها فهو فراقها قال : نعم ، قالوا له ارجع إلى قصرك بينون فإنها تأتيك ليلة كذا ارجع فلا تقم لأن عمر ذا الازعار رجع إلى غمدان بعد انصرافك عنه ، فرجع الهدهاد وفرق عساكره ، ولحقه الخبر أن عمراً رجع فجلس في الليلة التي أمروه أن يجلس فيها مرتقباً حتى أحس ثقلاً في القصر وهرب جميع من معه في القصر من ثقل الذي أحسوه ووحشة داخلت قلوبهم حتى أتوا بها إليه فأدخلوها عليه وأولدها ولداً ذكراً ، فلما شب وصار ابن سنة ، فبينما هو يناعيه اذ أقبلت كلبة من باب المجلس فأخذت برجل الطفل وجرفته حتى ذهبت به عنه فغاب فنظر إلى رواحة فسكتت وسكت ، ثم ولدت أنثى ، فلما صارت بذلك السن أتت الكلبة فجرت برجلها وهو ينظر فسكتت وغابت عنه ، ثم ولدت ذكراً ، فلما بلغ سن أخيه وأخته أتت الكلبة وفعلت كما فعلت أولاً قال لها : يا رواحة ، قالت له : كيف ؟ قال لها : أكف ما نال هؤلاء الأطفال ؟ قالت له : فارقتك يا هدهاد اعلم أنه لم يجر منهم أحد بل هم محمولون وتلك درة^(٢) تحملهم وتربيههم حتى يبلغوا خمس سنين فيأتوك

(١) في تفسير الآلوسي - ريحانة بنت السكن - ح .

(٢) ل - داية .

أنقياء . فأما ابنك الأول فقد مات أحسن الله عزاءك فيه وأما الآخر فإنه يأتيك وليس يعيش بعد أبي وهو يموت ، وأما ابنتك فإنها تأتيك وتعيش لك . ثم ذهبت عنه فلم يرها بعدها ووجد في الفراش ابنه وبنته بلقيس ، فمات الصبي وعاشت بلقيس ، وقد رد هذا الحديث عامة من العلماء ويقبله عامة من العلماء ، والله أعلم أي ذلك كان .

فأقام الهدهاد في الملك عشرين سنة فلما حضرته الوفاة أحضر جميع وجوه حمير وأبناء ملوكهم وأهل المشورة من بني قحطان فقال : يا بني قحطان أما انكم تعلمون فضل رأي بلقيس علي فإنها لا تخطيء ما تشير به عليكم كيف تجدون بركة رأيها ؟ قالوا : نعم قال : وانها أعقل النساء والرجال ، قالوا : نعم قال : فاني استخلفها عليكم ، فقال له رجل منهم : أيها الملك تدع أفاضل قومك وأهل ملتك وتستخلف علينا امرأة وان كانت بالمكان الذي هي منك ومنا ؟ قال : يا معاشر حمير اني رأيت الرجال وعجمت أهل الفضل وسبرتهم وشهدت من أدركت من ملوكها فلا والذي أحلف به ما رأيت مثل بلقيس رأياً وعلماً وحلماً مع أن أمها من الجن واني أرجو أن تظهر لكم عامة أمور الجن مما تنتفعون به وعقبكم ما كانت الدنيا فاقبلوا رأيي فإنها مع اختياري فيها مؤدبة لغيرها من أهل بيتها واني كنت سميت الملك لمالك بن عمرو بن يعفر بن حمير بن عمي وهو غلام له حزم وعقل فاذا بلغ فله الملك اما في حياتها واما بعد موتها . قالوا : سمعنا وأطعنا أيها الملك انظر لنا . فمات الهدهاد بن شرحبيل وولي الملك بلقيس .

(ملك بلقيس)

فلما وليت بلقيس الملك ازدرى قومها بمكانها لما كانت امرأة وانفوا

من ان يلي أمرهم امرأة وبلغ ذلك عمراً ذا الاذعار ، فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس ، فلم تكن لها طاقة فهربت مكتئمة بأخيها عمرو بن الهدهاد ، وهما في زي اعرابين حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي وهو جعفر بن قرط بن الهميسع بن مالك بن عمرو بن أسد بن هزان بن يعفر بن سكسك ابن وائل بن حمير بن سبأ . وكان جعفر بن قرط عمر ثلاثمائة عام ، وكان أنجد فارس في زمانه ، وكان في ثورة من قومه أسد بن هزان ، وكان قومه هزان لهم أرض جو وهي اليمامة ، وكان هزان أطول الناس أجساماً وأعناقاً وكانوا يعرفون في العرب حيث ساروا — وفيهم قال الشاعر :

لقد كان في فتیان قومك منكح وفتیان هزان الطوال الغرائق

والغرائق : الطوال الأعناق — ومنه قيل للغرنوق غرنوق لطول عنقه فسارت بلقيس حتى نزلت على جعفر بن قرط وهو في حصنه علعال على نهر الحفيف من أرض الأحقاف ، ونهر الحفيف هو الذي أظهر النبي هود صلى الله عليه وسلم لعاد بن لاوذ بن ارم الآية الباهرة حين هلكت عاد بالريح العقيم فأخر من بقي من هزان باليمامة كان بقي من طسم وجديس وراثش بن لاوذ بن أرم ، وهلك طسم وجديس وبقي سعدانة بن هزان بعدهم وبعد قومه هزان باليمامة وكان أطول الناس جسماً وعمراً فأقعد من الكبر وهو الذي هجم عليه عبيد بن عبد العزى الربيعي إلى اليمامة فأصابه جالساً وهو يأكل تمرأ من نخلة سحق وهو يقول :

تقاصري آكل جناك قاعداً إني أرى حملك ينمي صاعداً

فهجم عليه عبيد بالقناة ليطعنه ، فقال له سعدانة : لا تفعل يا عبيد قال له عبيد : ومن أنباك بي ؟ قال له : السلف يقولون بالعلم الأول آخر

من يبغي من هزان بن يعفر باليمامة أرض جور رجل يسمى سعدانة وأول
من يهجم عليه يجاوره فيها رجل من بني ربيعة بن نزار يسمى عبيداً ،
ولكن يا عبيد أجاورك قال له عبيد : لك سؤالك يا سعدانة ، وأنشأ يقول :

ان الليالي أسرعت في نقضي أكلن بعضي وتركن بعضي
حنين طولي وطوين عرضي اقعدنني من بعد طول نهضي
تركنني ملكاً لأهل الأرض أليس ذا زمني من قرضي
هواك تركي وهواي يمضي

فأجاره عبيد حتى مات ، وتمثل هذه الأبيات هزان بن سعدانة العمري
بعد هذا الزمان .

قال أبو محمد : وان بلقيس أتت جعفر بن قرط الأسدي ثم الهزاني .
فقلت له : أنا بلقيس بنت الهداد وهذا أخي عمرو أتيتك به هاربة
مطبعة فاجرني وأخي . قال : هلم يا بنية أمنعك مما أمنع منه نفسي وبناتي
فادخلي إلى بنات عمك آمنة . فأجارها جعفر بن قرط وأخاها عمراً وعمرو
ذو الأذعار يطلبها وأخاها فلا يجد لهما حساً . وكان جعل على نفسه جعفر
ابن قرط في كل عام عمرة يحج إلى مكة فيحرم بمكة شهر رجب ثم يرجع
إلى حصنه علعال ^(١) وجعل على نفسه بعد رجوعه عن العمرة يجاور قبر
هود النبي صلى الله عليه وسلم شهر المحرم كله حتى ينسلخ ، فكان يفعل
ذلك كل عام ، ثم يرجع إلى حصنه علعال ، فكان بين حصنه علعال وبين
قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم مسيرة يوم وهي مسافة وقد أخلى جعفر

(١) ل - علقال .

ابن قرط تلك المسافة من الناس فلا ينزلها أحد - كانت له حمى وكان جعفر ابن قرط رحل إلى قبر هود بالعيال والولد وكان غيوراً انفاً لا يصحبه في ظعنه ولد أدرك الحلم ولا ابن عم ، فرحل بأهله وولده الأصغر وسارت معه بلقيس وأخوها عمرو طفل لا يعلم بهما أحد من الناس ، فسار يريد قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم فأخذ على شاطئ نهر الحفيف بين النخل يأكل تمرها ويعلفه الحف والحافر وانه اذا نزل بالأحقاف بجوار قبر هود اتبعته السباع فيقاتلهم ويقتل من لقيه منهم ، ثم يخرج اليه تنين عظيم فيقاتله حتى يولى من بين يديه ويقول لأهله : لا تجزعوا فانه لص شيطان وانه كان لاجل بمأرب تحت السد يقال له عمرو بن عباد بن مهران بن عفار بن أود الله بن سعد العشيرة (١) . وكان صعلوكاً لا يقر به قرار ويطلب المبارزة في كل قبيل من العرب وفي كل أوب ، وتبعه على ذلك شريك بن عمرو ابن هلال بن أود الله وتبان (٢) بن ثور بن أسلم بن زبيد ، وكانا صعلوكين فاتكين جسورين على كل هول فتبعه عمرو بن عباد فسار بهما يطلبون الأموال وغيره القبائل لا يصطلي بنارهم ولا يسلم من لقيهم ، فبينما هم كذلك سائرين إلى أن رمت بهم الأرض إلى نهر الحفيف اثر ظعن جعفر ابن قرط فمشوا على الرسم واقتصوا الأثر حتى تراءى لهم جعفر يمشي كالشبح خلف ظعائنه فجدوا في طلبه حتى أدركوه وبينهما نهر الحفيف - وهو نهر ينهل فيه الرمل فيبتلع من سقط فيه - فطلبوا سرحة (٣) للنهر يعبرون منها اليه ، فلما دنوا منه ووقفوا في عدوة النهر قريباً منه رأوا شيخاً جالساً في سرجه كالنخلة ولحيته سقطت على عرف فرسه ، فانحرف عليهم

(١) ل - عمرو بن هوس بن عقال بن سعد الصيرة .

(٢) ل - بيان .

(٣) لعله سرحة .

بوجه كالمجن وقد بلغت ركبتاه حذاء أذني الفرس فقال لهم : من أنتم وما شأنكم ؟ قال له عمرو بن عباد : أنا عمرو بن عباد الأزدي وهذا شريك ابن عمرو الأزدي وهذا تبان بن نور الزبيدي لم ندع في العرب مثلنا بأساً ولا نجدة، فاسلم الطعائن وانج بنفسك . قال له تبان بن ثور : يا عمرو لا طاقة لنا بالشيخ اذهب عنه ودعه فلسنا من جيله ولا من خلقه ، قال له عمرو بن عباد : دع عنك الجزع قوة الشباب تغلب صلابة الهرم . قال عمرو بن عباد للشيخ : ما اسمك يا شيخ ومن أنت ؟ قال له : أنا جعفر بن قرط الأزدي ، قال له عمرو : وهل لك في المبارزة ؟ قال له جعفر : لو رمت غير هذا ما وجدته اللقيا ^(١) الحمى قد عرف الحق أهله ، فأنشأ عمرو ابن عباد يقول :

زم	المطى	قليلاً	فلست	تلقى	مقيلاً
حرمت	أهلي	ومالي	ونخت	فيه	الخليلاً
تذوق	عيناى	بردا	حتى	أراك	قتيلاً
يكون	أهلك	اهلي	إذا	أرأيت	الأصيلاً
جدوا	الرحيل	فاني	أبحث	خيلاً	فخيلاً
والدهر	طوع	تمني	اذ	ليس	دهري
قل	للزمان	يميني	ما	شئت	قيلاً

فقال جعفر بن قرط :

قد	كنت	عني	غنياً	فعش	سليماً
ما	أنت	والقول	في	تراه	فخراً

(١) في الأصل لورمت غيرها لم تجد شبكا إلى الحماط بالدماء وعج الحرير من الضيم عز والحل لعله - وهي كما ترى .

فحسبك الآن مني ان كنت قرماً كياً
فما أراك خؤناً ولا أراك وفياً

فهم يسايرونه حتى أصابوا سرحة عبروا عليها ورأوا الطعائن ليس فيها رجل غيره ، قالوا له : سلم الطعائن وانج بنفسك وحملوا عليه فثبت لهم قطعوه فألقى اليهم المجن فلم يعمل سلاحهم فيه شيئاً وحمل عليهم فولوا ، وثبت له عمرو بن عباد قطعنه جعفر فعقر فرسه ثم عطف على صاحبيه فعبرا النهر وعلما أنه لا طاقة لهما بجعفر ، ووفقا لينظرا ما يصير اليه أمر عمرو بن عباد ، فرجع الشيخ إلى عمرو فقال له : الق سلاحك واستأسر وإلا قتلتك ، فألقى سلاحه ونزل اليه الشيخ فكتفه وشد وثاقه إلى نخلة وتبان وشريك ينظران فقال تبان لشريك : الينا يريد فانج بنا ، ثم عبر اليهما من السرحة التي عبروا اليه منها فعطفا اليه في السرحة قبل أن يعبرها فقطعناه فألقى تبان الزبيدي عن نفسه قطعنه شريك بن عمرو فأصاب صدره فنشب سنان قناته في يلب جعفر فأخذ جعفر القناة من صدره فكسر السنان وجرحه جرحاً خفيفاً ، فلما نظر شريك إلى سنانه كسر ولى فأدركه جعفر فعقر فرسه ولم يرد قتلهم إلا أسرهم لأن الأسر أشهر ذكراً في العرب وهو مال . فان أطلق منّ وان أخذ المال استغنى ثم قال : استأسر يا شريك فإنه لا ملجأ لك من نهر الحفيف ومعاطشه ^(١) ، فجلس شريك بن عمرو على لوى رمل وجد جعفر في طلب تبان وكانت فرس تبان كلت لأنها جائلة الليل والنهار فأدركه جعفر وفرس تبان توضع يديها فأدركه جعفر قطعنه تبان فشك جعفر درع تبان وضربه على الكشح فأخرجها من صدره ولم تعمل قناة تبان شيئاً في يلب جعفر ، ثم عطف عليه ثانية فعقر فرسه وقال

(١) ل - مفاخته .

له تبان : لم عقرت فرسي يا جعفر وهي لك مال زيادة في الفداء ؟ قال له جعفر : اني قاتلك ، قال له تبان : ولم ؟ قال له جعفر : الجرح يقتلك ، قال له تبان : ليست بجائفة فانها سلكت في الكشح سلكاً فنزل إليه جعفر فحشى جرحه رملاً ثم ساقه بين يديه فأصاب شريكاً جالساً على جبل رمل فساقهما بين يديه حتى بلغ بهما إلى عمرو بن عباد فحل وثاقه وساقهم بين يديه ، فلما بلغ قبر هود عليه السلام نزل ونصب لهم قبة بعيداً من الحي ، ولم يزل تبان يتعاهد جرحه حتى برأ ، ثم قال لهم : هاتوا الفداء ؟ قالوا له : يا أبا عامر خذ منا ما رأيت ؟ قال : ادفعوا إلي جميع أموالكم حتى لا يبقى لكم سبد ولا لبد ، قالوا له : أو بالطف يا بن ملك الملوك ؟ قال : هو ما قلت لكم قالوا : وليس من ذلك بد ! قال : نعم ، قالوا : يا أبا عامر جميع أموالنا نأتيك بها . قال : أقم أنت يا عمرو وأنت يا شريك رهينة واذهب يا تبان سق لي الأموال . فلما عبر تبان نهر الحفيف وعلم منهم العزم على ذلك ركض في طلب تبان ، فلما رآه تبان جزع وظن منه الغدر فقال له بعد الأمن والرضا بالفداء : يا أبا عامر قال له جعفر : ارجع الذي رأيت أحسن من الذي رأيتم . قال له تبان : يا أبا عامر ملك الملوك ^(١) أنتم وجه الدنيا وشم العرب لم يضعكم الله مذ رفعكم ، فمضى به حتى رده إلى صاحبيه . قال له : يا أبا عامر الوفاء أشبه بك والجهل أشبه بنا . قال لهم : اني لم أعط نفسي منكم فداء ولا طمعت فيه ولكن كان مني سؤال الفداء ابتلاء لكم واختباراً اذ سألتكم جميع أموالكم فلم تبخلوا بها عن اعراضكم وأنفسكم وجعلتم أموالكم دونها فاحمدت لكم ذلك وجعلت العفو مني مكافأتكم وعلمت أن لانفسكم منكم وفاء ولو بخلم عن اعراضكم وأنفسكم

(١) لعله يا بن ملك الملوك - ح

بأموالكم لقتلتكم فأقيموا في رحب وسعة ودعة ، ثم يا بن عباد أردت الموت
فنأى بك الأجل واستعجل العفو وأنشأ يقول :

أتى يروع بابراق وارعاد الف المنية في قرب وابعاد
هلا مررت بعلعال فقلت له من ذاك يدفع عنك الشر يا وادي
بأبيض المتن صافي الماء ذي شطب وادهم أزرق الحدين وقاد
خل الظعائن تسلك جانب الوادي واصرف جراءك عنا يا بن عباد
لا تعرضن لقوم من بني أسد فان خلفهم ضرغامة عادي
يا أيها الراكب المزجي مظيته اذهب ودعني أمارس حية الوادي
أما قصدت ولم تخش الختوف إلى ليث العرين ولم تقصد ببيعاد
لا تسأم الناس والدنيا مزخرفة والناس ناس لا صلاح وارشاد
إذا مررت على نخل الحفيف فقل اسلم سلمت حريم الحاتم الصادي
أقوى الوجيف مغانيه فقد سلفت له هنيذة لم تسهل لرواد
حريم ليث يخاف الدهر سطوته يصول عن مجد اباء وأجداد
لم يعب بالموت إذا جاشت كتابه وقدم الحين امجاد الأمجاد
تسربل النقع والأبطال كالحة والروع يحفز أكباداً بأكباد
شد الازار على قلب وأورثه طيب المعيشة آباد الآباد
أردت قصداً إلى باب على عجل صفر اليدين بلا رحل ولا زاد
والدهر ينقض والأيام فانية يا بعد دهرك من أيام ميلادي
ما حيب العيش عندي غير واحدة خوف المذلة أن تنزل بجد جاد
يا وهب لا تسأمي لما لقيت ردى أو تحزني فالذي أسررت لي بادي^(١)
لاعرفنك بعد اليوم تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

(١) كذا في النسخ .

اني نذرت يميناً لا افندها حتى أجاور قبر العالم الهادي
جدجاد ابنته بكر في حجره لم يكن في وقتها أجمل منها ووهبة إحدى
نسائه لم يكن لها نظير ^(١) وان جعفر بن قرط قال للأسرى الذين في يده :
أقيموا حتى أقارع التين - وان التين آتاه في الوقت الذي كان يأتيه فيه -
فأخذ بيده شجرة أم غيلان وأخذ بيمينه خشبة عظيمة ^(٢) ، فإذا هجم عليه
التين أدخل الشجرة في فيه وضربه بالخشبة في الرأس ، فلم يزل يقاتله حتى كل
التين وانصرف ، وانه كان كذلك يفعل وهبت ريح باليمن فهدت الصخر
من قن الجبال وخذدت الأرض ونقلت أحقاف الرمل من مكان إلى مكان
فرعم أهل اليمن أنها كالريح العقيم هبت من جور عمرو ذي الأذعار
فكشفت تلك الريح جبلاً من رمل عن منبر هود النبي صلى الله عليه وسلم
فقال جعفر بن قرط : يا جدجاد دافعت عنكم أهل الدنيا وبأس أهل الأرض
ولادافع لأمر الله وغلبت الرياح النصيح ، وأنشأ يقول :

لم يبق يا جدجاد من لذاتي	الا نزال الجحفل الكماة ^(٣)
والصفرة الصديق من اللغات	وراحة النفس إلى الميقات
كم مشهد ارتاع من ابائتي	وفيلق أزور من قتاتي
امنع من نجران والجنان	ومسقط البحر إلى السفرات
ما واحدٌ قرني ولا عدائي	يرجون مني أسرع الغايات
قارعتهم بالموت بالساعات	إذ لا زعيم ضامن حياتي
وكل جمع فالى شتات	وكل حي في يد الممات
ما جاز حر الشعر عن أبياتي	بلغت منه غاية الصفات

(١) في الأصل - باره .

(٢) ل - وهو متقلد سيفه .

(٣) لم يتبين لنا صوابها - ح .

يكتب للشعر من الرواة فقدك يا جدجاد من فتاة
لا بد أن يذهل عن هبات قد عبث الدهر على منساتي
منتظراً فيه إلى دعائي إذا أزلت الرحل عن أبياتي
سأبقت أيامي إلى ميقات أبو بنين وأبو بنات
أحسب في الحي من الأموات هل مشر أبيعه حياتي

وان الريح هبت فكشفت عن منبر هود عليه السلام درأً وياقوتاً ،
وعن يمينه عمود من جزع أحمر مكتوب فيه بالمسند لمن ملك ذمار الحمير
الأخيار لمن ملك ذمار للحبشة الأشرار لمن ملك ذمار لفارس الأحرار لمن
ملك ذمار لقريش التجار فيقال ان هود عليه السلام كتبه ، وأنه من علم
الوحي وذمار غمدان ومأرب وصنعاء والعالية وما بينها . ثم رأوا عموداً من
جزع أخضر وفيه مكتوب بالمسند على باب مغارة هذا قبر قضاة بن مالك
ابن حمير ملك ثلاثمائة عام أدخل واعتبر وأخرج وأزدجر ، فدخل جعفر
ابن قرط وعمرو بن عباد وشريك بن عمرو وتبان بن ثور فأصابوا شيخاً
جالساً على سرير من ذهب أجمل من رأوا وأعظمهم جسماً وعليه ثوب
منسوج من ذهب وعلى رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالمسند : أنا
قضاة بن مالك بن حمير سخطت ورضيت . سخطت غدر الأمل ورضيت
حلول الأجل ومن لم يرض بالقدر جهل الخبر ومن لم يقنع بما أعطى تعب
ولم يطب له العيش - بعدما كنا زينة للناظرين صرنا عبرة للزائرين -
وتحته مكتوب :

أنا رب العتيق وغمدان ن وبينون والعراقيين حيناً (١)

(١) عمله - انارب البيت العتيق - ح .

(*) ربما وغمدان

والسديرين والهوى الأبيض القصر الذي شاد عابر للبنينا^(١)
وإلى الملك من سبا عبد شمس ملك الأرض والانام مثينا
ولي الأخضر الهنيق بالطلح اراعي عليه عيرا وعينا
ولقومي يدعو الحجيج لدى البيست يرون الحجيج ذلك دينا
حين كنا على البرية نوراً وغياثاً وزينة الناظرينا
فرمانا الزمان منه بصرف فمضى حكمه علينا وفينا
من رأنا رأى المنية تحدو ه الينا بذاك حتماً يقينا
ثم صرنا من بعد ذاك وهذا بالمغارات عبرة الزائرينا
أنا بين الرجاء والخوف امسيست مقيماً إلى التنادي رهينا
فأمر جعفر بن قرط بالخروج ولم يأخذ شيئاً من منبر هود ولا من كسوة
قضاة ومنعهم ذلك وان جعفر بن قرط أمر لهم بأفراس فحملهم عليها
وأذن لهم بالانصراف ، فانصرفوا . فلما بلغ عمرو بن عباد منزله هياً هدية
من جمال وخيل وغير ذلك وسار إلى جعفر بن قرط فأصابه في مكانه لم
يرحل عن جوار قبر النبي هود صلى الله عليه وسلم فدفع اليه عمرو الهدية
فقبلها منه جعفر وكافأه جعفر وأضعف له الهدية ونصب له قبة بعيداً عن
الحي وحمل عمرو معه خمرأ ، وكان استرق النظر فرأى جدجاده فهوياً
وهو أسير ، فلما آتاه جعفر بالطعام أكل وجعل يشرب الخمر . قال له
عمرو : اشرب من خمري يا أبا عامر . قال له جعفر : يا بني أنا راعي
الحي فان أنا سكرت ضاع الحي ، قال له عمرو : اشرب شرابي فهو بري
عندك فاني ضيفك ، فلم يزل به حتى شرب وعملت الخمر في الشيخ
فصرعته . فقام عمرو بن عباد فسل سيفه وضرب به رأس جعفر وجسده

(١) كذا فحرره - ح .

وابان رأسه من جسده وأخذ لحيته يجريها رأسه فلما نظر أهل الحي إلى رأس جعفر خضعن خيفة وليس في الحي إلا امرأة وطفل . قال لهم عمرو : زينوا جدجدا حتى أدخلوها ، قالت لهم : بلقيس : ويلكن اني أبدة ليس في الرجال مثلي ولا من يدافعني وقد أعدت مدية خوصية للملك عمرو ذي الاذعار - وهي أول ما عملت من الخوصيات باليمن مكرراً فجعلت نصاب المدية ذهباً ورأس النصاب ياقوتة زرقاء فتدخلها من مفرقها في قرونها حتى تخرج رأس المدية من شعر قفاها وتبقى الياقوتة والذهب على جبينها وهي زينة ولا يدري ما وراء ذلك ، فزين بلقيس ثم أتت بها إليه فقالوا : هذه جدجدا . وكانت بلقيس أجمل من جدجدا ومن نساء زمانها ، فلما رآها أنكرها وعلم أنها ليست جدجدا ، غير أنه رأى ما غلب على عقله ، فلما خلا بها في القبة هم بها قالت له : يا عمرو ان الابكار من النساء كالاناث من الخيل لا يسمحن إلا عن سهيل ومجاذبة ، وانما أرادت أن تعلم أين هو من قوتها ، ومد يده إليها ورأى أنه حاكم عليها فجذبها إلى نفسه ودافعه فغلبت عليه فأخذت يديه جميعاً بيدها الواحدة فأمسكته ، فلم يستطع معها حراكاً ، ثم مدت يدها إلى قرونها فسلت المدية فضربت بها نحره ، فلما وجأته ومات أخذت برجليه تجره في الحي وتقول : قليل لك هذا مني يا أبا عامر ، ثم قالت : لهن اسرجن فرس أبي عامر فركبته ولبست لامة أبي عامر وقالت ارتحلن من قبيل أن يشيع قتل أبي عامر فيتخطفنكن العرب من هذا الشعب . فرحلن ومشت خلفهن بلقيس كما كان أبو عامر يفعل . ولما رجعن إلى علعال بكين جعفرأ وشاع قتله في العرب وعرف عمرو ذو الاذعار مكان بلقيس فأرسل عدرو فأخذها وقالت لأخيها : لي حيل إذا لقيت عمراً أخدعه وأنت لا حيلة لك إلا الموت فاهرب ، فهرب عمرو بن الهدهاد - أخو بلقيس - إلى البحرين مكثماً في زي اعرابي فلم

يعلم به أحد . وسارت بلقيس حتى دخلت على عمرو ذي الازعار ، فأمر بالحرير ينادىها كما كان ينادى بنات الملوك ويفعل بهن ، فلما أخذت الحرير منه هم بها ، قالت له : أيها الملك سترى مني من المال أكثر مما رأيت من الحرص وحاجتي فيك أعظم من حاجتك في ، وسامرتة أحسن مسامرة ، فألهاه ما سمع منها وما أعطته من نفسها من القرب وهي تعمل فيه بالحرير دأباً حتى علمت أن الحرير عملت فيه ، فقامت إليه وسلمت مدينتها من قرونها ثم نحرته ، فلما مات جرتة فألقته في ركن مجلسه وألقت عليه بعض فرش المجلس ، ثم خرجت إلى الحرس في جوف الليل وقالت لهم : يأمركم الملك بفلان أن تأتوا به ، فلما أتوا به وكان يتبعه الوف من حمير ، فلم تزل ترسل إلى ملوك حمير وأبناء الملوك المسموع منهم المتبوعين ، فلما اجتمعوا إليها في قصر غمدان خرجت عليهم فقالت لهم : ان الملك قد تزوجني على أني برئت اليه من ملكي في حياته وأنتم تعلمون أنه لا يولد له ، فلما علم مني الخضوع بحقه والاستسلام لارادته والطاعة لأمره فوض إلي بعده ورآني أهلاً له وأمرني أن آخذ عليكم بذلك عهداً . قالوا : سمعاً وطاعة للملك فيما أراد ، فأخذت عليهم العهد ان لها الملك بعد عمرو ، فلما توثقت منهم قالت لهم : هل تسمعون من الملك فأدخلتهم المجلس قالوا لها : أين الملك ؟ قالت لهم : ها هو ذا وكشفت عنه فرأوه قتيلاً ، قالوا لها : من فعل هذا ؟ قالت لهم : أنا ولي العهد عليكم بالملك بعد موته وهذا هو قد مات وعهدي لكم لازم ، قالوا لها : أنت أولى بالملك اذ أرحتنا من هذا الرجس الجائر . فوليت بلقيس بنت الهداد بن شرحبيل ملكهم .

(ملك بلقيس بنت الهداد ملكة)

فوليت بلقيس ملك حمير وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابه ويزعم بعض الرواة أن تبع عمراً ذا الازعار لم يمت من سقط شقه من الفالج

وئذ لك قتله بلقيس وكان ملكه مائة سنة وخمساً وعشرين سنة فرثاه
المضرب بن وائل بن يعفر بن عمرو الحميري فقال شعراً :

عجبت للدهر وآوانه ^(١)	وصرف أيام له فأنيه
فبينما المرء يريد الهوى	اذ مال لا يبقى على باقيه
لو كان ذا الدهر اذا جاءنا	يختلب العبد وذا الداهيه
لو يعلم الدهر بما قد أتى	لم يعلن البيان من ناعيه ^(٢)
حال عن الدنيا بصرف الردى	يختلس الحاضر والباديه
عم على ملك لنا قاهر	مالك أنس في ذرى ساميه
وملك حيان هم أصله	لم يكن الباقي بذى راقيه
أخرج ذا الأذعار من ملكه	ولكن الدنيا إلى ناهيه
لم تلبس الشمس سرايلها	على ملك كان ذا تاليه
قد خسف البدر ولاذت به	لما تولى الأنجم الساريه ^(٣)

وقال عمرو بن الهدهاد بن شرحبيل يهجو عمرأ ذا الأذعار : وهو
أول هجو كان في العرب :

أصبح ذو الأذعار في رسمه	يأكله الجور الذي قدما
لم يحمد الله له سعيه	ولم يحرم دهره محرما
لم تبك عين بعده حسرة	ولم ير الدهر له مكرما
محت ضياء الدهر أيامه	فأصبح الدهر له اسحما
أربد وجه الدهر من دهره	فظل عرنين الرضى أكشما
عاصاه وجه الحق لما دعا	إلى ردى الجور الذي جحما
ينزل عن رفع العلى هابطاً	ولم ير الدهر له سلما
كم من فتاة طفلة غادة	تذكر من يوميه ما احرما

(١) في الأصل وبلواته - ولعله تلويته - ح .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) هذه الأبيات فيها تصحيف كثير فتأملها - ح .

وكم كريم ما جد سيد من حمير الأنجاد قد أوسما
شكت وجوه العدل أيامه أسلمه الحق الذي أسلما

قال أبو محمد : لما وليت بلقيس الملك قالت حمير رجع الملك إلى
نجلته ^(١) الأولى وذلك أنها من نجلة يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن
سبأ - وهي بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب
ابن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ - وعمرو
ذو الاذعار من نجلة الملطاط بن سكسك ، فكان الملك لأخيه يعفر بن
سكسك وفي بيته من قبل الملطاط وبيته ، وذلك أنه عمرو ذو الاذعار بن
أبرهة ذي المنار بن الصعب ذي القرنين بن الحارث ذي مرثد بن اهل
ذي مناح بن عاد ذي شدد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير - فلما
وليت بلقيس الملك جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكة فاعتمرت
وتوجهت إلى أرض بابل فغلبت على من كان بها من الناس وبلغت أرض
نهاوند وأذربيجان ، ثم قفلت إلى اليمن وكان حرسها الرجال الذين يوازرونها
وبطانتها النساء ، وكانت لا أرب لها في الرجال ، وأنها لما غلب عليها رسول
الله سليمان بن داود صلى الله عليهما تلوم أمره فيها حتى آتاه الوحي ببراءتها
من ريب الجاهلية فتزوجها وهي جارية عذراء ، وكان معها ثلاثمائة وستون
امرأة من بنات أشراف حمير ، وكانت تحبس الجارية حتى تبلغ ، ثم تحدثها
حديث الرجال فإذا رأتها قد تغير لونها ونكست رأسها عرفت أنها أرادت
الرجال فسرحتها إلى أهلها ووصلتها وزوجتها وأحسن إليها ولا تزوجها
إلا من أشراف قومها ، وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظمة لها أطالت النظر
غير متغيرة اللون ولا مستحبة من الحديث علمت أنها لا تريد فراقها وان

(١) ب - نخلته .

الرجال ليسوا من بالها ، فكانت بلقيس صائنة لنفسها غير واقعة في المساوىء ولا غافلة عن المكارم فكان ملكها قبل سليمان بسبع سنين . فلما أراد الله اكرامها بسليمان خرج مخرجاً لا يريد إليها ، وذلك أنه لما بلغ ملك حمير مبلغاً لم يبلغه أحد من أهل الدنيا عظمت نفوسهم وتكبروا وتجبروا (والله الكبرياء والجبروت) فأراد الله أن يريهم قدرته فأرسل الله سليمان بن داود بن ايشا بن حصرون بن عموم بن ناهب بن لاوى بن يهوذا ^(١) بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الله ملكاً لم يعطه أحداً من قبله ولا ينبغي لأحد من بعده فأتى إلى حمير بالآيات التي لا يستطيع مخلوق أن يأتي بها تقله الريح كما قال الله عز وجل (غدوها شهر ورواحها شهر) وتظله الطير وعلمه منطق الطير ومنطق كل شيء فما من شيء يسبح بحمده الا فهم تسبيحه وتسير معه الجبال إذا أقلته الرياح تسبح بتسبيحه وسخرت له الأنس والجن والشیاطين كما قال الله جل ثناؤه (كل بناء وغواص) لما أراد الله أن يهدي بلقيس وحمير ، فبعث الله نبيه سليمان بالآية الباهرة التي بهرت عقولهم ، فخرج سليمان مخرجاً لا يريد إليها فقضى أن يمر على بلدها وهو يريد غيرها وكان إذا ركب غدا من تدمر وكانت منزله فيقيل باصطخر من أرض فارس ، ثم يروح فيبيت بكابل فغدوها ورواحها مثل هذا المسير إلى كل وجه أخذ إليه - وقول الله أصدق القائلين (غدوها شهر ورواحها شهر) - وأمر سليمان الريح فأقلت عرشه وأمرها أن تنقل كراسي جلسائه ، ثم جلس على عرشه وأجلس الأنس عن يمينه وشماله وأجلس الجن من وراءهم على مثل ذلك منهم قاعد

(١) في الكامل - ايشا بن عوفذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عينو ذب بن رام ابن حصرون بن فارض بن يهوذا - والله أعلم - ح .

وقائمه . ثم قال للريح أقلينا وقال للطير : أظلينا ، فأقلته الريح وأعلته الطير ومن معه من الأنس والجن من الشمس والحيل واقفة والطباخون في التوايت جلوس على أعمالهم ، وأمرها سليمان بالمسير لا تزبل أحداً منهم عن مجلسه ولا تفسد عملاً في يده حتى يأذن لها في وضعهم على الأرض ففعلت ، وان سليمان سار في المشرق متوجهاً من تدمر ثم توجه من المغرب فمر بموضع المدينة فأمر الريح فوقفته ثم أمر أصحابه بالهدو وقال : أنها مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو خاتم النبيين أكرم مخلوق عند الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم سار إلى مكة فقال : هذا بيت الله الذي بناه إبراهيم أبي ، وهو أول بيت وضع في الأرض ، أمر الله به آدم بينه وبينه ، فنزل سليمان فصلى فيه ، ثم سار إلى مدينة مكة ومر بقبر اسماعيل صلى الله عليه وسلم فنزل إليه وألم به وكان ملك مكة يومئذ البشر ابن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عبد المسيح بن نفيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم - وكان البشر عاملاً لبليقيس على من كان بمكة وبالبحجاز ، وكان نبت بن قيذار بن اسماعيل النبي بمكة يومئذ وبنوعمه فأتى البشر إلى سليمان مستجيراً مستسلماً ، فأمره سليمان أن يبرأ من أمر مكة إلى نبت بن قيذار ابن اسماعيل وأقر البشر وجرهم على القيام بالبيت - كما فعل اسماعيل - ثم سار سليمان بن داود نحو أرض اليمن حتى نزل بنجران على القلمس بن عمرو - وهو أفعى نجران - وكان من بني عبد شمس بن وائل بن حمير ابن سبأ وهو عامل لبليقيس على نجران والمثلث إلى البحرين وما والاهما من البلد . وكان القلمس أفعى نجران أحكم العرب في وقته وكان حكيماً بما يظهر للناس في وقته وبما بطن عنهم - فلما رأى طوابع عساكر سليمان

طلعت ، فتواضع وذل وقال : تواضع وذلة تحت عز وسلطنة ان هذا شأن سماوي ، وان القلمس أفعى نجران جمع أهل نجران وهي دار العلم وقال : يا أهل نجران أنتم أهل العلم الأول هل عندكم من هذا العلم ؟ قالوا له : ما لم يكن عندك يا سيدنا وأنت جهبذ العالم فيكون عندنا ^(١) . قال لهم : اني البس لهم مسحاً وعباءة وأسير إليهم بثلاث : بكهانة وطب وحكمه ، فان كان فيهم نبي لم يحتاجوا إلى طبي وحكمتي لأن فيهم طباً أبلغ من طبي ولا يسمعون من حكمتي لأن فيهم من حكمة الوحي أحيا من حكمتي ولا يلتفتون إلى كهانتي ، لأن فيهم من علم الوحي أصدق من كهانتي ، فلبس القلمس المسح - وكان أول من لبس المسح يعقوب النبي تواضعاً لله - وحرّم الشحوم على نفسه - ويعقوب هو اسرائيل وتفسير اسرائيل ولي الله باللسان السرياني ومعنى اسرا ولي وايل الله وجبرائيل رسول الله جبرائيل رسول وايل الله وعزارائيل عبداً لله عزرا عبيد وايل الله وميكائيل صفي الله ميكائيل صفي وايل الله - فسار الملك القلمس بن عمرو الحميري حتى دخل عساكر سليمان فتعرضهم بالكهانة فلم يسألوه وعرض الحكمة فلم يلتفتوا اليه وعرض الطب فلم يسمعوا منه فتركهم ومضى إلى سليمان فرأى الريح تقله والطير تظله فرأى ملكاً عجيباً ، فدنا من سليمان فقال سليمان : يا آصف - وكان آصف كاتب سليمان - سبحان قاصف الجبابرة ذلك عميد نجران المبتكر ادعه فقال له آصف : هلم الرجل ، فلما وقف بين يدي سليمان سبح سليمان فسبحت الجبال فقال أفعى نجران : بطلت حكمتي ثم نظر إلى البقل بين يدي سليمان فكل بقلة تقول له : يا نبي الله اسمي كذا ذا لكذا فقال أفعى نجران : بطل طبي ثم قال لسليمان : ان هذا عميد نجران

(١) ل - فكيف عندنا ما ليس عندك .

له من الأمر أمران بين ضلال وبيان ، فأمن أفعى نجران وصدق بما أتى به سليمان . ورجع أفعى نجران إلى قومه فقالوا : ما رأيت ؟ قال : يا قوم (الرائد لا يكذب أهله) فارسلها مثلاً ولم يظهر لهم أنه أجاب سليمان إلى ما دعا إليه اتقاهم عن إيمانه ، ثم بعث إلى بلقيس يخبرها بنجر سليمان وكتبها إيمانه وكتب إليها ، فقال لها : إني رأيت قوماً لبسوا الذل تحت العز والفاقة تحت الغنى والصبر تحت القدرة ينصرون بلا حرب ويقدرون بلا استطالة فكتبت إليه بلقيس : تفعل الملوك ذلك يستميلون أهواء العالم حتى يقدرُوا فإذا قدرُوا عزوا فبزوا ولكن لا تحاربهم ودعهم فليس كل الناس صائناً لنفسه ، فإن سرقوا فليسوا بأهل دين ، فخلي أفعى نجران بينهم وبين الزرع فلم يأكلوا منه سنبلة ، فأرسل إلى بلقيس فأعلمها فكتبت إليه : ان ادفع إليهم الخف والظلف ففعل فلم يأخذوا منه شيئاً ورجعت إليه كما سارت ، فأعلم بذلك بلقيس . فأرسلت إليه : ادفع إليهم الخيل ذكوراً أنثاً ، ففعل فلم يأخذوا شيئاً ورجعوا على حالهم . فبعثت إليه ان ابعث اليهم بجارية حسناء واعطها شيئاً تطوف به على عساكرهم حتى تغمر بها فأرسل أفعى نجران ابنته ، ولم يكن في وقتها أجمل منها ، فطافت في جميع عساكر سليمان ، فكانوا يساوونها ولا يرفع إليها رأسه أحد حتى انتهت إلى سليمان فنظر إلى ما في يدها ولم ينظر إليها فرجعت وأعلمت بذلك أباها فكتب بها إلى بلقيس ، فكتبت إليه : كف ومل إلى سلمه ولا تعرض أجنادنا إلى أمر الله فإن الله لا يغالب . ثم رفع سليمان حتى كان من مأرب مدينة سبأ على مسيرة ثلاثة أيام ، أراد النبي سليمان النزول - وكان لا ينزل إلا على الماء - وكان الهدهد الذي يدلّه على الماء فتفقد الهدهد لأنه دخلت عليه الشمس من موضعه وكان مثل البطة . وقال الله تبارك وتعالى (وتفقد الطير فقال : مالي لا أرى

الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني به لمطان
مبين .

قال أبو محمد عن أسد عن أبي ادريس عن وهب عن ابن عباس ، أنه
قال : لأعذبه عذاباً شديداً ، أي لانتف جناحيه حتى لا يطير مع الطير .
وقوله بسلطان مبين : العذر البين والسلطان : الحجة . وكان الهدهد تقدم
من ذلك الموضع فلقي هدهداً من أرض مأرب فقال ذلك لهدهد سليمان :
أخبرني ما هذا الذي أرى ما رأيت ملكاً أعجب من هذا الراكب الريح
ومعه من الجنود ما أرى لم أره ولم أسمع به ؟ قال له هدهد سليمان : هذا
سليمان ابن داود نبي الله قال : فمن أنت قال : أنا من أرض سبأ قال له هدهد
سليمان فمن ملكهم ؟ قال : ملكتنا امرأة لم ير الناس مثلها في حسنها
وفضلها ورأيها وحسن تدبيرها وكثرة جنودها والخير الذي أعطيته في
بلدها وأمها من الجن ، مع هذا وهي من ولد حمير ، فقال : انطلق بنا
إليها . فانطلقا حتى نظر إليها ورجع إلى سليمان - قال الله تبارك (فمكث
غير بعيد فقال : أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين أني وجدت
امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن
السبيل فهم لا يهتدون) قال (سليمان) : (سننظر أصدقت أم كنت من
الكاذبين اذهب بكتابي هذا فאלقه إلیهم ، ثم تولى عنهم فانظر ماذا يرجعون)
فكتب سليمان كتاباً ودفعه إلى الهدهد فأخذه الهدهد بمنقاره وانطلق حتى
انتهى إليها فكان بحيال رأسها حتى حاذى تاجها وهي على عرشها القى
الكتاب فوق في حجرها فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى الكتاب
فقالوا : رمى اليك كتاب من السماء فخاضوا في ذلك ، ثم أنها بعثت إلى
مقاول حمير وكانت أول من استشار المقاول من حمير فقالت لهم : ما ذكر

الله في القرآن (يا أيها الملأ أني القي إلي كتاب كريم أنه من سليمان وأنه
بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وآتوني مسلمين . قالوا : نحن أولو
قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين ؟ قالت (لهم
تمتحنهم) : ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزاه أهلها أذلة
وكذلك يفعلون ، واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون).

قال أبو محمد . بعثت إليهم بهدية اختارت أربعين رجلاً لم تدع في
أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أشد ثقة ولا أبعد غاية ولا أعلى صوتاً
فعنقهم صوتهم ^(١) قبل أن يصلوا إلى سليمان وأرسلت إليه معهم بهدية
تمتحنه بمائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد كما ولدوا في ليلة
واحدة ، وأرسلت إليه بحق مملوء ذهباً وفضة ودرأً وياقوتاً وزبرجداً
وزمرداً ومحتمت على الحق ولبست الوصائف والوصفاء زياً واحداً ليظن
من رآهم كلهم غلمان ، وأرسلت إليه بخيل عتاق ذكور وإناث وقالت
لرسلها : مروه يخبركم بفرق بين الذكور والإناث من هذه الخيل بعضها من
بعض من غير أن يخبره أحد ، ومروه أن يخبركم بما في هذا الحق من غير
أن يفكه . قال : فتوجه رسلها حتى بلغوا إلى موضع لا يدركهم أحد .
فقال بعضهم : ان سئلم عن شيء فعليكم بالحق الذي لا اختلاف فيه
ولياكم أن يجيب كل واحد عن نفسه فيقع الاختلاف فيرتاب بكم ، فمضوا
وجمعت بلقيس أشراف حمير فقالت : خذوا في أهبة الحرب ، فجمعت
الجيوش واستعدت للحرب وقالت لقومها : ان هو قبل الهدية ولم يرد
الحرب ودعا إلى الله فهو نبي فاتبعوه وان هو لم يقبل الهدية ^(٢) ولم يعلمنا

(١) لم يظهر لنا الصواب في هذا .

(٢) الذي قصه الله عز وجل في كتابه خلاف ذلك - ح .

بما سألناه فهو ملك من ملوك الدنيا حاربناه فما لأحد بنا طاقة وإن كان نبياً فما لنا بالله طاقة - فلما أتت الهدية إلى سليمان نسب لهم الخيل بعضها عن بعض وميز الغلمان عن الجوارى في لباسهم وأخبرهم بما في الحق من عدد الياقوت والجوهر والزبرجد والزمرد ووزن العقيان واللجين . فأجابهم الرسل وصدقوه إلى ما دعاهم إليه من طاعة الله ، ثم دعا عفريتاً من الجن يأتي بعرشها - وكان عرشها ذهباً صامتاً مرصعاً بالدر والياقوت عشرين في عشرين ذراعاً ^(١) وتاجها كالعنقل ^(٢) معلق إلى رهو المجلس بالسلاسل فقال العفريت (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين) قال آصف بن برخيا - كاتب سليمان وقد كتب الوحي الذي أمر الله به سليمان - : (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) . فأمر سليمان الريح فأقلت آصف أسرع من طرفة عين فأتى إلى العرش وهو في قصر غمدان ودونه عشرة حجب بالمجالس في كل مجلس حرس ، فأمر آصف الريح فأقلته وأمسك آصف صدر العرش فأتى به سليمان وكان سليمان لا يحتجب عن آصف عند نسائه - فأتاه بالعرش ، وأمر سليمان الجن والأنس فبنوا له مجالس لم يبن مثلها فجعل العرش في أقصى المجلس ولما رأى سليمان العرش من ذهب ولؤلؤ وجوهر قال : (نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون) .

قال ابن عباس : زيد فيه جوهر وياقوت ونقص منه . وقال ابن عباس : للقرآن ظاهر وباطن : فعندي لظاهره تبيان ولباطنه علم يهتدي به إليه من اعتصم بالله . وإن وفد بلقيس الذين أوفدت إلى سليمان آتوها فأعلموها بما

(١) ل - طوله عشرون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع .

(٢) ب - كالميكل .

رأوا وبأيديهم : فأمرت بالجهاز وسارت في مائة رجل وعشرين رجلاً من
أشراف قومها ورؤسائها وأخبارها مع كل رجل من وجوه جنده وأفاضل
أصحابه وقادة خيله مائة رجل ، ثم جمعت أبناء الملوك ، ثم قالت : معاشر
حمير أنتم تلاد الله أصطفاكم من أول الدهور وفضلكم بأفضل الأمور وقد
ابتلاككم بهذا النبي سليمان بن داود : فان آمنتم وشكرتم زادكم نعمه وان
كفرتم سلبكم النعم وسلط عليكم النقم . فقالوا لها : الأمر إليك وعلموا إنها
شفقة عليهم ناصحة لهم فخرجت إلى سليمان في مائة ألف واثني عشر ألفاً
وتركت جميع أجنادها بغمدان وبمأرب فتركها ثلاثة أيام فقال لها قومها :
ما في أمر هذا الرجل أتريدون الدخول في طاعته أم تحاربينه أم تقولين انه
نبي ؟ قالت لهم : سأعلمكم منه ما تعرفون أنبي هوام ملك من هؤلاء الملوك
انظروا إلي إذا أنا دخلت عليه فان هو أمرني بالجلوس فهو ملك من هذه الملوك
لأن الملوك لا يجلس عندهم إلا باذنهم وما أقل من يجلس عندهم إلا خاصتهم
وان هو لم يأمرني ولم ينهني فهو نبي ومع اني أسأله عن أشياء ان هو أخبرني
عنها فهو نبي وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم بمحاربته قال : فأمر سليمان
الجن فجعلوا له عن يمينه وشماله حائطين موهين بالذهب وبنوا من وراء
ذلك داراً ومجلساً وجعلوا أرض الدار لبناً موهياً بالذهب غير موضع لبنة
واحدة ، ثم أذن لها بالدخول ، فلما رأت الحائطين ودخلت الدار فرأت
أرضها وحيطانها من ذهب تقاصر إليها ملكها ورأت شيئاً لا يشبه ما كانت
فيه وسليمان في مجلسه في أقصى الدار ومعها لبنة من ذهب في يدها تريد إن
أمرت بالجلوس أن تجلس عليها فنظرت فإذا هي على باب مجلس سليمان من
خارج بموضع لبنة من فرش الدار ليس فيها لبنة فكرهت حين رأت ذلك
أن تمضي بما في يدها ففتهم بها فرمت باللينة في الموضع الحالي وسليمان

ينظر فلما دخلت عليه وسلمت وحيته تحية الملوك وتواضعت له كما يتواضع للملوك تمتحنه بذلك . فقال لها سليمان : أهكذا عرشك ؟ قالت له : كأنه هو ، ثم قامت بين يديه فلا يأمرها ولا ينهاها عن القيام حتى إذا طال ذلك منها قال سليمان ورفع رأسه إليها : الأرض لله فمن شاء فليجلس ومن شاء فليقم . قالت : الآن علمت أنك نبي ، قال : ومن أين ؟ قالت : انه لا يجلس عند الملوك إلا باذنه وأما القيام فعندهم يقام وما أقل من يقعد عندهم إلا من كان من خاصتهم ، لكنك قلت مقالة أهل العلم بالله وقد أتيتك وأنا أريد أن أسألك عن ثلاث خصال فإن أنت أخبرتني بهن دخلت في طاعتك وإن لم تفعل فعلت رأيي فيما بيني وبينك . قال سليمان : فسلي ولا قوة إلا بالله . قالت : أخبرني عن ماء روي ليس من أرض ولا سماء ، وأخبرني عن تشبيه الولد أباه وأمه ومن أين يأتيه ذلك ، وأخبرني عن لون الرب تبارك وتعالى - وسألته عن ذلك وهي جالسة مما يليه على كرسي - والأنس والجن عن يمينه وشماله . فقال سليمان للأنس : هل عندكم في هذا شيء ؟ قالوا : يا نبي الله لا علم لنا . قال للجن : هل عندكم في هذا شيء ؟ قالوا : لا علم لنا يا نبي الله ، ثم قال سليمان للجن : اركبوا هذه الخيل فأجروها فإذا تصيب عرقها فخذوه وجيثوني به . ففعلوا وآتوه بماء كثير من عرق الخيل فقال لها : هناك يا بلقيس ماء روي ليس من أرض ولا سماء . قالت : أجبت عن هذه فماذا تقول في الخصلتين ؟ قال لها : أما شبه الولد ، فإن النطفة إذا سبقت من الرجل كان الشبه له وإن سبقت من المرأة كان الشبه لها - قالت : صدقت ، قالت : فالخصلة الثالثة ؟ قال لها : تبارك وتعالى عن سؤالك وأنا راغب إلى ربي ، فرغب سليمان إلى ربه في مجلسه ذلك فأوحى الله إليه - إني قد أنسيتها ذلك فاسألها عنه فاسألها -

فقلت : ما أدري ما سألتك عنه يا نبي الله فعرض عليها سليمان الإسلام .
فقلت : انظر في أمري هذا يومي هذا ، فقلت الجن : كنا نصيب في
سليمان رحمة النبوة : فيسأل عما نريد ^(١) فإذا هو تزوج بلقيس أتنا فطنة
الجن وحيل الأنس وكيد النساء فلم نصب راحة فكيف إذا اجتمعت مع
أعوانها من الجن والأنس أهل القسوة والتطاول على من دونهم لم نأمن على
أنفسنا الهلكة يحجب عنا كل خير وينزل بنا كل سوء وشر . تعالوا فلنر هذه
فيها فإنه قد ذكر أنه يريد يتزوجها ، فقال لهم عفريت من الجن يقال له
زوبعة : أنا أكفيكم سليمان . فأتاه فقال له : يا نبي الله بلغني أنك تريد
تزويج بلقيس وأمها من الجن ولم تلد جنية من أنثى قط ولداً إلا كان رجلاه
مثل حافر الحمار وساقه اجمان ^(٢) صلب القسوة حاد النفس حار الجسم ،
قال سليمان : فكيف لي أن أنظر إلى ذلك منها واعلم من غير أن تعلم ما
أريد به منها؟ قال له زوبعة : أنا أكفيك ذلك . فصنع زوبعة لسليمان مجلساً
من قوارير وجعل أرض المجلس لجة وسرح فيها السمك ، ثم جعل فوق
ذلك صرحاً ممرداً من قوارير ، ثم قال له : ارسل إليها فلتدخل عايك فإنك
ترى الذي تريد . فبعث إليها وهو على كرسيه ليس في البيت مجلس غيره ،
فلما رأت الماء والسمك تجول فيه ضربت ببصرها للتنظر مكاناً تجلس فيه فلم
تجد ، وحسبته لجة ، فكشفت عن ساقها لتخوض الماء فلما رآها سليمان
ونظر إلى ساقها عليهما شعر كثير أسود على بياض ساقها . قال لها
سليمان : لا تكشفني عن ساقيك انه صرح ممرد من قوارير . فنظرت فإذا

(١) في الأصل يريد .

(٢) لعله وساقاه اجمان - ح .

ملكها ليس هو شيء عند ملك سليمان وأيقنت أنها آية من عند الله ليس من تملك المخلوقين فقالت : يا نبي الله ظهر الحق وذهب الباطل ، ثم قالت (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) . فلما نظر سليمان إلى شعر ساقها ورأى جسمها أحسن جسم صرف وجهه عن ساقها للشعر الذي رأى ، فعلمت بلقيس أنه إنما صرف بصره ووجهه للشعر الذي رأى قالت : يا نبي الله ان الرمانة لا يدري ما هي حتى تذاق . قال سليمان : ما لا يحلو على العين لا يحلو على الفم ، ثم تلاوم سليمان أمره في بلقيس شهراً حتى أنزل الله عليه براءتها من ريب الجاهلية ، فلما عزم سليمان على تزويجها ، قال له رجل صالح من الجن — كان يحب ما وافق سليمان : يا نبي الله هل كرهت منها إلا الشعر ؟ قال : بلى ، قال : اني سأتركها لك مثل الفضة من غير عيب ، قال له : افعل . فصنع لها النورة وبعث بها إليها واتخذ لها الحمام — قال بعض أهل العلم : كانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام صنع ذلك الجنى وصنع لها ذلك الجنى صرحين ممردين وضروب الصناعات — وتزوجها سليمان فأعجب بها وبعقلها وتديرها بحسن رأيها فولدت له داود ورحبهم فأما داود فمات في حياة سليمان أبيه وبقي رحبهم بعد سليمان وسرح بلقيس على ملكها ونزلت بمأرب ، فكان يأتيها سليمان في كل شهر مرة فيقيم عندها سبعا ثم يسير في الأرض ، وكان يعينها بالشياطين يعملون لها . فعامة صناعات أهل اليمن من قبل الشياطين . وافتقت عنهم في الناس شرقاً وغرباً .

وان سليمان أمر الريح فسارت به إلى الأحقاف ليزور قبر هود النبي صلى الله عليه وسلم ، فسار حتى نزل في الأحقاف ودخل إلى قبر هود وراه ثم انصرف ومر على البحر حتى بلغ عدن .

قال أبو محمد : لما بلغ سليمان إلى عجز الأحقاف أمر الريح فأمسكت ،
ثم قال : وأشار بيده هناك ولي الله حنظلة بن صفوان صدق وكذبوه فنجا
وهلكوا وإلى الله المصير .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس
قال : ذكرت أحاديث القبور في مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ، فتشعبت بنا فيها فنون كثيرة فلم يبق منا أحد إلا حدث حديثاً ،
فأقبل رجل من جهينة يسمى جفينة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال (وعند جفينة الخبر اليقين) ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :
قد أتى من يحدث فيحسن . فلما جاءنا سلم ثم جلس ثم قال : أفيكم رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قلنا له : هذا رسول الله ، فقام إليه مسرعاً
فقبل يده فنفضها عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : ان هذا
حمقة من حمقات الأعاجم كانوا يستطيّلون على الناس بتجبرهم ، فإذا
جلسوا في مجالسهم فدخل عليهم من هو دونهم تملقهم بهذا يستجلب رأفتهم
وان تحية الإسلام المصافحة فقال : يا رسول الله اني أتيتك من ظهري قوم
جربتهم فقتل قلوبهم ومرنت على التكلّيب جلودهم وإني أحببت الإسلام
وأنتك فيه راغباً فاشرح لي إعلامه وادللي على فرائضه ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : يا بن عباس علمه من ذلك ما يفقهه . فمكث أياماً
فتعلم السنة وقرأ سوراً من القرآن وحسن فقهه . وان الأيام جمعتنا وإياه
في مجلس كما كنا أول مرة فأعدنا ما كنا فيه من أحاديث القبور ، فقال
جفينة : حدثني أبو قنبرة بن الغسان عن أشياخه قالوا : نزلت بنا جحرة

أزمة سنة شديدة أكل الناس خيلهم ، فلما أكلوا خيلهم مطيهم فكانت الذخائر التي لا يفضى إليها إلا في الجهد الشديد ، فلما أفنوها تتبعوا خشاش الأرض من الحرشة وأولادها من شدة الأزل فخرجت جماعة من الحبي في طلب النبات فاشرفوا على هجل ذي نبات جم ، فلما توسطوا ساحته رأوا غيراناً متقابلة تأوي إليها السباع وجن عليهم الليل في بعض ما كانوا يطلبون فأووا إلى غار منها وهم لا يعلمون البلد الذي هم فيه ، فإذا فيه أولاد سبع . قال : فحدثني رجل منهم يقال له مالك قال : فرأيت في الغار أشبالاً حين شدت قال فخرجنا هارين قال : فدخلنا وهدة من وهاد الأرض بعدما تباعدنا من ذلك الموضع فأصبنا على باب الوهدة حجراً مطبقاً فاعتونا عليه فقلعناه فإذا رجل عليه جبة صوف في يده خاتم عليه مكتوب : أنا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس، رسول الله وعند رأسه صحيفة نحاس مكتوب فيها بعثني الله إلى عريب ^(١) وهمدان والعرب من اليمن بشيراً ونذيراً فكذبوني وقتلوني . قال : فاعادوا عليه الحجر كما كان والصخرة في مكانها كما كانت .

عن هشام عن أبي يحيى السجستاني عن مرة بن عمر الأيلي عن الأصمغ بن نباتة قال : انا لجلوس ذات يوم عند علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في خلافة أبي بكر اذ اقبل رجل من حضرموت لم أر قط أطول منه ولا أكره وجهاً ، فاستشرفه الناس وراعههم منظره وأقبل حتى وقف فسلم وحيا ثم جلس فكان كالقائم فكلم أدنى القوم اليه مجلساً وقال : من عميدكم ؟ فأشاروا الى علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وقالوا : هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعالم الناس والمأخوذ عنه . فنظر اليه

(١) بالأصل غريب .

علي فقال . اجلس أيها الرجل . فقال : أنا جالس أيها الهادي فقال له
علي : من حضر موت أنت ؟ قال : نعم . ثم قام اليه الحضرمي فقال .

اسمع كلامي هداك ^(١) الله من هادي وافرغ بعلمك عن ذي لوعة عبادي
جاز التوائف من وادي السكاك إلى ذات الاماحل من بطحاء أجياد
تلفه الدمنة البوغاء معتمداً إلى السداد وتعليم بارشاد
سمعت بالدين دين الحق جاء به محمد وهو قرم الحضرم والبادي
فجئت متنقلاً من دين طاغية ومن عبدة أوثان وأنداد
ومن ذبائح أعياد مضللة نسيكها خائب ذو لوثة عادي
فادل على القصد وأجل الريب عن كبدي

سرعة ذات ايضاح ورشاد

والمم بفضل هديت اليوم من شعبي ثم اهدي انك المشور في النادي
ان الهداية والايمان شافية عن العمى والتقى من خير ازواد
وليس يفرج ريب الكفر عن أحد أضله الجهل الا حية الوادي

قال : فأعجب علياً شعره وقال له علي : لله درك ما أرصن شعرك !
قال : فسر به وشرح له الإسلام ، فأسلم على يديه وحسن إسلامه ، ثم ان
علياً سأله فقال له : أعالم أنت بحضر موت ؟ قال : إذا جهاتها ما أعلم
غيرها . قال : أتعرف موضع الأحقاف ؟ قال له : كأنك تسأل عن قبر
هود النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال له علي : لله درك ما أخطأت . قال :
نعم ، خرجت في عنفوان شبابي في غلمة من الحي ونحن نريد أن نأتي
قبره لبعد صوته فينا وكثرة ذكره فسرنا في بلاد الاحقاف أماناً وفينا رجل

عرف الموضع حتى انتهينا إلى كثيب أحمر فيه كهوف مشرفة فانتهينا إلى كهف منها فدخلناه . فأمعنا فيه طويلاً ، فانتهينا إلى حجرين قد طبق أحدهما على الآخر وفيه خلل يدخل منه النحيف متجانفاً ، فدخلته فرأيت رجلاً على سريرته فإذا مسست شيئاً من جسده أصبته رطباً لم يتغير ، ورأيت عند رأسه كتاباً بالمسند : أنا هود النبي آمنت بالله وأشفقت على عاد بكفرها وما كان لأمر الله مرد - فقال لنا علي - رضي الله عنه - : كذلك سمعت من أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابو محمد : لما نزل سليمان عدن وسار من اليمن بعثاق الخيل من بقايا خيل الصعب ذي القرنين ، أخرجت اليه الخيل من البحر الخيل الخضر فأعجبته وفتن بها فطفق مسحاً بالسوق والأعناق فانسته التسبيح والتهليل . وقال بعض أهل العلم : بل نسي صلاة العصر ، ثم ذكر الصلاة والتسبيح فقال : ليلوني أشكر أم أكفر ، فأمر بالخيل الخضر فعقرت فزعموا أنها ردت إلى البحر . ثم سارت به الريح حتى بلغ تدمر وكان لخاتمه نور يقوم بين السماء والأرض فيزدحم عليه الطير في الهواء على رأس سليمان . ثم أن خاتم سليمان سقط من يده فذهبت الطير وسكنت الريح لما أراد الله أن يرى سليمان ومن معه من المؤمنين أن الدنيا وما فيها إلى زوال ، ثم سلب الله سليمان ملكه ليتليه ، فلما سلب ملكه علم أنه لما نسي من ذكر الله فخرج هارباً يحول في الفياثي ويتضرع إلى الله وأن شيطاناً من الشياطين كان ساحراً كتب سحراً وجعله تحت كرسي سليمان وسحر به آصف كاتب سليمان وتمثل في صفة سليمان ، وصعد على كرسيه ودخل على نساء سليمان وآزره آصف وهو لا يعلم أنه شيطان ، فلما نظر آصف إلى فعل ذلك

الشیطان أنكره وقال : ابطال جوره على عدله (١) الأول ، ثم دخل على نساء سليمان فسألن عنه فقلن له : إنه يأتينا في المحيض وإذا طهرنا لم يقربنا ! وقال : أنكرت قضاءه لما رأيت من عدله وأظهره من جوره ، ثم بث ذلك الشيطان السحر في الناس فقال : ليس هو سليمان . ورد الله على سليمان ملكه - وقال بعض أهل العلم : ان الله تبارك وتعالى لا يمكن الشيطان من هذا فيخلو بنساء النبيين - وقال قوم ذلك ان الله ابتلاء لخلقهم والقتل أكبر من النساء وقد قتل الكافرون النبيين . قال الله (ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ، فلما رد الله على سليمان ملكه بقدرته وأتى فأصاب الحاتم فرفرف الطير على رأسه وعصفت الرياح وظافت به وهو يسبح وسبحت الطير والجبال بتسبيحه ودخل قصره وقتل الشيطان . ثم لم يمكث سليمان بعد ما رد الله عليه ملكه ونعمته حتى مات صلى الله عليه وسلم ، فكان عمره بعدما تزوج بلقيس أربعين سنة ، فلما مات صلى الله عليه وسلم قام بنجران القلمس بن عمرو بن قطن بن همدان ابن سار بن زيد بن وائل بن عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ - والقلمس أفعى نجران - وكان داعياً من دعاة سليمان بنجران آمن وحسن إيمانه فقام خطيباً في أهل نجران واجتمع مؤمنوا نجران فقال : أيها الناس ان الدهر أنذركم والموت أدبكم فهل تجدون من ذلك مجيراً وعنه محيداً ان الله لم يشرك أحداً في ملكه خلقهم للفناء واستأثر بعدهم بالبقاء . جعل الموت منهلاً ليس عنه مزحل ، ان سليمان نبي الله مات أعطاه الله ما لم يعط أحداً قبله ولا بعده فلم يك بذلك يدفع المقدور ولا يصرف المحذور ، ولما قرب الأجل اضمحل الأمل ونزل الموت عاياه بالفوت ، فهو لكم عارياً وأنتم له تراث

(١) لعله جوره وعدله - ح

فأضحى لكم نوراً وكنتم له مناراً ، فمن استمسك فقد أصاب ومن الحد
 فقد أخطأ . دعا فأصاب ودعي فأجاب ، غاب وشهدتم فأدوا ما سمعتم
 وعلمتم ، أيها الناس هيهات والله هيهات أصبحتم بين طبقتين من الأموات
 تسابقون الساعات وتنتظرون الميقات خلقتم قبل الوعد والوعيد وتقدمتم النبأ
 وجاءكم الخطاب وغاب عنكم الثواب وإلى الله المآب— خلقتم قبل كل شيء
 ولكم نفع كل شيء وعليكم ضرر كل شيء فعليكم الشكر ولكم النصر ،
 أيها الناس سمعتم وأبصرتم والسمع والبصر للفؤاد ، فمن سمع وأبصر نجا
 ومن لها هفا وعهد الدهر لكم هباء وثاركم جبار ولتعودن أخباراً ، ثم من
 بعد من أين إلى أين (١) ، ثم أنشأ يقول :

ألم يوجلك ذا الخبر اليقين	بذاك وان نأى وقت وحين
ألم تر كلما ولى وأودى	قرانا (٢) لا يعود ولا يكون
وما دنياك إلا حلم يوم	تنبه كي تدان بما تسدين
فان الزاد محفوظ إذا ما	تحمل عن مغانيه القطين
ألم تسمع بندي القرنين لما	تمكن عنده الملك المكين
وكان الصعب في الدنيا بصغو (٣)	وجد الدهر فيه له قرين
تقضي طول مدته فاخنى	عليه بصرفه دهر خثون
تعدت فيه أسباب الليالي	وأخرج من أمانته الأمين
فجاد بروحه لما دعتـه	دواعي الحين وهو بها ضنين
لقد جرى الخلود إلى مداه	وبان فأنجم الأفلاك جون
ألم تر صاحب الملكين أمسى	تحزمه عن الدنيا المنون

(١) كذا بالأصل .

(٢) لعله قرين .

(٣) في الأصل — بن الصعب .

وكان عليه للأيام دين
 رفاة ملكه يوماً^(١) سواء
 على الكرسي معتمدا عليه
 فخانته العصا من بعد ما قد
 فخانته فخر لها وخرت
 يسير بشر جمع لا وصل فيه
 وتضحى الجن عاكفة عليه
 فسخرت الجبال له جميعا
 فدان له الخلائق ثم قسرا
 بنوا صرحاً له دون الثريا
 تراه أملساً لا عيب فيه
 وقد ملك الملوك وكل شيء
 فأفنى ملكه كر الليالي
 وكل أخى مكاثرة وعز
 كذاك الدهر يفنى كل شيء
 وقد قضيت عن المرء الديون
 عليه الغث فيه والسمين
 يرف الخد منه والجبين
 لما به حين وحين^(٢)
 وصرح عندها الخبر اليقين
 تحار الشمس فيه والعيون
 كما عكفت على الأسد العرين
 عليها الطير عاكفة عزيز
 ودان الجن فيما قد تدين
 وأجرى تحته الماء المعين
 يحار بصرحه الدهن الدهين
 تدين له السهولة والحزون
 وخون الدهر فيما قد يخون
 على ريب الحوادث مستكين
 فيضعف بعد قوته المتين

قال ابو محمد : لما مات سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم ، ولي
 أمره في الخلق بعده ابنه — وهو وصيه وخليفته — رحبعم بن سليمان —
 وهو بن بلقيس — .

(ملك رحبعم بن سليمان عليه السلام)

فولي اليمن رحبعم بن سليمان سنة فآتاه رسول بني اسرائيل من بيت

(١) فيه ما فيه فليُنظر .

(٢) كذا بالأصل .

المقدس فقالوا له : ان أهل الشام ارتدوا بعد سليمان عن دين الله فاجتمعت
إليه حمير ، فقال له القلمس أفعى نجران : يا خليفة رسول الله أردت الشام
وأهلها أهل بأس وفتنة لا يعطون إلا عن قسر فاجعل سيفك دليلاً وعزمك
خليلاً وأن للكفر طرباً من القلوب لا يحول بينها وبينه إلا الخوف ولن
تخيفهم إلا بعزم وصبر وإن الله المعين . قال رحبهم : لله جنود بيت المقدس
ينصرون الله وينصرهم ، خذوا أهبة الحرب وأعدوا الجيوش حتى يأتكم
أمري فإن السنة محلة والجذب عام فتربص كل قوم من جيوش حمير عند
أنفسهم ومضى رحبهم إلى الشام وخلف أمه بلقيس بمأرب حاكمة على
اليمن ، وسار رحبهم إلى بيت المقدس فاختر من بني اسرائيل مائة رجل ،
فسار بهم على مدائن الشام فأجابوه إلى أمر الله حتى بلغ إلى أنطاكية فآتمروا
به فقتلوه وهم من الجبارين من بقايا بني ماريح بن كنعان بن حام بن نوح
فقتلوه وقتلوا المؤمنين الذين كانوا معه وتجر بنو كنعان بأخوانهم من القبط
ابن كنعان والنوب بن كنعان ، فلم يكن لبني اسرائيل بهم طاقة ، وبلغ
ذلك بلقيس وقد أدركها الهرم فلم تستطع النهوض إلى الشام ووقعت فتنة
باليمن فنبغ الثوار كل يدعي الملك وتغلب على من تحت يده ، وأرسل الله
تبارك وتعالى جنداً من الملائكة على أهل أنطاكية فأغاروا عليهم فخرج أهل
أنطاكية في طلبهم فاما فحسوا عطفوا عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوه
إلى باب أنطاكية فأغلقوا باب المدينة ونزل عليهم الملائكة في المدينة فقتلوه
أجمعين . فزعم أهل العلم : أن فيهم أنزل الله (وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ، فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها
يركضون ، لا تركضوا وارجعوا إلى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم
تسألون قالوا : يا ويلنا انا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى

جعلناهم حصيداً خامدين)

(ملك مالك بن عمرو بن يعفر)

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام : ثم قام الغلام الذي سماه الهدهاد ابن شرحبيل للملك - وهو مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن حمير بن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك المققع بن وائل بن حمير ابن سبأ - خطيباً فقال : يا بني حمير نطق الدهر وخرستم وانتبه الذل ونمتم ، أما ترون الجبابرة تجاهلت وكل يد تطاولت ، سفهت الأحلام وانتبه العوام والملك تراث أهل العزم والألباب دعوتكم ودعاكم الذل أجيبوا احدى الدعوتين فلكم نبأ والله قضاء وقد عهد اليكم الهدهاد عهدا فيه الفصل والسداد فأجابوه وقدموه في الملك فسمى مالك ناشر النعم .

قالت حمير : نشر لنا مالك الملك بعد الموت وأحياه بعد الهلكة ورده بعد الذهاب - فقال في ذلك النعمان بن الأسود بن المعترف الحميري :

أنا شر وجه العز من جدث القبر	أجدت على ما شئت من أجركم أجرى
حيث بروح الملك في كل شارق	تحية ملك في نماء إلى الحشر (١)
لعمري لقد جللت حمير نعمة	ستبقى لها فخر السيوف على ذكر
وراجعتها الملك الذي كان قد مضى	فأنت حسام الدهر ذي النعم الزهر
ولولا سليمان الذي كان امره	من الله تنزيلاً ووحياً على قدر
!! كان انس يبتغي أن يرومنا	ولا الجن إلا أن نساق على قسر
ولكن قدراً كان تحويل ملكنا	إلى ابن نبي الله داود ذي النصر

(١) هذا البيت والذي قبله كما ترى .

فنحن ملوك الناس قبل نبيه
ونحن ولاية الملك في الدهر ما بقي
نبي أمين أمره غير زاهق
شفيق رفيق واهب متفضل
محمد الهادي وأحمد اسمه
له أمة منا غطاريف سادة
يدينون دين الحق عن دين أحمد
وسوف ترى السودان من أرض حمير
يكون لها ملك لهم غير طائل
فيخرجهم ذو الشأن منها بقدرة
ويغلب آفاق البلاد بعزمه
يرد عماد الملك من آل حمير
بني حمير عدوا البلاء لغزكم
فليس ينال الغز من كان خاملاً

وقبل أبيه الحبر عصراً من الدهر
إلى أن يكون الدين قصراً إلى الحبر
رحيم بذى القربى لطيف بذى الوتر
أمين له أمر يؤول إلى أمر
رسول منير مشرق الوجه كالبدر
مصا ليتها أهل النكاية والصبر
يسرون في الدنيا على الحق بالنصر
من الاثل والأحقاف قسراً إلى هجر
يقيم بها عشرأ تؤول إلى عشر
ويقتلهم قتلاً ذريعاً إلى البحر
ويبقى بذلك الذكر في آخر الدهر
يقوم له إلا ملاك بالحمد والشكر
فإن المعالي لا تصاب بلا صبر
وليس يدينون العباد بلا قهر

قال أبو محمد فلما ولي الملك ناشر النعم أقر بلقيس على ملكها بمأرب
ولم يغير عليها شيئاً من ملكها - فقال الأعصم بن سام بن نوح بن زيد
ابن المنتاب بن زيد بن عملاق الحميري يرثي سليمان بن داود النبي صلى
الله عليه وسلم فقال :

فقال بالقسوة خير المنال
وخير خلق الله عند الفعال
علا على الناس بفضل الكمال

إن يكن الدهر أتى عامداً
معتمداً قهراً إلى ذي النهى
إلى سليمان بن داود إذ

فهدّ بالملك ذرى ملكنا
 هدى سريعاً بالهدى أمة
 يا خير مفجوع فجعنا به
 لئن بعثنا من بني حمير
 راحوا إلينا بالذي قاله
 دنا الذي نأى عنى أننا
 فلم يسرد حرباً ولكنه
 أقام رحبعم لنا دعوة
 انتقم الله له منهم بعاج
 فقام بالملك لنا ماجد
 يا ناشر الخيرات أحييتنا
 جلا بنور الوحي دين الضلال
 عارفة في الحق حسن المقال
 مصطفىاً بلقيس دهر الزوال
 فوارس الهيجاء يوم النزال
 قلنا الذي يسأل خير السؤال
 لم نعطه الذلة عند المحال
 مال إلى الرحمة قبل القتال
 من بعده يوماً كفى الظلال
 لى السيف وبرد الشمال
 يجود بالعرف وبذل النوال
 يا ناصر الملك على كل حال

قال أبو محمد وحدث أسد عن أبي ادريس عن وهب أنه قال - لما
 هزمت الملائكة أهل انطاكية الذين قتلوا رحبعم غلقوا باب سورهم وعلوه
 فهبت عليهم ريح الشمال ببرد صرفاً سقطتهم موتى ونزلت الملائكة
 إلى الباقيين فقتلوهم والله أعلم - وعاشت بلقيس بعد ابنها رحبعم سنة
 وماتت فقال النعمان بن الأسود بن المعترف بن عمرو بن يعفر الحميري
 وهو من بيت الملك وأبناء الملوك يرثي بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل :

• أخرج الموت من ذرى قصر بينو
 حمير الخير قد رأيتك عصراً
 فأراني إذا ذكرت هماماً
 يا لقومي لقد أراهم وللدهر
 ناعماً بالنأى قد أوطأت ذلاً
 ن هماماً على الحمادير^(١)
 ذا بهاء من قبل تقضي الأمور
 ملكاً قد تضمنته القبور
 صروف تمضي بهم فتبهر
 في شروق البلاد والخيل زور

(١) في هذه القصيدة أبيات غير مستقيمة .

وغروب البلاد ترجف منها وعلى ملكها السحاب المطير
 فهم اليوم حشوة في قبور وأرى ما بقي إليهم يصير
 صاح إن كان ملك حمير أودى جار فيه الزمان فيما يجور
 أوحش العرش من ذوي أهل عز ورمى للزمان كف هصور
 إن بلقيس قد أذل لها الملك سليمان واصطفاه قدير
 إذ رسول له الينا عجيب بكتاب وما آتانا غرور
 قد آتانا بذاك في الطرس سطرأ فاهتدينا وكل ذلك نور
 ذاك وحي من الآله بيان فاضا الحق إذ آتانا البشير
 هدهد من طيور أرض شام فرمى في الهواء على العرش نور
 باقتضاء الهدى إلى ملك بلقيس بغمدان إذ آتاها النذير
 إذ أتى آصف فاختر العرش ش سريعا وما لديه مجير
 لم تحس الاحراس نبأته حين تولى وكأنه مسحور
 أبصرت في الكتاب بلقيس عجباً فأتى منظر مهيب كبير
 أرسلت في ملوك حمير اني قد آتاني الغداة أم منير
 فاشيروا فقد رضيت بما قدتم فان الملوك ممن يشير
 فنطيب الصحاح منا لما جا و امر العباد لمر نكير
 قام أهل النهي وقالوا الخير ان منك السداد والتبشير
 نحن أهل الرشاد والملك والعز لنا البأس والردى محذور
 قالت الآن فاتقوا الذل منه كل ما قلت عنده معذور
 ان اسنى ما لدي من الرأ ي وفي ذاك للجواب ظهور

لا اطلاع الأنباء من خبر القو م وحكم من دونه مستور
 أرسلت بين عاتق و غلام مائة شبهت عليها الحرير
 وعتاقاً من الخيول تهادي وعليها من الملا تعبير
 وصنوف الفصوص حمراً وصفراً وعلى ذاك لؤلؤ منشور
 ولحين بحق عاج ودر مطبقاً ما يرى لديه فطور
 وأتى بالبيان والعلم وحيا وهداه به العليم الحبير
 كان ما كان بينهم من أمور وإلى ربها ترد الأمور
 وأتى الوفد بالجواب على الحين وكل بشأنه مأمور
 ثم ولوا بذاك من ذا وهذا ك وبأدوا وملكهم مشهور
 استعاروا من مالك الملك ملكا وإلى الله ما أعار يحور
 اسلموا ملكهم ولم يسلموا من غير فالردى عليهم يدور
 كل عسر وان تطاول دهرا بعده الموت ذاك عسر قصير
 قال ابو محمد : حدثنا أسد بن موسى عن زياد بن عبدالله عن محمد
 ابن اسحاق قال عبد الله بن عباس : أول من خرج من اليمن وشخص إلى
 أرض تهامة عملوق ويقال -- عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح
 النبي -- وأنشأ عملاق يقول عند شخوصه إلى مكة :

لما رأيت الناس في تبليبل وسائر مما درا النبأ الأول (١)
 يعفر في الجحيم الغفير المعضل فقال سيروا في البلاد الأمثل
 قلت اقومي قول من لم يجهل سيروا بجمع القوم في تمهل
 إلى يداني الأرض ذات القرمل نزلته حيناً ولما ارحل
 ثم رحلت عن مقام أطول إلى حريم البيت ذات الحرمل

(١) ل - زصار لنا ذو اللسان الأول .

وَقُلْتُ يَا طُصَمُ إِلَى فَاعْجَلْ نَحْلُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْأَفْضَلِ

فسار عملاق بينيه وبني بينه وهم قبيل كثير حتى نزل مكة وبها بقايا
مزان بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ ، ثم شخص بعده
أخوه طسم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم في
طلب عملاق وأنشأ يقول :

أني أنا طسم العلاء بن سام ووالدي لاوذ بن رام
لما رأيت من بني الأعمام عملاق قد سار إلى المقام
قلت لنفسي الحق في عام أخاك عملوقاً وذا الاقدام
وخلفي يافث وآل حام

فسار حتى نزل الطائف وأرض جو - وهي اليمامة - وإنما سميت
أرض اليمامة بالحارية الحادة البصر التي تسمى اليمامة ، ثم شخص جديس
ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح في أثر أخيه طسم - وقال سعيد بن
سعد بن جديس :

أنا ابن مأمون الحياة عبقر لما بدا عملوق ذو التهير (١)
إلى بلاد البيت ذي المحجر رأيت وجه الدهر في تغير
وفاض منا غير نكس امدر قضيت سيراً بالوجوه البصر (٢)
إلى حريم الأرض ذات المشعر من أرض سام جدنا المعمر
حتى نزلنا بالمقام الميسر

فسارت جديس حتى نزلت بجوار اخوتهم من طسم ، وكان طسم بنوه

(١) ل - التهور .

(٢) ل - طفقت اسري للوجوه النضر .

نزلوا مران من أرض جو وغلبوا على بقايا هزان بن يعفر بن سكسك
المقعقع، وكان بنو هزان قد هربوا من مكة وأرض تهامة وحرها إلى طيب
اليمن ، فما أقل من بقي منهم بمكة والطائف وجو . ونزل جدیس وبنوه
على هزان في بوادي جو فأساء جدیس وبنوه جوار هزان وتطاول عليهم
فقال الأعفف (١) بن هزان الهزاني في ذلك :

قد غرنا من دهرنا طول المنا وهرنا من دهرنا ما لزنا
وشتت الله عاينا أمرنا ثم اجتني الأحياء علينا بالفنا
قد غرنا الدهر لما قد غرنا أبناء عمرو ما نجوا من غمنا
قد تبعتهم غمنا ذوي الغنا

ثم سار قطورا ورائس ابنا لاوذ بن ارم بن سام بن نوح حتى نزلوا
بأجیاد . ولما ولي يعرب بن قحطان ملك مكة جرهم على بني عملاق وطسم
وجدیس ورائس وقطورا وجاور عملاقاً وكثر بنو جرهم بمكة حتى
شاركوهم بها . فأقام جرهم بمكة دهرأ طويلاً ، ثم مات وولي الملك بعده
ابنه عبد ياليل بن جرهم فولي عبدياليل بن جرهم بمكة الملك دهرأ
طويلاً ، وكان ملكه كملك أبيه من تحت ملك يعرب بن قحطان والملوك
من بنيہ . ثم مات عبد ياليل فولي الملك من بعده ابنه حشرم بن عبد ياليل .
فولي الملك دهرأ طويلاً وكان أجود خلق الله في وقته وانداهم كفا فعمرت
في زمانه مدينة مكة وكثر البناء بها وكثر الحجيج - فقال في ذلك الأسير بن
أسعد العملاقي يمدح حشرم بن عبد ياليل :

لابن عبد ياليل المعظم حشرم تناهى الندى فاقعد لذلك أو قم

لقد جر سجف العرف حتى اباحه تناول منه كل غان ومعدم
يرى ماله نهياً لمن رام أخذه كأن عليه فيه الوه مقسم
لقد ضاع من يستودع الذئب شأنه كما ضاع مال ضمه بيت حشرم
إذا عذت مما لا يطاق بعزه تعوذت بالحرمان من رأس جرهم

فولي الملك بعده ابنه عبد المدان بن حشرم الجرهمي دهرأً طويلاً ، ثم
مات فولي الملك بعده ابنه نفيلة بن عبد المدان بن حشرم الجرهمي وكان
عاملاً لعبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود . فولي
الملك دهرأً طويلاً ، ثم مات فولي الملك بعده ابنه عبد المسيح بن نفيلة الجرهمي
وغزا بالخيوش إلى أرض الحبشة وإلى بني ماريح بن كنعان ، وإلى الشام
فعمرت بذلك دهرأً طويلاً ، ثم مات فولي الملك بعده ابنه مضاض بن
عبد المسيح ، واسم عبد المسيح عمرو - فغزا بالخيوش وقاتل الأمم ،
فولي بعد ذلك دهرأً طويلاً ثم مات ، فولي الملك بعده ابنه الحارث بن
مضاض الجرهمي .

قال أبو محمد (١) في زمان شرحبيل وعمرو ذي الاذعار وقعت فترة في
ملك حمير فنبغ في بني ماريح بن كنعان بن جالوت بن هربال ، وقام
بالشام ونصره بنو حام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم ونصره القبط بن
كنعان بن حام من أرض بابلين ونصره بنو النوب بن كنعان بن حام بن
نوح النبي صلى الله عليه وسلم من برية أرض بابلين ، وكان طالوت داعياً
من دعاة النبي داود صلى الله عليه وسلم وهو طالوت بن روحيل بن شمعون
ابن خضر بن عمون بن واهب بن يهوذا (٢) بن يعقوب بن اسحاق بن

(١) في ل - عنوان ولاية الحارث بن مضاض الجرهمي .

(٢) قد تقدم في نسب سليمان عليه السلام ما يخالف هذا فراجع .

ابراهيم أمره داود بجهاد جالوت ، فخرج اليه في بني اسرائيل وأمره النبي داود أن يحمل التابوت الذي فيه السكينة ، فسار بين يديه وقال له داود : ان الله أنزل فيه السكينة وأسكنها قلوبكم وزلزل أكباد بني ماريح وقذف فيها الرعب فجعل طالوت التابوت بين يديه كما تسير العرب بالرايات وكما تسير العجم بالقبيلة فحمل التابوت على القنا ، ثم سار بريد طالوت إلى النبي داود صلى الله عليه وسلم يستمده فخرج داود عليه السلام بمن معه وكان طالوت عالماً بالحروب وبكل علم وأعطاه الله بسطة في العلم والجسم. فلما أتى داود انهزم جالوت وبنو حام وقتل داود جالوت ، كما قال الله تعالى (وقتل داود جالوت)

قال ابو محمد : كان بنو اسرائيل من بعد داود وسليمان يزحفون بذلك التابوت ، وذلك أنه لما حمى الوطيس واستمر الوغى القى بنو اسرائيل القنا من أيديهم الذين يحملون بها التابوت فسقطت وحملت التابوت الملائكة فوق رأس داود صلى الله عليه وسلم حتى هزم الجبارين وقومهم .

قال ابو محمد : لم يزل بنو اسرائيل يزحفون بالتابوت حتى كان في زمن الحارث بن مضاض الجرهمي بعد موت اسماعيل النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موت ابنه ووصيه نابت بن قيذار بن اسماعيل ، فبدل بنو اسرائيل دين داود وسليمان صلى الله عليهما وانتحلوا على الزبور كتباً انتحلوها وأنهم زحفوا إلى أهل الحرم وهم اذ ذاك عملاق وجرهم وبمكة بنو اسماعيل وكان اذ ذاك القائم والوصي فيهم بدين الله ودعوة اسماعيل هميسع بن نبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما. والملك يومئذ بمكة وما والاها الحارث بن مضاض الجرهمي ، فلما أتى بنو اسرائيل إلى مكة زاحفين بمن

نصرهم من بني اسحاق والروم الاول من أرض الشام برز اليهم جرهم في
مائة الف وعمالق في مائة الف فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم بنو اسرائيل ومن
معهم ورموا بالتابوت فأخذته جرهم وعمالق فأتوا به إلى مزبلة من مزابل
مكة فحفروا له ودفنوه فيها فنهاهم عن ذلك هميسع بن نبت بن قيذا بن
اسماعيل ونهاهم عنه الحارث بن مضاض الجرهمي فعصوهما وقال لهم
هميسع : ان فيه صحف الزبور وفيه السكينة فأخذهم الوباء بالغم وكانوا لا
يتداركون فعمد الحارث بن مضاض إلى التابوت في تلك المزبلة فاستخرجه
ليلاً وأخذه هميسع وكان عنده يتوارثونه وارث عن وارث إلى زمان عيسى
ابن مريم عليه السلام فإنه أخذه من كعب بن لؤي بن غالب ، فلما هلك
جرهم وعمالق غمّوا وغنوا جميعهم ولم يبق من عملاق إلا عشرون رجلاً
فكانوا مؤمنين على دعوة اسماعيل مع هميسع وثمانية رجال من جرهم مع
الحارث بن مضاض الجرهمي . فلما رأى الحارث قومه هلكوا ترك ابنه
عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي عند الهميسع وخرج هارباً يجرى في
الأرض هماً وغماً ووحشة لما نزل بقومه ، وشب ابنه عمرو وتغرب الحارث
ابن مضاض ثلاثمائة عام ، ولقد كثرت فيه الأمثال وسار بغربته الصوت حتى
ذكره حبيب بن أوس الطائي في الإسلام فقال :

غربة تقتدى بغربة قيس بن زهير والحارث بن مضاض
والفتى من تعرقته الليالي في الفيا في كالحية النضناض
صلتان اعداؤه حيث كانوا في حديث من ذكره مستفاض

هذه الأبيات في شعر له . وحدث ابن لهيعة عن أبي مخنف عن كميل بن
زياد النخعي عن علي بن أبي طالب رحمه الله عليه ورضوانه أنه حدث يوماً

عن غربة الحارث بن مضاض الجرهمي قال : أخبرني عبد مناف عن أبيه عبد المطلب بن هاشم أنه قال : أدركنا الحكماء والمعمرين وأهل الآثار بالعلم الأول من أهل تهامة يذكرون غربة الحارث بن مضاض الجرهمي المتوج فكل قد رفع الحديث إلى الياس بن مضر وكان الياس بن مضر مؤمناً . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تسبوا جدي الياس فإنه كان مؤمناً ولا تسبوا تيما فإنه كان مؤمناً) زعم ان الياس قال : سألت عمي اياد بن نزار بن معد بن عدنان بن ادد بن هميسع بن نبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال : قلت له يا عم ما كان أصل مالك ؟ قال لي : نعم يا بني مات أبي نزار وخلفنا ونحن أربعة أخوة—أنا ومضر وربيعه وانمار—وكنيت أكبر أخوتي فاستخلفني عليهم وأمرني إن لم يتراضوا في القسمة أن يرتفعوا إلى القلمس الحكيم—أفعى نجران—فبلغنا إلى أفعى نجران فحكم لي بالخف والظلف وحكم لمضر بالقبة وحكم لربيعة بالفرس وحكم لانمار بالأرض . فحلت علينا أزمة شديدة فأهلك مالي فلم يبق لي غير عشرة أبعة فكنت أكرى ظهورها وأعود به إلى أهلي حتى أتت رفقة إلى الشام من أهل مكة وأهل تهامة فأكريت ظهور جمالي وخرجت معهم وخرج أخوتي في الرفقة ربيعة ومضر وانمار فباع الناس تجارتهم واشتروا ثم اني أكريت ابلي إلى المدينة ، فلما بلغناها التمسث شيئاً أكرى فلم أجد ، وتواعد الناس للرحيل بالغداة وبيننا وبين مكة عشر مناهل ، فأمسيت مغموماً ، فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتاً كالرعد وهو ينادي ويقول : أيها الناس من يحملني إلى البلد الحرام وله وقر جملة درأً وياقوتاً وعقياناً ، فلا يجيبه أحد ، اشتغل الناس عنه بأموالهم ، قلت لنفسي ومالي لا أعطيه جملاًً فان كان صادقاً كان في ذلك الغنى وإن كان كاذباً لم يضرني ذلك ، فلم أزل أتبع الصوت حتى ظهر لي فإذا بشيخ كالنخلة

المسحوق أعمى ولحيته تناطح ركبته فراغني ما رأيت من عظم جسمه ، فلما دنا مني قلت : يا شيخ عندي حاجتك ، قال : ادن مني يا بني ، فدنوت منه فوضع يده على منكبي فكأنني أحس يده على عاتقي كالجلجل . قال : اياد ابن نزار ؟ قلت : نعم من أنباك باسمي ؟ قال لي : علمك عندي عن أبي عن جدي أن اياد بن نزار يرد الحارث بن مضاض الجهرمي إلى مكة من بعد طول غربته . فكم عندك من الجمال ؟ قلت : عشرة قال : يكفي . قلت : أمعك أحد غيرك ؟ قال : لا ولكني أركب الحمل يوماً ويحيد ^(١) قال : قلت أنا قد أنعمت له وبالله لا أرجع عن قولي أبداً ، قال : قلت له نعم ، قال : فمل بي عندك أبيت ، فبات عندي ، فلما أصبح رفع الناس يريدون مكة وحملت الشيخ أريد معهم مكة ليس معي أحد . فسرنا نهارنا أجمع إلى الأصيل فحيد جمل فقطرته وحملته بالغداة على غيره فسرنا ولم يزل يحيد لي جمل في جمل حتى بلغنا مكة وعلونا جبل المطابخ ، قال يا بني : أحس الحمل يحبرني جراً أواقع جزت جبل المطابخ ؟ قلت له : نعم ، قال لي : أيجاورك أحد يسمع كلامي ، قلت له : لا — قوماً أخرت وقوماً قدمت — قال : أتدري من أنا ؟ قلت له : لا ، قال لي : أنا الحارث بن مضاض بن عبد المسيح بن نقيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبدياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم — كنت ملك مكة وما والاها من الحجاز والتهائم إلى هجر والأنعمين وحضر العالمين إلى مدائن ثمود وكان الملك قبلي أخي عمرو بن مضاض — وكنا أهل تيجان — كنا نعلق التاج يوماً على رؤوسنا ويوماً على الرتاج بالبيت العتيق ، وأنه أتى رجل من بني اسرائيل بدر وياقوت تاجراً إلى مكة واشترى الملك أخي عمرو ما أتى به من الدر والياقوت ونقض الملك التاج

(١) كذا ولم يظهر معناه .

وزاد فيه العقيان والدر والياقوت وجعله كالمجن وان الاسرائيلي غيب أحسن ما كان معه من الدر والياقوت ثم عرضه على بعض الناس وبلغ ذلك الملك عمراً ، فأرسل إلى الاسرائيلي فأتى به فقال له : لم غيبت عني عتيق ما معك وبعثت مني نفايته ألم أبداك أملك في درك وياقوتك ؟ قال : نعم أيها الملك ، قال : فما حملك على ما فعلت ؟ قال له الاسرائيلي : هو مالي أيها الملك أبيع منه ما ما أحببت وأحبس منه ما أحببت . فغضب عليه الملك وأمر به فترع عنه ما معه من در وياقوت وكان يسيراً وان الاسرائيلي رصد الذي يحمل التاج إلى البيت يوماً ليعلق على البيت فعمد إليه الاسرائيلي فقتله وأخذ التاج وركب نجياً ورفع رأسه في أول الليل وأصبح الناس فلم يدروا من ذهب بالتاج واشتبه عليهم الأمر حتى أتى الخبر اليقين من بيت المقدس ، فأرسل الملك عمرو إلى بني اسرائيل - وكان صاحب أمرهم فاران بن يعقوب بن سبط بن يامين - يأمره برد التاج ويأخذ منه كفاف حقه ويطل له الدم الذي أصاب ، واعترف الملك بالزلة وندم عليه ، فأبى عليه فاران . فأرسل إليه الملك عمرو : أنه يعلق على البيت العتيق بمكة ولم يجعل في ذلك التاج غصباً قط ولا غلولا ، فأرسل إليه فاران أني أعلقه على بيت المقدس ، فأرسل إليه الملك عمرو : ان الله هو الغني ، فهل تسلب بيتاً لبيت فتعظم شعائر الله وتحلها بغلول ؟ فأرسل إليه فاران : نحن أهل كتاب أعلم بالله منك ، فأرسل إليه الملك عمرو : اعلم الناس بالله من أطاعه ولم يعصه ولم أر بيتاً يسلب بيتاً ولكن ملكاً يسلب ملكاً . فخرجنا اليهم في مائتي الف نحن جرهم في مائة الف وعملاق في مائة الف ونصرنا الأحوص بن عمرو العبدودي بطن من قضاعة بن مالك بن حمير في خمسين ألفاً من عبدود بن كليب بن وبرة بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير . واستنصر فاران بن يعقوب بقومه من الروم - وكان صاحب

أمر الروم شنيف بن هرقل - فنصره شنيف في مائة الف من الروم ، وخرج فاران في مائة الف من بني اسرائيل ونصرهم أهل (١) الشام في مائة الف ، فسار فاران بن يعقوب حتى نزل هذا الجبل وجاز عمرو الملك بمن معه حتى نزلنا هذا الجبل - جبل المطابخ - أفندري لم سمي جبل المطابخ ؟ قلت : لا ، قال لي : نعم لما نزل شنيف وفاران شرقي الجبل أوقدوا النيران وطبخوا . ونزلنا غربي الجبل فأوقدنا وطبخنا فسمي هذا الجبل جبل المطابخ . قال لي : فما اسم هذا الموضع الذي تريده ؟ قلت له : قعيقعان ، قال : أفندري لم سمي قعيقعان ؟ قلت : لا قال لي : نعم أصبحنا وأصبحوا تأخرنا لهم عن الجبل ونزلنا إلى سهب قعيقعان ، فلما تساوت بنا وبهم الأرض قعقعنا عليهم الجحف فسمي ذلك الموضع قعيقعان ، قال لي : أفندري وترى ربوة يقال لها « فاضحة » قلت له : نعم ها هي تلك وأنا أراها ، قال لي : فسمعت بيوم شنيف ؟ قلت له : نعم ، قال : أفندري لم سمي يوم شنيف ؟ قلت له : لا قال : نعم لما برز الجمع إلى الجمع برز من جمعنا أخي عمرو الملك وقال لي : يا حارث لك الملك بعدي . ثم تقدم اليهم فقال لهم : من ملككم وصاحب أمركم واني أنا عمرو بن مضاض . قيل له : آمرونا إلى شنيف بن هرقل ، قال لهم : ابرزوه لي لأكلمه . فبرز إليه شنيف فقال له عمرو : لم يموت الناس بيني وبينك ولكن ابرز إلي فان قتلتني سمع لك من معي وأطاع لك ولك جميع السلاح والحف والظف والحافر والذهب والفضة ، وإن قتلتك سمع لي وأطاع جميع من كان معك ولي ما فيه من جميع ما ذكرت لك ، آخذه منهم ان قتلتك . قال له شنيف : نعم . فتعاهدا على ذلك . ثم برز إليه الملك عمرو وبرز إليه شنيف فاختلفت طعتان بينهما ، فطعنه عمرو فقتله على ربوة فاضح ونزل

(١) بالأصل وسل .

إليه فجرّه برجله وفضحه كذلك فسميت تلك الربوة فاضحة لما فضح عليها عمر شنيفاً . ثم أرسل عمرو إلى فاران أن أعطني ما تعاهدت عليه مع شنيف ، فأرسل إليه فاران أعطيكه بمكة من أموال أهلها إذا غلبت عليها . فأرسل إليه عمرو يقول له : ما أشبه أول ظلمك بآخره وقد أوعدتك القتال غداً ، فقام الأحوص بن عمرو العبدودي في قومه خطيباً فقال : يا عشيرته ان الرأي اليوم ليس له غداً أوصيكم بشكر ذي النعم والغيرة للحرم والتمسك بالحسن والكف عن المن على المن وعليكم بالحمية فإنها وجه العز ولا ترضوا بالدنية ففيها التلف ، ولا تسارعوا إلى الحرب فإن فيها ذهاب المهج ، وان هجمت عليكم كرهاً فخذوها عزماً ولا تخدعوا عند اشتباهها فان لها شهات وشهوات تعمي القلوب وأحذروا كيد الحروب فانه يهدم العز ويسلب المجد ، وأنتم أهل الملك التالد والحرب الأول وبنو اسرائيل والروم ثوار في الملك والحروب ، فان زلت بكم قدم الحرب تقاعد أمركم بتقديم الملك وان تك عليكم الدائرة فهلاك الناس عند أول عثرة ، فاصبروا يحييكم ربكم . وان الملك عمرأ نهض اليهم بمن معه ونهضوا اليها فتضاربنا طويلاً فحطمناهم بالسيوف حطماً ، ثم كانت لنا عليهم الدائرة فقتلناهم قتلاً ذريعاً فبذلك سمي يوم شنيف . وأدرك الملك عمرو فاران بن يعقوب على تل فقتله فسمي ذلك التل تل فاران وقال الملك عمرو شعراً :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي يميني
قتلت شنيفاً ثم فاران بعده وكان على الآيات (١) غير امين
فللموت خير من مذلة خامل يضيء بها حقاً لغير قرين (٢)
ثم مضى في أثرهم إلى بيت المقدس فاذعنوا له بالطاعة وأتوه بتاج الملك

(١) ل - الحبلات .

(٢) كذا في النسخ التي بأيدينا .

فأخذه وكانت فيهم امرأة جميلة يقال لها وبرة ^(١) ابنة شمعون لم يكن مثلها في وقتها من سبط يوسف بن يعقوب ، فأرسلوها إليه تكلمه في أمر نزل بها ، وقد لبست حلها وحللها ، فلما رآها عمرو الملك فتن بها فتزوجها — وكان ذلك مكرراً منهم له — فلما خلا بها قالت له : أرضيت ؟ قال لها : نعم ، قالت له : فارضني ، قال لها : لك رضاك ، قالت له : ارحل عن قومي ولا تضرهم فقد تشفعوا إليك بي ، قال لها : لك ذلك . ثم رفع عنهم ، فسار حتى بلغ مكة وكان سار معه مائة رجل من أكابر بني إسرائيل رهينة بالولد والعيال على السمع والطاعة من قومهم . ثم نزل بأجياد ، ثم قال لي : أتدري لم سميت أجياد ؟ قلت : لا ، قال لي : نعم ، لما نزل بأجياد عمدت برة بنت شمعون امرأته على حسكة من حديد فسمتها ثم القتها في فراشه عند منامه بالليل وأعدت نجباً ورجالاً يردونها إلى بيت المقدس ، فلما القى عمرو الملك نفسه في فراشه شجته الحسكة جنبها ودخله السم فمات وهربت وهرب معها المائة رجل الرهائن . فأخذت فرسان جرهم وعمالق وبلغت تل فاران وليس لهم عنه محيد حتى اتوا ، فأخذتهم وأخذتها ورجعت بهم وبها إلى مكة فأصابته الملك عمراً وقد تناثرت مفاصله من السم فحفرت له ضريحاً وواريته ، ثم أمرت بالمائة الرجل فقدموا إلى السيف فقال المتقدم الأول للسياف : احتفظ لا ترفع ولا تخفض وانزل سيفك على الأجياد ، فسمي بذلك الموضع « أجياد » ، ثم وليت الملك بمكة وتوجت ورجعت إلى بني إسرائيل والروم وأهل الشام من كان منهم باللسان الأعجمي ، فخرجت إليهم في مائة ألف من جرهم ومائة ألف من عملاق فقاتلتهم بأمر ^(٢) فهزمتهم وكانوا زحفوا إلى بتابوت

(١) ل — مرة .

(٢) كذا ويحتمل أنه — بآمد .

داود الذي فيه السكينة والزبور فalcوه ، فأخذته جرهم وعملاق ودفنوه في مزبلة من مزابل مدينة مكة فنهيتهم عن ذلك فعصوني ، ولم يكن لجماعة قومي طاقة ونهاهم عن ذلك هميسع بن نبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فعصوه فعمدت إلى التابوت ليلاً فأخرجته وجعلت مكانه تابوتاً ودفعته إلى هميسع . ونزل بجرهم وعملاق الغم فماتوا أجمعين إلا يسيراً ممن نهي عن ذلك ، ثم أخذت برة لاقتلها فقالت لي : خدعت في مجلس الملك ودخل اليه نقيب بني اسرائيل وهو المقتول الأول ففعل ما رأيت ولا علم لي بذلك وكيف أفعل ذلك وأنا مثقلة منه ، وأمرت القوابل فأصابوا الحمل بينا وكان عمرو منع الولد غير بنتين كانتا له . فلما قيل لي ذلك أدركني أمرى وغلبت علي الشفقة فحطتها وأدخلتها داخل القصر وجعلت عليها حرساً حتى وضعت حملها فأتت بغلام سميته مضاضاً باسم أبي جده ، فشب فلم يكن في وقته أجمل منه وجهاً . ودبرت أمرى في قتل برة فقلت أقتلها لا آمن علي ولدها ، ولكن أترك أمر أمه في أبيه اليه ، ثم قال لي : أين أنت ؟ قلت : برياض الغرقد قال لي : بلغنا مكة دع عنك أن تقصد مكة وامض بي إلى ذات اليسار إلى شعب الاثل والطلح ، فلما بلغته قال لي : بلج بي يا بني حتى بلغت غيضة السمر والضال ، قال لي : مل ذلك اليمين ومل ذات الشمال حتى أدخلني مواضع ما دخلتها قط على أني بمكة مسقط رأسي وكنت أفتك فاتك بها صعلوكاً بكل سهب وحالق ^(١) ، فلما بلجيت في غيضة الزيتون قال لي : يا بني ابعدت وقد خلونا وثالثنا الله الشاهد العالم الواحد ، يا بني اذا أسديت إلى المرء نعمة وجب عليه الشكر وأنت أسديت إلي نعمة ووجب بها علي شكرك فعلي

(١) عنوان وصية الحارث بن مضاض لأبياد بن نزار .

لك النصيحة أو فلي النصيحة (١) ، يا بني أنبئك بما ينجيك واعلم ان ما به
أهديك أحب إلي مما به أغنيك ، يا بني هل ولد في بني مضر مولود اسمه محمد
قلت له : لا . قال : ان ولد والا فسيولد ويأتي حينه ويعلو دينه ويقبل آوانه
ويشرف زمانه فان أدركته فصدق وحقق وقبل الشامة التي بين كتفيه صلى
الله عليه وآله وسلم ، وقل له يا خير مولود دعوت إلى خير معبود أجب أو لا
تجب فان أمره يباريك إلى الموت ، فعند الموت يأتيك فاما هلك والا ملك فذهب
مثلاً . ثم قال لي : يا بني هل بلغت الزيتونتين ؟ قلت نعم : قال : ما اسم
هذا الموضع يا بني ؟ قلت : لا أدري ، قال لي : انزلي فأنزلته ، فقال :
اقصدي الزيتونتين ، فقصدت به نحوهما وبينهما صخرة عظيمة مربعة منحوتة
فطاف بها طويلاً فلمسها يديه علواً وسفلاً ثم قال لي : يا بني هذا الموضع
يسمى « موطن الموت » ، ثم بكى حتى غسل دمه وجهه ولحيته ، وأنشأ يقول :
أموت فقيداً والعيون كثيرة ولكنها بخلا علي جوامد
فلم تبق لي الأيام إلا مشذباً أمت حين لا تأسى على العوائد
ولكن سيبيكني العلائق بالسرى (٢) ويبكي على قبري البروق الرواعد
تمادت بي الأيام حتى تركني كمثل حسام أفردته القلائد
ونادى بي الأدنى واشمت بي العدى (٣) ويأمن كيدي الكاشحون الابعاد

ثم قال لي : يا بني أتدري لم سمي هذا الموضع موطن الموت ؟ قلت له :
لا ، قال لي : أتدري لم سمي جبل مكة ابا قبيس ؟ قلت له : لا ، قال لي :
أتعرف موضعاً يقال له الدار ؟ قلت له : نعم . قال : أفتدري لما سمي « الدار »
قلت : لا ، قال : أتعرف موضعاً يقال له « الجار » ؟ قلت : نعم ، قال :

(١) لعله النصيحة .

(٢) ل - العوائق بالضحي .

(٣) كذا في النسخ .

أتدري لم قيل له الجار ؟ قلت : لا ، قال لي : نعم يا بني ، انه لما شب مضاض
ابن أخي عمرو الملك لم يكن بمكة ولا ما والاها أجمل منه وانه كان من
بنات عمه من بيت الملك جارية تسمى ميا ابنة مهليل بن عامر صاحب الشعب
وكانت معه في نسق واحد وكانت أجمل من رآته العيون ففتن بها وفتنت به
وشب معها وشبت معه في حي واحد وصان مئزره عنها وكان ذلك خيفة
الطعن في الملك ، فلما بلغ بهما الهوى مبلغه وحذرا من الفضيحة أو السقم
والموت بعثا إلي فشكوا ما نزل بهما من شوق بعضهما إلى بعض فأرسلت إلى
مهليل بن عامر بن عمرو^(١) وأعلمته ما كان منهما ، فقال لي : أيها الملك أنت
وليهما افعل بهما برأيك وزوجها منه وقد هجم علينا الشهر الأصم رجب وكنا
لا نحدث فيه حدثاً غير العمرة والطواف حتى ينسلخ ، قلت له : يا مهليل
ينصرف رجب وافعل . وان مضاضاً اعتمر وطاف ، وبلغ ذلك ميا فاقبلت
تعتمر وتطوف متكرة غيرة على مضاض أن يتعرض متعرض ومضاض لا
يعلم بمكانها وان قبيس بن سراج الجرهمي من رهط حقير في جرهم رأى
ميا فهويها وهي لا تعلم ومضاض لا يعلم بذلك ، وكان قبيس يراعي أحوال
مي . فلما بلغه أنها اعتمرت خرج إلى الطواف ليقضي لبنته من النظر إلى مي
فكانت مي تطوف وتراعي أحوال مضاض ومضاض لا يعلم بذلك ويطوف
قبيس في اثر مي لا تعلم بذلك وان رقية بنت البهلول الجرهمي طافت وكان
يوماً قائظاً ، فطافت رقية بنت البهلول فعطشت عطشاً خافت منه على نفسها
الموت واحتشمت أن تقف لاهل السقاية وسدنة البيت من جرهم . فلما
أبصرت مضاضاً نادى به لشبيبته وحملها عليه حالة الشباب فقالت له : يا
مضاض اسقني جرعة من ماء فاني خشيت أن أموت ظمأ ، فأمر فناولها فرأته

(١) في الأصل ابن عمي .

مي حين ناول رقية الماء فاشتعل قلبها غيرة فسقطت مغشياً عليها وجعلت ترعد
ولا تدري ما هي فيه ، ونظر إليها الحبيب فقيل لهم : عرضت وان ميا
أدركت نفسها فقامت فلم تستطع الطواف وولت إلى منزلها ، وكان منزل
أبيها مهليل في سفح جبل مكة ، فأتت آباها فقال لها : ما الحبيب يا بنية افترق؟
ف قالت له : لم يفرق الحبيب يا أبت ولكن الموت لا يكرم إليك شكواي
واستعاني لأنك عمادي ورجائي ، قال : فما لك يا بنية ؟ قالت له : انصدع
قلبي صدعاً لن يلتئم بعدها صدعه ، قالت : يا أبت ان مضاضاً ابن عمي دعا
قلبي فاجابه ، فلما أجابه قذف الهوى خلف النوى قالت له : رأيته يلاحظ رقية
بنت البهلول وسقاها ماء ففارق روعي جسمي أسرع من طرفة عين ، ثم
تداركت أمري ورأيت أنه بدل حسباً بحسب وخطراً بخطر ولم يبلغ والله خطر
البهلول مهليل بن عامر ولا رقية بنت البهلول ميا بنت مهليل بن عامر ، قال
لها أبوها : صدقت لا ورب الكعبة ما يكون ذلك ، قالت له : يا أبت لن
والله أقيم بموضع يكون فيه مضاض بن عمرو ابداً وإني راحلة إلى أخوالي
جسر بن قين بن حمير من بلي (وبلى نسل من قضاة بن مالك بن حمير وكانوا
نزّلوا بامج ذات الضال)، فقال لها : لك ذلك يا بنية ، وأنشأت تقول :

مضاض غدرت الحب والحب صادق	وللحب سلطان يعز اقتداره
غدرت ولم أغدر وللعهد موثق	وليس فتى من لا يقر قراره
إذا جاءني ليل تملمت بالذي	دعا كبدي حتى تمسكن ضاره
أبيت أقاسي النجم والليل دامس	وللنجم قطب لا يدور مداره
إذا غاب لم أشهد وكان محله	محلي وداري حيثما كان داره
إذا هاج ما عندي لأول غيرة	علاه اشتعال ما يطاق استعاره

وان قبيس بن سراج آتاها وأنشأ يبت لها أخباراً ليفرق بينها وبين مضاض

لما رأى من غيرتها حين سقطت بالطواف فعمل شعراً على لسان مضاض .
وشعراً على لسان رقية وقال لها : يا مي رأيت عجباً ! قالت : ما هو ؟ قال
لها : رأيت مضاضاً واضعاً كفيه على قرون رقية بنت البهلول في الطواف وهو
يدافع عنها أهل الطواف سائحاً وبارحاً ، ثم استسقته ماء فناو لها سقاء بيده
فشربت وناولته ، فأنشأ مضاض يقول ، قالت له : ما الذي قال يا قبيس ،
قال لها : قال :

رقية قلبي قد تباین صدعه وللحب مني شاهد ودليل
رأيت الهوى يهوى وللوصل واصل فهل لك أن يلقي الخليل خليل

قال : فأجابته رقية فقالت :

أصون الهوى والطرف مني كاتم ولا يعلمون الناس إذ ذاك ما دائي
سوى اني قد فزت منك بنظرة تجرعت عذب الحب منه مع الماء

قال : فالتمستها حمية قول قبيس وجعلت تقبل بين خيام الحي مرة
وتدبر أخرى وهي لا تعلم ما هي فيه ، ثم قالت لأبيها : نذرت لله نذراً
يا أبت لترحلن غداً إلى أمج ذات الضال وانزل مع جسر بن قين ، قال لها
أبوها : نعم . وحملته الحمية والأنفة على ذلك لما استبدل بخطرته وقدره ،
وان رجلاً من أهل الحي بلغ مضاضاً فاعلمه بما قال قبيس وبما قالت مي .
فركب فرسه وأخذ سيفه وخرج يريد قتل قبيس وأنذر قبيس بمكان مضاض
فخرج هارباً في البیداء ، فما أدري أي الأرض انطوت عليه إلى يومنا
هذا . فلما لم يجد مضاض من قبيس أثراً وأعجزه هرباً ، رجع إلى مي
وأصاب أهل الحي يحتملون وأصاب مياً راكبة على نجيب في هودجها
فقصدها وقال : يا مي أعيدك بالله أن تغدري من لم يغدرك وهذا موقفي

بين يديك فجودي لمن لم يحترم جرماً ، وقال :

يعشى عن الناس لحظ طرفي وعنك يا مي غير عاشي
أتهجريني بغير ذنب وتقتليني بقول واشي

قال فولت عنه وعيناه تغرورقان دموعاً وتبعها وهي تقول :

كذبت هوى وحنثت إذا يميني إذا طالبت إثرأ بعد عين
سأرحل والفؤاد له وجيب واقطع للنوى بيناً بيني
إذا شط المزار عن ابن عمرو نزلت بغربة جسر بن قين
كأني حين أطلبه وصالاً ويصرمه أطلبه بدين
تعست إذا وخان أبي وأمي وبعث بعارها زيني بشين

وتجهمته وزحفت غضبي وتمادى الحي للرحاة ومضوا وافترق الحي
من سفح الجبل^(١) أبا قبيس لما فرق قبيس بن سراج من جمعهم منه -
وإن مضاضاً لما ظعن الحي رجع فركب ناقة وبدل زيه وخرج في طلب
الحي وكان له خليلان من بني عمه عمرو وعامر فركبا في أثره حتى لحقاه
فقالا له : يا مضاض خلعت تاج الملك بطلاب الهوى قال لهما : غلب الهلع
التجلد والجزع الصبر والهوى حاكم والقلب محكوم عليه - وأنا إذ ذاك
غاز إلى بني إسرائيل نزلت إليهم بجبل طورسينا - ثم بلغت امج فنزلت
فجعل عليها عيوناً يأتونه بأخبارها ويطوف حول امج من حي إلى حي
ولا يعلم من هو ومعه خليلاه عمرو وعامر - فقال :

أعلل قلبي بالمتى ولعلها تقول ابارت لابن عم مقادره
وترثي لمفتون الهوى ولعلها تصدق حباً صدقته سرائره
يظل يراعي الحادثات نهاره فإن غبن عنه فالقمير مسامره
يحارس طرفي الشبه من أم غالب أناظر من أشباهها ما تناظره

(١) لعله سقط من هنا فسمى الجبل - ح .

لعل فؤاداً كنت قبل فؤاده يرق لمن أرجأه بالموت ناصره
فإن كان صدق الناس صدق منيتي فإن رجائي صدقته خواطره^(١)
لئن بان من مي مدى الوصل فانقضى لقد حل من محذوره ما أحاذره

قال: وأتاه آت فقال له: إن أهل امج يريدون الرحيل إلى خريف
نجد وأن مهليل بن عامر يريد الرحيل إلى مكة فاستبشر بذلك فقال:

خليلي من امج فارتعنا على الضال من ميّ حتى تريما
لهوت ولم أدر حتى بدت لي الشمس تحتل ليلاً بهيما
غزال يسف برير الأراك غرير يطرف طرفاً سقيماً
مهاب السنام وغصن البشام^(٢) وبدر التمام تبدي الغيوما
فظل فؤادي غريق الهوى وظلت جفوني تراعي النجوما
أعمرو وعامر إن تظعننا فإني على الضال أمسي مقيما

ورحل مهليل يريد بيت مكة وإن مضاضاً سار مع خليليه حتى
لقبهم بالجار فغلب فرط الصبابة على مضاض فتعرض لها في طريقها
فقال لها يامي اتقي الله إن تغدريني:

علام قبست النار يا أم غالب بنار قبيس حين هاجتك ناره
على كبدي حرى وأنت عليمّة بغيب رفيق لا يبين ضماره
سألتك بالرحمن لا تجمعني هوى عليه وهجر أنا وحبك جاره
فتهجمته وولت غضبي وهي تقول:

أبى حسبي من أن يهان وأن يكن وقد قدحت فيه العداة ذليلاً
فأبديتني للناس حتى نصبتني وأبديت من نفسي إليك خليلاً

(١) كذا وهو غير ظاهر - ح (٢) ل مهابة البشام كبد التمام - بدا في الظلام يجعل الغيوما .

فلما تساوى الحب والأمر مقبل عدلت ولم تظهر إلي جميلاً
رأيت مكاني حين وليته معرضاً إلى حسب البهلول كان قليلاً
فرجع إلى عمرو وعامر فقالا له ما قالت : قال لهما : قالت :

تصد بلا جرم علي بوجهها وتبعدني لما أردت التقربا
كأنني أنادي حية حين أقبلت سفاها فما تزداد إلا تغضبا

قال : فسمي ذلك الموضع الجار لقوله :
سألتك بالرحمن لا تجمعني هوى عليه وهجراناً وحبك جاره
قال : فمضى حتى أتى مكة فغلب عليه الهوى ورجع ^(١) منها عاطفاً
فتعرض لها بالموضع الذي يقال له الدار ، فقال لها :

علام قبست النار يا أم غالب بنار قبيس حين هاجتك ناره
على كبد حرى وأنت عليمة بغيب رفيق لا يبين ضماره
سألتك بالرحمن لا تجمعني هوى عليه وهجراناً وحبك جاره
فان لم يكن وصل فلفظ مكانه اليه والا موطن الموت داره

قال : فولت عنه وتجهمته وقالت له : والله لا ألقاك بها أبداً ، فولى إلى
صاحبيه وقال : والله لا أشرب بعدها ماءً أبداً ، وولى وأنف أن يدخل مكة
ومضى معه صاحباه يستعطفانه على شرب الماء ، فأبى لهما فجال حتى غلب
عليه العطش وانصدع قلبه في صدره لما خامره اليأس حتى بلغ هذا الموضع
فغشيه الموت ، فأناخ ناقتة وأخذ رأسه عمرو وجعله في حجره وقال له :

(١) لعله ورجا منها عطفاً - ح .

قصفتك الدهر يا مضاض ، ففتح عينيه وقال له : قصفتني قبيس ، وقال :
وكانت مي تكني بأُم غالب :

علام قبست النار يا أم غالب
على كبد حري وأنت عليمه
سألتك بالرحمن لا تجمعني هوى
فان لم يكن وصل فلفظ مكانه
خليلي هذا موطن الموت فاندبا
سلا صاحب الخيمات عن قبر هالك
يحن له عود الصوار كأنها
فيا ليت شعري عنك يا مي ما الذي
فيا ليت شعري عن قبيس بن شارح^(٢)
خليلي عوجا بي إذا مت وأبكيا
صريع هوى نائي المحلة نازح
على أنه قرن اذا هب طارق
عفيف عن الفحشاء في كل حالة
فيا شجر الزيتون ويلاك فاندبا
بنار قبيس حين هاجتك ناره
يغيب رفيق لا يبين ضماره
عليه وهجراناً وحبك جاره
اليه والا موطن الموت داره
مضاض بن عمرو حين شط مزماره
لدى دوحة الزيتون سرت صواره^(١)
إذا هبت الأرواح فيه حواره
أردت بمأسور طويل أساره
على كل غبرا أين قرّ قراره
على دنف بطن الضريح وجاره
سجا بعد اشراق الصباح نهاره
فليت عرين لا يشق غباره
إذا ما أبيض اللهو يوماً ازارد
على هالك ثوب الضريح شعاره

قال : ثم مات وقد قفلت من غزاتي ، فلما نزلت المطابخ نعي إلي قيل
لي : أوصاك أن تدفنه بموطن الموت بين الدوحتين ، الموضع الذي مات
فيه ، فأصبته ميتاً ومعه صاحباه ، فحفرت له ضريحاً في هذه الصخرة
وواريته وجعلت عليه هذه الصخرة العظيمة ، وهذا قبره تحتها ، ولكن يا
بني قف بي أودع قبره فبتنا عليه . ثم قالت له : فما كان من أمري ؟ قال

(١) كذا - فحرره - ح .

(٢) تقدم ابن سراج - ح .

لي : نعم ، كان مهليل ينزل المطابخ ، وكان منزله الأزهر وكان بجوار
 البهلول ، فلقيت رقية بنت البهلول مياً ابنة مهليل فقالت لها مي : ما كان
 من شأنك ومضاض ؟ فاعلمتها ، فقالت لها : ظلمتني يا مي بالله ما كان
 بيني وبينه قط سبب ولا كلمته غير استسقائي منه الماء وذلك أنني كدت
 أموت عطشاً ، واحتشمت أن أقف إلى السدنة ، ولم أر من أعرفه من أهل
 الطواف ، ولما رأيت مضاضاً حملتني إليه دلة القرابة وحادثة سنه فكلمته
 فسقاني ، ثم ما رأيته بعدها إلى يومي هذا . قالت لها مي : فهل كان منك إليه
 شعر ومنه إليك شعر ؟ قالت لها : لا والله ما كان بيني وبينه كلمة غير
 استسقائي الماء إليه . وآتاها من علم أمر قبيس وما وشى بينهما ، فندمت
 على ما كان منها إليه ، وبعثت إليه ، فلم تجده وتعاظم شوقها لما علمت من
 كلفه بها وبراءته مما انطقته ^(١) به . فبينما هي تسأل عنه وتلتمس من لقيه إذ
 نعي إليها ، فتوارت عن الحي إلى تلة أمام الحي وتبعثها جارية من الحي
 يقال لها سلمى من بنات عمها كانت مؤانسة لها مطلعة على أسرارها
 فوجدتها ساكنة تنظر يمينا وشمالاً كأنها جنت . قالت : يا مي أراك هبلاء
 رقد مات مضاض ؟ قالت لها : قسوة أدركتني منعني الدمع ، وفي الدمع
 راحة ، لو أصبت إليه سيلاً . فلما سمعت نساء الحي ينتحبن وعلت أصواتهن
 أجابها الدمع فبكت ، وأنشأت تقول شعراً :

أيا موطن الموت الذي فيه قبره سقتك الغواصي الساريات الهوامع
 ويا ساكناً بالدوحتين مغيباً لأن طرت عن الف فالفك تابع
 ثم قالت :

أيا شجر الزيتون ضميت مهجته أتت هضبة من دونها ورياض

(١) لعله - أهيمته - ح .

ويا دوحه الزيتون بالله فرجي عن الكبد الحراء كيف مضاض
لئن جاد لي وجداً بنفس كريمة اثبه بنفسي والثواب قراض
أأرغب في الدنيا حياة سقيمة ويأتي سواد دونه وبياض

قالت : وآلت على نفسها أن لا تشرب ماء حتى يرد جمل أبيها
هوز - وكان هوز لا يرد إلا عن خمس - فأقامت يومين وليلتين ، فلما
كان اليوم الثالث ولا أحد يعلم بها غير سلمى - غشيها الموت مع الليل
فولت إلى الربوة واتبعها سلمى . فلما بلغت أعلى الربوة سقطت ، قالت
سلمى : فوضعت يدي على فمها فوجدته كالحجر الصلد ، فرفعت رأسها
إلى بلسان غليظ وصوت خفي ، فقالت بكلام ضعيف لا أكاد أبينه (قولي
لأبي يدفني بالدوحتين بجوار مضاض) وقالت :

يقولون مي أسرع بفراقها فمات مضاض والهوى غير نادم
فيا ليت أني مت من قبل موته بطيب الهوى قبل الردى المتفاقم
لقد مت يوم الماء موتاً امرئاً من سمم الأفاعي في نقيع العلاقم
فهل هو إلا الروح بالروح أسوة وها هي نفس ارتقت في الحيازم
وقالت سلمى تبكي مياً :

لم تكن لوعة الهوى لانفراج من يقاسي الهوى فليس بناجي
ان يكن مات من هواها مضاض قد قضت دينه بأيسر حاج
غرس الحب في حشاها فوجأ قلبها بعده بمدية واج
ان في الموت راحة المحب بات في الوصل ساعة غير راج

ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى ماتت وبلغت سلمى آباها فاعلمته ، فدفنها
في الدوحتين . وها هنا قبرها غير اني لا أقف عليه ، ولقد ضرب بموت

مضاض المثل في زمانه ، قال رجل من أهل الطائف يقال له بهنان (١) كان من أهل هزان بن سكسك بن وائل بن حمير :

أموت إذا جد الفراق بيثرب (٢)
فقي لم يخن لكن ردى الدهر خانه
فباد ويحيي ذكره بعد موته
ونخاض ببحر لم يكن منه مصدر
دعاه وقد قضى من الموت نجبه

قال : وان الحارث بن مضاض القى بنفسه إلى قبر مضاض وأنشأ يقول :

أنا الملك المحجوب بالحجر والصفاء
رضيت عن الأيام دهرًا فخلخلت
فأفردت من طسم وعاد وجرهم
فلما رأيت الدهر الوى بأسرتي
تجشمت من كرمان كل تنوفة
ولحجت في لجى سمرقند فانتهدت
جبال يكل الطرف دون أنوفها
فسامرت رجل الجن في فلواتها
نزحت عن الدنيا ولست بنازح
تغربت في الدنيا مئينًا ثلاثة
بعيس إيساد انتهيت إلى التي

إلى البارقات الغر بين القوانس
علي الليالي بعدها بالهواجس
وعملاق والشهباء جديس ورائس
وأفردني بعد الهمام الممارس
وجاوزت حد القصر من أرض فارس
بي الأرض بهما أقعدت كل ناحس
وحوماته صاد قفار بسابس (٣)
وساريت جري العاصفات الروامس
وعديت عن رسم الديار الدوارس
ولا بد من حتم الصروف العوابس
تطم على مجرى النجوم النواحس

(١) ب - بهتان - ل - نهنان .

(٢) ل - بزئنب .

(٣) كذا فتأمل - ح .

أسير بطرف ما يغمض ساعة وقاب على نهج المنية دائنس
لنا نومة اما نؤول إلى رضى واما ردى باقي النوى غير حابس
وقال الحارث أيضاً :

شكرت مسارعاً نعم الأيادي لخير الناس كاهم أياد
إلى ابن نزار جبت القفر حتى نزلت برحاه من غير زاد
تمدح لي فجئت إليه أسعى أجاب برأفة صوت المنادي
أجاب نداي اذ صموا لصوتي فرد بدعوة منه فؤادي
فلما أصبح قال لي : قم يا بني ، فقممت معه فمشى وهو يحس بيديه
الأرض حتى أتى إلى صخرة مطبقة على صخرة أخرى وبينهما خلل يسير
فقال : ادن مني يا بني ، فدنوت منه فأخذ عضدي وقلع الصخرة ، فإذا
تحتها سرب تحت الأرض فأخذ بمنكي فأدخلني السرب وهو خلفي وحيات
تصفر عن يميني وشمالي وريح زهمة تنطح وجوهنا . فسرت بين يديه حتى
أتيت إلى صخرة أيضاً مطبقة على صخرة ليس لنا مسير ، قال : فامسك
عضدي بيده اليسرى وأدخل يده اليمنى إلى تحت الصخرة فقلبها فإذا بسرب
آخر أسفل من ذلك ، فأخذ بمنكي لئلا أهرب عنه وأدخلني بين يديه .
فسرنا حتى أفضينا إلى دار تحت الأرض مضية ، ولا أدري من أين ضياؤها
وفيهما بيت قبلي إلى مكة . فقال لي : لا تخف مما ترى فانك ستخلص وتمشي
على الدنيا من نسلك قبائل ، قال : فخرج من البيت تين أسود أحمر العينين
يجر عرفه ودار في وسط الدار فصار كالجبل العظيم وجعل رأسه أعلاه ،
ثم دخلت البيت وأصبت في البيت أربعة أسرة ثلاثة عليها ^(١) ثلاثة رجال
وواحد ليس عليه شيء ، وفي وسط البيت كرش من در وياقوت ولجين

(١) ل - عليها ثلث نساء وثلثة رجال .

وعقيان ، فقال : خذ وقر جملك يا اياد ، ليس لك غيره — فان زدت غللت — وكان اياد دياناً بدين الحنيفة دين آبائه ابراهيم واسماعيل واسحاق صلى الله عليهم أجمعين ، قال اياد : فأخذت وقر جملي دراً وياقوتاً وذهباً وتركت بقيته واخترت خياره ثم خرجت ، فقال : أتدري من هؤلاء الموتى ؟ قلت : لا ، قال : هذا الذي يسار سريرى الخالي مضاض أبي ، وهذا الذي عن يساره عبد المسيح أبوه ، وهذا الذي على يسار عبد المسيح نفيلة أبوه ابن عبد المدان ، قال وعلى رأس كل واحد منهم لوح من رخام مكتوب فيه كتاب بالمسند ، فعمدت إلى السرير الذي كان عن يمين باب البيت فأصبت شيخاً كبير اللحية أسيل الخد تام العنق تام الصلب مسجى وعليه ثياب كالرماد السحق ، فأخذت اللوح فقرأته فإذا فيه مكتوب : أنا نفيلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم — عشت خمسمائة عام وقطعت غور الأرض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والملك ، فلم يك ذلك ينجيني من الموت ، وتحتة مكتوب :

قد قطعت البلاد في طلب الثر	وة والمجد قالصاً أثوابي
وسريت البلاد قفراً لقفر	بعنائي وقوتي واكتسابي
فأصاب الردى بنات فؤادي	بسهام من المنايا صواب
فانقضت شرقي واقصر جهلي	واستراحت عواذلي من عتاب
فدفعت السفاه بالحلم لما	نزل الشيب في محل الشباب
صاح ابصرت أو سمعت براع	رد في الضرع ما قرى في الحلاب

قال : ثم ملت إلى الثاني فإذا بفتى لم أر أجمل منه وجهاً بوجه كدرة القمر وأشفار سقطت على خده ولحية سوداء بلغت سرتة وستر صدره تام

العنق تام الصلب وعليه ثياب كاهباء . وأخذت اللوح الذي على رأسه فإذا فيه مكتوب : أنا عبد المسيح بن نفيلة بن عبد المدان ، عشت مائة سنة وركبت مائة فرس ، وافتضضت مائة بكر ، وقتلت مائة مبارز ، وأخذني الموت غصباً وأورثني أرضاً وتحتة مكتوب :

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المني فوق المزيد وكافحت الأمور وكافحتني فلم أخضع لمعضلة كؤود وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلود

قال : فملت عنه إلى الآخر فأصبت شيخاً آدم كثر اللحية خارج الوجنتين قصير العنق واسع المنكبين وعليه ثياب كاهباء ، فأخذت اللوح عن رأسه ، فإذا فيه مكتوب : أنا مضاض بن عبد المسيح عشت ثلاثمائة عام ، وأخذت مصر وبيت المقدس ، وهزمت الروم بالدروب ، ولم يكن بد لي من الموت ، وتحتة مكتوب :

قد تجرعت بعد طول زماني غصة حين فارقوني اللدات لا تغرن عيشك اليوم دنيا عمرا ما منها له ميقات منزل قد تحكم الدهر فيه ليس للنازلين فيه ثبات كل شيء تخني عليه الليالي آخر الحزن والسرور الممات

ثم نظرت إلى لوح فوق رأسه معلق ، فأخذته فإذا فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض ، عشت أربعمائة سنة ، ملكت مائة ، وجلت في الأرض ثلاثمائة سنة متغرباً بعد هلاك قومي جرهم . وتحتة مكتوب :

هل دمعى لفرقة الأحباب واغترابي عن معشر بالحضاب^(١)

(١) لعله بالحضاب - ح .

أوطنوا الجزع جزع بيت أبي مو سى إلى النخل بين حجر وقاب^(١)
من ملوك متوجين لديه وكهول أعفة وشباب
وبهاليل كالليوث مصا ليست مغاوير في الحروب اللجباب
بحلوم رواجح وبهاء واقتدار على الأمور الصعاب
ونساء حواصل عاطلات وبدور محجوبة في القباب
نازلات بين الحجون إلى الخيف خرا عيب كالدمى اتراب
ها هم نازلون بالذكر فيه حين غابوا به مغيب الشهاب^(٢)
أسعدتهم أيامهم ثم ولوا ما على الدهر بينهم من عتاب
فهم المطعمون جوداً فعادوا طعمة للثرى وصم الهضاب
فلي الويح بعدهم وعليهم وإليهم من بعد ذاك مآبي
كل حي يموت حقاً فيفني سبب غالب على الأسباب

قال : ثم قال لي : يا بني اعطني تلك القارورة التي في تلك الكوة ،
فأعطيته إياها فشرب نصفها وأطلى بنصفها جسده . ثم قال لي : يا بني إذا
أتيت أخوتك وقومك فقالوا لك : من أين لك هذا لمال ؟ فقل لهم : ان الشيخ
الذي حملت الحارث بن مضاض الجرهمي ، فهم يكذبونك ، فقل لهم :
هذه آية لكم فمر بهم على الحجر المدفون بجوار زمزم فقل لهم : ان مقام
ابراهيم في هذا الحجر الأحمر وان شعر الحارث في هذا الحجر الآخر وهو
قوله : كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا . قال ثم قال لي : اعطني القارورة
الأخرى فأعطيته إياها فشربها ، ثم صاح صيحة ما ظننت إلا أن أهل الدنيا
سمعوها ، ثم مات مكانه ، ثم تمكن على سريرته وهجم علي التنين واستدار

(١) ل - وغاب .

(٢) كذا ولعل الصواب باملدرك - ح .

في وسط البيت على ما بقي من المال وخرجت أنا فبلغت مكة . فقال لي
أخوتي وقومي : من أين لك هذا المال ؟ فأعلمتهم فكذبوني فمضيت بهم
إلى الحجرين فرأوا مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقرأوا أشعره وهو هذا :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا	صروف الليالي والحدود العواثر
فهل فرج آت بشيء تحبه	وهل حزن ينجيك مما تحاذر
وكنا ولادة البيت من بعد نابت	نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ملكنا فاعززنا وأعظم قدرنا	فليس لحي غيرنا شَمّ فاخر
فان تنثن الدنيا علينا بريبها	فان لها حالاً وفيه التشاجر
فاخرجنا منها المليك بقدرة	كذلك بالانسان تجري المقادر
أقول وقد نام الخلي ولم أنم	مدى الليل لا يبقى سهيل وعامر ^(١)
وبدلت منها أوجهاً لا أحبها	وبدل منها حمير ويحابر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة	كذلك عضتنا السنون الغواير
وفيه حمام لا يراع أنيسه	إذا خرجت منه فليست تغادر
فسحت دموع العين تجري لبلدة	بها الا من آمن الله فيه المشاعر

قال ابو محمد : وان اياداً لم يعد إلى الموضع لما حرم عليه الحارث ،
وكان اياد على دين الحنيفة ، وكان دين الحنيفة غالباً على العرب يدينون به
حتى أنشأ عمرو بن قمعة الكناني - فهو أول من غير دين اسماعيل
وابراهيم ونفى أحكامهما - ولقد حدث ابن عباس قال (قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت عمرو بن قمعة وهو يجر قصبة في النار) -

(١) في السيرة اذا العرش لا يبعد سهيل وعامر - ح .

عمرو بن قمعة أول من عبد اللات - وهي صخرة عظيمة يلت عليه الطعام
ويطعمه قومه - فسميت الصخرة اللات .

قال ابو محمد : حدثني ابي هشام عن أبي يحيى السجستاني عن رجل من
بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن في أيام الإمام علي بن أبي طالب بالكوفة
قال لي الرجل : خرجنا أنا وأبي إلى صحراء عدن وكان جدي ساكنا بعدن
فدفن مالا في صحراء عدن وأوصى أبي أنه إذا احتاج أن يأتي موضع كذا
من صحراء عدن ، وأنه قعد بنا الدهر فسرت مع أبي فأصبنا ثلاث رواي
مقابلات ، فقال لي أبي : لقد اشتبه علي الموضع ، ما أدري أي هذه الرواي
هي ؟ فما رأيك ؟ فقلت له : وهل بد من الحفر ان كنت تعلم ان المال في
احدها ، ثم لاح له أمر وعلامة فقال لي : احفر هاهنا ، فحفرت فكنت
إذا حفرت وأعيت حفر أبي مكاني حتى انتهينا إلى بلاطة عظيمة فحرصنا
على قلعها فعجزنا عن قلعها ، ثم حفرت الثانية فوصلت إلى بلاطة أخرى
مثل الأولى فأعجزتنا ، فحفرنا الثالثة ، فوصلت إلى بلاطة مثل الأولى
فأعجزتنا أيضاً فقال لي أبي : ما ترى يا بني ؟ قلت له : أنت شيخ كبير لا
تستطيع شيئاً ، فهل لك أن تخلفني ها هنا وتمضي تأتي ببعير وعبد من عبيدنا ؟
فقال لي : يا بني الموضع مهول وأخشى عليك الوحشة وغلظ البلد ، قلت
له دع عندي من الشراب والطعام ما يكفيني ، وخرج على وجهه . فبات
عني ليلتين ، فلما كان في الليلة الثالثة وأنا قائم أصلي وكنت كثير التلاوة
للقرآن ، فلم أشعر إلا ورجل جميل الوجه نقي الثياب طيب الريح يمشي
وهو يقول :

لولا تلاوتك القرآن ما امتسكت بالأرض رجلاك فاعلم أيها الرجل
في بلدة لعنة الجن ماردة في كل أفق لها من همسها زجل

لك النصيحة عندي وهي واجبة على ذوي الدين ان لم يسبق الأجل
فاستوفر اليوم من رزق خصصت به ولا تعد راجعاً ينأى بك الأجل
قال : فحفظت الشعر . وطلع إلي أبي والعبد معه والبعر فأخبرت أبي
بما كان ، وأنشدته الشعر . ثم أتينا إلى ما حفرنا أولاً فقلعنا الحجر ، فإذا
بشيخ يده مغلولة إلى عنقه بغل من حديد ، في هامته وتد من حديد حتى نفذ من
دبره ، وأصبنا عند رأسه ورقة من ذهب مكتوب كتاباً لا نعرفه . فأخذنا
الورقة ، وأعدنا البلاطة إلى موضعها وأهلنا التراب على البلاطة حتى رجعت
كما كانت . ثم أتينا البلاطة الثانية ، فإذا تحتها عجوز مسودة الذوائب واضعة
إحدى يديها على رأسها والأخرى على عورتها وإلى جانبها كتاب في لوح
لا ندري ما هو ، فأخذنا اللوح وأعدنا البلاطة وأهلنا التراب عليها . ثم قلعنا
البلاطة الثالثة ، فإذا تحتها سرب دقيق ضيق ، فدخلناه فأصبنا خابيتين
مكشوفتين فيهما رجلان متقاربة أسنانهم ملتصقات عليهما حلل مرصعة بالذهب
ورأينا كتاباً على الجرتين لا نعرف ما هو ، وأصبنا مالاً كثيراً ذهباً وفضة
وغير ذلك من الدر والياقوت ما لم ير مثله قط . فقال لي أبي : وثقنا بالله
وبالغنى وحبور الدهر ، فقلت له : يا أبت وكيف الخلود مع الفناء لا خير
فيما يفنى وان مالنا من هذا قليل في حياة قصيرة ؟ فأوقرنا جملنا ثم أوقرنا
نحن لنحمل فلم نقدر أن ننهض به ، فلم نزل ننقص منه ونريد النهوض فلم
نستطع حتى أخذنا في أيدينا ياقوتة ودرة فلم نقدر نهوضاً بهما . فقال لي أبي :
الق ما معك يا بني فقد أخذنا رزقنا ، فعلمنا أننا منعنا غير ما صار إلينا ، فقلت
لهما : قد رأيتما ما كان وإياكم أن يعود أحد منا فيهلك ، وان العبد أسر
على مواليه الرجعة ، فأعتق أبي العبد وكثرت نعمنا وهب للعبد مالاً جسيماً
يتجر به ، وان العبد أخذ لذلك الموضع ما يصلحه فأخذ معه عونين وسار

لأنه يعرف علامات الموضع ، فلما نال من الغار توار عن عونه ليقضي
أربه وبات عونه أرقين قد ذعرهما ما يريان من وحشة ذلك الموضع
وهوله . فحدثني العونان قالا : سمعنا في جوف الليل حساً وذعراً وحركة
شديدة من ناحية العبد واضطراباً ، فجزعنا من القيام إليه لخوف داخل
قلوبنا . فلما أصبحنا أصبحناه ميتاً وفي حلقه آثار وفي ثيابه أخداش ^(١) فحفرنا
له وأوريناه وولينا هاربين لئلا يدركنا الليل في ذلك الموضع . قال :
ومكثت الورقة واللوح عندنا سنين لا نجد أحداً يعلم ما فيهما ، فبينما أنا في
موضع ^(٢) ، إذا نا برجل من أهل نجران من بني الحارث بن كعب ، نبيل
جميل وهو يسأل ، فقلت له : والله يا عبد الله انك لحميل وخليق بالخير
فما اضطرك للمسألة ؟ فقال لي : يا عبد الله الحمد لله الذي أحسن إليك
وأغناك عن خلقه ومنعك من هذا المقام ، اعلم ان الغنى والفقر حظان مقسومان
كنت عظيم الدنيا فابتليت بأن سلبت وملك رقي فاعلمت الذي ملك رقي رجل من
البغاة من بني الحارث بن كعب من أبناء الملوكة فاشتدت قسوته علي حين
أعلمته فتركته ليلة من ذلك حتى تباعد عن الحي في بعض حاجاته ، فأخذت
سيفاً لبعض أهل الحي وقتلته ، فصاح لما ضربته فسمعه ولداه ، فتبعاني
فرجعت عليهما ، فلقيت واحداً فطعنني فبريت قناته ثم أمضيت عليه ولقيت
الآخر وبيده سيف فغلبت عليه فقتلته . فان علاني الزمان فلكل شيء دولة
فالفقر يدال من الغنى والسقم يدال من الصحة والهزم يدال من الشباب
والموت يدال من الحياة . وقد كان سليمان بن داود بالمكان الذي علمت
فابتلي بأن ساب ماكه وجاس عدوه على كرسيه ، وابتلي بالفقر وتصدق عليه

(١) لعله - وفي حلقه اخداش وفي ثيابه آثار - ح .

(٢) ل - في بعض الأسواق جالس .

وسلب النعمة أربعين يوماً ، ثم رد الله عليه ملكه . وما ذلك كان من ذنب له عند الله ولكن ذلك صنعه بالنبين والصالحين يبتليهم بذلك وينظر كيف صبرهم وليمحو ذنوبهم ويعظم في الآخرة أجرهم ، قلت له : إنك لفقيه فما دينك ؟ قال لي : الإسلام ، قلت : فهل تقرأ ؟ قال لي نعم : ثلاثة ألسن فوق في نفسي أمر الورقة واللوح فأخرجتهما اليه فإذا هو يقرأ ذلك الكتاب وإذا هو بالمسند كتب ، وإذا في الورقة التي كانت مع الشيخ المغلولة يده إلى عنقه والمضروب في رأسه وتد خارج من دبره ، هذا الشيخ عمرو بن لحي ^(١) أول من غير دين اسماعيل وعبد اللات . قال : وقرأ اللوح الذي أصبنا مع العجوز فإذا فيه : هذه سعدة بنت جرهم جلبت السحر من دنيا وند وتعلمته وسحرت سبعة أخوة من خيار جرهم فصيرتهم وحوشاً لا يقرون مع الأنس ولا يطمثنون إلى دعة ويرعون مع الوحش كما ترعى . فأتت أمهم إلى نابت بن قنذار بن اسماعيل في الشهر الأصم فقالت له : يا ولي الله ان سعدة الساحرة اتلفت أولادي غني أحوج ما كنت إليهم فأنا مؤمنة وهي كافرة فادعو الله عليها ، فقال لها : افعلي ، فقالت : رب انه الشهر الأصم حرمت ما حرمت فيه فانتقم ممن لم يحرم حرامك ولم يحل حلالك وقالت :

يا رب ان سعدة الساحرة	تحملت	مأثماً	كباره
قد سحرت ظالمة أولادي	وشردتهم	في غيا	البلاد
هاموا مع الوحش مع الغفول	ويعسفون	غامض	المجهول
فأبلها بنفسها يا رب	ولقها	سوء جزاء	الكسب
وانسها السحر — بعدل منك	واهتك	لها ستر	الحياء هتكا
ولقها ما عملت في عاجل	وفرجن	كرب	المقام الهائل

(١) ل — ابن قميعة .

قال نابت : أَللّهم افعل قال ، فأنساها الله السحر وهتك عنها ستر الحياء
فما لبست ثوباً حتى ماتت . ورجع السبعة النفر إلى نابت فأعلموه بما كان
يتخايل لهم في أعينهم وقلوبهم ، فدعا عليها نابت فهلكت فكفنت ، فلم
تقبلها الأرض حتى غرقت ، وذلك مقام الظالمين . فقلت له : هل لك أن
تقيم عندي فاني توسمت فيك الخير وأزوجك ؟ فقال : قد فعلت ذلك وأنت
أهل لما أملت من الخير . فزوجته وشاركته في معاشي فأصبت موضعا لما
أملت ورجوت وقال لي : أين أصبت هذه الألواح ؟ فقلت : في مغارة
بصحراء عدن ، قال : فاطرق ملياً فقلت له : مالك ؟ قال لي : نعم لم يكن
إسلامي إلا على مغارة قال لي : كنت أعبد ما يعبد قومي من الأصنام وكانت
لنا أصنام على باب مغارة كنا ندفن فيها موتانا وكنت عاشقاً لابنة عمي ،
فكنت دهرًا لا أستطيع ذكر ذلك ، ثم ان الأمر عظم بي ففشا ذلك في أهل
بيتي فمشوا إلى أبيها فسألوه أن يزوجه بها وكنت امرأ داعرا فقال لهم أبوها :
كيف أزوجه وتسالوني تزويجه ولو سأل أحدكم أن يزوجه كريمته لم يفعل
ولرده فارضوا لي ما ترضون لأنفسكم قال . فلما قال ذلك يشيت منها قال ،
وخطبها رجل من غير له حسب ومال جم فزوجه إياها ، فمكث أياماً
معها ما شاء الله ثم انه قال لأبيها لا بد لي من الخروج إلى بلادتي ، فأذن له
وأنها ماتت بعده وأدخلت في المغارة فغلب علي الوجد بها وجعلت تمثالها
نصب عيني فألقيت ثيابي وأخذت ثياباً رثة كثياب سدنة الأصنام فأقبلت
إليهم وصرت منهم وقلت لهم : اني أردت أن أكون معكم من سدنة
الأصنام فقربوني ، فلم أزل معهم حتى عرفت المكان الذي تركت فيه
الجارية ، فإذا هو بيت فيه أثريات من رخام في كل اثرة منها ^(١) جسد

(١) ل - ابرمة من رخام في كل ابرام منها .

مكشوف الوجه ، فأصبت غفلة من أصحابي وأتيت تلك القبور ومعني مصباح وجعلت أتصفح واحداً بعد واحد حتى انتهيت إليها ، فلما رأيتهما عرفتھا ، فلم أملك نفسي أن وقعت عليها . فجعلت ألثمها وأقبلها فسمعت ناحية البيت هينة خفية فأوحشني ذلك وجعلت ألثمها وأقبلها أريد منها أمراً وذلك بعد ثلاث لها وجعلت الهينة تدنو مني ، فإذا أنا بثلاثة نفر عليهم أحسن ما رأيت من الثياب بياضاً ورائحة طيبة ووجوه جميلة . وأخذني هيبة لهم فدنا أحدهم فتفل في وجهي وقال : بؤساً لك . ثم أتى الثاني فمسح على صدري فخفق قلبي في صدري وعشي على بصري . ثم دنا مني الثالث فمسح يده على وجهي وصدري وقال : أضلت الأصنام عبادها واغتبط من عرف الله لا اله إلا الله محمد رسول الله ، فتجلى عن بصري الغشاء وسكن قلبي في صدري . فوليت هارباً إلى نجران فأصبت دعاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فمضيت من فوري ذلك إلى المدينة فدخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فاحمر وجهه كلما أخبرته حتى ذكرت له فعل الآخر وكيف ذهب عني عشا عيني وعن قلبي الوجيف فأشرق قلبه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله اهديني ، فشرح صلى الله عليه وآله وسلم لي الإسلام ، فأسلمت وقرأت سوراً من كتاب الله .

قال ابو محمد : حدثني أبو عبد الایلي عن ابن لهيعة أنه قال : ان آخر مال الحارث بن مضاض أصابه عبدالله بن جدعان التيمي من قريش .

قال : حدثني مكحول عن أبي صالح عن عبيد بن شرية الجرهمي ، وكان عبيد بن شرية معمرأ أدرك حرب داحس وبلغ إلى أيام معاوية في الإسلام وكان مسامراً له . قال عبيد : جمع الحجيج بمكة عبدالله بن جدعان وكان واسع المال كثير المعروف جواداً ، فاجتمع وجوه العرب في داره

على مائدة ، فقلنا له : ما كان أصل مالك يا عبدالله ؟ قال : نعم كنت
صعلوكاً من صعاليك قريش فتاكاً أطلب الغواثر فبينما أنا كذلك إذ آتاني
عامر البراض أخو بني كنانة فقال لي : ألا أبغيك قنصاً يا عبدالله ،
قلت : نعم ، قال لي : ان كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية
ابن بكر بن هوازن نزل بعراعر آمناً على أسرابه فركبت فرسي وسرت أنا
ومالك البراض ، فطردنا مائة ناقة حتى القيناها بالطائف ، فارسل كلاب إلى
قريش أن سفيهمكم أغار علي وطردي مائة ناقة فليس لكم أن تشهدوا سوق
عكاظ ولي لديكم وبرة . وكان عكاظ في وسط أرض قيس عيلان ، وان
قريشاً ائتمرت بقتلي لا أجني عليهم الجرائر فيطلبون بسيء وهم تجار لا
يستغنون عن بلد . فلما أتيت منزلي من الطائف قيل لي : ان قبائل قريش
ائتمرت بقتلك فانج بنفسك ، فأخذت زاداً ومزاداً وخرجت هارباً مع
الصباح إلى دوحة الزيتون اتظلل فيها وقريش تطلبني ، واني أتيت دوحة
الزيتون هارباً مستسلماً للقتل ، فلم أزل أهرب واطلب موضعاً اختفي فيه
والقوم في طلي حتى أتيت إلى حجر طبق على حجر بينهما خلل يدخل منه
النحيف متجانقاً في ذلك الخل ، فدخلت وأدخلت معي زادي ومزادي ، ثم
هال علي السرب ، ثم قلت لنفسي موتني في هذا السرب أحب إلي من أن
يقتلني قومي فيشمت عدو ويحزن حبيب وأترك لقومي ذحلاً في قريش .
فسرت هارباً ملججاً في السرب حتى دخلت داراً عظيمة فيها بيت وفي وسط
البيت جوهر وياقوت ولجين وعقيان وفيها أربعة أسرة على كل سرير رجل
قاعد وعلى رأسه لوح من رخام مكتوب بالمسند . فقرأت الألواح فأصبت
فيها أن أهل الألواح الحارث بن مضاخ وعبد المسيح ونفيلة ومضاخ بن
عبد المسيح فأقمت خمسة أيام في ذلك البيت آكل من زادي واشرب من

مزادي حتى أيسر قريش مني فخرجت ليلاً وأحرزت فام أجد أحداً في الغيضة فخرجت ما أصبت من المال وأخذت الألواح خيفة من قريش تكون لي عندهم براءة ، ثم بلغت منزلي فأخذت جملاً وخرجت إلى ذات الحليفة ليلاً . فلما أصبح أتت سيارة يريدون مدين ، فسرت معهم لا يدرون من أنا ولا ما معي حتى بلغت مصر فبعت ما معي وأصبت مالاً جليلاً فرجعت فنزلت ينبع على مالك البراض أخي بني كنانة ، فقصصت عليه قصتي مع قريش ، فقال لي : هاك خمسين ناقة واجعل أنت مثلها وسر بنا إلى كلاب فقلت لها : لا أنا قد وسع علي في رزقي ولكن اشتر لي مائة ناقة فاشترها وسقتها أنا وهو حتى أتينا كلاباً فارسنا إلى ابنه جعفر بن كلاب فدفعنا إليه العكرة من النوق ، ثم تبعنا كلاب في بيته وهو شيخ كبير فقلت له : لا تموت هزلاً ، فلما آتانا قال لي : ارجعوا بالرحب والسعة ، فرجعنا من عنده ، ثم سرنا إلى سوق عكاظ وأرسلت إلى قريش فشهدت عكاظ ذلك الموسم ، ثم انصرفت معهم إلى مكة ، فلما ظهر بعض مالي وثبوا علي وقالوا : غدرت وأعلمتهم بما كان من المغارة وأخرجت لهم الألواح فارساوا معي خويلد بن أسد بن عبد العزي وخويلد ابو خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووهب بن عبد مناف الزهري وهو جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابو آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فسارا معي وسرت بالألواح حتى دخلت ودخلا معي وعائنا الأشباح قالوا لي رد الألواح فرددت كل لوح إلى مكانه وخرجنا واعتونا على حجر عظيم فسدنا به الخلل لثلا يكون القبر ملعبة للسفهاء .

(ولاية عمرو بن الحارث بن مضاض)

قال أبو محمد : أنه لما هرب الحارث بن مضاض من مكة ، ولي الملك بعده

بمرو بن الحارث بن مضاض ، وكان ملك عمرو ملكاً ضعيفاً ، فأقام بذلك مدة ، ثم مات فولي الملك بعده بمكة وأرض تهامة ابنه البشر بن عمرو ابن الحارث بن مضاض ، فأقام بمكة دهنراً طويلاً وكان ملكه من تحت ملك بلقيس حتى أتى سليمان بن داود مكة والبشر يومئذ ملكها فأمن البشر بسليمان وأمره أن يدفع أمر مكة إلى بني نابت بن اسماعيل ، وكان آخر ملك تملك من جرهم البشر إلا أنه أقرهم على السقاية وتركهم على سدانة البيت فولي أمر مكة عدنان دهنراً طويلاً ، ثم مات فولي مكة بعده ابنه معد بن عدنان ، فأقام دهنراً طويلاً ، ثم مات ، فتنازع الأمر بمكة بين نزار بن معد وقنص ابن معد فغلب عليه نزار فخرج قنص إلى العراق فزعم بعض أهل النسب أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة أنه من أبناء قنص بن معد .

قال أبو محمد عن البكائي عن أبي مالك عن محمد بن اسحاق : أنه لما افتتح عمر بن الخطاب العراق دخلت مغارة في الحيرة فأصابوا فيها سيف النعمان المرهف فأتوا به إلى عمر فقال جبير بن مطعم - وكان جبير نسابة عن أبي بكر - فقال له عمر : ممن كان النعمان بن المنذر ؟ قال : سمعت أبا بكر يقول : هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان ، فسلحه عمر بالمرهف سيف النعمان .

وأقام نزار بن عدنان بسكة مقدماً دهنراً طويلاً .

قال أبو محمد : حدثني أبي عن محمد بن السائب الكلبي عن علماء العرب أن نزار بن معد بن عدنان لما حضرته الوفاة قسم ماله بين أولاده وكانوا أربعة - وكان أكبرهم إنياد - وقال : لك العصا والحلة وأنت وصيي . وقال : يا مضر لك القبة الحمراء وهي قبة من آدم ، وقال لربيعة : لك

الفرس والقنا - فسمي مضر الحمراء وربيعة الفرس - ويا انمار : لك النخيلة

امة سوداء والحصار . وقال عباس بن مرداد السلمي يذكر مضر الحمراء :

إلى مضر الحمراء ينمي عديدنا وأحسابنا إذ مجدنا غير قعد

وقال الحارث بن أوس يذكر ما ورث اباد من أبيه نزار :

نحن ورثنا من نزار كله ونحن أرباب العصاء والحلة

وأما ربيعة بن نزار فانه سمي ربيعة الفرس للفرس الذي ورث من أبيه

لأنه اختصه به دون أولاده ، وعمر ربيعة دهرأ طويلاً فسمي ربيعة القشعم .

قال ابو محمد : أكرم الابل في العرب ابل مضر المهاري وخيل ربيعة

أكرم الخيل ، ثم خيل بني تغلب خاصة ، وغنم انمار أكرم الغنم تأكل في

سواد وتربض في سواد وغير ذلك انقص . وأوصى ربيعة بالخيول للأكبر من

ولده فأول من ورث الخيل عنزة بن أسد بن ربيعة .

قال أبو محمد : حدثنا حماد بن اسحاق قال : حدثنا محمد ابن ابراهيم

حدثنا محمد بن السائب الكلبي قال : حدثنا اسماعيل بن مخزوم عن ابن عباس

قال : لما حضر نزار بن معد الوفاة جمع بنيه وهم أربعة : اباد الأكبر

وابنه ربيعة وابنه نمار وابنه مضر ، وكانت أم مضر وربيعة عاتكة بنت

يزيد بن زيد بن عمرو بن المهدي الحميري ، وأم اباد اروى بنت ليث بن

عمرو الكلبي ، وكانت أم انمار وازعة بنت غالب من بني مالك بن عريب

ابن زيد بن كهلان . قال لما حضرت نزار الوفاة : أوصى اباداً واستخلفه في

أهله وأوصى له بامة شمطاء وبالحلة والعصا ، وأوصى لمضر بالقبة قبة حمراء

من ادم وخاتمه من ذهب فسمي اباد الشمطاء ومضر الحمراء ، وأوصى

لربيعة بالفرس والقناة واللواء فسمي ربيعة الفرس ، وأوصى لأنمار بالحصار

فسمي انمار الحمار . وأعطى لكل واحد منهم قلة مسدودة على فمها وقال لهم : اذهبوا إلى القلمس بن عمرو - افعى نجران - فهو حكيم العرب وقاضيهم . فلما مات نزار بن معد بن عدنان رثاه ابنه ربيعة ، فقال - وهو أول من قال الشعر من بني معد بن عدنان :

نزار بن خير الناس قدما وحادثاً معد بن عدنان سنا ليس يقبر
فمن لمجال الروع والموت حاثم اذا الخيل تدمي والفوارس تزار
سيذهب روح العز عن مستقره ويقبر معروف الندى حين يقبر
سكنت بأعلام المحصب من منى وخلفت ريب الدهر في الخلق يعبر
فيا ليت شعري ما الذي قلت بعدنا ويا ليت شعري أم إلى أين تعبر

ثم انهم ساروا فمروا بكلبة وجرو صغير يرضعها فنبحهم الجرو والكلبة ساكتة فعجبوا منه ، ثم ساروا ^(١) على مزابل منورة فتعجبوا منها ، ثم أتوا على طريقهم فأصابوا ثلاث شجرات معطفة متقابلات واحدة في طريقهم وأخرى بارحة والثالثة سائحة ، وعلى السائحة طائر وعلى البارحة طائر آخر فيطير الذي على البارحة إلى السائحة فينزل عليها ويطير الذي على السائحة إلى البارحة فينزل عليها ، ثم يقيمان ساعة فيعود هذا إلى مكانه ويعود الآخر إلى مكانه والوسطى من الشجرات لا ينزل عليها منهما أحد . ثم ساروا فأصابوا شيخين قد اقتتلا وتضابطا باللحي ، فأمروا انمار الصغير أن يفرق بينهما فأقبل انمار ليفرق بينهما ، فكلما ضرب أحد منهما صاحبه وقعت الضربة على انمار حتى أوجعاه فتركهما وتبرا منهما . ثم نزل إليهما ربيعة ففعلا به مثل ما فعلا بانمار ، فلما أوجعاه تبرا منهما ، فنزل إليهما مضر . فلما دنا منهما افترقا وفر كل واحد منهما إلى ناحية ، فلم يبعد كل واحد

(١) سقط من هنا شيء كما يعلم مما يأتي في إعادة القصة .

منهما عن صاحبه حتى غابا . ثم ساروا فمروا على أثر جمل فقال اياد : هذا أثر جمل أعور ، وقال مضر : بل أبت ، وقال ربيعة : بل أزور ، وقال انمار : بل شرود . فلقىهم صاحب البعير فقال : هل أحسستم من بعيري حساً ؟ فقال له اياد : هل هو أعور ؟ قال : نعم ، وقال له مضر : هل هو أبت ؟ قال : نعم ، وقال له ربيعة : هل هو أزور ؟ قال : نعم ، وقال له انمار : هل هو شرود ؟ قال : نعم ، ثم قال لهم : فأين البعير ؟ قالوا : ما رأينا لك بعيراً . فتعلق بهم ثم أتوا أفعى نجران وهو متعلق بهم ، فقال : أيها الحكيم ان بعيري قد ضل وهؤلاء عرضوا علي صفته وابوا أن يدفعوه إلي ! فقال لهم أفعى نجران : ادفعوا إلي الرجل بعيره ان احطم به علماً ، قالوا له : مررنا على أثر بعير فعرفنا صفته بالأثر ، قال لهم : كيف وصفتم ؟ قال له اياد : مررت بأثر بعير أعور ، قال له مضر : مررت بأثر جمل أبت ، قال له ربيعة : مررت بأثر جمل أزور ، قال له انمار : مررت بأثر جمل شرود . قال لا ياد : ما دليلك أنه أعور ؟ قال : رأيته يركب أثر عينه الصحيحة وعليها رعيه . قال لمضر : ما دليلك أنه أبت ؟ قال : رأيته بعيره يقع مجتمعاً ولو كان له ذنب لفرقه به ووقع منتشراً ، وقال لربيعة : من أين علمت أنه أزور ؟ قال : رأيته أثر خفي يديه يركب بعضهما بعضاً وربما خالف بينهما فعلمت أنه أزور ، ثم قال لأنمار : من أين علمت أنه شرود : قال : رأيته أثره ربما زاغ عن طريقه فعلمت أنه يروغ عن طريقه يعترض له فيروغ ، ولو كان غير شرود لأصبناه ثابتاً في مكانه . فقال أفعى نجران للرجل : اذهب اطلب بعيرك فليس هؤلاء به . ثم انه نظر إليهم أفعى نجران طويلاً فقال : (ان العصا من العصية وأن خشيناً من أخشن وأراد الجبل من الجبل وإذا لم يبرق لمع نور يدب أي حراك بنور^(١)) ، فذهب مثلاً .

(١) كذا - ولعله يدب إلى حرار يثرب .

قال ابو محمد : في قوله لم يبرق لمع نور يدب : إلى حرار يثرب أراد أنه رأى عليهم نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم القائم يثرب . قال ثم أمر لهم بطعام وشراب ، ثم أجلسهم مجلساً وقعد قريباً منهم يسمعهم ويراهم وهم لا يرونه ، ثم قال لغلام له : يا غلام رأيت قوماً خليق أن يكون لهم نبأ عظيم ، فلما أكلوا وشربوا وكان قدم إليهم عناقاً مشوية وخمراً . فقال إياد : هذه العناق أرضعتها كلبة ، وقال مضر : ان هذه الحمر من كرمه نبتت في قبر ، وقال ربيعة : ان هذا الرجل صاحبنا لغير أبيه . وقال انمار : ان هذا الغلام الذي آتاكم بالطعام من أبناء الملوك حر . فقام أفعى نجران إلى الراعي ، فقال له ما قصة هذه العناق ؟ قال الراعي : ماتت أمها ولم يكن في الغنم شاة تحلب فأرضعتها هذه الكلبة . ثم أتى صاحب الكرم فقال له : هذه الحمر من أي كرم عصرتها ؟ قال له : من هذه ، قال له : احفر ! فلما حفره على عروقها فأصاها في جوف طفل صغير شقت جوفه ، ثم أتى أمه فقال لها : نزل بي شياطين وقد زعموا أنني لغير أبي وقد صدقوا في كل ما قالوا فاخبريني واصدقيني ، فان كشفك غدا أعظم من كشفك اليوم والحكم اليوم لك وغدا عليك ، قالت : يا بني ما علمت تحقيق أمري إلا يومي هذا وما كنت داعرة ولا كان أبوك عاجراً غير أنه تنافس أبوك وعمك ، وكان أبوك شديد الملكة قاسياً ، فضجرت الرعية منه فلجأت إلى عمك فقدموه وقاموا به على أبيك فتحاربوا دهماً طويلاً ، وان آباك أتجع إلى البلقاء من أرض نجران وأنه خرج تلقاء البحرين في عسكر وبلغ عمك الخبر فأتى بعسكر ، وأخذ جميع الحي وصار بي إلى قصره وادخلني القصر وأنه سكر ليلة من ذلك وغلبه السكر فخرج يمشي في قصره فلقيني فوق علي . فلما أصبح أخبر بما فعل فندم وخلي سبيلي ، وأتيت آباك فكنت في شك من

أيك وعمك . وتالله ما كنت أرضى بالزنا وأنا كريمة لكرم وان عمك حرم
الحر على نفسه ، وهو أول من حرمها ، وقال :

شربت من الحرطوم صهباء مزة لها مسلك بين الحشا والجوانح
لها نشوة تدعو الحليم إلى الصبا وتذهب من أحزانه كل فادح
سوى أنها بالحي تجحف بالفتى وتفسد من أحواله كل صالح
تجور بأهل الرأي عن فصل رأيهم وتزري بأرباب الحلوم الرواجح
إذا لم أكن أنفك فيها أبت بها على شرجع ما بين أيدي النوائح
فوالله ثم الله لا زلت بعدها لها قالياً ما بين غاد ورائح
أحرمها ما حرم البيت ربه وتحريم ابراهيم دم الذبائح

وهو هرم بن عمرو - وكان أول من حرم الحر على نفسه بلا ديانة -
قال ، ثم أتى إلى القوم وهو لا يدري من هم وقد سمع ما سمع منهم ،
فجلس مجلس قضائه وأحكامه ثم قال : أثوني بالنفر المستضيفن ، فقال
لهم : هل من حاجة أقضيها لكم وتنصرفون ؟ قالوا : نعم أيها الملك آتيناك
نسألك عن بعض شأننا ونتحاكم إليك في أمرنا ، وكان أفعى نجران أعلم
أهل ذلك الزمان بعلم سليمان بن داود عليه السلام ، وكان داعياً من دعائه
وكان قبل سليمان أعلم العرب بالنجم والزجر ، وكانت العرب أعلم أهل
الدنيا بالنجم عن ابراهيم واسماعيل . فقالوا له : أيها الملك خرجنا نريد
إليك في أمورنا فرأينا ثلاث شجرات سائحة وبارحة ووسطى على طريقنا ،
وعلى السائحة طائر وعلى البارحة طائر فجعل الذي على السائحة يطير إلى البارحة
ويعافي الوسطى ، ففعلاً ذلك مراراً ^(١) قال لهم : سيأتي زمان يهدي الغني إلى
الغني والضعيف المحتاج بينهما لا يهدون إليه شيئاً ، قالوا : ثم مضينا إلى

(١) كذا في الأصل وقد مرت العبارة الصحيحة .

رياض جديدة وأفضينا منها إلى مزابل منورة، قال: سيأتي زمان يرتفع فيه العبيد والسفلة ويذل فيه ويسقط الأحرار والأخيار. قالوا: ثم سرنا على كلبة وعلى يطنها جرو صغير ولا يكاد يقف، أعمى العينين فنبح وامه ساكتة قال: سيأتي زمان ينطق أهل الجهل ويصمت العلماء. قالوا: ثم مررنا على شيخين يقتتلان وقد تضابطا باللحى فأمرنا أخانا وهو أصغرنا يفرق بينهما فاختلف بينهما الضرب فكان يقع عليه، فلما أوجعاه تنحى عنهما وأمرنا أخانا هذا الثاني ففعلا به كذلك، فزوال عنهما ثم أمرنا أخانا الثالث، فلما دنا منهما افترقا وهربا منه فجعل كلما دنا منهما ولما هرباً حتى غابا عنا، قال فنظر إلى مضر وهو الذي هربا منه نظراً طويلاً فقال له: بخ بخ أنت الشجرة المثمرة. ثم قام عن مجلسه فأجلسه فيه، ثم قال لهم: ذلك شيطانان أرادا أن يخبراكم ليعلما أيكم السبط وأنت أيها المرء مضر بن نزار في ظهرك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكرم مولود وأحمد محمود له الدعوة الصادقة اليوم والمقام المحمود غداً به تستنقذون من الهلكة وبه تنالون الزلفى، وأنتم بنو نزار اختلفتم في ميراثكم وجئتم إلي أحكم بينكم وأنتم كما أرى وتسألوني؟ قالوا: إن آبانا أمرنا أن نأتيك إن اختلفنا تحكم بيننا، قال: فإن القبة والخاتم لمضر وإليه حكوماتكم، وإن إياد صاحب العصا والكلمة والحلة والشمطاء وإليه أمر معاشكم، وإلى ربيعة صاحب الفرس والقناة واللواء أمر حروبكم، فكونوا تحت لوائه في الحروب، وأما انمار صاحب الحمار فاحملوا عليه كل فادح وصاحب خدمة أهل الدنيا أعطاه الحمار لتكونوا له كذلك^(١) فقال في ذلك بعد ذلك الزمان يحيى بن أبي سلسة البجلي وبجيلة من ولد انمار.

(١) ل - ليكون به كذلك.

نزار كان أعلم حين أوصى لأي بنيه أوصى بالحمسار

قال : اعطوه القلال المطبوع عليها ، ففك قلة اياد فأصاب فيها تقليم الأظفار قال : يا إياد خذ ماله من عبد وغيره ، ثم فك قلة مضر فأصاب قطعة من ذهب وقطعة من فضة ، قال له : يا مضر خذ ما ترك من ذهب وفضة ، ثم فك قلة ربيعة فأصاب قطعة من حافر فقال له : خذ ما ترك من فحل وحافر وفرس وبغل وحمار ، ثم فك قلة انمار فأصاب فيها ظلفاً فقال له : يا انمار لك الحف والظلف فتراضوا بذلك فقال : الأرض بينكم فقيل من يومئذ اياد الشمطاء ومضر الحمراء وربيعه الفرس وانمار الحمار . وكان أطولهم عمراً ربيعة وكان يقال له لذلك : ربيعة القشعم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبشير بن الحصاصية السدوسي (ألت من ربيعة القشعم الذين يزعمون أنه لولا ربيعة لانكفأت الأرض بأهلها) قال : نعم يا رسول الله . وكانت تلبية ربيعة في الجاهلية : لبيك اللهم لبيك رب ربيعة القشعم ثم لبيك . قال علي بن أبي طالب : نعم الحي ربيعة اباء الفجار انجاد سادة (١) .

قال ابو محمد : حدثني أسد عن أبي ادريس عن وهب عن ابن عباس أنه قال : لما ولي الملك ناشر النعم ، وانما سمي « ناشر النعم » أي محي النعم لما أحيا ملك حمير بعد أربعين عاماً أيام سليمان بن داود عليهما السلام ، وناشر النعم هو مالك بن يعفر بن عمرو بن حمير بن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ .

قال ابو محمد : لما ولي ناشر النعم الملك جمع حمير وقبائل قحطان وخرج

(١) كذا - في الأصول .

بالحيوش إلى ما حوى آباؤه والتبابعة العظماء فوطىء موطناً من الأرض عظيماً واشتد سلطانه فخرج إلى المغرب حتى بلغ إلى البحر المحيط فأمر ابنه شمر وهو شمر يرعش بن ناشر النعم ، وإنما سمي يرعش لأنه مسه ارتعاش من شرب الخمر . وقال الايلي : كان يسمى شمر يرعش ، والشمر : البوار في لغة حمير ، أن يركب البحر المحيط فركب في عشرة آلاف مركب وسار يريد وادي الرمل ، وقال له : لا ترجع حتى تعبته وترجع إلي بما رأيت ، فركب شمر ونزل ناشر النعم على صنم ذي القرنين فأخرج عساكر إلى الافرنج والسكس وعبرت عساكره إلى أرض الصقالبة فغنموا الأموال وسبوا الذراري ورجعوا إليه بسبي من كل أمة في جزائر البحر . ثم سمع بالليل دويماً عظيماً على رأس منارة الصنم وهبت ريح عاصفة تكاد تهلك من معه فسمع عند وجه الصباح هاتفاً من رأس المنارة وهو يقول : ابي الله ، ابي الله ، سبق العلم الأول بالسبب الصادق والعلم النافذ من طلب معدوماً عدم ، فقال ناشر النعم : يا أيها الناس هلك ابني شمر يرعش ومن معه . ثم أقبلت مراكب شمر يرعش بعد أيام وقد هلك منها الف سفينة ونجا تسعة آلاف فقال لشمر يرعش : ما ردك يا شمر يرعش عن أمري ؟ قال : أيها الملك حيل بيني وبين الحكم سمعت دويماً عظيماً وقعقة علت رؤوسنا فكدت أن أهلك ، ثم سمعت هاتفاً يقول : سبق العلم من طلب معدوماً عدم . ثم هبت الريح ففرقت المراكب ، فلم تجتمع إلى عند قال : فعبر ناشر النعم البحر وسار على ساحله يريد أرض الحبشة فأخذها ، ثم قفل على طريقه خوفاً من المخالب إلى ساحل البحر من شمال الأرض حتى بلغ مدينة شداد بن عاد فأقام فيها حولاً . ثم سار إلى المشرق ، ثم أرسل عساكره إلى غزوة أرض الروم بني الأصفر وملكهم يومئذ باهان ^(١) بن سحور بن

(١) ب - ماهان .

مدين بن روم بن اسطوم بن روم بن ناطس بن سامك بن رومي بن عيص ،
وهو الأصغر ابن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم فلقبهم فهزموه وغلبوا
عليه فهرب منهم إلى جبل فاعتصم به ورجعوا إليه بالغنائم والسبايا ، وكان
باهان متوجاً ، ثم مر على أرض بابلون وأخذ على الشام يريد مطلع الشمس .

قال ابو محمد : لما رجع شمر إلى أبيه من المحيط أمر بمنارة فبنيت إلى
جانب منارة ذي القرنين ، ثم أمر فكتب في صدر التمثال الذي عليها من
النحاس بالمسند : ليس وراء هذا المكان مذهب لا يتكلف المضي أحد فيعطى
بلغ من يبلغ أثره وانتهى قدره ، ثم أمر بالمنارة التي بنى فهدمها ومضى .

قال ابو محمد : لما توجه إلى المشرق نشر النعم عبر قنطرة سنجة ثم قال :
أنا تبع الاتباع في المجد والندى
ملكت وقومي مالكون ولم أكن
فرضت ملوك الأرض شرقاً ومغرباً
يجمع كأن الليل تحت متونه
فدانت لنا الأيام شرقاً ومغرباً
وأذعن منها كل عاص ممنع
وأقبلت نحو الشرق للصين قاصداً
فهل تبلغ الأقوام في المجد مجدنا
ولم أصحب الدنيا على أن لي بها
واني على ما نلت من ذاك موقن
ألم تر آثار الدين تقدموا
نشرت علا الآباء في الزمن الحالي
لاملك أعلى الملك إلا بامثالي
جبالاً اسامي شامخها باجبال
بقوم غضاب غير نكس واعزال
وسقنا سبايا كل حجل وخلخال
واسلم فيها ما حوى ثم من مال
أدافع باب الترك حالاً على حال
واني لهم في المجد في المركب العالي
خلوداً ولكن أغمضت عنه آجالي
بأني سافني ثم تهلك آمالي
تولوا عن الدنيا وباتوا بأوجال

قال : فغلب على أرض الترك ، ثم سار على طبرستان وباب الأبواب

ولجج على جبال الصغد إلى أرض الكرد والزط والخوز وفرغان فغلب عليهم . فلما فصل يريد أرض التبت إلى الصين وأرض الهند وصار بنهاوند ودينور مات فدفنه شمر ابنه وولي الملك بعده .

(ملك شمر يرعش بن تاشر النعم)

وقال شمر يرثي آباه تاشر النعم :

بمغاني الأيك والسمر	ملك اشفى على قدر
ما على الأرضين ان ونيت	عن سنا الدنيا ابي شمر
ماتت الدنيا لميته	ونأى بالسمع والبصر
يا منار العز عدت صدى	بنهاوند ودينور

ثم قفل بالحيوش يريد أرض المغرب ، فأخذ على بابل ونزل بغمدان ، وولي الملك شمر يرعش وهو تبع الأكبر الذي ذكره الله سبحانه في القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم قط احفظ لهم منه لم يكن عنده من العرب طرف (١) أغنى واقى يتجاوز عن مسيئهم ويحسن إلى محسنهم فكان جميع العرب بنو قحطان وبنو عدنان شاكرين لأيامه ، وكان أعقل من رأوه من الملوك وأعلامهم همة وأبعدهم غوراً وأشدّهم مكرّاً لمن حارب فضربت به العرب الأمثال وهو عندهم تبع الأكبر وان كان قبله تبابعة عظماء أعظم منه ولكن لمحبتهم فيه وعظمتهم في قلوبهم . وان الصغد والكرد والخوز والزط والقوط كلهم بنو يافث بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى اخوانهم من بني يافث من كان منهم بأرض أرمينية إلى بلجا وجاجا فقالوا لهم : ألا تغضبون

(١) كذا - والله أعلم .

لما نزل بنا من ناشر النعم سبي منا مائة الف بكر وقتل منا مائة الف مقاتل
فأجابهم اخوانهم من بني يافت إلى النصره والقيام وهم : الترك والديلم
والغور والخور وبلغ ذلك بني فارس بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح .
فاجتمعوا اللسان الأعجمي وكرهوا أيام التبابعة لما يكلفونهم من السخرة في
المغازي وغير ذلك من أصناف العمل من المتاع والسلاح . فقدم بنو فارس
قباد بن شهريار الفارسي في الملك وتوجوه وان الصغد والكرد وأهل نهاوند
ودينور عملوا إلى قبر ناشر النعم فهدموه وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان
فيه من جزع وغيره وبلغ ذلك تبعاً شمر يرعش فنذر الله نذراً ليرفعن ذلك
القبر بجماجم الرجال حتى يعود جبلاً منيعاً شامخاً كما كان وغضب غضباً
شديداً وغضبت العرب لغضبه ، وكان بنى قبر أبيه ناشر النعم بالرخام
الأبيض والأحمر والجزع الأزرق والأحمر حتى جعله جبلاً منيفاً شامخاً
وأمر جميع من حوله من القبائل ألا تقرب منه ولا يقطنون حوله فيدمونه
وما حوله فأمر تبع شمر يرعش بالجيوش فبرزت وخرج جميع أهل جزيرة
العرب طوعاً وغضباً لغضب شمر يرعش لمحبتهم فيه فخرج في عساكر لم
يجمع أحد مثلاً من التبابعة من بعد ذي القرنين وبلغ ذلك بني يافت وقدمت
فارس قباد إلى قتال تبع شمر يرعش ، وأقبل بنو يافت بأجمعهم يناصرون
قباد وهم : الترك والديلم والخور والغور والتبت والصغد والكرد والزط
والخور ، وبلغ ذلك شمر يرعش وكان انتصاب قباد بن شهريار ومن معه
من فارس وبني يافت بجمال الري ، فسارتبع شمر يرعش حتى نزل بالمشلل
فخلف ابنه عمراً الأقرن بالمشلل في مائة الف فارس وخلف ابنه صيفياً بعمان
في مائة الف ، ثم سار فترك العراق الذي فيه جمع فارس وبني يافت وقصد
الجزيرة وأخذ على الفرات يريد أرمينية وأنشأ يقول :

اثن على الله بالآية
 لعله ينسى مدى انه (١)
 إلى مجوس الصغد والكرد أو
 فقل لقحطان حلوم النهى
 وقل لعدنان سليل الرضى
 انا اذا مالت داوعي الهوى
 واصطرع الناس بألبابهم
 لا نجعل الجاهل في أمره
 ولا ذوي الغفل كأهل الحجا
 نقضي على ذا وعلى ذا بما
 بعلم أحلام لها منصب
 برزت في جمع كمثل الحصى
 تسعين الفا كالدبا يلقيها
 والكمث والشقر واسرابها
 والخيول تشتد بفرساتها
 يا لك من جمع اذا ما دنا
 أقسم لا أنفك حتى أرى
 والسيف يمضي والردى حاكم
 ان اغفلوا العهد وآياته
 سيصبحوا يوماً على ذلة
 كم من فتاة طفلة غادة

وارغب إلى الحق عن الباطل
 ويرسل العاجل للآجل
 خزر محل الأرذل السافل
 أهل المقام الباذخ الهائل
 قوموا فان الرشد للفاعل
 وانصت السامع للقائل
 نقضي بعلم فاصل عاجل
 يوماً ولا الأنوك كالعاقل
 ولا رشيد الرأي كالجاهل
 نقضي على العالم والواهل
 يجلي عمى الجهل عن السائل
 يقذف بالرامح والنابل
 والدهم مثل العارض الوايل
 مثل القطا المستورد الناهل
 بكل قرم ماجد باسل
 ليس بموهون ولا خاذل
 جماجماً تسحج بالآفل
 يحكم بالمقتول للقاتل
 فان شمرا ليس بالغافل
 تجحف بالمأكول للآكل
 تصبح بالفيء إلى النافل

(١) لعله - مدى آله .

نكاح نفي غير ذي رشدة . تفرح أو تحزن للعاقل
ان صبحوا الا من فلا بد من ساعة شغل في مدى شاغل
حتى يذيقوهم حتوفاً كما ذاقت ثمود الحتف في العاجل
لنا وجوه الأرض مأمورة نطاع باليم وبالساحل
والذهب الأحمر يجي لنا يحمله الرق مع الحمل
والمسك والأنجوج من صيته والدر في أصدافه الذابل
لا شين إلا الموت يحدو بنا محلول الموت في تائل (١)

وان تبعاً شمر يرعش بلغ أرمينية فبلغ ذلك قباذ فأمر الترك بالمسير إلى أرمينية، فسارت الترك تريد أرمينية فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم هزمهم فقتلهم قتلاً ذريعاً إلا من تحصن له في قلة جبل وسبي وخرب المدائن من أرض أرمينية وان قباذ ازحف من موضعه بمن معه من فارس وفرغان والصغد والكرد والزط والخور يريد أرض العرب لما بلغه أن تبع شمر يرعش بأرمينية فسار قباذ بن شهریار حتى بلغ حنوقراق من أرض العراق وبلغ ذلك عمراً الأقرب ابن شمر يرعش تبع فلقبه بالمشلل فاقتلوا أياماً وبعث الاقرن إلى أخيه صيفي فأتاه من عمان في مائة الف ونفر إليه المخلفون من أهل اليمن في مائة الف فلما وصل صيفي إلى أخيه الاقرن هزم قباذ فهرب إلى القادسية فطلبوه ، فهرب إلى القصر الأبيض من جبال خراسان وتحصن في رؤوس الجبال ، وبعث الاقرن وصيفي إلى أبيهما فأعلماه بما كان من أمر قباذ ، فرجع من بلجا وجاجا ، وقد أمعن في قتل أهل المشرق فعبر الفرات وسار يريد أرض بابل ، ثم قصد قباذ بن شهریار وقد تمنع في رأس جبل ، فلما رأى قباذ الغلبة قال لابنه بلاس بن قباذ : اقتلني يا بلاس فاني ميت على يد تبع قال له

(١) كذا - ولم يظهر معناه - ح .

بلاس : لا تطاوعني يدي على ذلك ، قال له : ان لم تفعل قتلت أنا وأخوتك وقومك وطلب من بقي من فارس ، ولكن اقتلني وامض برأسي فخذ أماناً لك ولأخوتك وقومك ولولدك من بعدك ، فقال له بلاس : لست أقتلك ولكن إذا رأيت ذلك هو الرأي فانظر أي ميتة أهون عليك فمت بها ، قال فعمد نفسه ففجر الأكليلين ثم تركهما يجريان حتى مات ثم عمد بلاس إلى رأسه فجزه وسار إلى تبع شمر يرعش فقال له : أيها الملك هذا رأس قباذ ، هذا سبيل من عصاك فما يكون سبيل من أطاعك وولجأ إليك ورغب في رضاك ، قال تبع : من طلب رضاي فله رضاه ، قتلت آباك في رضاي فلك رضاك ، قال له بلاس : أيها الملك ليس أبي ممن أراد هلاكه ولكن أبي ممن أراد بقائي ، قال له تبع : فما تريد يا بلاس ؟ قال له اماناً وأمان أخوتي وقومي ومن بقي من فارس ويجعلني الملك من بعض خدمه ، قال له تبع : لك ما سألت . وكان شمر يرعش أكرم ملك على الأرض وأعقلهم وأكثرهم عفواً وأقربهم رافة . فقال له بلاس : نحن فارس بنو حام حاشية الملك ، قال له : أما اني لم أرد قتلكم يا آل فارس لأنكم أخواننا الكرام من بني سام ولكن اعترضتم دون بني يافث وقد عدلت عنكم اتقاء عليكم وقد سألتني يا بلاس أن أجعلك من خدمي ، فان خدمتني في أرضي وفي قومي ، لم تطب لك معيشة ولا وفيت لك بانقطاعك إلي ولا كافيتك فيما صنعت فانه ما سبقك أحد ممن كان قبلك إلى مثل فعلك وقد كرهنا لك قتل أبيك ورضينا لك قصدنا ، فقد وليتك على قومك فارس ، فخذ جيشاً من فارس ثم تقدم بين يدي إلى الصغد والكرد قال : أيها الملك ان أنا لم أنبلهم بن يديك بالسهم الكرمانية ^(١) والنصال الهندية لم أف لك ، فسار بلاس إلى أرض نهاوند ودينور فقتل الصغد والكرد والزط وأكثر القتل في الصغد والخوز والزط فهم

(١) ل - بالسهم الفارسية والسيوف الكرمانية .

أقل بني يافث إلى اليوم وكانوا أكثرهم ، وأخذ من كل أمة غلب عليها أمماً يستخدمهم في الصناعات كل قوم فيما أحكموه من الصناعات ، ثم بلغ سنجار إلى قبر أبيه مالك ناشر النعم فأمر ببناء قبر أبيه تبع ناشر النعم وكان نذر لله أنه ان ظفر بالزط والكرد والصغد أن يبني قبر أبيه بجماجم الصغد والكرد حتى يعود جبلاً منيعاً كما كان وأنه أمر بقبر أبيه فبني بجماجم الصغد والكرد حتى عاد كما كان فمشى إليه أشراف حمير فقالوا : أيها الملك وما في هذا من الشرف أن تبني قبر الملك ناشر النعم بجيف هؤلاء العلوج ، وقد بلغ الملك أربه وقضى نذره فأمر به فهدم وأمر الكرد والصغد والزط أن يبنوه بأنواع الرخام الأبيض والأحمر والأزرق والأخضر ورصعوه بالجزع اليماني حتى عاد جبلاً شامخاً كما كان فطاف به ومشى في داخله ، فلم يعجبه من بنائهم شيء فأمرهم بهدمه فهدموه وأمر الفرس ببنائه فبنوه بأنواع الرخام وأنواع الجزع والزجاج والدر والياقوت ، وأنه طاف به ومشى في داخله فلم يعجبه من بنائهم شيء . قال : اثتوني ببقايا سحرة سليمان بن داود بلقيس بنت الهداد فأتوه بهم فأمرهم ببنائه فبنوه بالكلس الأزرق وأجادوا فيه الصنعة بالدهن والصقل حتى صار جبلاً منيفاً وصار كالمرآة السججل ثم أنه طاف به فرأى نفسه وفرسه وجميع من معه فيه كما رأى نفسه فيه من خارجه في جميع جهاته ، فأعجبه . فرأى الطير إذا همت أن تنزل عليه رأت تمثالها فيه فنفرت فلا ينزل عليه طائر ، فأمرهم بعقد الجن حوله أن لا يدنو منه أحد من الناس ففعلوا ذلك فمن نزل حوله رجمته الجن ، فانه كذلك إلى اليوم بسنجار بن نهاوند ودينور . ثم هدم المدائن بدينور وسنجار فجميع الأرض التي خرب شمشير عرش سماها بنو فارس شمر كند اي شمر خرب باللسان الفارسي فأعربته العرب بلسانها فقالوا : سمرقند وهو اسمها إلى

اليوم . ثم رجع إل قطربيل وسار يريد أرض الصين ، وكان ملك الهند بأرض الصين نغير الهندي - والهند والسند والحبيشة والنوبة والقبط بنو حام بن نوح عليه السلام - فلما بلغ نغير خروج تبع من بابسير من أرض قطربيل جمع الهند من جميع أرض الصين وانتصب إلى تبع من بابسير من أرض رعش ، وخلف تبع الجرحى والزمنى والمرضى بأرض نهاوند وسنجار ودينور ، ثم ان تبعاً لقي نغير الهندي ومن معه فقاتله قتالاً شديداً أياماً ، ثم غلب عليه تبع فقتل أمماً من الهند وغلب على أرض الصين وتمنع نغير ومن معه في جبل عظيم ، فلما رأى غلبة تبع وثاقله في أرض الصين ضاق من ذلك واشتد عليه ، فدعا أهل مملكته وجنده فقال : لي فيما تقدم من دهري عمر يرضاه المرء ولم يبق لي من آخره إلا ما آسف به على أوله وان شيئاً يكون الفناء آخره وغايته لحقيق على الحازم أن يزهد فيه وقد أردت أمراً فيه الموت والشقاء ، ثم جمع أهل المكر والسحر فقال لهم : ماذا ترون في تبع وأجناده ؟ قال له أهل المكر : أيها الملك (المحاجزه قبل المناجزة - والمكر قبل القسر - وليس بعد القسر إلا الرضا للامر) ، فقال لهم : سمعتم ، فقولوا أيها السحرة ، قال له السحرة : أيها الملك الموت أعجل والسحر أنبل وقد سبق المثل الدهر عبد الدول واني ينفع سحرنا وقد سقط جدنا قال نغير : عرف الرأي أهله ، ثم عمد إلى أذنيه فقطعهما وجدع أنفه وأمرهم فضربوه بالسياط ، ثم أتى تبعاً فقال له : أيها الملك إن قومي الهند هم في هذا الجبل الوعر وهم أهل غدر ومكر ، وقد أمرتهم أن يسمعوا للملك ويطيعوا فأبوا ذلك وفعلوا في ما ترى ، ولكن أيها الملك أقود بك وبعسا كرك إلى موضع تطلع منه إلى هذا الجبل فلا يعلمون حتى يؤخذ عليهم الجبل فتقتل من أحببت وتدع من أحببت ؟ قال له تبع : ليس لعساكري في أرضكم ما يحملها أجمع ولكنني أرسل معك عسكرياً جحفاً أهل النجدة والبأس والفضل في

الرأي والسابقة ، قال له نفيّر : افعل أيها الملك . فأمر تبع بعسكر لم يدع من أهل الفضل والبأس أحداً إلا بعث معهم وتقدمهم نفيّر فصار بهم حتى أتى ماء فقال لهم : خذوا الماء لثلاثة أيام ، فأخذوا ، ثم مضى بهم إلى (١) مجانة لا آخر لها فلجج بهم في المجانة فقال لهم : اتقوا من الماء فاني ذاهب إلى موضع الماء فاحتبسوا معهم شيئاً من الماء ، فاسرع بهم في المجانة وهم يتعللون بذلك الماء اليسير الذي معهم فابعدهم مسيرة أيام في المجانة وفرغ الماء الذي معهم ، وقد خلفوا خلفهم من المجانة ما لا يقدرّون أن يقطعوه بلا ماء مسيرة أيام ، فقالوا : ويلك يا هندي أين الماء ومتى نقطع هذه المجانة ؟ فقال لهم : إلى الأبد الأبد تقطعونها وتروون الماء ، ويلكم أسعدتكم أيامكم فحملتم أموركم على الغرور وصحبتموها بالجهل ، هل ابصرتم طائراً ووحشاً يدلّكم على أن بين أيديكم ماء والله انها مجانة لا تخرجون منها أبد الأبد أيها العرب لكم الصبر ولا تعلمون الغدر ، أتدرون من أنا ؟ قالوا له : لا قال لهم : أنا نفيّر ملك الهند فعلت بنفسي ما ترون لأقتلكم واشتفي منكم نقمة لقومي وشفقة عليهم فأخذوه ورجعوا في طريقهم .

قال أبو محمد : لما سار نفيّر عن تبع بعسكره جمع حمير فقال : معاشر حمير ان العجم قليل صبرهم عند اللقاء وسريع غدرهم عند البلاء وقد مضى هذا الهندي بجميع رجالي ولم يمض بهم إلا إلى معاطش فاني لا أرى في أرضهم شيئاً يكادبه إلا المجانة فأخرج ذاجدن بن المسكين الحميري وأمره بحمل الماء على الجمال ففعل ذواجدن ما أمره به تبع ، وتبع أثرهم فلقبهم وهم يتساقطون عطشاً فشرّبوا وسقوا خيولهم ورجعوا . فلما نظر

(١) كذا في الأصل .

إليهم نفيّر لم يمت منهم إلا اليسير من الأتباع قال : يا نفيّر دافعت القضاء بالني ، ولكن أنت بين أمرين ان خلصت ناصحت لتبع وان مت وفيت لقومك وكلا الحالين كرم . ثم ان عسكر تبع رجع إليه وأمر بنفيّر فمثل بين يديه فقال له تبع : أنت نفيّر ؟ قال له : نعم أيها الملك ، قال له تبع : لم غدرت ؟ قال له نفيّر : أيها الملك إني لم أغدر لأنني لم أعهد بل وفيت لقومي ومكرت بعدوهم فاذا قتلتني قتلت مانحاً وان تركتني تركت ناصحاً والعفو أخلق بقدرة الكريم . قال له تبع : يا نفيّر وفيت لقومك وقد يكون لك منهم العدو الكاشح والحسود الضاغن والمماري الملحد فكيف بك ان احسن ؟ فاني يا نفيّر قد عفوت عنك وصفححت عن زلتك وذنبتك ووليتك على قومك ، قال له نفيّر : أيها الملك أسأت إليك وأحسننت إلي فأوثقت به عهدي وملكت به رقي وهل أنت مطيعي أيها الملك ؟ قال تبع : قل ، قال نفيّر : أيها الملك أرض الهند وبيئة لطارئها فلا تقارعها بالمهج فمن تاجر بروحه لم يربح وقومي في جبل كما تراهم يموتون اجمع فيه ولا ينزلون فيطلق يدي الملك افعل برأيي . فطلع نفيّر إلى قومه الهند إلى الجبل فأنزلهم وأنزل جميع أولاده حتى أتى بهم تبعاً - قال له بنفيّر : أمنهم وانزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فان كل أمة لم تبلغ مراتبها دخلت صدورها ووغرت قلوبها فاستخفت فتكها وهانت عليها أعمارها وملك أمورها أشرارها وأنت أعلم بهم - ففعل نفيّر ما أمره به تبع ، ثم جمع بنيه ودخل بهم على تبع فقال : أيها الملك غرست ولم تأكل ثمر غرسك هؤلاء أولادي وهم بقايا عفوك وغرس نعمتك فامنحهم بالطاعة لك فمن أوفى فقد كافي ومن غدر ففي سيفك الوزر والحكم لمن غدر ، قال تبع : أنا لا آمرك فيهم ولا أنهاك ، لأن المرء أعلم بولده . فقال له نفيّر : أيها الملك هذا أحزم أولادي وأضبطهم للملك وأصلبهم حجراً وأحسنهم عقلاً فقدمه تبع

على أرض الصين وكان اسمه جلهم بن نفير فهو أول من تتوج بأرض الصين تأسى في ذلك بتبع . قال تبع لنفير : أنت أقوم بهذا الأمر ؟ قال له نفير : أيها الملك أزعجني عن أرض الصين فإن قومي الهند قد أدركهم ثلاث خلال : اما واحدة فإنه مات من قومي ما بغضت الي أرض الصين إلا بعدهم ، والثانية ذهب أنفي وأذناي فكرهت أن ينظر إلي بالنقص من يعرفني بالتمام ، والثالثة وهي أعظمهن عندي ان عجزت عن خدمتك ولم أكافئك باحسانك وإني لبصير بكيد الملوك وإدارة الحرب ولن يستغني عني الملك لأن رجال الملك لهم آلات كآلات الصانع رجال للمشورة ورجال للحجابه ورجال إدارة الحرب عند اللقاء ورجال يصلون الناس ورجال للخدمة ، فلا يقوم للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات من الرجال ، وأنا أيها الملك سعي عامة الحصال المحموده وأنا أيها الملك من خاصتك ما عشت . فشكر له تبع قوله وفعله ، ثم جمع نفير بنيه فقال : يا بنيّ عليكم بالسمع والطاعة لجلهم ولا تنازعوا فتهدموا ملككم ولا تخالفوا .

أمره فيجيش صدره عليكم ، ثم أقبل إلى جلهم فقال له : يا جلهم لا تستأثر عنهم للملك فيحسدوك ولا تطاول عليهم فيقتلوك ولا ترغب في أموالهم فيبغضوك ، أبسط لهم وجهك ويدك وجنبهم سخطك وبطشك وكن لهم معقلاً ومرتقى ، أحسنوا حالكم يا بنيّ فإنكم لن تروني بعدها ولن تخشوا علي من سطوة تبع ولا من غدر العرب ، ان لم أوت من قبلي لم أحذر ولكن أفي للملك باحسانه وأكون بين يديه عمري . ثم رجع إلى تبع فقال له تبع : يا نفير أي وجه من الأرض آخذ عليها راجعاً عن بلدك ، قال له نفير : العلم كثير والخير قليل والأرض واسعة والرأي يصيب ويخطئ وأنت أيها الملك امرؤ نبيل والطريق قطربيل والأمر يحدث والسيف

حيث أراد ، واني أيها الملك أرى ما لا تراه ، فقال له تبع : وما هو يا نغير ؟ قال : أنتم العرب لكم بأس عند اللقاء وسلامة صدور عند الرضا وأراك أكثر في عساكر من الأعاجم وهم قليل صبرهم عند اللقاء كبير غدرهم عند الرضا ، فاخرجهم من عساكر لا يوغرون صدور العرب فان الفرس سوء تملي^(١) ، واعلم أيها الملك ان الأعجمي يضطرب إلى الغدر كما يضطرب البازي إلى صيده. فأمر بهم تبع فشردهم من عساكره ثم قفل من أرض الصين ومعه نغير ملك الهند حتى بلغ إلى قطربيل ، فاتاه أن الزط والكرد والخوز غدروا عساكره التي كانت عندهم من المرضى والجرحي، وكان عنده أسباب من علوم الدهر عن ذي القرنين وموسى الخضر وسليمان بن داود عليهم السلام وكان قريب العهد من سليمان فقال :

أرقت وما ذاك بي من طرب	ولكن بدا لي وهنا سبب
قتلت جموعاً فأفنيتهما	وفي الأرض مني لقومي أرب
وخبرت بالصين لي بغية	ثياب الحرير وكثر الذهب
فسرت إليهم بجيش هام	كثير اللهاء ^(٢) شديد اللجب
لقيت من الترك آسادهـا	فقتلتها حين جد الوصب
فغادرت أيامها سدة	وموطنها بالقنا منتهب
لها عاصفات إذا وجهت	تكاد الجبال لها تنقلب
وبالشرق والغرب آثارها	وبالخافقين رياح تهب
بابناء قحطان من حمير	بهاليل أسد صميم العرب
رزان الحلوم نجوم العلوم	خفاف المعاذير بيض النقب

(١) ل - تمثل .

(٢) الدهاء .

فلما نزلت بأرض العراق
فسار قباذ إلى فارس
فبادره الأقرن المستطيل
واقبل صيفي من أرض عمان
فكان ببابل يوم عبوس
فخام قباذ وأشياعه
رأى الموت تحت ظلال السيوف
تجر المنية أذيالها
فاضحوا كأن لم يكونوا بها
فاتبعه شمر في جمعه
سقينا البرية في دهرنا
نقود الجياد لأقصى البلاد
نهضت بجمع كمثل الدبا
ربيعه منها هداة السبيل
وبأس أياد رفيع القذال
وانمار عند اللقا سادة
ترى مضراً عند ارزامها
لها لجة عند نار الوطيس
تصامت عن نبأ أسمعت
لقد جد غدر بني يافث
عذيري لحرب تلافيتها

عبرت العراق بعزم حرب
إلى البحر يسعى لأمر كتب
سريعاً حثيثاً شديد الأرب
لمن شد منهم ومن قد قرب
بقتل ذريع أليم النصب
وولى سريعاً حثيث الهرب
وحتى النفوس له يضطرب
فكان العزيز بها من غلب
كذاك الزمان إذا ما انقلب
إلى القصر ذي شرفات الحجب
ساماً مدوفاً بضرب القضب
إذا ما قضينا قضاء وجب
صباح الوجوه صلاب الحسب
علوم المجال لنول الشعب^(١)
طويل العنان شديد الكلب
تزيل النفوس وترجي السلب
مكللة روسها بالذهب
بييض مضار بها تلتهب
لقد صرحت عن حديث عجب
وجد المنون بهم فاقرب
لقد أهبوا بأسها والتهب

(١) كذا - فلينظر .

جموع لياث لما بدت
لقد غدروا بعدما أكدوا
سيعلوا المشيب على طفلها
وسوف إذا ما اقتضاني الردى
ويستلب الملك من حمير
وينقلب الدهر عن وجهه
للعشرين حولاً بها يقتلون
إلى أن يلي الملك من هاشم
رسول من الله أتباعه
فلو مد عمري إلى عمره
واني أدين بما دانه
فيلي به الله من خلقه
وتأتي العجائب من بعده
وتأتي الدلائل حتى ترى
ويرقى الدخان بأفاقها
إذا قتل الروح روح الرضا
هنالك خسف بأرض الحجاز
ويأتي على النيل حبشانه
يهدون منه ذرى سمكه
كان لم يكن حرماً قبلها
يقوم بها من بني حمير

تريد النزال فتمسي حصب
مهاريق عهد يقوم غيب
يوم مخوف ولما يشب
يلي الملك بعدي كآل قسب
مجوس وسود عليها رهب
ويضحى به الرأس تحت الذنب
ويستلب الجمع منها الحلب^(١)
نبي أمين كريم النسب
على الحق منا رجال غلب
لفرجت عنه جميع الكرب
ولالا أقول له قد كذب
قروناً من الناس اعطوا الغلب
إذا ما بدا نجمها ذو الذنب
لهم الشم عن أسرها تنقلب
ويعلو يثرب صوت صخب
وسالت دماء بني المطلب
فلا تنظر العين غير الشهب
إلى البيت قصداً لها بالقضب
ويعلون أركانه بالصلب
إذا أعاد نهياً محالاً خرب
كريم شجاع كريم النسب

(١) لعله الجنب .

حديد السلاح رفيع الصياح ريط الجنان لها محتسب
فيأتي يقوم من أقصى العراق ومن حضرموت ومن ذي حلب
ثمانين ألفاً على نجبها فليس لهم عندنا منتصب
ويقتل بالنيل أملاكهم ويعطب في لجة من عطب
ومن بعده الملك في حمير يقوم به الماجد المغترب
ومن بعده الموت يزوجى بنا إلى البعث والفصل غير الكذب

قال أبو محمد : ثم سار تبع شمر يرعش حتى بلغ دينور ونهاوند
وسنجان فقتل من أصاب بها من بني يافث وهم الزط والكرد والصغد
والخوز وسبي النساء فقال لهم تبع : احبسوا ما أخذتم من نساء الصغد
والزط ولا تحبسوا من نساء الكرد والخوز سباء بيعوهن فأنهن يفسدن النسل
ويغيرن العقل ويبدلن الألسن ففعلوا ومضى تبع حتى بلغ أرض فارس ،
فقدم على فارس بلاس بن قباذ وجعله بأرض فارس وأرض خراسان ،
ومضى تبع فسار على الشام إلى أرض بابليون فأصاب الحبشة على النيل
نازلين ، فلما علموا بتبع وقد قاتلوا مصر شهراً بعثوا إلى تبع بهدية
ليداروه بها حتى يخلصوا من بين يديه من أرض بابليون ، فلما انتهت
الهدية إليه أي إلى تبع جمع رجاله فقال : هذه هدية الحبشة فما رأيكم ؟

فقال المعترف بن عامر الحميري : أيها الملك لن يجوز سخر هذه
الخدعة عن ذي لب رصين ، قال له نفير : أيها الملك من رام أن يخدعك
حمل النقص على عقلك ، قال مقداد بن ينفر بن شرحبيل الحميري : أيها
الملك لو راموا مسالمتك لم يزحفوا إلى قومك ولو أرادوا برك أهدوا إليك
من أرضهم إلى أرضك ولا يخدع بهذا الخدع إلا أم عامر فتمكن من عدوها

نفسها في بيتها ونصف حلق الدنيا في رؤوس السود وقد راموا أن يسخروا من الملك فهلا قدموا هديتهم قبل الزحف إليك كما قدموها قبل الهرب . فعبّر إليهم النيل فقاتلهم بالقس والبهنسة أياماً ، ثم هزمهم وتبعهم على النيل يقتلهم ، فلما رأوه أمعن في طلبهم زالوا له عن النيل إلى الرمل فافترقوا له في الرمل فقتل من قتل وتلف من تلف في الرمل وبقي أياماً فكاد يهلك ويهلك من معه عطشاً حتى أفضوا إلى ماء معين ورمل مبسوط فنزل وأقام بها عشرين سنة يغرس النخيل ويبني القصور ويتخذ المصانع حتى بعث الرواد والأدلاء إلى أرض الحبشة وعلموا مسالكها ومناهلها ، ثم رجعوا إليه . فرجع إليهم فدخل عليهم أرضهم فانتصب له أملاك الحبشة من كل أرض فقاتلهم قتلاً ذريعاً فلم يكن لهم به طاقة غلبهم بالنبل ، ولم تكن الحبشة ترمي بالنبل إلا من زمان تبع شمر يرعش - فداس أرض الحبشة وقتلهم قتلاً ذريعاً فهربوا إلى غربي الأرض إلى البحر المحيط وتبعهم تبع فهبت عليهم ريح سوداء من نحو البحر المحيط فهلك جمع من عساكره . فقفل عنهم راجعاً فجعل طريقه على أرض بني ماري بن كنعان فقتل أمماً وهربوا إلى قن الجبال فبلغ البحر المحيط ، ثم رجع قافلاً إلى المشرق فمر بمدينة شداد بن عاد على البحر فأقام بها خمسة أحوال ، ثم رجع إلى قمونية وتمادى إلى أرض بابليون ثم مر على الشام وعبر الفرات والدجلة يريد زيارة قبر أبيه تبع ناشر النعم بسنجار ، فبلغ سنجار ، ثم أمر أن يكتب على باب مدينة سنجار - وهي أعظم مدينة بأرض سمرقند - جنبه (١) عظيمة وكتب فيها بالمسند : هذا ملك عرب لا عجم لشمر يرعش الأشم نزلها في الشهر الأصم فروى السيف من مهج ودم من فعل

فعلي بعدي فهو مثلي ومن جاوزه فهو أفضل مني برئت قسمي ووفيت
لذمتي .

قال ابو محمد : حدثني عامر بن جرهـم الأنصاري عن مكحول عن
الشعبي ، قال : حدثني رجل من خيوان همدان يقال له عبدالله قال : بينما
نحن بالصغد مع قتيبة بن مسلم الباهلي حين افتتح سمرقند ونظر إلى حجر
في جنبه باب مدينة سمرقند وفيه خطوط كأنها بالعربية وليست هي قال
قتيبة : والله اني لأظن هذا حمقات حمير اطلبوا في الجند رجلاً حديث
العهد باليمن يعرف كتاب حمير فوجد فانطلق به إلى قتيبة فقال له :
اقرأ هذا الكتاب . فقرأه فقال قتيبة : ما أرى بتبع من حمير إلا الآثار فما
في هذا أعظم شيء وهذا أنا بلغتها . قال له الحيواني : يا قتيبة لم تصغر
بالأول ولكن بالآخر ان بلغت الصين وجاجا وقطربيل فقل — فاسكت
قتيبة — ثم قال : يا قتيبة تقدم فرسخاً والا اشميت بضعف الإسلام . قال :
فرجع من سمرقند .

قال ابو محمد : ورجع تبع إلى اليمن يريد غمدان فقال الباني بن قطن
ابن مالك بن همدان بن منتاب الحميري شعراً :

تقول عرسي حين جد النجا	حتى متى أنت تريد النوى (١)
أليس في عيش قد أوتيته	مقام ذي الدهر بعيش غلا
قلت فقد قلت فما خيرنا	بعد الذي فيه الطيب الشا
انا نرى ان أك ذا هبوة	جليسكن اليوم دون الوغى
وجارح اقصدني سهمه	ماذا عليه في الهوى لو وفا

(١) في هذه القصيدة مع ركاكتها مواضع لم يتبين وجه صحتها — ح .

يرمي ولم يرم فما أخطأ
رمى بطرف العين الطرف غيري فما
ويحك يامي على ما الذي
وحمير تسمو بأفعالها
وشمر رعرش ذو النهي قاده
فقد وطئنا أرض حمر بها
وكان يوم شانه معظم
فسائلي يا مي عن يومنا
ينخبرك من يعلم أفعالنا
انا لنعتم رؤوس الوغى
كانت لنا الأيام مأمورة
فأبت الفرسان من حمير
وحل من سنجار قطانه
وغودر الصين على بابه
فأصبحت جاجا وقطربيل
أثر في آفاقها تبع
تكون للعابران هو رأى

وراش بالسهمين لما رما
جادت به عيني سهام الردى
قلت على ماذا تطيل النوى
فيها أسود البأس يوم اللقا
يريد بالشرق اغتنام النسا
وساعفت منا ليوثاً ضرا
وقرت العيان يوم الفنا
في مغرب الأرض يوم الوفا
بصبرنا عند حلول اللقا
فقد جميع الناس ذبح وحي
والدهر نجريها بحكم القضا
بكل بيضاء كعفر الظبا
فشيد القصر بصم الصفا
يجيب للداعي متى ما دعا
يحدوهما الدهر لغير البقا
أثراً يزيل الريب عن ذي العمى
أمرأً اعجاباً منه بعد الثنا

ورجع تبع شمر يرعرش بن عمرو ناشر النعم إلى قصر غمدان ، وقد
ملك الأرض كلها ودانت له ملوكها . فجمع أبناء ملوك حمير ووجوه
العرب فقال : معاشر العرب عندنا علم مصون مكنون نعمل بأمره
ونزدجر لنهيه ونتبع الأثر ويهجم علينا الأمر وقد غيب عنا القدر فحيناً
نخطيء وحيناً نصيب وكل إلى غاية ومدة ، وقد جاريت الدهر وقضيت

ولم يقض لي وحاكت فحكم عليّ ، فإذا كان ما هو كائن فان ابني صيفيا
هو تبع ثان ، فان رأيتم خيرا منه فلكم ، وان رأيتم شراً فالأمر للعام لا
للخاص ، قدموا أفضل منه . ثم قال :

سرت على الآفاق كالشمس	بين طلوع السعد والنحس
أجوب غور الأرض في أثره	بما رج للعلم عن أس
أوجفت بالخلق فلم أنتظر	أسير في رفق وفي همس
انقل من أرض إلى أرضها (١)	أصبح في أرض ولا أمسي
كنت على الأرض كشمس بدت	تشرق للناس بلا حس
حتى إذا عادت إلى حجتها	عاد ضياء الشمس في طمس
حفظت ما خولت حتى إذا	سلبته أمهل عن نفسي
من ذا يرجي العيش من بعد من	حاط جموع الجن والأنس
أفصح ذو القرنين يوماً على	ترجمة العالم في طرس
لا يصحب الأيام إلا إمسرء	غاد وإن خلد كالأمس
والدهر يحدو أهله مسرعاً	عن زهرة الدنيا إلى رمس
ثم مات تبع شمر يرعش	فكان عمره الف سنة وستين عاماً ،
وكان قد منع الولد فلم يولد له إلا بعد ثمانمائة عام . فقال الباني بن قطن	
ابن همدان بن مالك بن منتاب الحميري يرثي تبعاً :	

أيها السائل الحوادث جهلاً	هل سألت الزمان عن شمر رعش
ملك أطلد الجبال فذلت	وأطاعته حيث يمشي فتمشي
قاد بالصين من تهامة حتى	ترك الهند بين بهش ونهش
كاد نفير حين كاد وولى	ترك الجيش بين قفر وعطش

(١) الظاهر - إلى غيرها - ح

لم يهب للزمان صرفاً فأعطاه مقاليدَه على غير غش
وردت خيله نهاوند تسقي أهلها المرففات عن سم رقص
ساعدته الأيام حتى إذا ما وجدت هفوة أراشت بهش
قصده من المنون سهام حملت شلوه على ظهر نعش
وقال أيضاً :

عاد رهن الهود والاطلال نصباً للصبا وريح الشمال
شمر رعرش ومن كشر إذا ما طرقت بالعضال إحدى الليالي
بعد ملك وعزة واقتدار لم يجد للردى محيداً بحال
وقال تبع الأقرن بن تبع شمر يرعرش يرثي آباه :

يا بعد تبع حين شط مزاره بل بعد حالي عزتي وفلاحي
لم ترتقي زهر النجوم لموته فالمت أفلته عن الاصباح
ناحت مقلقلة فقلت لها اذهبي دهري ودهرك هالك الأنواح
قلي العويل أو كثري فلك العزا ان المنية منهل الأرواح
هل بعد ملك الصعب ملك يرتجى يهدي بكل مسا وكل صباح
ملك السعود بكل أرض حكمه تبع الهدى مستبصراً بنجاح
سامى إلى الظلمات عن أسبابه والشمس تسجد في حما الضحاح
ولى وخلف ذكره من بعده وهما لنا شبعاً من الأشباح

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام عن أبيه عن جده عن محمد بن السائب
قال : حدثني أبو صالح عن ابن عباس ، أنه قال : أول ملك أمر بصنعة
الدروع السوابغ المفاضة التي منها سواعدها وأكفها وهي الأبدان تبع شمر
يرعرش بن ناشر النعم .

قال ابو محمد : جعل على فارس الف درع يؤدونها كل عام ، وكان
عامله على فارس بلاس بن قباذ . وجعل على الروم الف درع يؤدونها كل

عام ، وكان عامله على الروم ماهان بن هرقل . وكان بلاس متوج في فارس وهرقل أول متوج في الروم ، وفي استعماله لفارس الدروع يقول امرؤ القيس مهلهل بن ربيعة بعد ذلك الزمان شعراً :

سيبكي كلياً كل عاق وعامل وخطية سمر ونخيل عوابس
وتبكيه بيض للخلود لواطم وما ذبّة مما اقتنتهن فارس

وكان أصعب الدروع دروع الروم وهي كذلك إلى اليوم ، وجعل على أهل بابل وعمان والبحرين الف درع ، وعلى أهل اليمن الف درع . وأحسن السيوف اليمانية والدروع الفارسية ، وكان بلاس ملك فارس يرسل بما عملت فارس من الدروع مع اتاوة إلى تبع شمر يرعش . ويرسل ماهان ملك الروم من الدروع بألف مع اتاوة إلى تبع شمر يرعش وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد في الإسلام :

من حمير نسل العرنجج اذ جرت لهم على حقب الزمان دهور
ملكوا على الدنيا فما أحد بها إلا وهو في حكمهم مقهور
أعطاهم ذل الأتاوة قيصر وجبى اليهم خرجه سابور

وفي تبع شمر يرعش يقول ابو ذؤيب الهذلي بعد زمانه :

وعليهما مسرودتان قضاهما داوداً وصنع السوآبع تبع

وهذا البيت له في شعره الذي رثى به بنيه اذ قتلوا بذات الهجال .

قال ابو محمد : كان يؤتى بها إلى تبع كل عام طول مدته .

قال ابو محمد : وكان مما حقق أمر ذات الهجال أنه كان اديار (١) بين

بني يعصر بن سعد بن قيس بن الياس وهو عيلان - وانما سمي إلياس

(١) كذا - ولعله أوتار فتأمله .

عيلان - لفرسه ، وكانت له فرس تسمى عيلان . وكان بنو يعصر باهلة ابن معن بن يعصر وغني بن يعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر يطلبون بني عمرو بن مدركة بن الياس بن مضر بذحول سلفت لهم (فكان يغير عليهم)^(١) . وبنو عمرو بن مدركة هذيل بن عمرو بن مدركة بن الياس ابن مضر ولحيان بن عمرو بن مدركة والقارة بن عمرو بن مدركة ، وكان يغير عليهم ثابت بن جابر وهو تأبط شرأ . - وانما قيل له تأبط شرأ لأنه سارق صرة^(٢) فمر على حاو فسرق جرابه وفيها حيات وظن أن فيها مالاً وأنه تاجر فتأبطها ، فلما خلا بها فتحها فرفعت إليه الحيات رؤوسها فألقاها وقتل الحيات - وقال : ضل عن سيده ولبده من حمل حتفه بيده وكان أحد السرعان ، وكان يغير راجلاً مسيرة سبعة أيام يمشي الليل ويختفي نهاراً ، وكان أجسر أهل زمانه تطلبه الخيل فلا تناله ويفوتها بسرعة قال الأصمعي عبد الملك بن قريب الباهلي : كان يثير الظبي ، ثم يطلبه فيدركه ، وتأبط شرأ هو القاتل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت انسان فكادت أطيرو
 رأى الله اني للبرية مبغض ويشنؤهم لي مقلة وضمير
 وفيه يقول السليك بن السليكة أحد الغرايب :

ينام باحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا من خلال المسالك
 إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالى من قلب شيخان فاتك
 ويجعل عينيه ربيثة قلبه إلى سلة^(٣) من حد أخضر باتك

(١) كذا - ولعل هذه الجملة زائدة - ح .

(٢) لعله - سافر مرة .

(٣) الأصل إلى مثله .

يهب هبوب الريح عند انخراقها ويسري على نهج النجوم الشوابك
تكل متون الصافنات إذا جرت تباريه أو تدمي نسور السنايك
فكان يغير على هذيل ولحيان نهراً ويغير على القارة ليلاً يتقي نبلها
لأنها كانت أرمى العرب بالنبل لا تخطيء ما تريد ، وقال في ذلك ابن
عباس :

قد أنصف القارة من رامها عن مقوس الغلوة أو سامها
وان تأبط شراً أغار على هذيل راجلاً فقتل^(١) قوماً أصابهم على ماء
لهم فناموا وهم لا يعلمون أنه تأبط شراً ، فقام إليهم فقتل منهم ثلاثة نفر
ونجا منهم واحد ستره الليل ونادى في نادي قومه : يا بني هذيل والله ما
أعلم أذل من قوم قتلهم تأبط شراً في حريمهم وغنم أموالهم ونجا سالماً .
فنفرت هذيل خيلاً وراجلاً في طلبه فاقتصوا أثره - وتأبط شراً أشغل
بسوق الغنائم - فما شعر حتى أدركته الخيل مع الليل فتناقل في وعث من
الأرض حتى أدركته الرجل فأسلم الغنيمة وولى هارباً ، وتصدى له رجل
من القارة كان مع هذيل فرماه بسهم فأصاب ودجه فصرعه فتعاوره القوم
فقتلوه واستاقوا أموالهم التي غنم لهم ورجعوا . وبلغ خبر ثابت تأبط شراً
قومه باهلة وغنياً ابني يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان فركبوا إليه ليرفعوه
فأصابوا كل ما أكل من لحمه من سباع الوحش وسباع الطير وهوام
الأرض موتى حوله .

قال ابو محمد : قال الأصمعي وزعمت العرب أن لحمه سم . قال :
وكان غذاؤه العلhez وشحوم الحيات وهبيد الحنظل ويحند قومه الحيات ،
فزعموا أنه إذا عض من كان غذاؤه هذا أحداً ممن كان غذاؤه البر واللحمان
والغذاء الحسن ، وأثر في لحمه بأسنانه أنه يبرصه أو يجذمه أو يقتله .

(١) كذا - والمعنى فوجد .

قال عبد الملك : وان الهجاء ابن امرئ القيس الباهلي ابن أخت تأبط شراً - وكان رئيساً شاعراً فارساً - استدعى باهلة بن معن بن يعصر وغني ابن يعصر^(١) ونصرهم أخوانهم من بني سعد بن قيس بن عيلان ، وهم بنو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن معد بن قيس بن عيلان ، وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وبنو عبدالله بن غطفان ، وبنو ثعلبة بن بكر بن غطفان . وأشجع ومحارب ابنا غطفان . وهؤلاء القبائل أخوة ، وبلغ ذلك أبو ذؤيب - وهو عمير بن مرثد زيد بن عامر بن قراد بن هذيل - وكان أبو ذؤيب معمرأ ، فجمع أبو ذؤيب هذيل بن عمرو ، ولحيان بن عمرو والقارة بن عمرو بن مدركة ابن الياس بن مضر فقال : يا بني عمرو آتاكم جمع بني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وأرى بني مدركة بن الياس وطابخة قطعوا رحمهم منا وحقروا ودنا وأضاعوا ذماننا واني سائر إلى بني الشقيقة - وبنو الشقيقة بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة قريش وبنو بكر وبنو أسد بن خزيمة وغفار ابن خزيمة ومدلج بن خزيمة - وأمهم شكل بنت عمرو أخت هذيل ولحيان والقارة ، وكان رئيس بني خزيمة عمرو بن بكر الأسدي - وكان يكنى بأبي الهزبر - فأتاهم أبو ذؤيب فقال : يا أبا الهزبر ان بني قيس بن عيلان تناصروا علينا بثأر تأبط شراً ثابت بن جابر الفتاك فما فعلكم يا بني الشقيقة ؟ فعزمت قريش وبكر - وهما كنانة على نصر أبي ذؤيب - فقام عمرو بن بكر الأسدي فجمع بني فقعس بن أسد ودودان بن أسد ومدلج بن خزيمة وغفار بن خزيمة فقال : يا أخواننا ، ما لأخواننا كنانة قريش وبني بكر يسرعون إلى حرب قيس يحملوننا على الضغائن ويورثوننا أحقاد قيس بن عيلان^(٢) فانما حكمه على رد أبي ذؤيب وخذلان هذيل ولحيان والقارة

(١) بالاصل - زياده - وعمرو بن معن بن يعصر - ولم يتقدم ذكره .

(٢) العبارة الآتية غير واضحة :

مخالفة للذبيان وعبس وذبيان ابنا بغيض بن ريث بن غطفان — هم الأحلاف — فلما بلغه زحف ذبيان إلى هذيل والقارة ، لم يرد أن يزاحف بني ذبيان بالحرب فقال سهم^١ بن بكر البكري : يا بني كنانة ان أسداً أقرب إليكم من هذيل ، وانا إن طلبنا رضا هذيل بسخط بني أسد وغفار ومدالج لم نربح ومن اشترى وجد قريب برضا بعيد اشترى خسراناً . فلما يشس أبو ذؤيب من نصرة بني خزيمة ، رجع إلى قومه فقالوا له : ما الذي أجابك به القوم ؟ فقال : يا قوم من نصره الله وخذله أبو الهزبر فمنصور ومن خذاه الله ونصره أبو الهزبر فمخذول ، وأنشأ أبو ذؤيب يقول :

ألا لله نصرة آل عمرو	وليس إلى الخليع أبي الهزبر
أبعد المنذرين أرى سؤالا	يرد يدعوة من غير عذر
تحامتنا الفوارس من معد	بخذلان وهل شفع كوتر
أبعد فوارس النعمان أسعى	إلى الأقيال من أسد وفهر
وثقت بعامر وبني أبيه	ومن عدوان أدعو كل صقر
طويل الباع أبلج مشرفي	أشد به على عزمات دهري
وطابحة الذين رأوا مقامي	وأهل العز من أبناء مر

وقوله (طابحة الذين رأوا مقامي) أراد بذلك نصرة بني طابحة — وهم تميم بن مر بن اد بن طابحة ، ومزينة بن اد بن طابحة بن الياس بن مضر — وقوله (وثقت بعامر وبني أبيه) يريد عامر بن الظرب العدواني — إمام مضر وحكمها وفارسها وخطيبها — وهو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ ابن يشكر بن عدوان ، واسم عدوان الحارث بن أسلم بن قيس بن عيلان ، وانما سمي الحارث عدوان — لأنه عدا على أخيه فهم بن أسلم بن قيس

(١) بالاصل سهر بن سمر البكري .

فقتله فسمي عدوان - وكان بنو عدوان أعز قيس بن عيلان - وذلك أن
عدوان كان كثير المال - فولد له ثلاثون ولداً كلهم أعقبوا . فلما بلغ
قول أبي ذؤيب إلى عامر بن الظرب العدواني ، إمام مضر ، جمع بني عدوان
وسار يريد نصرة أبي ذؤيب ، وكان أبو ذؤيب حليف عدوان ، فقال زهير
ابن مرخة العدواني :

كبرت وساويت طسماً وعاداً	ولا بد مما ألقى المعاداً
أقول لقومي ألا فاسمعوا	واني أرى القول فيه سداداً
دعني هذيل إلى نصرة	أطيع عميراً بها حين نادى
فأقسم لا بد من موتة	وتمسي عظامي رفاتاً رماداً
وعاذبكم عائذ فاعصموا	ولبوا دعاه إلى ما أراداً
ومن لم يكن غرضاً للردى	يجازى من الدهر حتماً سداداً

وان عامر بن الظرب لم يصل إلى هذيل ولحيان والقارة حتى نزل
عليهم الهجال بن امرئ القيس الباهلي ابن أخت تأبط شرأ ، وكان نزل
هذيل والقارة ولحيان بندي قار ، فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزمت هذيل
والقارة ولحيان فقتلوا قتلاً ذريعاً .

قال ابو محمد : فمن يوم ذي قار الأول صارت هذيل والقارة ولحيان
أقل حي في مضر . فلما انصرف الهجال - وكان حرم على نفسه الخمر حتى
ينتقم لخاله تأبط شرأ - قال الهجال بن امرئ القيس يرثي خاله :

أطرفك ماموم أم الوجد مانع	أم الأشوس الفتاك عن ذلك شاسع
فتى كان شهيم النفس للذل دافع	وان سيل عرفا فهو بالجوود نافع

يشيم بروق الموت عن كل مأرق
 حديداً كنصل السيف ينهض للوغى
 ينام باحدى مقلتيه ويتقي
 وما شاب من أعوام دهر تطاولت
 يغادي أناساً كل يوم بفتكة
 يسامر رجل الجن في فلواتها
 يطيل الطوى في العارمات وتارة
 يجاري مدى الآجال والأمر غائب
 وما هذه الأيام إلا وديعة
 ثم قال أيضاً :

ان بالشعب الذي جند سلع
 قذف العبء علي وولى
 ووراء الثأر مني ابن اخت
 مصح* عقدته ما تحل
 مطرق يرشح سما كما اطرق أفعى ينفث السم صيل
 خبر ما نابنا مصثل جل حتى دق فيه الأجل
 بزني الدهر وكان غشوماً بأبي جاره ما يذل
 يركب الهول وحيداً ولا يصحبه إلا اليماني الافل
 ينفل المال منيلاً ويمسي وهو في الحي كريم مقل
 عل بصدق على حاذنيه وله المغنم شرني محل^(١)
 ان رأى الباس فليث هموس أو رأى طمعاً فسمع أزل^(٢)

* هكذا في ط حيدر آباد

(١) كذا فليتأمل وليس في الحماسة .

(٢) رواية الحماسة - مسبل في الحي احوى رقل - واذا يغزو فسمع أزل .

يابس الجنين من غير بؤس	وندى الكفين شهم مدل
شامس في القر حتى إذا ما	ذكت الشعري فبرد وظل
وله طعمان أرى وشرى	وكلا الطعمين قد ذاق كل
رائح بالخمير غاد عليه	من ثياب الحمد ثوب همل
فهو في المهمة سمع صموت	ولدى الأحياء أحوى رفل
افيح الباب مفيد مبيد	جاد من جدوى يديه المقل
فلئن فلت هذيل شباه	لبما كان هذيلاً يفل
وبما أبركها في مناخ	جمع ينقب فيه الأطل
صليت مني هذيل بخرق	لا يمل الشر حتى يملوا
يورد الآلة حتى إذا ما	نهات كان لها منه عل
تضحك الضبع لقتلي هذيل	وترى الذئب لها يستهل
وسباع الطير تهفو بطانا	تخطاهم فما نستقل
وفتو هجروا ثم اسروا	ليلهم حتى إذا انجاب حلوا
فاحتسوا أنفاس نوم فلما	هوّموا رعتهم فاشمعلوا
كل ماض قد تردى بماض	كسنا البرق إذا ما يسل
فاسقنيها يا سواد بن عمرو	ان جسمي بعد خالي نحل
حلت الخمر وكانت حراماً	وبلاى ما المت تحل

فأتى عامر بن الظرب العدواني بجمع عدوان إلى هذيل والقارة ولحيان وقد قتلوا فقال لهم شهاب بن أبي ذؤيب: كان الموت أقرب من نصركم يا قومنا فقال عامر بن الظرب: أقسم بالله قسماً حقاً لأطلين بوتركم كل واطر. وتركهم فسار بنو أبي ذؤيب إلى بني طابخة تميم وضبة ومزينة يستنصرونهم فمروا على أسد بن خزيمة، فقال شهاب بن أبي ذؤيب لقوم من بني أسد:

أكل بني الشقيقة قد أطاعوا على خذلاننا عمرو بن بكر
لقد عدلوا برأي أبي ذؤيب وقد جهلوه رأي أبي الهزبر
سيحملهم بذاك على هلاك بجعجاع لدى ضنك ووعر
سيبلغ عنهم قابوس أمر يعز على بني سعد بن مر
جلبت بفعلهم صبراً وحسبي بما القى به من مر صبري
بنو شكل أضاعوني ولما يروا نصراً يعزهم كنصري
أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر
ولو بعده أو قول ليت على لهف وما شفع كوتر
فلم يحبه بنو أسد بشيء . فصار شهاب بن أبي ذؤيب مع أخوته
يريدون بني طابخة - وكان بنو أبي ذؤيب عشرة شهاب والحارث وزهير
والأزهر والأزور وعمرو وعامر وسالم والقصور وسهيل - ركبوا خيلهم
في دروعهم ومغافرهم حتى بلغوا موضعاً يقال له ذات الهجال من أرض
بني أسد فغشيهم الليل فنزلوا وهم في حزن من الأرض ، وهم نازلون
إلى أن أقبل قانص من بني أسد ومعه كلاب له وهو سباق ^(١) بن سابق بن
بكر ابن أخي عمرو بن بكر ، وقد أرسل سباق الأسدي كلابه على ظبي
والكلاب في طلبه . فلما مر بين أيديهم رموه بالنبل فعقروا الظبي وأصاب
سهم كلباً من كلاب سباق الأسدي فقتله - فأتى الأسدي فأصاب كلبه
مقتولاً فأغلظ على بني أبي ذؤيب - فقال له شهاب بن أبي ذؤيب : يا
سباق أردنا الظبي والسهم يخطيء ويصيب ، فتمادى الأسدي في غضبه
وبطش علي الأزور بن ذؤيب فضربه بالسيف فالقى إليه المجن وضربه
الأزور بالقوس فشجه في رأسه فولى ودمه يهطل على وجهه فصار حتى

(١) في الأصل - سيف .

هجم على بني عمه عمرو بن بكر وهم على خمرهم وميسر ، فقال لهم :
أترضون بالذل وتقرون للضيم ، أما والله ما أعلم أذل من قوم أتى ناديم
بنو أبي ذؤيب فضاموهم فألهبهم حمية وأسعرهم لهباً - فركب بنو عمرو
ابن بكر واستنفروا بني أسد وأجابوهم وساروا يأخذون على بني أبي
ذؤيب الشعاب ليلاً وبنو أبي ذؤيب لا يدرون بذلك . فلما أصبح نهضوا
إليهم فتفر من بين أيديهم ظبي أعضب فمر عليهم وهجم في غيضة اثل
وضال ، ثم ظهر إليهم جمل أجرب عليه رجل أعور ، فقال شهاب بن
أبي ذؤيب - وكان زاجراً شاعراً - : اركبوا فان هذا ظبي أعضب
عضب أمركم ، وجمل أجرب جرب دهركم ، ورجل منقوص نقص
جمعكم ، وسلك الظبي اثلاً وضاً لا يمر يومكم ويشوك جمع آتاكم .
وقال شعراً :

قل لركب السرى بذات الهجال	احذروا من مصارع الآجال
أيها النائمون هبوا فهذا	أعضب بارح باثل وضال
زجر الزاجر المترجم امرا	روعة الظبي عيلة الاقبال (١)
ورأى اثلة من الخطب مرا	وشبا ضاله صدور العوالي
اني والذي يحج له النا	س حليف الهموم والأوجال
يا تراث الأيام لا تأمنوها	واحذروا مكرهاً وصرف الليالي
وخذوا من أخي التجارب نصحا	وأفيقوا من نومة الجهال
اركبوا مسرعين حتى والا *	صرتم بعدها كقيل وقال

ثم آتاهم بنو أسد بالعدد وتداعى عليهم بنو أسد وعطف عليهم شهاب

(١) ل - الاقياله .

* هكذا في ط حيدر آباد

ابن أبي ذؤيب يناشدهم الله والرحم . قالوا له : تركت العفو خلفك واناخ الموت فرسك ^(١) ، فكان يعطف عليهم ولا يضرب ، وتكاثر عليهم بنو أسد فأصيب أخوه الحارث . فلما رأى أن الحارث قتل قال : يا بني أبي ذؤيب لا ينقذكم من شر اليوم إلا اليأس من غد ، ثم هجم فأدرك فارساً لبني أسد فصرعه ، ثم يكر القوم فقتلوا من بني أسد نفرأ . فلم يزل بنو أسد - وقد أخذوا عليهم الشعاب - يتكاثرون عليهم بالخيـل والرجل ، وبنو أبي ذؤيب يسقطون واحداً بعد واحد حتى قتلوا العشرة ، وأخذوا خيلهم وسلاحهم . وبلغ ذلك أبا ذؤيب وعامر بن الظرب فركبا في هذيل وعدوان حتى رفعوهم وأتوا بهم - وكان إذا مات الشريف لا يدفن حتى يحضره أشراف العرب ورؤساؤهم من كل أوب - فنصب أبو ذؤيب على أولاده قبة على شرف ونصب عليهم لواء . فأتاه أشراف الناس من كل قبيل من العرب وآتاه قابوس بن النعمان الأكبر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمير بن نمارة ابن لحم - وكان قابوس ملكاً بالمشلل - فجمع جيشاً عظيماً وأتى أبا ذؤيب . فلما اجتمع الناس إلى أبي ذؤيب قدم بنوه فنصبهم ووقف عليهم ، وأنشأ يقول :

امن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

إلى آخرها .

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام عن الهيثم بن عدي عن أبي عباد الهمداني ، عن محمد بن اسحاق أنه قال : لما اجتمع أشراف العرب إلى

(١) كذا - في الأصل ولعله قريك - ح .

عمير بن مرثد^(١) أبي ذؤيب الهذلي ، قام المستوغر الأكبر وهو — سالم بن منقر بن سعد بن زيد مناة بن تميم — فقال : يا أبا ذؤيب لا تدفن أولادك حتى يتكلم أشراف الناس فتعلم من يخذلك ومن ينصرك . وأتى الأشراف إلى عامر بن الظرب فقالوا له : يا أبا مالك هذا مشهد عظيم وأنت إمام العرب وحكيمها فقم زودنا منك حكمة نتأسي بها بعدك ويدركنا نفعها — وكان معمرًا عمرًا طويلاً عمر ثلاثمائة عام — وان أبا ذؤيب نصب كرسياً لقابوس بن النعمان الأكبر — والنعمان الأكبر محرق أول من عاقب بالنار وأحرق بها — وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة — وعمرو بن عدي أول من ولي من لحم العراق وأول من حير الحيرة — فقام نمارة بن سعد من بني عمرو بن تميم فقال : أيها الناس هذا أبو ذؤيب يطلب عمرو بن بكر بثار بنيه ولا يطلب أسداً ويهدم شرف مضر — وكان نمارة بن سعد يعبد بيتا يقال له ذو الخلصة — فقال له أبو ذؤيب :

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زوراً ولم تر النصره فيه بسورا
فخفت أمراً لم يكن محذوراً إذ كان حتماً قتلنا مقدورا

وكرهت العرب فعل بني أسد وعظم عليهم قتل بني أبي ذؤيب ظلماً
فقام المستوغر الأكبر — وكان عمره ثلاثمائة عام — فقال : أيها الاملاء*
من أنصف من نفسه حمد عاقبة أمره ومن لم ينصف من نفسه ضلت
حكيمته ومن مارس الأمور حكيمته ومن جارى الأحقاب افنته ومن قامر

(١) اسم ابي ذؤيب هذا خويبد بن خالد وقيل خالد بن خويلد هكذا في الاصابة وغيرها وهو خلاف ما هنا وما تقدم — ح .
* في طبعة حيدر آباد

الدهور قمرته رأيتي الأيام من حيث لا آراها ، ذهب الطرب وبقي
الحرب لا بد من دعوة الداعي وإجابة المجيب ، فقال شعراً :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مثينا
مائة حدثها بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا يوم يمر ليلة تحدونا
هل ترفب الأرواح الا ساعة تلقى سقاماً عندها ومنونا
فانظر لما قدمت سوف تزوره حتماً وتمسي عنده مرهونا

أيها الاملاء : ما رغبة امرئ القيس بالعيش إذ ليس بد من الموت
وهو يرى موقف المظلوم من الظالم ! أبت الأحساب الزكية والمناقب السنية
من الأمور الدنية ، أما أنه على كل امرئ منكم رقيب يأمره وينهاه ،
فان من لا يرضى الظلم عدو للظالمين ومن والى الخالق نبذ المخلوقين ومن
عرف الحق جهل الباطل ، هذا أبو ذؤيب بعد العز الرفيع والعدد الجميع
والشرف المنيع تناولته الأيدي بالظلم وقد اضطر من ظلم إلى مانع عدل
حكم فليس لكم قول صادق يرضي الخالق دون إيضاح العذر فقد أرسلكم
إليه ووجه الأمر بالمقدرة دون المexcuse ومن حذر مائثاً فذاك مائق ،
وأنشأ يقول :

وما كل ذي لب يعاش بعقله ولكن إذا قاد الأمور حكيمها
برأي ذوي الألباب في الأمر يهتدي وهل يرم الآراء إلا عليمها
وقد يتقي المظلوم من ذي ظلامة بعير همام أو يطاع ظلومها
وما سقطت يوماً من الناس أمة إلى الذل الا أن يسود ذميمها
فعندك عن هذا أو ذاك ما هما فهذا له حظ وذاك سقيمها

وما قادهما للخير إلا مجرب عليم باقبال الأمور كريمهما
إذا ساد فيها بعد ذل لئيمهما تصدى له ذل وقد أديمهما

أيها الأملاء : من أبصر أمر ومن جهل اقصر الا وان لكل حيلة
غيلة ، ولكل ساقطة لاقطة ، ولكل عوراء واع . افعلوا الخير وقولوه
ودعوا الشر واهجروه انبذوا الخبيث وانصروا المظلوم المستغيث ، من
استنصر بكم فانصروه ، ومن بغى عليكم فانذروه ، ومن اعتذر إليكم
فاعذروه .

ثم قام عامر بن الظرب فقال : أيها الناس ان عامر الأيام طليق الأعوام
وغر ض الاسقام قد فنى وجرب على أسف وكلف كلفت بغرور الأمل
وأسفت على شباب أفل منعت الدنيا واعطيت الآخرة فتركي لمنزل أنا
عنه زائل ، أحسن من الغفلة من منزل أنا إليه راحل ذهب منا الحميل
وتحكم منا البديل بدلت من الصحة سقماً ، ومن الشباب هرماء ، ومن القوة
ضعفاً ، ومن الجمال قبحاً . اني لأرى ما يعمل الأصباح وما يؤدي الرواح
يتعاقبان فلا يملان ويذهبان فلا يرجعان ، أما والله لئن مضيا أمماً فهم سفر
يرتقبون ليلحق بهم الباقون ، غلقت منهم الرهائن على خوف وآمان ،
أيها الناس : ان أحزم الرأي ترك ما يفوت والعمل لما يأتي به الموت ،
وأنشأ يقول :

لعسري لقد ذهبت الأطييان شبائي ولهوي فعدوا الملاما
ألم تر اني إذا ما مشيت أخطر خطوي وامشي أماما
وأكره شيء إلى مهجتي إذا ما جلست أريد القياما
واسهر ليلي على أني أراعي الدجى ما أذوق المناما

وارمي بطرف إذا ما نظرت كأن على الطرف مني غماما
عدو النساء قليل العزاء كثير الأسى ما الذ الطعاما
أرى شعرات على حاجبي بيضاً رفاقاً طوالاً قياما
أظل أراعي بهن النجوم أراها هلالاً علا فاستقاما
واحسب انفي إذا ما مشيت شخصاً أمامي رأني فقاما
ارجي الحياة وطول البقاء وعفو السلامة عاماً فعاما
وهيهات هيهات هذا الردى يريد صروفاً ليقضي حماما
ولا بد لي من بلوغ المدى والحق عاداً ونوحاً وساما

ثم التفت إلى الملك قابوس بن النعمان فقال : يا بن وجه الزمان وثمره
الرأي ومعدن الملك وقاصف الجبابرة وعماد العز أنتم نعمة الله في أرضه
وسخطه في خلقه بجودكم ينعم وبأسيافكم ينتقم ، بكم يقمع الظالم
وينتصف المظلوم من أشعر قلبه بغضكم طال غمه ، ومن أحبك سعد
جده ويومه استسعاك من رضي سعيك وقدمك ، من أراد ينتقم بك نصر
بك من استغاثك ، ورضي بك من عهد عنك ^(١) ، فصدق عزمك وعدك
وتقدم وعيدك بأسك ، فأنت الوزر وعندك الخبر والناس شتى والعمل لرب
واحد . فأنت أيها الملك الرفيع جده والباسق مجده والطالع سعده من معرفتنا
بحقك لم نرغب فوق رأيك رأياً ولم نرد منك عوضاً ، فاجعل عفوك لنا
فرضاً نمحض لك النصيحة محضاً ، واعلم أيها الملك ان الحوادث أعداء
الكرام فلا تطمئن إلى الزمان فان له في كل بيان وقال :

أرى الدهر سيفاً قاطعاً كل ساعة يقدم منا ماجداً بعدما جد
وان المنايا قد تريش سهامها على كل مولود صغير ووالد
وكل بني أم سيمسون ليلة ولم يبق من أعيانهم غير واحد

(١) كذا - ولعله اعتمد عليك .

ثم أقبل على عمير بن مرثد أبو ذؤيب الهذلي يعزيه فقال : يا عمير
بنيت وهدمت وقمت وقعدت ورضيت وسخطت ، الا وان كل بان
هادم وكل قائم قاعد وكل مسرور ساخط وكل قريب شاسع وكل مقيم
ظاعن . يا عمير - انما الخلق للخالق والأمر للأمر والشكر للمنعم والتسليم
للقادر - فلا بد مما هو كائن . يا عمير - لا أضعف من مخلوق ولا أقوى
من خالق ولا أهون من مطلوب في يدي طالب - يا عمير - ان التفكير نور
والغفلة ظلمة والجهل سفه والحلم اناة ، الأول سابق والآخر تابع - والسعيد
من وعظ بغيره - يا عمير - كم رأيت من قريح لم يترك قريحاً - يا عمير
- كم نازحاً من ريبه ومدركاً من طلبه مسلماً من دهره ممتعاً من سنه رمته
أيدي الردي بطارق من عطبه والدهر لا يقلع عن حوادث من عجبته (من
ير يوماً ير به والدهر لا يغير به) - يا عمير - ذهب عنك ما تريد وآتاك
مالا تريد - يا عمير : - آتاك ما لا يدفع وذهب عنك ما لا يرجع ومعك
ما سيذهب عنك - يا عمير : - أنظر إلى طبقات حالاتك من لدن كنت
في صلب أهلك إلى أن بلغت منزلة الشرف وحد العقل وغاية العزيمه ، هل
قدرت أو قدروا أن ينقلوك إلى طبقة قبل أن تعطاها وتعجيل نعمة قبل
آوان محلها ، أين أهل الملك الأول بنو وائل بن حمير ذووا الأحلام
المحمودة والآلاء الموجدودة أهل التيجان ملوك الأزمان ، هل وجدوا إلى
ما أحبوا سبيلاً وتركوا إذا أصبحوا مقيلاً^(١) وأخذوا مما جمعوا قليلاً -
يا عمير : - ان أكمل العدد عند المصائب الصبر وأعظم البديل منها الأجر -
يا عمير : - أين يفر الهارب وهو يتقلب في يدي الطالب ، ولا شيء
أعجز ممن لم يجد مهرباً من طالبه إلا إليه - يا عمير : - لا تخلق عزم

(١) كذا - ولم يبين لنا معناه .

الرجال ببعض الظن وهلع الجزع فان أحمد الأمور أصدقها وأثبتها عند
كما لها وبعد الابتلاء الحمد والذم - يا عمير : - لعسري قد أسمع الداعي
واعذر الطالب وبلغ النبأ ، فلا شيء أضيع من مضيع النفس وخطاه
تسوية الأمل ^(١) - يا عمير : - ان خير الأمور ما استكرهت عليه
وأكرهها ما استدعيت ولم يأتك من استدعى أمراً لم ينزل به آتاه بما لا ملجأ
له منه - يا عمير : - من طلب غير السلامة كان عقابه الندامة ، من لم
يشكر النعمة استعجل النقمة - يا عمير - هل للجزع عاقبة تنفع أو مانع
يدفع ، فان حاولت ذلك فاسأل القرون الماضية والأمم الحالية قبلك هل
تمنع من أسف وجزع أو خاب من صبر وقنع - يا عمير : - ليس ينزل
بك بنهي ولا يرجع عنك مأمور - يا عمير : - أنظر الأيام ثلاثة : يوم
مضى ولا ترجوه ، ويوم أنت فيه لا بد منه ، ويوم يأتيك لا تأمنه ، فامس
واعظ واليوم غنيمة وغد لا تدري ما حكمه فامس شاهد مقبول وأمين مؤد
فحكم مؤدب وعظك بنفسه وأمضيت معه زاداً خيراً أو شراً وترك لك
منه خلفاً لتحسن صحبته وهذا اليوم الذي أنت فيه صديق أدبك بغدره
وبوأك غير محله ، سريع الظعن فاحسن له الصحبة يلقيك حجة ويحبوك
شهادة ، واليوم المقبل حاكم تنتظر قدومه ، اما حبيب فلا تظلم أو فقد
فلا ترحم ^(٢) - يا عمير : - الحرص فضول ما عناؤك في طلب ما هو لك
وأسفك على ما ليس لك - يا عمير : - كيف ترجو أن يرجع إليك هالك
وأنت به لاحق ورجاؤك البقاء بعده طمع في درك ما لا يكون وترك ما هو
كائن والمرجع قريب ولا تمنع في الطلب فيطيح بك الأمل وتناى بك

(١) هكذا فانظره .

(٢) كذا وفي الأصل حيث .

الغفلة ، ومع الأمل الاجل ومع الغفلة الردى وان أعظم من المصيبة هو كلف الخلف منها - يا عمير : - من مد يده إلى أخذ مالا يؤخذ انتشبت في يده الحية - يا عمير : - من معدن الجزع يستفاد الغنيمة .

ثم أقبل على عامة الناس فقال : أيها الناس البقاء بعد الفناء والغناء بعد العناء والحياة بعد الموت والعرض بعد القرض اليوم العارية وغداً الهبة وخلقنا ولم نك شيئاً وسنعود ولا شيء ورثنا من كان قبلنا وانا وارثون موروثون فاستخلصوا ما تقدمون عليه بترك ما تطمعون فيه وتسالون ما هو وتخبرون خيره وشره .

ثم أقبل على بنيه وبنى بنيه وقومه عدوان فقال : يا بني اتقوا الهكم في الليل إذا دجا وفي النهار إذا أضاء وتجنبوا كل ما يخاف ويتقى وإياكم ومعصية الله فليس لكم وزر ولا لكم عن الهكم من مفر ، جودوا بالنوال وكفوا عن السؤال يا بني ان أعطيت قليلاً فلا تستقلوه فقد تحمل المروءة المرء إلى قدر مالا تستطيعه يده وكافثوا بالإحسان إحساناً وبالسيئة غفراناً وعليكم بالحلم وليس في كل الأمور ، فان طول الحلم شين ولرب جهل عاذرينا ولا تضرروا السفه فيعقبكم الذل وكونوا عند قولي شعراً :

الجهل نار وماء الحلم مطفئها والحلم ان طال فيه نقص أحلام والذل عار وسيف الجهل كاشفه والجهل ان طال فيه ذل أقوام

يا بني : لا تمنعوا سائلاً محقاً كان أو مبطلاً فان كان محقاً فلا تحرموه وان كان مبطلاً فقد طرح رداء الحياء عن وجهه بالسؤال إليكم فاعطوه ولا تماروا عالماً ولا جاهلاً ، فان العالم يظهر حجته عليكم فيكشف جهلكم فينزلكم عن أقداركم - والجاهل يلد ويلح عليكم ويخرج ضغنكم - وربما

كان في الغضب العطب وإياكم والفخر المسلم إلى الكبر فان معه تواكل
الاعراض وإياكم والخمر - فانها متلفة للمال ، مضیعة للعمل ، مفسدة
للعقل هادمة للأبدان والآداب - وإياكم والتواني والكسل فانهما يورثان
الندامة وقد سبق ، في ذلك قول مجاجة (١) الكندي :

اخرش بنفسك في المكارم والعلی لا خیر فی الجثامة النوام

وإياكم والآمال الكاذبة فانها تنسيكم الاقدار وتتلف الأعمار ويكون
منها على كرب وانتظار ، وخذوا الرأي إذا سمعتموه من أصغرکم سنأ
وأقلکم قدراً ولا تأنفوا عنه ولا تسألوا أسیرکم أكثر من ماله فيعجز
ويموت في أيديکم وتكون مصیبة علیکم ، واكثروا العتاق في أسارى
العرب يحبوكم وينصروكم ، وأوصيكم بالضيف فان كل قافل مکلم (٢)
غيره فلا يخرج من عندكم وهو يستطيع أن يتکلم فيکم ، وأوصيكم
بجيرانکم احسنوا مواساتهم ولا تغشوا منازلهم ، وكفوا عن حریمهم
الحاظکم والفاظکم ويجلوا ذوي الأسنان منکم وشرفوا علماءکم وسودوا
ذوي الفضل منکم وأوصيكم بالحلفاء خيراً ولا تغرموهم ، واغرموا
معهم في ناديهم فانهم لكم سيوف ما داموا فيکم وينفعوكم ان ساروا
عنکم ، وارقبوا عورات نساءکم فإنها مسبة علیکم ، وإذا نکح فيکم
الغريب فاخترأوا له أهل العفاف من نساءکم فأنتم أسر لعيبکم وإذا نکحتم
في غربة فاطلبوا النجباء واغلوا الصداق أو فدعوا وعلیکم بالصلة فانها
تزرع المودة وتمیت الضغائن ، وإياکم والغیبة فانها تفرق الجماعة وتوغر
القلوب وتورث الأحقاد واذکروا قومکم إذا غابوا عنکم بما تحبون أن

(١) ل - مجاهد .

(٢) في الأصل - كل قائل منکم .

يذكروه منكم إذا غبتم عنهم ، أحسنوا إلى أقاربكم يكن عز لكم عند مصائبكم . يا بنيّ : خذوا من أدبي واحفظوا وصيتي ولا تدخلوا شيئاً في قبري فاني لم أزل كارهاً لثلاث : الزناء والسرقة والغيبة ، ولا فارقي جار ولا خليل عن قلبي ولا حملني هواي على عيب كنت أعصي الهوى لطالب العلى . يا بنيّ : القالة سريعة والآذان سمیعة وليس كل عذر مقبولاً ، يا بنيّ : أدركت كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر شيخاً كبيراً محجوباً والعرب تحج اليه فاخبرني أنه قد آن خروج نبي بمكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومحاسن الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم ولا تسارعوا إلى الحروب فانها تهدم الأعمار وتخلق الأبدان ، وإياكم وعهد الملك قابوس — فانه حلیم ما استحل من سفیه ما استسفه رشید ما استرشد وكفوا أيدي سفهائكم عن الظلم وان ظلموا فانصروهم احفظوا ترشدوا .

وان الملك قابوس بن النعمان وعامر بن الظرب والمستوعز وأبا ذؤيب رجعوا إلى بني أسد بئار بني أبي ذؤيب ، وكان بنو أسد بن خزيمة وغفار ابن خزيمة ومدلج بن خزيمة نازلين قنان ، فنزل بهم قابوس وعامر بن الظرب ومن معهم فقتلوه وأكثروا القتل في غفار ومدلج ، ولجأ عمرو ابن بكر وأولاده ومائة رجل من بني أسد إلى قنة جبل فأحاط بهم قابوس بجيوشه ، فأخذه وبنیه ومن معه من المائة الرجل وأعطاهم لأبي ذؤيب الهذلي وقال له : هؤلاء وترك ولك الأمر فيهم ، فرجع بهم أبو ذؤيب إلى قبور بنیه فقتل عمرو بن بكر وبنیه وقال : انتم بنيّ* ولا عدوان . وأطلق المائة من بني أسد وقال : من يجاوز في الشقوة يجاوز اليه الدهر . ثم سار الملك قابوس وزحف عامر بن الظرب بعدوان والمستوعز بمن كان معه من بني

نميم وأبو ذؤيب بهذيل والقارة ولحيان إلى باهلة بن معن بن يعصر بن سعد ابن قيس وغني بن يعصر وفهم بن سليم بن قيس فالتقوا بذئ قار وهو يوم ذي قار فاقتلوا قتالاً شديداً فكانت الجرة (١) على باهلة وفهم وغني .

قال ابو محمد اختلف الرواة : فبعض يقول ان يوم ذي قار الأول هو المعظم في أيام العرب لقتل هذيل ولحيان والقارة بني عمرو بن مدركة بن الياس بن مضر . وبعض يقول : اليوم الآخر يوم ذي قار لقتل باهلة وغني والقارة وفهم بني قيس عيلان بن مضر . وفي ذي قار الآخر قتل أبو المغوار الغنوي — وهو مارب بن سعد بن قيس بن الصعل بن قراد بن غني بن يعصر بن سعد بن قيس عيلان — وقتل معه أخوه المقداد . فقال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه مارباً أبا المغوار وأخويه جبلاً والمقداد — وكان أبو المغوار فارس بني يعصر وجوادهم — فقال فيه أخوه كعب يرثيه بقوله :

تقول سليمى ما لجسمك شاحباً كأنك يحميك الشراب طيب
إلى آخرها .

قال ابو محمد عبد الملك بن هشام : لما مات تبع شمر يرعش بن عمرو ناشر النعم ولي الملك بعده ابنه صيفي بن شمر يرعش .

ملك تبع صيفي بن شمر يرعش بن عمرو ناشر النعم

قال ابو محمد : كان صيفي اجمل أهل زمانه وأجود التبابعة كفاً ، فولي أهل اليمن باللطف والكرم وأقام بغمدان عشرين عاماً ، ثم جمع

(١) لعله الديرة — ح .

الحيوش وسار إلى مكة - كما كانت التبابعة العظماء قبله يفعلون - وكانت التبابعة منهم من يلي الحيوش في مشارق الأرض ومغاربها ومنهم من ينزل مكة فيقيم بها ويبعث الحيوش : جيشاً إلى المغرب فلا يرجع إليه حتى يبلغ البحر المحيط ، وجيشاً إلى المشرق فلا يرجع حتى يبلغ البحر المحيط ، وجيشاً في يمن الأرض فلا يرجع حتى يبلغ البحر المحيط ، وجيشاً في شمالها فلا يرجع حتى يبلغ البحر المحيط . فنزل صيفي إلى مكة وبعث الحيوش في آفاق الأرض ، فأقام بمكة عشر سنين ، وان رجلاً آتاه فقال له : أيها الملك رأيت كأن الشمس سقطت في سملق من هذه الجبابة فابتعلتها ؟ قال له عراف كان بمكة : أسكت هتك الله فمك ، والله لأن صدقت رؤياك ليهلكن الملك ، وان الملك تبعاً لم يلبث إلا يسيراً حتى اعتل في وجهه بقرحة ، فلم يقم إلا ثلاثة أيام ومات فسميت قرحة الملوك ، فكان ملك تبع صيفي ثلاثين عاماً . فقال جلهمة بن العراف الكندي يرثي تبعاً :

كر الليالي لآجال الفتى سبب	يزجي له أثر بالحتم موقوتا
يضحي على أمل يمسي على أجل	بفجعة ترك الإنسان مبهوتا
اعلم ولا بد ان طال المقام به	لمنهل ثابت يأتيه مبعوتا
لا يدفع الملك عن صيفي منيته	فملكه صار بعد الموت موروثا
قد كان شمساً على الآفاق مشرقة	وتاجه محكماً دراً وياقوتا
من كان لم يدر ما يقضي عليه غذا	لم يبرم الأمر بالآيات منعوتا
من قامر الدهر لم يحمد عواقبه	والدهر قامر طالوتا وجالوتا
احذر وان كنت لا تمشي على حذر	فالأمر عن غفلة من أمنه توتى

(عمرو بن عامر مزريقيا ملك متوج تبع)

قال ابو محمد : حدثني محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان عمرو بن عامر مزريقيا بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد - وانما سمي مزريقياً لأنه كانت تنسج له في كل سنة ثلاث مائة وستون حلة ، ثم يأذن للناس في الدخول فإذا أرادوا الخروج استلبت عنه وتمزق قطعاً - ولذلك سمي مزريقياً ، وكانت الحاكة بمأرب تقيم له حلة في كل سنة نسجها ذهب أحمر ، وكان له عيد من الحول إلى الحول تعدله ، فإذا أراد الرجوع إلى منزله مزقت عليه . وكانت له سنة من ذي القرنين يوم هتك عرشه ومزق حلته ، وكان فراغ الحاكة منها يوم عيده ، ثم تمزق عليه . وانما كان يفعل ذلك اثلاً يتخذ أحد ما يلبس منها بعده . وكان اسم أبيه عامر ماء المزن - لأنه كان إذا نزل بقومه جذب فتح بيوت أمواله وعالمهم حتى يخلصوا ويقوم لهم مقام المطر إذا فقد وكانوا يقولون : كفانا عامر قحطنا هو ماء المزن لنا وكان عامر ماء المزن ابن حارثة الغطريف بن امرئ القيس الجواد بن ثعلبة الضمر^(١) بن مازن ابن الأزد . وفي ذلك يقول عمرو بن حرام جد حسان بن ثابت :

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجداً مؤثلاً
كرائم من أبناء نبت بن مالك ونبت ابن اسمعيل ما ان تحولا

وانما كان أول نقلة عمرو بن عامر من اليمن بالأزد وتفرقهم في البلاد أنه كان باليمن سد بناه يشجب بن يعرب بن قحطان وأتمه من بعده الصعب ذو القرنين عليه السلام .

(١) كذا .

وهو السد الذي ذكر الله في كتابه العزيز ، وكان السد بين جبل مأرب وجبل الأبلق - وكان الأبلق متصلاً بالجبال الزرق - وإنما قيل الأبلق : لأنه في أرض سوداء فيها معادن اللجين وأرض غبراء فيها معادن العقيان وأرض زرقاء فيها معادن الزبرجد والجزع - وكان يقال له الأبلق الباذخ - ولما رب الشامخ ، فمأرب متصل بجبال عمان والأبلق متصل بجبال بحر لجة وما فوق السد ستة أشهر وما تحته ستة أشهر يدركه نفع الماء وكان يأتي إلى السد سبعون نهراً كبيراً سوى ما كان يأتيه من السيول من أرض حضرموت وأرض برهوت إلى باب الحبشة ^(١) . فكان ما يلي مأرب عن شمال السد ابني كهلان ، وما يلي الأبلق ابني حمير بن سبأ . فكان يحبس السد لما فيه من الماء سنة من الحول إلى الحول يسقون به جناتهم وزراعتهم وما حاولوه من أمرهم على قدر ما يريدون فكان كما قال الله تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال) إلى قوله : (فقللوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) . وكان لعمر بن عامر مزيقيا من الجنات والزروع مثل ما كان لجميع أهل سبأ ، وكان لعمر بن عامر من الولد أحد عشر الأكبر ثعلبة العنقاء وحارثة وأبو حارثة وعوف وعلبة ومالك - قاتل الجوع - وكف ووادة وعمر وقيس وعبيد وأمهم مارية ذات القرطين بنت ظالم بن معاوية بن كندة بن مريع بن مالك بن عريب بن زيد ابن كهلان . وكان لعمر أخ أكبر منه يقال له عمران بن عامر ، وكان ملكاً متوجاً قبله ، وكان كاهناً لم يكن في الأرض أعلم منه ، وكان بيده علم من بقايا دعاة سليمان ، وكان له حظ عظيم من ذلك ، وكانت العرب لا تعدل بعلم عمران بديلاً وكان يخبر قومه أن بلادهم ستخرب آخر

الزمان حتى يفترق قومها في مشرق الأرض ومغربها ، وكانوا يكتمون ذلك من قوله ويقولون : شيخ قد كبر وبلغ من السنين أربعمائة عام ، وكان أخوه عمرو بن عامر قد بلغ ثلاثمائة عام . فلما حضر عمران الموت دعا بأخيه عمرو وقال له : يا عمرو اني ميت وهذه البلاد ستخرب ويفترق أهلها وان لله عليها نعمتين وسخطتين : أما النعمة الأولى فهذه النعمة التي كنتم فيها . والسخطة الأولى : ينهدم هذا السد ويفيض عليكم فيهلككم ويهلك زروعكم وجناتكم وأموالكم وتفرقون في الأرض ، والسخطة الثانية تغلب عليكم الحبشة . والنعمة الثانية : يبعث الله النبي محمد التهامي صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة ويغلب أهل الأوثان في آخر الزمان أهل الأديان فيخرجونهم من البيت الحرام ويخربونه ، فيرسل الله عليهم رجلاً من حمير يقال له شعيب بن صالح فيهلكهم ثم يخرجهم منه ، فلا يكون بالدنيا إيمان الا بأرض اليمن ، واني أخبرك بما يكون لك النجاة ولقومك وذلك أن امرأة من قومك يقال لها ظريفة بنت الحبر الحجورية - وهي وارثة علمي - فلما مات عمران وولي أخوه عمرو تزوجها وتتوج عمرو بعد أخيه ، وكان عمرو أعظم ملك بمأرب وكان له تحت السد من الجنات ما لا يحاط به . كانت المرأة تمشي من بيتها وعلى رأسها مكمل فلا تصل إلى بيت جارتها إلا وهي تملؤه من كل فاكهة من غير أن تمس منها شيئاً وكانت كما قال الله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور) وان الرجل يمشي تحت ظلال الشجر شهرين فلا تصل إليه الشمس من كثرة الجنات حتى دعوا على أنفسهم فقالوا : (ربنا باعد بين أسفارنا) فأرسل الله عليهم السيل . قال : وان ظريفة لما تزوجها عمرو بن عامر كانت ذات يوم نائمة إذ رأت كأن آتياً آتاها وقال لها : ما تحبين يا ظريفة علم تطيب به

نفسك أو مولود تقر به عينك ؟ فقالت : بل علم تطيب به نفسي فجر بيده على صدرها ومسح بظاهر كفه على بطنها فعقمت فكانت لا تلد واتسعت في العلم وأعطيت منه حظاً عظيماً . فبينما هي ذات يوم نائمة إلى جانب عمرو بن عامر إذ رأت كأن سحابة غشيت اليمن فأبرقت وأرعدت فلم تقع على شجر إلا أحرقتة ، فذعرت ذعراً شديداً ، فقام إليها عمرو وقال لها : مالك يا ظريفة فقالت : ازف بكم الغرق وآتاكم من الأمر ما قدر وسبق فخفضها عمرو حتى سكنت وقال لها : يا ظريفة ما تقولين ؟ فقالت : وقلبها يَخْتَفِق ودمعها يندفق : يا عمرو هلك النسل بالوحل . ثم ان عمرو ابن عامر لم يلبث أياماً حتى خرج إلى بعض حدائقه ومعه قيتان له وبلغ ذلك ظريفة فخرجت تمشي تريده ومعهما وصائف لها . فبينما هي تمشي إذ عرض لها ثلاث مناجد معترضات وهن منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، فلما رأتهن ظريفة وضعت يدها على عينيها ونزلت إلى الأرض وقالت لوصائفها : إذا ذهبن هؤلاء المناجد فاعلمني ، فلما ذهبن أخبرنها فقامت مسرعة فعارضها خليج جنات عمرو فوثبت منه سلحفاة فوقعت على التراب واستلقت على ظهرها ورامت أن تنقلب فلم تستطع فجعلت تبحث بيديها ورجليها لتنقلب فلم تقدر وهي تحثو التراب على رأسها وعلى بطنها تترق بولها . فلما رأت ذلك ظريفة جلست والقت يديها على عينيها وقالت لجواربها : إذا عادت إلى الماء فاعلمني ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء أعلمنها فمضت مسرعة حتى دخلت الحديقة نصف النهار حين سكن الريح فإذا شجر الحديقة متناصلة يمينا وشمالاً من غير ريح ، فمضت وعسرو في قبته ، فلما رأى ذلك ظن أن غيرتها حملتها فاستحيا منها فأمر الجاريتين فخرجتا وقال لهما : مرحباً بك

يا ظريفة هلمي إلى فراشك وان كنت قد أتيت في ساعة لم يكن المجيء من
عادتك ، فقالت : هيهات هيهات يا عمرو - تفاقم الأمر ومنع السر -
قال : وما ذلك لله أبوك ؟ فقالت : والنور والظلماء والأرض والسماء
ليهلكن الشجر بالماء ، ثم الماء . ففزع عمرو وذكر قول أخيه عمران قال
لها : وما ذلك ؟ قالت : أخبرتني المناجد بسبع سنين شدائد يقطع فيها
الولد الوالد وترمي بقومك إلى أرض المساجد وتوالون الأبعاد . فارتاع
عمرو وقال لها : انظري ما تقولين ! فقالت : إني أقول تلهفاً لما رأيت
السلحفاة علت خليجاً آنفاً تغترف التراب بيديها غرفاً ولا تني ببوها ان
تقذفا ، قال لها : هذا خطب عظيم ، فقالت : ان الإنسان لإنسان وباللسان
الحق والبيان والدهر ذو غير والوان والصمت خير من البيان وفي باطن
الأرض كتمان وفي ظاهرها إيضاح وتبيان . فعلم عمرو أنها قد كرهت
أن تخبره وعنده القينتان فقال لهما : اخرجوا فخرجتا عنه ، ثم قال لها : ما
تقولين يا ظريفة ؟ فقالت : أرى أموراً جسيمة تأتي بأوابد عظيمة وأموراً
أليمة أشا من الهزيمة نهاراً أو عتيمة ، قال لها : ويحك وما هو لقد أشرف
مكروه ؟ قالت : أجل ثم أجل فلتكن من أمرك على وجل ينجو بنو وائل
ويهلك الوسائل وما لك من نائل فكأنني أسمع رنة القائل عند جولة القبائل
فاحذروا ما تأتي به الدلائل فان علمي جل عن سؤال السائل قال لها عمرو :
يأتي لي فإني رأيت في علمك نجاتي ؟ فقالت : انعي لك تفرق الأحباب
وذهاب الخيل والركاب والماشية والاهاب والذهب والفضة والثياب من
السيل الأسود المنتاب . وكان عمرو متكئاً فاستوى جالساً وقال لها : بيني
لي النجاة ؟ فقالت : خطب طويل وأمر جليل والقتل خير من السيل ، قال
لها : صدقت فما وجه ما تذكرين . فقالت : أيت السد ولا تبعث أحداً

فيكون ذلك آكد فان رأيت جرذاً يقلب برجليه الصخر ويكثر بيديه الحفر فاعلم أنه قد نزل الأمر فعليك بالهبر ولا تجزع للدهر ، قال لها : أما ترين هذا الأمر ؟ قالت : لا أدري غير أنه وعيد من الله نزل ونكال منه لم يكل ، يقتل به من قتل لا يصرف عن سهل ولا جبل إلى حيث ما أراد الله من أرض وصل فليكن مغيرك يا عمرو التكل أو فلك الهبل . فانطلق عمرو إلى السد ولم يكل لغيره وكان يحرسه حتى رأى جرذاً يبحث برجليه ويقلب الصخر بيديه التي لا يقلبها أربعون رجلاً وذلك للذي أراد الله عز وجل وسبق في علمه أنه كائن فصدق ظريفة وعلم أنها صادقة فرجع إليها مغموماً فقالت له : ما وراءك ؟ فقال شعراً :

ابنة الخير والفلاح أصدقينا قد رأينا بعض الذي تعدينا
قد رأينا الذي ذكرت يقينا انما الدنيا غرور اللاعبينا
قد رأينا الجرذ في السد يقينا فأشيرى بالذي تعلمينا

قالت : يا عمرو إذا ظهر الجرذ الحفار فاستبدل لنفسك داراً من دار وجاراً من جار فعندها تنزل الأقدار ، قال : ومتى يا ظريفة ؟ قالت له : ما بينك وبين سبع سنين ينزل الأمر اليقين وتحول البنين ، قال لها : فكيف النجاة ؟ فقالت : هيهات يا بن ماء المزن انقطع علم ذلك من كل ذي علم ولو علم ذلك أحد لعلمته ظريفة ، ولا يأتي علي يوم وليلة إلا وأنا أتوقع ذلك . قال لها : وما علاقة ذلك ؟ قالت : ادع بقدر من زجاج في مجلسك دون الرتاج واضرم أمامه سراج فانه يمتلئ رملاً بلا مزاج . ففعل ووضع قدحاً دون رتاج مجلسه فما لبث أن امتلأ رملاً والريح لا تصل إليه . ثم قالت له : يا عمرو إذا رأيت الحصباء في شربك فاغتم بيع أرضك واخرج إلى النخيل فان رأيت سعفها يتناهل ويميل فارحل فقد آن

آن الرحيل وبع ما لك بمأرب من مال ، قال : يا بننة الحبر يضيق بذلك الصلبر وما على هذا الأمر من صبر .

قالت : يا عمرو - النجاء النجاء من أقام غرراً أساء فاعزم ولا يخذعنك المنى فان العجز عاقبته البلاء وان الجلوس غرر فالحذر الحذر والله الفعل والأمر يهلك من يشاء ويذر ، فاصدق نفسك ولن ينجو منه ذو ناب ولا ظفر . فكنتم عمرو أمره وعزم على بيع ما كان له بمأرب من مساكن وجنات وقصور واجمع أن يرحل بولده وأخوته وقومه وفزع أن ينكر عليه ذلك فأمر بمائة من الابل فنحرها وذبح البقر والغنم وكان كثيراً ما يصنع ذلك فأطعم ثلاثة أيام وأرسل في جميع مأرب حتى لا يتخلف عنه أحد وكان عمرو قد أمر ولده ثعلبة العنقاء - وهو أكبر أولاده ، وهو جد الأنصار - قال : يا ثعلبة إذا أمرتك غداً بأمر فاعصني واغلظ علي في القول ، فإذا ضربتك بالعنزة التي بيدي قالطمني ، فقال له : يا أبت لا تساعدني يدي ، قال له : إن لم تفعل هلكت أنت وأخوتك وقومك ، فقال له : نعم . فلما اجتمع الناس أمره الملك عمرو فأبى عليه وأغلظ له في القول فصر به بالعنزة التي كانت في يده فلطمه ثعلبة ابنه ، فقال عمرو : في يوم مجدي يلطم خدي فيه ولدي وأذلاًه ، فوثب الناس إلى ابنه ليقتلوه إعظاماً للملك ، فقال لهم عمرو : لا تقتلوه فان الرحمة سبقت له في قلبي من السخط ، ولكني سأبلغ منه استطال ثعلبة واطغاه علي المال ولكني سأعدمه وأبيع جميع مالي بمأرب تحت السد ونذر لله نذراً ليفعلن حتى يفقر ثعلبة ويدفع الأموال إلى أخوته وينتقل من مأرب إلى غيرها ويخلف ثعلبة . فقال الناس من أهل الشرف والقوة : اغتبنوا من عمرو بن عامر غضبه وابتاعوا منه جميع ما كان له بمأرب فان هو تمادى على غضبه فقد أفدتم أموالاً

عظيمة وان هو رجع رددتم عليه أمواله وكانت لكم عنده يد فاشتروا منه جميع ماله . فلما قبض ثمن أمواله دعا بمالك بن النعمان — وهو سيد الأزدي بعده — فأخبره الخبر ودعا بظريفة فقال لها : ما عندك يا ظريفة أين تريدان لنا السير ؟ فقالت : يا مالك بن النعمان يا بن زيد بن كهلان — أهل الفضل والبيان — أرى أن تغدوا من الغد ولا تقيم ساعة لوعده أمر يسير كالرعد فباعنا عند ذلك الأزدي أموالها وقالوا : لا نتخلف عن ملكنا . فسار عمرو في الأزدي — وكانوا يعمرسون أعماراً طوالاً — حتى أنه ليكون مع الرجل من ولده وولد ولده عسكر جرار ، فكان كل سيد على من يليه ، وكان مع عمرو ثلاثة وعشرون رهطاً من أولاده وأولاد أولاده وسائر ذلك ، فلما اجتمعوا للسير دعا بظريفة فقال لها :

يا ظريفة : أين تريدان لنا السير ؟ فقالت : فيكم الأمير وعليكم التدبير . يا أهل المجد من سبأ الممزقة سيروا لنا فلا بد لكم من فرقة يتقدمها اليسار وتعفو الآثار فتناهى الديار وتطول فيها الأسفار وتنقضي منها الأوطار عجلوا ففي كل بلد لكم خبر كلما لقيتم نفراً كان لكم الظفر تتوارثون الملك بعد الملك وتلبسون التاج بغير شك وبدأ الأمر من علك . فسارت الأزدي مع عمرو بن عامر وجعلوا على مقدمتهم مالك بن النعمان بن الجلهم بن عدى بن عمرو بن مازن الأزدي ، فبينما هم يسرون إذ قالت ظريفة : يا معشر غسان أنذرتكم من هذا المكان أنتم أهل العز والسلطان وفوارس الطعان وسيوف بني قحطان ، قالوا : وما ذلك يا ظريفة ؟ قالت : والسرايل المحترقة التي يمشي فيها سملقة بالغدرة المعبقة والسيوف المطبقة قالوا : وما ذلك يا ظريفة فأمرينا بالسرعة إذا شئت والكف متى شئت ؟ والأمر إليك ، فقالت : إني أرى منكم إيضاحاً ووجوهاً صباحاً تسبق

الرماحا وتكثر الصياحا ، قالوا : فأين ذلك يا ظريفة ؟ فقالت : سيروا
إلى عك بالسيوف ، فلكم منهم صروف وضراب وحتوف . فزعموا أن
ظريفة أول من سماهم غسان ، وقيل ان غسان شرب مازن من السد وقال
حسان بن ثابت :

أما سألت فانا معشر نجـب الأسد نسيـتنا والماء غسان

وقد اختلف الناس في غسان فقالوا : هو ماء لبني زبيد نزل عليه بنو
مازن فسموا به ، وقال قوم : هو ما بين الجحفة والمشلل نهر يسمى غسان
فتزلوا عليه فغلب عليهم اسمه ، وقال أكثر العلماء : أنه شربهم من السد -
وعلى هذا عامة العلماء - وغسان هم : بنو مازن بن الأزد خاصة وهذا
وفق الأحاديث لأنه شرب لبني مازن من سد سبأ . فلما انتهوا إلى عك
أرسل الملك عمرو بن عامر إلى سملقة بن حباب العكي يسأله في النزول
في أرضهم قليلاً ثم يرتحلون عنهم إلى أرض غيرها ، وان سملقة سيد عك
دعا قومه فقال لهم : ما ترون ان الملك عمرأ قد أرسل إلي وقال : انا قدمنا
ببلادكم وأردنا المقام يسيراً مقام الزيارة فواسونا قليلاً حتى نرحل عنكم ،
فما ترون في بني عمكم وقد سألوكم حسن الجوار يسيراً وقد كرهوا أن
يتزلوا أرضكم بغير رضا منكم ولا إذن ؟ فقالت عك : ذلك إليك يا
سملقة غير أنه ما نزل قط قوم على قوم وعرفوا وجوه أرضهم
فوطئوها الا كانت لهم الغلبة عليهم . وقد قال يعرب بن قحطان : ويل
للمنزول عليه من النازل المنزول عليه يلين الجوار والنازل مع ذلك متطول .
فقال سملقة : ليس هذا من فعل عمرو بن عامر لأنه ملك ، سيروا إليه
بأسركم فإنه أقرب إليكم رحماً وأعظم عندكم منزلة من أن يفعل بكم
هذا . قالوا له : امض أنت وافعل ما أحببت . فسار إليه سملقة فقال له :

أيها الملك اختر أي جانب من الوادي شئت ان شئت شرقيه وان شئت غريبه فانزله . فقال له : جذع بن سنان - وكان صعلوكاً في غسان وفاتكها في ذلك الزمان - : أيها الملك الغربي أحسن لأنه مجمع السيول ومستقر الماء . فقال له الملك : الغربي أحسن يا سملقة . فنزل عمرو في غربي الوادي بمن معه وبعث ابنه حارثة ^(١) رائداً مع رواد في خيل يرتادون له منزلاً ، وبعث ابنه الحارث في جهة أخرى بخيل يرتادون له منزلاً ، ثم نحر الملك عمرو وأمر بالطعام ونادى إلى عك فأجابوه إلى طعامه فأحسن إليهم وحملهم وأعطاهم - وان عمراً بن عامر اعتل فمات قبل أن يرجع إليه ابنه - وستخلف ابنه ثعلبة العنقاء في قومه وأقام ثعلبة ينتظر أخويه المرتادين . قال : ونزل عند بني حارثة بن عمرو بن عامر وهم رهط جذع بن سنان رجال من الجن وفيهم قاشر الجني ، فلما جلسوا حلبوا لهم اللبن وشربوا ، فقال لهم قاشر الجني : يا معشر غسان ما بال لبنكم ليس كلبن بني عمكم عك ، لبنكم مالح مصرح رقيق ولبن بني عمكم غليظ دسم ؟ قالوا له : لا ندري لم ذلك ! قال لهم قاشر الجني : نحن أعلم بذلك منكم ، انما أتيتم في أموالكم ومواشيكم من قبل الأرض وذلك أن بني عمكم أنزلوكم غربي الوادي وأسفل النهر ومستقر السيول فمواشيهم تشرب صفو الماء ثم تسرح في غربي الوادي فتستقبل الريح بوجوها وتستدبر الشمس بظهورها فتسخن متونها وتنزل ضروعها وإذا طلعت الشمس طلعت مكانها فأصابها الكلاً قد اطعم نواره وذاب جليده وشرب نداه أصله فاستد نباته وزكى طعمه . قال : ونزلتم يا معشر غسان في غربي الوادي وأسفله فانعامكم تشرب كدر الماء وتسرح شرقي الوادي وتستقبل

(١) تقدم أبو حارثة في الموضعين فتأمله - ح .

الشمس بأبصارها فتكل عن البذر وتضعف أبدانها وتستدبر الريح بظهورها فتبرد متونها وتنكمش ضروعها ، وإذا طلعت الشمس فلا تبلغكم إلا بعد ارتفاعها ، فكلاكم ظليل أبدأ لا يبرز زهره ولا يشرب نداء أصله - فمن ثم لبنكم رقيق مالح فكلموا بني عمكم يعاقبوكم من أرضهم قبل أن تهلك أنعامكم - قال : فعند ذلك بعثت غسان إلى عك اعقبونا من المنزل ولا تستأثروا علينا هذه الاثرة كلها ، فقالت عك : يا قومنا الأرض أرضنا ، وانما أنتم ضر علينا ولولا السيد الكريم والملك الرحيم عمرو بن عامر ما أنزلناكم ولو كنتم قد أخذتم الشرقي ما منعناكم فقد واسيناكم أفضل المواساة فلا تبغوا علينا فانه لا يسعكم البغي ، فقال ثعابة العنقاء : صدق بنو عمكم فكفوا عنهم فقد أحسنوا إليكم في مواساتكم فاخترتم منزلكم الذي أنتم فيه فلا تجعلوا لهم ذنباً لم يذنبوه إليكم ولا تنب لهم ولا تبغوا عليهم وهذا منكم بغي . فقام جذع بن سنان - وهو أعور وأصم - فقال : صدقت أيها الملك . ثم أتى إلى ابن عم له يقال له زوبعة فقال له : ان الملك أراد أن يتم لعك عهدهم - وهو حدث غر لا يعرف الشر من الخير - ولكن يا زوبعة لا بد لك أن تقتل لي سملقة بن حباب - وكان زوبعة صاحباً لسملقة - فقال له زوبعة : ويحك يا جذع إنه أخي وصاحبي فكيف أقتله ؟ قال له جذع : قد أخبرتك ، فأتى زوبعة الغساني إلى سملقة العكي فقال له : يا بن العم عقب ابن عمك في المنزل لتعرف العرب اكرامه فانه يكره (١) الرحم وفساد ما بيننا وبينك واعلم أن مقامنا في بلادكم قليل حتى نرتاد منزلاً ؟ فقال له سملقة : إني أحب مسرتك وانك لتطلب غير النصف واذك لتعلم ما يريد أصحابك وما قال لهم قاشر

(١) لعله يكره قطع الرحم - ح .

الجني وأصحابه ، قال لهم : كذا وكذا ولم يرد بنا وبكم الخير وأنا أعلم ما يؤول إليه هذا الأمر — وكان سملقة رجلاً عاثفاً زاجراً يقول الشعر — فقال لسملقة : ما لنا بشركم من حاجة وكان ذلك اليوم نزل سملقة قوماً من زبيد وكان كريم عك فباتوا عنده . فبينما سملقة يكلم زوبعة اذ قال له سملقة : يا زوبعة ان الذي أتيت فيه مخنوق أو مذبوح ، قال : وكيف ذلك يا سملقة ؟ قال له : انك لما كلمتني وامرأة من الحي قد مرت بي وفي يدها ديك فعلمت بزجري ما قلت لك . ثم إنه بات معه تلك الليلة وتركه حتى تحكمت الحمر في رأسه فقتله وأتى إلى الزبيديين فقال لهم : فروا فان سملقة قد مات ، وأخشى عليكم من عك ، ففر الزبيديون ورجع زوبعة إلى جذع فأخبره . فعند ذلك لما أصبح ووجدت عك سملقة مقتولاً ثارت بالسلاح إلى غسان ، فقال لهم جذع : ما لكم أنتم أخواننا ؟ قالوا له : يا جذع قتل زوبعة سيدنا سملقة . قال لهم : كأنه لم يبت مع سملقة في القبة إلا زوبعة ؟ قالوا له : بات معه نفر من زبيد ، قال لهم : لا تعلمون من قتله ، وان زوبعة لن تروه بعد هذا وما كان عن أمر منا وهذه أموالنا لكم تحكمون فيها وأنه لولا وجع ثعلبة بن عمرو لغدا عليكم — فنظر بعضهم إلى بعض وأتمروا بجذع — فقالوا : نقتل أعور أصم دنيا في قومه . ثم قالت عك : قد اعتذر إليكم بنو عمكم وقد علموا ما كان منكم من سوء فعل زبيد وصاحبهم ، ولكن كفوا حتى يدفعوا إليكم زوبعة تقتلوه بسملقة . قال لهم جذع : ذلك لكم . فرجع جذع ومضى إلى ثعلبة بن عمرو فلم يخبره أنه أمر زوبعة بقتل سملقة فقال له ثعلبة : ادفع إليهم زوبعة يقتلوه بسملقة — فإنه لا عذر لكم — قال له جذع : لا تعجل ان كان هو من صاحبنا زوبعة — فهو من الزبيديين — ثم ان جذع بن سنان أتى إلى غسان

تخير منهم مائة رجل ثم قال لعك : تخيروا منكم مائة رجل يحكمون الأمر بيننا وبينكم فتواعدوا للعهد على مكان بعيد . ورجع جذع واختار مائة رجل من قومه وأمر أن ينطلقوا ليلاً إلى المكان الذي تواعدوا فيه وأمرهم أن يدفنوا فيه سلاحهم . فلما أصبحوا قال لهم جذع : يا معشر غسان أصحابكم لن يغدوا حتى يروكم فاغدوا في رفيع الثياب ، ففعلوا وتعرضوا دون سلاح . فلما رأوا ذلك عك اطمأنوا وخرج منهم مائة رجل من أشرفهم بمثل ذلك الزي - وقد كان جذع قال لأصحابه احبسوهم بالأحاديث واضربوا لهم الأمثال حتى يحمى الهجير وتعلو الشمس ويدخل جميع عك فإذا لوححت لكم بثوبي فعليكم بالسلاح - ففعلوا ذلك وقتلوهم حتى أبادوا المائة رجل . ونظر رجل من عك - يقال له يزيد بن زياد - إلى قتلهم فنادى : يا آل عك غدرتم في أصحابكم . فأقبلت إليه عك على الصعب والذلول وتداعت غسان فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى انهزمت غسان ووقعت عك في الغنائم . فلما ملئوا أيديهم وانصرفوا تبعتهم غسان فقتلوهم حتى أمعنوا هارين في الأرض وخلوا منازلهم . فنادى جذع في أصحابه : ارفعوا السيف فلا حاجة لنا فيمن بقي من عك ولا تقربوا غنائمهم و عيالاتهم وحال بينهم وبين ذلك ثعلبة بن عمرو وقال : إياكم وبنات عمكم . فقال المقنع العكي : حين انهزمت غسان :

غسان غسان وعك عك والأشعريون رجال ضنك
والقوس فيها وتر وعنك (١) والنبل كالنيران صفر سك
والمشرفيات لنا والد لك والخرد العين لنا والمسك
سيعلمون أيننا الأرك

(١) كذا في الأصول والله أعلم .

فلما كرت غسان عليهم وهزمتهم ، أنشأ جذع بن سنان يقول :

نحن بنو مازن فينا الملك سيدفع الأبطال عنا الشك
سيعلمون من هو الأرك إذا التقينا والمكان ضنك
غسان غسان وعك عك ليس لكم من البلا مفك

قال فعظم على ثعلبة بن عمرو غدر عك ولم يجد سبيلاً . ومالت قبائل
غسان مع جذع ، فقال ثعلبة : لا خير لنا في المقام مع عك بعد غدونا بهم
فقال جذع : أوطنوا أرض عك يا آل غسان . فأرسلت عك إلى الملك
ثعلبة وقالت له : اعطنا عهد الملك ، فتشاءم ثعلبة بجذع ، وأتى إلى ثعلبة
أخوته المرتادون فأخبروه عن أرض همدان وخصب أرضهم ومراعيهم .
فدعا بظريفة فقال لها : ما ترين ؟ فقد جاء بنوك بخير وبخصب أرض همدان
وقد أسأنا جوار عك وكرهت المقام فيهم وأردت المسير إلى همدان فسا
ترين ؟ قالت : أما عك أهل المكر فقد أرسلتم عليهم الأمر نقمة من نقم
الدهر وأما أرض همدان فقد أعلمتكم بها منذ زمان . ثم قالت : والشهاب
والفلك والنظارة والوعك ليتخلفن منكم حيان في عك ويملكنهم أيما ملك
وليدن عليهم بالدك . فساروا إلى همدان وتخلف منهم حيان عنس وبولان
فانتسبوا في عك إلى الآن . فقبل عنس وبولان ابنا أصحاب بن عك وانما
عك وبولان أصحاب الحارث بن مازن بن الأزد ، فبينما هم في مسيرهم
إذ قالت ظريفة لغلام لها - يقال له سنان - : يا سنان بشر الأزد غسان
من ولد الأغر كهلان بالنصر على همدان والملك إلى زمان . فلما انتهوا إلى
بلاد همدان كلمهم الملك ثعلبة العنقاء ففرعوا أن يكون منهم إليهم ما كان
منهم إلى عك بن عدنان بعد المواساة والإحسان قاموا عليهم فناصبوهم
إلى القتال فاقتلوا قتالاً شديداً بموضع يقال له « البطحاء » فانهزمت همدان

ورحلوا عن بلادهم وأموالهم . فقال ثعلبة بن عمرو : لا تمسوا شيئاً من أموالهم فانظروا إلى موضع من بلادهم ترضونه فانزلوه إلى أن تروا مكاناً وترحلون عنهم فانا لا نريد الإقامة في بلادهم وهم كارهون ، واحسنوا جوار من رجع منهم . ثم بعث إلى همدان : هلموا إلى أموالكم وبلادكم فانا لا حاجة لنا فيها ، فرجعوا فقالوا لهم : يا قومنا وقعت بيننا وبينكم قتلى كانت حياتهم خيراً لنا ولكم من موتهم وليس بد من المقدور فاطمأنت همدان ورجعت إلى منازلها واصطلحت مع غسان . وقال ثعلبة لهمدان : يا قومنا نريد أن نرحل عنكم ، فقالت همدان : أيها الملك سخطنا قدومك وأساءتنا رحلتك ، فما أحسن الفرقة قبل المعرفة ، واحسن الاجتماع بعد الفرقة . ثم ان ثعلبة وغسان رحلوا وتحلف في بلاد همدان بنو وادعة ابن عمرو فأحسنّت همدان جوارهم وملكوهم على أنفسهم وأسندوا إليهم أمورهم حتى دعاهم ذلك إلى أن انتسبوا إليهم فقبل وادعة بن عمرو بن جشم بن حاشد بن همدان . فلما اجمعوا للمسير دعا ثعلبة ظريفة فقال لها : يا ابنة الخير أين ترين وجه السير؟ فقالت : والبرق والبيان والذهب والعقيان لتحار بن الفرسان ولتلقون خيلاً ذات سنان ذوي أسل وأبدان وصفائح الإيمان . فقدموا إلى أهل بنجران فعليكم بنجران فلما آتوها لقيهم مذحج سعد العشيرة فقاتلوهم حتى حال بينهم الليل . فلما هدا الناس نادى ظريفة في جوف الليل : يا بني عمرو بن عامر يا عظام المنابر قد جرى لكم خير طائر فإذا أضاء صبح وأصبح واعتلج الليل وبرح ، فطوبى لمن أفلح ونظر في أمره واصلح . فلما أصبح غدوا إلى مذحج فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزمت قبائل مذحج ووقعت بينهم قتلى ، ثم تصالحت غسان مع مذحج وانتسبت في مذحج من غسان بنو زيد بن الهبور وصاروا معهم أخوة فيقال

إلى اليوم بنو زيد بن الحارث بن كعب بن عبيد^(١) بن خالد بن مالك . ثم
أجمع ثعلبة على المسير فقال لظريفة : أين ترين ابنك المسير ؟ فقالت :
نحو السراة عجلوا الرحىلا لا تجعلوا من دونها بديلا
أصبح وجه الأمر مستحيلا

ثم قالت^(٢) : يا ثعلبة من هذا المكان أحكم بالبيان امضوا الآن مسرعين
ويتخلف منكم حيان . فمن كان منكم ذا هم بعيد ومراد جديد وحمل
شديد فليأت كابر وليد وقصر عمان المشيد فكانت هذه نصر الأزد .
فسار من سار إلى عمان من الأزد وكان الذين تحملوا إلى عمان بنو نصر
ابن الأزد هم أهل بيت عمرو بن الحليد بن البكير وسار بهم رئيسهم
خيوان بن سالم بن ناهدة بن عمرو بن نصر بن الأزد فترلوا عمان والبحرين
ثم قالت : يا ثعلبة من كان منكم ذا هم امدن وخيل ادكن فليلق أرض
شنء - فكانت هذه صفات أزد شنوءة - فلق بهم عون بن عدي بن
حارثة بن عمرو وهؤلاء أزد شنوءة . ثم قالت : يا ثعلبة من كان منكم ذا
حاجة وأسر وإناة وصبر على أزمات الدهر فليترل الاراك من بطن مر
- فكانت هذه صفة خزاعة - فسارت خزاعة حتى نزلوا ببطن مر . ثم
قالت : من كان منكم ذا رمح نجل وسيف نصل ورأي جزل وقول فصل
- يريد صدق القول - والراسيات في الوحل المطاعم في المحل يعلم بعد
الجهل وينصر خاتم الرسل فليترل بيثرب ذات النخل - وهي المدينة -
فترلت بها قبيلتان : الأوس والخزرج - أهل الوجوه الوضية والأنفس
الرضية والمناقب السنية فليخرجوا قبل نزول المنية وحلول القضية وليترلوا

(١) في الأصل - عنه .

(٢) انظر القصة في مروج الذهب ج ١ ص ٢٦٧ طبع مصر .

بيثرب بجوار هزان بن حمير ذات التيجان أفضل الأخوان والبحيران -
فخرج حارثة وأخوته بنو ثعلبة العنقاء . قالت له : يا ثعلبة تفرق قومك ثم
تلحق ببنك فمن كان منكم يريد بلداً عالياً وعيشاً راضياً وخيلاً صوافنا
وملكاً دانياً فليلحق بالمشرق من أرض بابل بين القبائل في أطيب المنازل
وأحسن المناهل وأعلى المعازل - فهذه صفة بني همدان بن الأزد - فسار
نحو العراق إلى بابل . ثم قالت : ومن كان منكم يريد خمراً وخميراً
وديباجاً وحريراً وملكاً كبيراً وتأميراً فليأت بصرى وحفيراً ودمشقاً
وغويراً ، ومن كان وجهه منيراً وفرسه حميراً ^(١) وطعمه قديراً وولده
كثيراً فليمض إلى دمشق - فكانت هذه صفة علبة بن عمرو بن عامر -
وعلبة هو جفنة ، فسار جفنة وبنوه وكان لعلبة ولد كثير - وهو أعز غسان
وأعز ولد عمرو بن عامر - وتخلف بمأرب مالك بن النعمان بن عمرو
ابن مازن بن الأزد بعد خروج عمرو بن عامر على من تخلف من وشل
الأزد . ونزل السراة من الأزد بنو هبيرة بن الهبور بن الأزد ، والبعض من ولد
الهبور بن دهمان وعامر وآهله ابنا عبدالله بن نصر بن كعب بن الأزد - وهم
أزد شنوءة - فهذه القبائل الذين سكنوا السراة بظهر الجبل الذي يقال له
« الحجاز » أعلى نجد شديد البرد والحجاز ما حجز بين نجد وتهامة . ففي
أعلى نجد الحر في الشتاء والصيف وفي أسفله غور في الشتاء بارد ، ونزل
سهب ومنهب وراسب بنو مالك بن نصر بن الأزد - وهم برق دهمان بن
دهوان بن كعب بن نصر بن الأزد - وهم أولاد عامر الجادر أول من جعل
للبيت جداراً - وهو الجادر بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن
نصر بن الأزد - وهم أهل بيت المهلب بن أبي صفرة - وهو ظالم بن سراق

(١) لعله وفرشه حريراً .

ثم قالت ظريفة لحارثة ولولده : خذوا الحمل الأزور فصرجوه بالدم الأحمر وارسلوه يمشي على قدر حتى ينزل بكم البلد الأغر بلد النبي الأزهري صلى الله عليه وآله وسلم . فنزلوا هؤلاء القبائل الذين نزلوا السراة الذي يقال له الحجاز - لأنه حجز بين نجد وتهامة - وهو السراة - وإنما سمي السراة لاستوائه كاستواء سراة الفرس - وأقام بالسراة من غسان من ولد عمرو بن عامر وولد عمران بن عامر . ثم سار ثعلبة بن عمرو في أصحابه ووجوه قومه ، حتى إذا كان ببعض الطريق قالت لهم ظريفة : وحق ما نزل من علمي بالبيان وما نطق به اللسان ما أعلم مني إلا الرب الأعظم رب جميع الأمم إني لا أرى علماً بكم ، قالوا : وما ذاك يا ظريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشدقم فانحروه وخضبوه بالدم حتى تأتوا أرض جرهم ولا تبغ بالغلبة فتندم وكف يسلموا وتسلم جوار بيت الله الحرم بيت بناء النبي الأكرم خليل الولي المنعم بيت النبي الأعظم يقتل من كفر واجرم . قال : فأخذوا الحمل فانحروه ثم مضوا حتى انتهوا إلى مكة فأصابوا بها جرهم وبني اسماعيل . فقال ثعلبة لجرهم : يا معشر جرهم أنتم أهل العز ولكم البأس والمجد ولكم على الناس حق بولايتكم هذا البيت ولسنا نحب أن يكون بيننا وبينكم حرب فانا ما نصب لنا أحد من الناس حرباً إلا نصرنا عليه فخلوا لنا السهل والوطاء حتى تشحم وتلحم أنعامنا ونمضي عنكم ولا يكون بيننا وبينكم حرب فانكم لا تدرون لمن تكون الغلبة ألكم أم عليكم . فغضبت جرهم وقالت : ما كنا نرى أن يطمع فينا أحد بهذا أو يرجوه . ثم تهيئوا للقتال هم وبني اسماعيل وكانت جرهم وبني اسماعيل قليلاً - فهزموهم حتى أدخلوهم مكة واستغاثوا بالحرم . وأقام ثعلبة بمكة في بطحائها ، فذاق شدة العيش هو وأصحابه ، ثم شخصوا عنها وبقي بمكة من

غسان أبو حارثة بن عمرو بن عامر فولي أمرها فأخذه الرعاف ومات ، فكان كل من وليها منهم لا يقيم إلا سبعة أيام ثم يموت من الرعاف . ثم عم الرعاف عليهم فكانوا لا يتداركون ، فهربوا ولحقوا بثعلبة . وان ثعلبة انتهى إلى الجحفة . فلما بلغ المشلل قالت ظريفة : يا بني عمرو بن عامر أوصيكم - فقد حان موتي - ولكل أمر نبأ ولكل نبأ يولد ^(١) ارتضاء ، ثم قالت : انزلوا وأقيموا فاني ميتة هذه الليلة وقد رأيت أن علمي يخلفني فيه مولودان في هذه الليلة فجعلهما الله آية للأولين والآخرين فهو مولود من غسان - ويقال له مسعود ^(٢) بن مازن بن ذؤيب بن عدي - ثم قالت : والاسم والرباء والعلم والاباء والنور والضياء لقد ولد في تميم آخر من بني العم ليس له مفصل ولا عظم يخرج ممسوحاً ثم تموت أمه لسبع ليال ينبىء بالزيادة والنقصان إلى فراغ الخلق والزمان واقسم بالنور والفلق ما له رأس ولا عنق فكان يكبر كما يكبر كل شيء حتى صار كالرجل من أهل زمانه ، وماتت أمه لسبعة أيام من مولده فأتوا به إلى ظريفة ففتحت فمه فنفت فيه وقالت : لا تسقوه لبن امرأة واغذوه فان هذا يكفيه إلى بلوغه ثم قالت : أنت خليفتي من بعدي ، ثم قالت : اقسم بالله يمين الحق ليأتين مثل هذا شق يعلم ما جل وما دق له يد واحدة ورجل واحدة وآية الله عليه شاهدة يعلم ما خفي وما ظهر ينبىء بالحق عند تصديق الخبر فأتواها به فتفلت في فمه وقالت له : أنت خليفتي من بعدي ، ثم قالت : يا ثعلبة إذا جاوزت الحجر والمقام فانزلوا على الاعلام من أرض الشام ، فإذا آتاك الملك الأعجم في الجحفل العرمرم فقوموا عند انصرام الليل الأدهم فالتمسوا امرأة في جيبها إرقم فقلدوها الحرب الأصم ، ثم سر أنت في

(١) كذا .

(٢) في السيرة - واسم سطيع ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذؤيب بن عدي .

الجيش اللهم إلى البلد الحرام ، ثم قالت :
ان ابنة الخير لها أعجوبة وميتة تقضي لها مكتوبة
يؤدي بها في ليلة العروبة

فماتت ليلة الجمعة في عقبة الححفة وقبرها هناك مشهور ، وان عمرو
ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر نزل مكة فاحتفر فيها بئراً وسماها
غسان وخزاعة من بني عمران الكاهن ولما تخزعت خزاعة قال فيهم عمرو
ابن انيف الغساني :

ولما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة منا في بطون كراكر
حمت كل واد من تهامة واحتمت بيض القنا والمرهفات البواتر

ولما نزلت أزد شنوءة السراة وجدوا بها امرأة من قوم عاد بن قحطان
فقلت لهم : إني بقية من قوم عاد وأنا أعلم بالبلاد منكم فاحملوني على
بعير وسيروا بي أخبركم عن الأرضين . فحملوها على بعير ، فلم يستقل
بها فقالوا لها : ما نجد بعيراً يحملك ؟ فقلت : هل من ناقة هبراء فحملوها
عليها فسارت بهم حتى أتت أرضاً تسمى طرب^(١) فقلت : هذه طرب
حجرها ضر وجبلها وعر يلقي الراعي بها شر . ثم خرجت بهم حتى أتت
كراء . فقلت : هذا كراء مرملة قاتلة للنساء ، ثم سارت إلى بيشة فقلت :
منزلة خربة آمنة مانعة . فنزلت الأزد بهذه المنازل كلها . فقال لها رجل
يومئذ - أي القسي خير - قالت : أما السدرة فانها مذرة هذرة ولكن
عليك بالنبع فانه أصلب عند تقارب النزع وإياك والشریان فانها قسي
الصبيان . ثم ساروا عنها وتركوها بالوادي ، فقامت أزد شنوءة بالسراة

(١) كذا ولم نثر عليه - ح

وسارت منهم قبائل إلى عمان - فأول من خرج بهم مالك بن فهم -
 وكان سبب خروجه أنه كان له جارة وكان لجارتها كلبه وكان له أخ له
 أولاد كثيرة ، فرمى ابن أخيه كلبه جارتها فقتلها ، وكان بنو أخيه أكثر
 من بنيه ، فلم يستطع أن يفعل في بني أخيه شيئاً فغضب وقال : والله لا
 أقيم ببلد يفعل هذا فيه بضيئي ، فسار حتى نزل عمان فسمي الموضع
 الذي رحل إليه نجد الكلبة إلى اليوم . فلما ورد مالك بن فهم عمان تزوج
 بها امرأة من بني عبد القيس فولدت له غلماناً كثيرة وكان أصغرهم سليمة
 وأنه أناخ ابله ذات ليلة وخشي عليها الطرد فعقلها ومعه سليمة فباتا فيها .
 فلما كان في الليل قام يفتقد عقلها فرآه سليمة وهو يكب عليها ويرفع
 رأسه فظن أنه لص فنزع له سهماً فرماه فقطع نساها فقتله ثم لحق بعمان ثم
 ان الأزد ضاقت بهم أرض السراة فخرج من كل قبيلة منهم ناس ، فخرج
 بنو رابعة بن عمران وبنو حارثة بن عمرو وبنو غالب بن دهران ، فخرجوا
 ونزلوا بالشعب من أرض عمان فقال في ذلك شاعر من غسان :

كونوا كعمران إذ سبه محله فقال حبس وضيقات في رصد^(١)
 شد المطي على الانساع فانشمرت تطوي الصحاح حتى منتهى الرصد

وان ثعلبة العنقاء سار حتى قدم الشام - وكان أكثر من مضى إلى الشام
 بنو جفنة بن عمرو بن عامر - فلما نزلوا بالشام عورض ثعلبة العنقاء وكان
 جميلاً فقتلته الجن فاستحلف ابنه حارثة وهو ابن الأوس والخزرج وأمره
 أن يشاور في أمره جذع بن سنان ولا يعصيه . فكان جذع ذا رأي مبين على
 ما كان من عوره وصممه - وكان شجاعاً لا يملأ قلبه شي - ومات ثعلبة

(١) هذا كما ترى والله أعلم .

العنقاء وهو ابن مائة سنة . ومضى القوم حتى بلغوا الشام ، وبالشام سليح وهو قبيل من قضاة ، فأصابوا قيصر قد تغلب على الشام وذلك بالفترة التي كانت باليمن بعد انقضاء التبابعة ، وذلك بعد موت قيصر ماهان عامل تبع شمر يرعش ، فولي بعده ابنه دقيوس بن ماهان فقالت غسان لسليح : ارعونا بلدكم ، قالوا لهم : ليس لنا من الأمر شيء . وذلك إلى الملك قيصر ، فقالت لهم غسان : أنتم شفعاؤنا إليه فكلّموه في غسان وأخذوا لهم منه عهد على عهد عيسى وأذن لهم بالنزول بالشام وأقاموا مع سليح وجاوروهم بأحسن جوار ، وعند غسان كتاب من عند قيصر بالعهد ، وخرج عامل لقبصر يجي من تحت يده من الروم وغيرهم فأتى غسان يجيهم فعظم ذلك عليهم لأنهم كانوا لا يعرفون الحباية ولم تكن التبابعة تفعل ذلك ولا هي من سنتهم وما كانوا يدخلون بيوت أموالهم إلا ما جبهوه بأسيافهم . فلما آتاهم في الحباية عظم عليهم ذلك وثقل فقالوا له ان كتاب قيصر بالعهد عندنا وانما جاورنا لوجه الراحة ! قال لهم : ما أدري ما تقولون ولكنكم أدوا ما عليكم وإلا فلکم عندنا السيف والسبي ، ثم قال لهم : لا يبقى منكم إنسان إلا أعطاني ديناراً فاصطفوا صفّاً واحداً فإذا مررت برجل ناولني ديناراً . ففعلوا وجعل لا يمر برجل إلا أعطاه ديناراً حتى أتى على الصفوف والملك حارثة بن ثعلبة العنقاء قائم بمعزل عنهم فقال لهم : ما بال هذا لا يعطيني ! قالوا له : ذلك الملك ابن الملك ، قال لهم : لا أعرف ملكاً غير قيصر ، فقال له : هات ديناراً ، فقال له حارثة : أنا راعي قومي والملك أبصر لنفسه يحمل عنهم الضيم ولا يؤدي قومه إلى ما يكرهون ^(١) - وكان اسم الجاني وسيطاً - فمر على جذع بن سنان وهو واقف في طرف الناس

(١) كذا وهو غير ظاهر .

وفي يده سيف خلق الجفن وقد قعد به الدهر — فقال له جذع : خذ سيفي
حتى أعطيك ديناراً فكاكه ، فانتهره الرومي وقال : أدخله في حرامك .
فلم يسمع ما قاله ، ولكنه علم أنه لم يقل خيراً له ، فقال لمن حوله : ما
قال ؟ قالوا له : لم يقل شيئاً وكرهوا أن يعلموه لشدة نفسه ، فقال له ابن
أخت له قال : كذا وكذا ، فسل جذع سيفه فضرب به رأس الرومي
فرماه ، ثم قال : خلفت الراحة والدعة في سد سباً ، ثم أحمل ضيماً لطلب
الراحة والدعة ، فقال رجل من سليح للجابي : خذ من جذع بن سنان ما
أعطاك ؟ قال : فذهبت مثلاً ، وخرج كاتب لقيصر فأعلمه الذي كان
فبعث إليهم قيصر مائة رجل ليسوقوا غسان فيقتلوا منهم من شاؤوا فلقوهم
غسان بوادي الكسوة (تسمى بذلك للكسوة التي أخذت غسان من الروم
فيه) — فعمدت غسان إلى المائة الرجل فقتلوهم وأخذوا كسوتهم وخيلهم
وأتى الخبر إلى قيصر فبعث إلى غسان الجاثليق وقال له : انظر لي خبر القوم
وما هم عليه فأتى الجاثليق إلى غسان فوجدهم على عهد قيصر وأخرجوا له
كتاب قيصر فرجع إليه فأعلمه بذلك وقال الجاثليق لقيصر : أيها الملك ارفع
عن القوم الجور واعلم أن لهم منعة فاكفف عنهم جندك واوف لهم شرطك
فبعث إليهم أن ابعثوا إلي بمائة رجل من أشرافكم وخياركم حتى أعهد
بيني وبينهم عهداً واعقد لهم عقداً — وان الأعاجم سريعة قلوبهم إلى الغدر
عند الغلبة — فلما آتاهم رسول قيصر قال حارثة : ما تقول يا جذع ؟ قال
له جذع : كلا يا حارثة ليس الأمر على ما قال قيصر ولكن ارسل معي
تسعة وتسعين عدداً وأنا تمام المائة ، فقال له حارثة : الرأي رأيك ، فسار
إليه . فلما أتى جذع إلى قيصر قال : من أنت ؟ قال : جذع بن سنان ،
قال قيصر : ومن هؤلاء الذين معك سمهم ؟ قال له جذع : هؤلاء تسعة

وتسعون عبداً ليس فيهم حر غيري ، وأما علي أن يأتيك خيارنا ووجوهنا فتفعل بهم بأمرك فلا فافعل خيراً إن أردته وإن كان شراً قتلت تسعة وتسعين عبداً وقتلني شيخاً أعور أصم. فلما رأى قيصر ذلك وأنه لم ينل حاجته شاور أصحابه وقال لهم : ما ترون ؟ فقالوا له إذا لم تنل حاجتك فاعط هذا الكلب الأصم حاجته ، فقال له قيصر : ما حاجتك ؟ فقال له جذع : إن في نفسك منا شيئاً لا بد لك منه ومقامنا معك غرور وأنت ملك تقدر أن تقول فتفعل ، وإذا قدر الأعجمي فعل ونحن العرب نقدر ونترك لطفاً ورأفة . فقال قيصر : أسمعتم ما لقيني به هذا الكلب الأعمى ! قالوا له رجاله : أئذر الحب العالم لمن يريد أن يذبحه قاتل ^(١) فقال له جذع : اكتب لي كتاباً بالصلح بيني وبينك واعطنا فيه ذمة ابراهيم واسحاق وتفي بالكتاب الأول الذي قد كنت كتبت لنا ولا تمنع منا من أراد الدخول في بلدك ولا من أراد الخروج ولا تمنعنا مرعى نرعاه ولا يأتينا عدو إلا كانت عساكرنا أنصارنا ولا يظلمنا ظالم إلا نصرتنا والمواساة منك بالعدل . فأعطاه ذلك وكتب له كتاباً وأرسله إلى عامله وأرسله العامل إلى حارثة وقال لهم : لكم العدل المقام متى شتم الرحيل متى شتم ، فقال جذع لأصحابه : أعطاكم الله عطفاً تحته حتف ، فأعطوه استقامة تعقبها ندامة واحذروا فاني لا آمنه عليكم ! إنما أراد أن يسكنكم حتى تسكنوا ، ثم يفاجئكم بغدره كأن قلبه لكم كالمرجل واني والله ما التقى بصره وبصري حتى رأيت العداوة في نظره وبعد ذلك فإن ظريفة قد وصفت لكم من يقيم بأرض الشام وما تلقون من حروبهم - وأنهم بنو علبة بن عمرو وهم بنو جفنة - فأقيموا وقد وصفت من يلحق بيثرب فانهم يا حارثة بنوك وبنو بنيك فأطيعوني

(١) كذا - ولعله أبذر الحب العام لمن تريد أن تذبحه قابل - ح .

فما زلت لكم ناصحاً ، فقال له حارثة : صدقت يا جذع . فسار حارثة وبنوه الأوس والخزرج للوصف الذي قد كانت ظريفة وصفته لهم ، وأقام بنو جفنة ومن أقام معهم من أخوانهم من بني عمرو بن عامر وغيرهم من قبائل الأزد ، فدخلوا في نسب بني جفنة - وهم بنو قيس بن جفنة وعمرو ابن جفنة وعامر بن جفنة وجبله بن جفنة وأولادهم - وتقدم حارثة بن ثعلبة العنقاء إلى يثرب وقدم عمرو بن جفنة على قومه وأخوته وبني عمه بالشام وانصرف حارثة إلى يثرب .

(عمرو بن جفنة أول من تتوج من ملوك غسان بالشام)

وان عمرو بن جفنة نزل أرض البلقاء أرضاً يقال لها « بالعة » وبلغ ذلك قيصر دقيوس أن ملكهم حارثة خرج يريد أرض العرب ، ولم يبق إلا أناس فجمع إليهم روم البلقاء وأمر سليح أن تعين الروم فقالت سليح : نغدر بأخواننا وقد لجؤوا إلينا ولم نر منهم إلا خيراً فقال لهم رجل منهم : إنكم بين أمرين : إما قيصر وإما غسان فكونوا بأجسامكم مع قيصر وبقلوبكم مع غسان ، ففعلوا فالتقوا بالבלقاء فاستدعت سليح الهزيمة على الروم وغمهم تطاول الروم عليهم وغدرتهم بغسان ، فقتلت غسان من الروم بالבלقاء مقتلة عظيمة ، فقال في ذلك عمرو بن جفنة :

كأن الجماجم بيض النعام	بقارعة الشعب من بالعه
أقمنا الظبي في رؤوس العدى	نقد بها في الوغى قاطعة
على كل طرف رفيع القذال	وقباء سلهبة رائحة

ثم انهم التقوا مرة ثانية بمرج الظباء وهو يوم حليلة فتداعت عليهم الروم وكثروا وبنو جفنة قليل ومن كان معهم قليل فصبروا للروم فاقتلوا

قتالاً شديداً . فلما رأى عمرو بن جفنة قلة قومه وازدياد الروم وتكالبهم عليهم وسليح وكنانة وجذام مع الروم على غسان ورأى ذلك زيد بن نمر الكناني نادى يا آل حلب تأنف النفوس من هذا ما ترون الروم يقتلون غسان ويهدمون بني قحطان ونحن نسر بذلك ونعين عليهم وان عمرو بن جفنة قال : يا بني جفنة أطيعوني في أمر أشير به عليكم قد افترق عنكم من هولكم وفشت فيكم الجراح وتكالبت العلوج عليكم والله لامرن السيف على ودجي قبل أن أولي ظهري أعجبياً ، قالوا له : رأيك يا عمرو ؟ فأرسل إلى قيصر في المهادنة ، فأرسل إليه القيصر : لا صلح حتى ترموا سلاحكم وتسلموا أنفسكم للبلاء ، فقال في ذلك غسان بن جذع ابن سنان :

لعمري لقد فاز الذين تقدموا وصاروا إلى عز ولم يتذللوا
فما الموت عار أن يصاب به الفتى ولكن عاراً أن يزول التجميل
فلا تخضعوا للدهر عند ملمة فكل الذي يؤتي به المرء ينزل

ثم نهض للقتال مع غسان فأرسل اليهم قيصر أن احبسوا سلاحكم واسمعوا وأطيعوا . فأرسل إليهم عمرو بن جذع بن سنان فقال له : نحن قوم لم تجر علينا طاعة لأحد غير تبع وكانت علينا وعليكم ولكن أرى ما أحببت غير هذين فقال : أعطوني ديناراً جزية عن كل واحد منكم ، فصالحوه على أن يعطوه ديناراً عن كل واحد ، وأتى رسول قيصر يجبي المال من غسان ، فنزل بباب دمشق فسمي باب الحايية إلى اليوم ، ثم ان غسان أخذتهم سنة جدبة فنزلوا بواد يقال له «المحفف» وشتوا فيه في جهد شديد ، ثم ان عاملاً لقيصر من سليح يقال له وسيط بن عوف الضجعي أرسله قيصر إلى غسان وأمره فيهم بالغلظة وقال لرجاله : اقوا بهم الشر

بالشرفان كان شراً كان برؤوسهم وان كان خيراً فلنا وان وسيطاً أتى
غسان ليستوفي منهم الأتاوة في أصحابه ومعه نفر من الروم ومن وجوه
روم الشام فجمع وسيط الأتاوة حتى انتهى إلى دار جذع بن سنان فوجدوه
وامراته تغسل رأسه وفي رأسه شيب كثير فضحكت الروم وعلم ذلك
جذع وأسرّه في نفسه . فلما نظرت امرأة جذع إلى وسيط وجماعة الروم
القت بكمها على رأسها وكانت من أجمل النساء فجعلوا يخلطون النظر
إليها وجذع ينظر ، فقال لها وسيط : اعطيني ما عليك واتركي جذعاً فقال
له جذع : يا وسيط أما ترى ما نحن فيه من الهزال وما بينك وبين الحصب
إلا انسلاخ هذا الشهر فاصبر إلى أن تأخذ فقال له وسيط : ما أنا بفاعل ،
قال جذع : اصبر اغسل رأسي وأعطيك ، فقال له رجل من الروم : دع
الكلب يغسل صوفه ، فقال له وسيط : والله أن لم تعجلن لآخذن بيد
امراتك ، فقام جذع وترك الغسل وقال : علي بني وبني أخي اودي عنهم
فنادى بهم فأتوه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم قبض على القائم وأعطى
وسيطاً النعل فأخذها وسيط فضربه جذع بالسيف بعد أن أخرجه وضرب
رأسه إلى الأرض وقال لبنيه وبني أخيه : عليكم بالعلوج فتواثبوا إلى
العلوج فقتلوهم أجمعين وأخذوا ما معهم من المال الذي جمعه من غسان ،
ثم قال (لا يرد الشر إلا الشر) فذهبت مثلاً ، ثم نادى في غسان من أعطى
شيئاً فليأخذه فأخذ كل رجل منهم ما له وأخذ جذع وبنوه مال الروم
وكساءهم وكانوا مائة رجل . واجتمعت سليح لقتل وسيط واشتعلت الحرب
بين الروم وغسان ونصرت سليح الروم فقاتلهم غسان وأتى حارثة بن ثعلبة
العنقاء في بني عمه وبني جفنة وعدد عظيم من الأزد إلى الروم فجمع جمعاً
عظيماً وأتى بهم إلى غسان فاقتلوا بالمحفف ^(١) فقاتلوهم قتالاً شديداً

(١) كذا ولم نجده - ح

فانهزم قيصر إلى الدرب فأرسل إلى غسان وخشي أن يدخل عليه من الخلل في ملكه وخشي أن يفتق عليه ما لا يستطيع رتقه وقال لهم : ان الرعية قد ظلمتكم ولم أعمل بظلمكم إلى الآن فصالحوه على ما أرادوا وعظم ملك عمرو بن علبة وبني جفنة - وعمرو وهو أول ملك من آل جفنة متوج بالشام حتى أخرجهم جبلة بن الايهم : فقال في ذلك رجل من غسان يقال له حبة بن الأسود :

فمن مبلغ عنا يماي قومنا	بأنا قتلنا بالمحفف ضجعنا
قتلنا سليحاً والذين تضجعوا	بأسيافنا اذ صيروا الأمر مبهما
أرادوا ليجروا عند ذلك جزية	علينا ويضحى ما لنا ثم مغنما
وما ان قتلناهم بأكثر منهم	ولكن بأولى بالطعان واكرما
أراد ملوك الروم أن يبلغوا العلا	فلاقى وسيطاً نجبه يقطر الدما
فدوقوا من الوجد الذي هو دائم	فان لكم يوماً عبوساً سرمرما

قال : ثم ان الروم صالحت غسان . على أن لغسان ملك الشام وأن لأشرافهم بالشام ما لأشراف الروم بأرض الروم وأن لملكهم طعمة على الروم وعلى الروم إن دهمت غسان شدة أربعة آلاف فارس وثمانية آلاف راجل . فلبثوا على ذلك دهرأ ، ثم ان الملك حارثة بن ثعلبة ترك بني عمه بالشام وسار حارثة يريد يثرب بمن معه من ولده وولد ولده ، وسار معهم ثعلبة بن جفنة أخو عمرو بن جفنة ومعهم جذع بن سنان فوردوا يثرب فنزلوا بصوار وأهل يثرب يومئذ اليهود وملكهم شريف بن كعب اليهودي ، فقال لحارثة بن ثعلبة : لا ندعك تقيم معنا إلا على شرط وعهد تكتبونه بيننا وبينكم ، قال له حارثة : وما هو ؟ قال : تكتبون عهداً بين بني اسرائيل وغسان : أن اليهود لغسان حاضرة وان غسان لليهود بادية ،

فقال جذع : عاهدوهم حتى تعفى أموالكم وتستريح دوابكم وأنفسكم ،
فانه يحدث بعد الأمر أمر - وهم عجم والعجم لا تقيم على عهد إلا على
الذل والخوف - ولا يصبرون على خطة وانكم تجدون فيهم ما تريدون ،
فنزلوا وكتبوا العهد وأقاموا زمناً . وان رجلاً من غسان اشترى من يهودي
كرباسة بأربعة دراهم فاشترط عليه الغساني ان يريها لأهله ، فان لم
يرضوها ردها عليه ورد اليهودي عليه دراهمه وأشهد رجلاً من غسان
كانوا بحضرته . وان الغساني لم يرضوا أهله الكرباسة فردها على اليهودي
فأبى أن يقبلها منه اليهودي ، ورجع الغساني راجعاً بها إلى أهله فسيوه
وقالوا له : فرعت من اليهودي . فردها إلى اليهودي ثانياً فسيه فانتهره .
فترافعا إلى شريف بن كعب ، وأتى الغساني بالشهود الغسانيين فشهدوا أنه
قد اشترط عليه ردها ان لم يرضوها أهله ، فقال لهم شريف : أنتم معاشر
غسان لكم آفة وأنفتكم تحملكم على شهادات الزور ، قال له شهاب بن
عبدالله الغساني : كذبت بل لنا أحساب تمنعنا من شهادات الزور بلى قد
كان بينهما ما كان ولكم أنتم يا شريف بكل أرض أذلاء إلا بأرض العرب ،
فكيف لا تسرع بلسانك في سبهم ولو البسوك الذلة وكسوك المسكنة
لعرفت لهم حقهم ، ثم سار بقومه فولي بهم وان صاحب الكرباسة أتى إلى
جذع بن سنان فشكا إليه ما نزل به من اليهودي ومن أهله . فمشى جذع
إليه وكلمه وقال له : خذ من الرجل كرباستك ورد عليه دراهمه ، فقال
اه اليهودي : يا أعور أمرتني عينك الواحدة فامهل حتى تأمرني عينك
الأخرى . فولى جذع وأخذ بيد صاحبه وخلا به وقال له : ويحك ان
قومي قد تشاء موابي واني لا أحمل فيهم ضيماً وانصب روعي غرضاً
دونهم واني أجني عليهم الجنايات وأسوق إليهم الحروب ، وسأبلغ مرضاتك

فاصدقني الخبر على وجهه ان كنت ظالماً أو مظلوماً فإنه أطيب لنفسي ،
 فحلف له الغساني أنه مظلوم . فبعث جذع إلى ابن أخت له أن أجلب الي
 قومك . فلما آتاه بهم قال لهم مروا بناتكم يدخلن يثرب على نساء اليهود
 يضربن نساءهم وكونوا أنتم على أهبة وخذو ولا ماتكم فاذا سمعتم الصيحة
 اقتلوا من وجدتم من اليهود واسكنوا في المدينة فلم يتحرموا علينا إلا
 بهذه المدينة ، وان جذعاً مضى إلى صاحب الكرباسة فجلس بازائه ، فلما
 وقعت الصيحة كان أول قتيل قتله جذع ، ثم قامت الصيحة في السوق
 فانتهبت غسان وقتلوا من فيه فلم تصل الصيحة إلى منزل شريف الا وغسان
 في المدينة — فما وصل إلى المدينة وكان بين منزل شريف وبين المدينة
 عشرة أميال — وان غسان تمكنوا منها وأخذوا ما كان فيها من مال وسلاح
 وثياب واتفقوا به غسان ، ثم حبسوا نساء اليهود عندهم واتفقوها (١) . فلما
 رأى اليهود ما لقوا من قتل الأنفس ونهب الأموال وسي الذراري طلبوا
 الصلح ومفادة الأولاد ، ثم أرسلوا إلى من كان منهم من يهود الشام
 يستنصرون بهم على غسان ، وجعلوا ذلك مكرراً وخديعة ، وبلغ الأمر إلى
 حارثة الملك وما اجتمع إلى يهود من أخوانهم من أهل خير وفدك والعواني
 والشام . فقال لجذع : ما ترى ؟ فقال له جذع : كلما كثروا كان أضعف
 لهم ، ولكن ابعث إليهم بالصلح فصالحوهم على أن يعطوهم من حوزة
 يثرب ومنازلهم ما يكفيهم ويسعون وينزلون معهم ويجاورونهم . ففعلت
 اليهود ذلك ورضوا به ونزلت الاوس والخزرج يثرب وسكنوا فيها .

قال ابو محمد : ولما كان الوقت الذي أراد الله فيه خراب السد انهدم
 فأرسل الله سيل العرم ففاض على الأرض فاحتملها ، فلم يبق منها إلا ما
 ذكر الله في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لقد كان
 لسبأ في مسأكنهم آية جنتان) إلى قوله (أكل حمط) الآية . وقد قال في

(١) في الأصل والعمرها وهو غير واضح .

ذلك كثير من العرب الأخبار والأشعار — قال الأعشى :

وفي ذاك للمؤتسى أسوة	بمأرب عفى عليها العرم
رخام بناه لها حمير	إذا جاء دفاعه لم يـرم
فاروى الزروع وأعناها	على سعة مأوهم إذ قسم
فساروا أيادي لا يقدر	ن منها على شرب طفل فطم

وقد ذكرته العرب في أخبارها وأشعارها في مواضع كثيرة .

(ربيعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين أضعاف

التبابعة)

قال ابو محمد : حدثني زياد بن عبدالله عن محمد بن اسحاق قال :
كان ربيعة بن نصر بن مالك بين أضعاف التبابعة ، فرأى رؤيا هالته فجمع
كل من كان في اليمن من منجم وكاهن وساحر فقال لهم : قد رأيت رؤيا
هالتي وفرغت منها فاخبروني بها وبتأويلها ، فقالوا له : أيها الملك اقصصها
علينا نخبرك بتأويلها ، قال لهم : ان أنا أخبرتكم بها لا أصدقكم في تأويلها
وان انتم أخبرتموني بها صدقتكم ؟ فقال له رجل منهم : فان كنت تريد هذا
فابعث إلى سطيح وشق فانه ليس أحد أعلم منهما . فبعث إليهما فأقبل إليه
سطيح قبل شق فقال له : اني رأيت رؤيا هالتي وفرغت منها فاخبرني بها
وبتأويلها وان أنت أصبتها أصبت تأويلها فقال له : افعل أيها الملك ،
رأيت أيها الملك حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها
كل ذات جمجمة ، فقال الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح — فما
عندك في تأويلها — فقال : احلف بما بين الحرتين من حنش ليملكن أرضكم
الحبش وليملكن ما بين أبين إلى جرش . فقال له الملك : وأبيك يا سطيح

ان هذا لغائظ لنا موجه ، فمتى هو كائن أفي زماننا هذا أم بعده ؟
فقال : بعده بحين أكثر من ستين إلى سبعين - قال : فيدوم ذلك من ملكهم
أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ويخرجون منها
هاربين . فقال : ومن يلي ذلك من اخراجهم ؟ قال : يليه ارم ذو وزن
يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحداً منهم باليمن . قال : فيدوم ذلك من
ملكه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : بني زكي
يأتيه الوحي من قبل العلي . قال : ومن هو هذا النبي ؟ قال : هو من ولد
غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون ملكه إلى آخر الدهر . قال : وهل
للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويسعد فيه
المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرني ؟ قال : أي والشفق
والغسق والفلق اذا اتسق ان ما نبأتك به لحق . قال : ثم قدم شق وقال له
مثل قوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان فقال له
شق : رأيت في منامك أيها الملك حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين
روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة . فقال له الملك : ما أخطأت
منها شيئاً فما عندك في تأويلها ؟ قال : احلف بما بين الحرتين من انسان
لينزلن أرضكم السودان وليملكن كل طفلة البنان وليغلبن على ما بين
ابن إلى نجران . قال له : يا شق ان هذا لغائظ لنا موجه فمتى يكون في
زماننا هذا أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان . ثم يستفزه ملك عظيم
الشأن ويدفعهم بأشد الهوان . قال : ومن هو العظيم الشأن ؟ قال : غلام
ليس بدني ولا مزن يخرج من بيت ذي وزن . قال : أفيدوم سلطانه أم
ينقطع ؟ قال : بل يقطع برسول مرسل يأمر بالحق والعدل بين أهل الدين
والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال له : وما يوم الفصل ؟

قال : يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات يسمعها الأحياء والأموات ويجمع فيه الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال : أحق ما تقول . قال : أي ورب السماء والأرض وما بيننا من رفع وخفض . قال فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب كتاباً إلى سابور بن خرزاد فاسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر هو النعمان بن المنذر . فلما هلك ربيعة ابن نصر رجع ملك اليمن إلى تبان أسعد أبي كرب .

(تَبَانُ أَسْعَدِ أَبِي كَرْبٍ مَلِكِ مَتَوَجِّعٍ بِالْيَمَنِ)

قال ابن هشام ويقال له - الرائش بن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر ابن كعب كهف الظلم - وتبان أسعد أبو كرب هو الذي قدم المدينة وساق الحبرين من اليهود وكسا البيت الحرام وكان ملكه قبل (١) ربيعة ابن نصر وهو الذي يقال له :

لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرْبٍ أَنْ يَسُدَّ خَيْرَهُ خَبْلُهُ

وكان جعل طريقه حين قفل من المشرق إلى المدينة ، وكان قد مر بها في بداية أمره ، فلم يهجم أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة - قتله عمرو بن طلة الأنصاري من بني عدي بن النجار فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم فقاتلهم فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه نهائياً ويقرونه ليلاً ويعجبه ذلك منهم ، ويقول : ان قومنا لكرام فبينما تبع ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من قريظة آتياً إليه حين سمعا أنه يريد خراب

(١) كذا وفيما يأتي آخر الترجمة وظاهر ما تقدم خلافه - ح .

المدينة وهلاك أهلها فقالا له : أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبين ما تريد ولم تأمن من العقوبة ، قال لهما : ولم ذلك فقالا له : لأنه حرم مهاجرة نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان يكون داره وقراره فأعجبه ما سمع منهما ورأى أن لهما علماً فبنى المدينة وانصرف عنها واتبعهما ، وهذا الحي من الأنصار يزعمون إنما كان حق تبع على اليهود وإنما كان مراد تبع هلاك اليهود فمنعه الخبران من ذلك وكان أصحابه أصحاب أوثان يعبدونها . فتوجه إلى مكة وطريقه إلى اليمن حتى إذا كان بين عسفان وامج آتاه نقر من هذيل فقالوا له : أيها الملك ندلك على بيت مال دائر فيه اللؤلؤ والذهب والفضة ، قال لهم : بلى . قالوا له : هو بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وإنما أراد الهذليون بهذا هلاكه لما عرفوا من هلاك كل من أراد مكة من الملوك بسوء فأرسل إلى الخبرين فسألهما عن ذلك ؟ فقالا : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، أو ما علمت أن الله تعالى يبتأ في الأرض اتخذه لنفسه ولئن أنت فعلت ما أمروك به لتهلكن وليهلكن جميع من معك . قال : فما تريان ؟ إني اصنع قالوا له : اصنع عنده ما يصنع أهله وتطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتتدلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ فقالا له : أما أنه لبيت أبينا إبراهيم الخليل وأنه لكما أخبرناك به وإن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله والدماء التي يهرقون عنده فعرف صدق حديثهما وقرن نفر الهذليين وقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة سبعة أيام ينحر للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل . ورأى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف وهو حصير من السعف . ثم رأى

أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والأردية والحرير فكان تبع أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمر بتطهيره وأن لا يقربوه بدم ولا ميتة وجعل له باباً ومفتاحاً وانصرف إلى اليمن .

(قصة النار التي كانت تعيدها حمير)

وكيف تركتها ورجعت الى دين اليهودية)

وان تبعاً لما رجع إلى اليمن بمن معه من الجنود والخبرين معه . فلما وصل إلى اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن .

قال ابن هشام : وان تبعاً لما دخل اليمن حالت حمير بينه وبينها وقالوا له : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا . قال : انه خير من دينكم ، فقالوا له : حاكمنا إلى النار ، قال : نعم . وكانت باليمن فيما يزعم اهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئاً فخرج قومهم بأوثانهم وما يتقربون به ، وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدين بها حتى قعدوا للنار عند مخرجها - فخرجت النار إليهم - فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فأمرهم من حضر بالصبر وصبروا حتى غشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير . وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما ، فاتفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هناك كان أصل دين اليهودية باليمن . وقد حدثني محدث أن الخبرين ومن خرج من حمير اتبعوا النار ليردوها وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير

ليردوها فلم يقدرُوا ودنت منهم لتأكلهم ولم يستطيعوا ردها ، فدنا منها
الحبران بعد ذلك وجعلَا يتلوان التوراة وهي تنكص إلى مخرجها الذي
خرجت منه . فرجعت عند ذلك حمير إلى دين الحبرين . والله أعلم ،
أي ذلك كان .

وكان رثام بيتاً له يعظمونه وينحرون عنده ويتكلمون فيه اذ كانوا
على شركهم ، فقال الحبران : لتبع انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه
فقال : شأنكما به ، فاستخرجنا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبجاه
ثم هدمَا ذلك البيت . ويقال ان تبعاً هو الذي آمن برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ولم يره وهو القائل شعراً :

شهدت على أحمد أنه	رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره	لكنت وزيراً له وابن عم

وعمر ملك تبع ثلاثمائة وعشرين سنة ، فلما هلك ولي بعده ربيعة بن
نصر — الذي تقدم ذكره — فلما هلك ربيعة بن نصر رجع الملك إلى حسان
ابن تبان .

(حسان بن تبان أسعد أبو كرب ملك متوج)

والملك حسان بن تبان أبو كرب هو الذي بعث إلى جديس باليمامة
فأبأدها — وكانت جديس وطسم تنزل باليمامة وكان بها ملك من طسم
كانوا لا يزوجون امرأة من جديس إلا بعث إليها ليلة هداها فافترعها
قبل أن تزف إلى زوجها — فوثبت جديس على طسم فقتلت مقتلة عظيمة .
فبلغ ذلك إلى الملك — وكان اسمه عملوق — فمضى جمع من طسم إلى

حسان تبع مستنصراً به فوجه جيشاً إلى اليمامة - وتسمى يومئذ جوا -
وكان بها امرأة يقال لها زرقاء اليمامة تبصر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام
وباسمها سميت اليمامة . فلما خافوا أن تبصرهم قطعوا الشجر وجعل كل
واحد منهم بين يديه شجرة . فنظرت إليهم اليمامة فقالت : يا جديس
لقد سارت إليكم الشجر وأنتكم حمير . فقالوا : وما رأيت ؟ فقالت :
رأيت في الشجر رجلاً معه كتف يأكلها ونعلاً يخرسها ، فكذبوها .
فصباحتهم حمير فأوقعت بهم وقعة أفنتهم إلا يسيراً . وسار حسان بأهل
اليمن يريد أن يبطأ بهم العرب والعجم حتى إذا كان بأرض العراق كرهت
حمير المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فكلموا أخاً له يقال له
عمرو - وكان معه في جيشه - وقالوا : اقتل أخاك حسان وتملك أمرنا
ونرجع إلى بلادنا . حتى أجابهم وأجمعوا على ذلك غير رجل يقال له
ذورعين الكلاعي فإنه نهاه عن ذلك ، فلم يقبل منه فقال في ذلك :

ألا من يشتري سهرا بنوم إلا من لا يبيت قرير عين
فأما حمير غلرت وخانت فمعدرة الآله الذي رعين
ثم كتبهما في رقعة وختم عليها وقال له : أيها الملك احبس هذه عندك
فمسك الرقعة وقتل أخاه وتابعته حمير ورجع إلى اليمن ومعهم وولي .

(عمرو بن تبيان ملك متوج)

وملك عمرو بن تبيان فمنع النوم فشكا ذلك ف قيل له : لا يأتيك النوم
حتى تقتل من أمرك بقتل أخيك - فنادى في أهل مملكته - أن الملك يريد
أن يحدث عهداً ، فاجتمعوا إليه وأقام لهم الرجال وقعد في مجلسه وأمرهم

أن يدخلوا عليه خمسة بعد خمسة ، فإذا دخلوا عدل بهم فقتلوا حتى أتى على عامة القوم ، ثم أدخل ذو رعين فلما رآه ذكر ما قال له في البيتين اللذين في الكتاب فأمر بتخليته وأكرامه وقربه واختص به ، واضطربت عليه أموره وبرد الغز فسمي موثبان لعوده والمواثب الفراش ، وأرادوا أنه لازم الفراش . وفي مملكته تزوج عمرو بن حجر الكندي جد امرئ القيس الشاعر ابنة أخيه حسان تبع فولدت الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو - وكان سيد كندة وكان من فوارسها - وكان ملك عمرو بن تبان ثلاثاً وستين سنة .

(عبد كاليل^(١) بن ينوف ملك متوج)

ثم ملك بعده عبد كاليل بن ينوف وكان مؤمناً على دين عيسى وستر إيمانه ، وكان ملكه أربعاً وستين سنة - وكان حسن السيرة جيد العشرة وكان قليل الغزو .

(تبع^(٢) بن حسان ملك متوج)

ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع ، وهو تبع الأصغر آخر التبابعة - وكان مهيباً - فبعث ابن بنت أخيه الحارث بن عمرو بن حجر الكندي إلى معد وملكه عليها وسار إلى الشام فلقية قوم من بني عمرو بن عامر فشكوا إليه ما نزل بهم من اليهود يثرب وذكروا له سوء مجاورتهم لهم ونقضهم العهد الذي بينهم . فسار إلى يثرب ونزل في سفح أحد وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة رجل وذلها لهم . وتبع هذا - هو الذي عقد الحلف بين اليمن وربيعة - وكان ملكه ثمانية وسبعين سنة .

(١) كذا - وفي صبح الأعشى - عبد كلال بن مثوب - ح .

(٢) في صبح الأعشى ومروج الذهب مرثد بن عبد كلال - محل هذا - ح

(ربيعة بن مرثد^(١) ملك متوج)

ثم ملك ربيعة بن مرثد بن عبد كاليل ، وكان عاقلاً حسن التدبير ،
وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة .

(حسان بن عمرو ملك متوج)

ثم ملك حسان بن عمرو بن تبع - وهو الذي آتاه خالد بن جعفر بن
كلاب في أسارى قومه فأطلقهم - وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة .

(أبرهة بن الصباح ملك متوج)

ثم ولي أبرهة بن الصباح - وكان عالماً جواداً - وكان يعلم أن الملك في
بني نصر بن كنانة ، فكان يكرم معداً ، وكان ملكه ثلاثاً وسبعين سنة .

(لحيعة بن يذوف^(٢) ملك متوج)

ثم ملك بعده رجل ليس من أهل الملك ولكنه من أبناء المقاول يقال له
« لحيعة بن يذوف » فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل الملك منهم - وكان
رجلاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط ، وكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك
فيقع عليه في مشربة قد صنعها لذلك - ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه
ومن حضر من جنده - وقد أخذ مسواكاً جعله في فمه ليعلمهم أنه قد
فرغ - ولم يزل كذلك حتى بلغ إلى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي
حسان - وكان صبياً صغيراً - حين قتل حسان ، ثم شب غلاماً جميلاً ،

(١) في صبح الأعشى وليعة وفي مروج الذهب وكيعه .

(٢) كذا في القاموس - وفي هذا الاسم خبط كثير

فلما آتاه رسوله عرف ما يريد فأنخذ سكيناً لطيفاً وجعله بين قدمه ونعله .
ثم آتاه ، فلما خلا به وثب عليه ذو نواس فقتله ، ثم حز رأسه وجعله في الكوة
التي كان يشرف منها على الحرم ووضع مسواكه في فمه ، ثم خرج على الناس
فقالوا له : ذو نواس أرطب أم يباس ؟ فقال لهم : سل تحماس اسطرباس
لاباس^(١) فلما نظروا إلى الكوة إذا رأسه مقطوع ، وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

(ذو نواس زوعة بن تبيان أسعد ملك متوج)

فلما بلغ حمير ما فعله ذو نواس قالوا له : ما ينبغي أن يكون لنا ملك
غيرك ، إذ قد أرحمتنا من هذا الحبيث - وكان آخر ملوك حمير - فأقام في
ملكه زماناً وهو صاحب الأخدود الذي ذكره الله في القرآن ، وذلك أنه
بلغه عن أهل نجران أنهم آتاهم رجل من آل جفنة من غسان ، فردهم إلى
دين النصرانية ، فسار إليهم ذو نواس بنفسه حتى احتفر أخاديد في الأرض
وملأها ناراً ، فمن تابعه على دينه خلى عنه ومن أقام على النصرانية قذفه
فيها حتى أتى بامرأة ومعها صبي صغير ابن سبعة أشهر فقال لها : ابنها
امضي يا أماه على دينك فانها نار وليس بعدها نار ، فمر بالمرأة وابنها في
النار رجل يقال له ذو ثعلبان واسمه دوس ، فسار في البحر إلى ملك الحبشة
فأخبره بما فعل ذو نواس بأهل دينه ، فكتب ملك الحبشة إلى قيصر يعلمه
بما فعل ذو نواس ويستأذنه في التوجه إلى اليمن . فكتب إليه يأمره بالمسير
إليها . فأعلمه أنه سيظهر عليها وأمره أن يولي ذا ثعلبان أمر قومه ويقيم
فيمن معه باليمن . فأقبل ملك الحبشة في سبعين ألف رجل فجمع أهل ذو
نواس وحاربهم فهزموه وقتلوا كثيراً من أصحابه ، ومضى مهزوماً - وهم

(١) في السيرة - استرطيان ذو نواس استرطيان لاباس - قال ابن هشام هذا كلام حمير
وتحماس الراس .

في أثره إلى البحر - فاقتحم فيه ففرق بمن معه من أصحابه ، وكان ملك
ذي نواس ثمانية وثلاثين سنة ، فقال رجل من حمير يرثي حمير وذهاب
ملكهم :

دعيني لا أبا لك لز تطيقي	لحاك الله قد انزفت ريتي
لدى عزف القيان اذ انتشينا	واذ نسقي من الحمر الرحيق
وشرب الحمر ليس علي عاراً	إذا لم يشكني فيه رفيقي
فان الموت لا ينهاه ناه	ولو شرب الشفاء مع السويق
ولا مترهب في اسطوان	يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذي حدثت عنه	بنوه مسمكاً في رأس نيق
مصاييح السليط يلحن فيه	إذا أمسى كتوماً ماض أثروق
فاسلم ذو نواس مستكيناً	وحذر فومه ضنك المضيق

وان الحبشة هدمت سلحين وبنون ، وكان الذي هدمها ارباط
الحبشي ، ولم يكن يوجد مثلهما في الدنيا - فقال في ذلك شاعر من حمير :

أو ما رأيت وكل شيء هالك	بينون خاوية كأن لم تعمر
أو ما رأيت وكل شيء هالك	سلحين خاوية كظهر الادبر
أو ما رأيت بني عطا ناهيا	قد أصبحت تسفي عليهم صرصر ^(١)
أو ما سمعت بحمير وقصورها	أمست معطلة مساكن حمير
فابكيهم أما بكيت لمعشر	لله درك حمير من معشر

قال ابن هشام - وهو الذي عني شق وسطيح الكاهنان - حين قال :
سطيح - : ليملكن أرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين إلى جرش -

(١) كذا - وفي معجم البلدان - أولاً ترين ملوك ناعط أصبحوا - تسفي عليهم كل

ريح صرصر .

وهو الذي عني شق بقوله - : لينزلن أرضكم السودان وليغلبن على كل طفلة البنان ليملكن ما بين أبن إلى نجران .

(أبرهة الأشرم)

أول ملك من الحبشة افتتح اليمن وملكها - وهو الذي أراد هدم البيت - فسار إليه ومعه الفيل ، فأهلك الله جيشه بطير أبايل ، ووقعت في جسده الأكلة ، فحمل إلى اليمن فهلك بها . وفي ذلك العصر ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقال نفيل سائس الفيل حين رأى ما أنزل الله عز وجل من نعمته :

أبن المفر والاله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب
وقال أيضاً :

ألا حيث عنايا ردينا	نعمناكم مع الأصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه	لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتني وحمدت أمري	ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيراً	ونخت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل	كأن علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق فهلكوا على كل منهل ، فيقال : ان أول ما رؤيت الحصبة والجدري في أرض العرب من ذلك العام . فقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب في ذلك :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس	وحرب أبي يكسوم إذ ملكوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره	لاصباحتموا لا تملكون لكم شربا

(يكسوم بن أبرهة الأشرم ملك متوج)

ثم ملك بعد أبرهة الأشرم ابنه يكسوم ، وسار سيرة الحبشة باليمن ، فخرج سيف بن ذي يزن الحميري - ويكنى أبا مرة - حتى قدم على قيصر فشكا إليه ما هم فيه وسأله أن يخرجهم ويلبهم قيصر ويبعث إليهم من شاء من الروم فيكون لهم ، فلم يجبه إلى ما سأل . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر - وهو عامل كسرى على الحيرة - وشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان : ان لي على كسرى وفادة في كل عام فاصبر حتى يكون ذلك ففعل . ثم خرج معه فأدخله على كسرى - وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه تحت تاجه ، وكان تاجه مثل الهيكل فيه من الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة عشرة قناطير ، وتاجه معلق بسلسلة في رأس طاقة في مجلسه وعنقه لا يحمل تاجه وإنما يستر السلسلة بالثياب حتى يقعد تحت التاج فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا سجد له هيبة - فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك . قال ابن هشام : ولما دخل عليه سيف بن ذي يزن طأطأ رأسه . فقال الملك : ما بال هذا الأحمق يدخل مجلسي من هذا الباب ثم يطأطئ رأسه ؟ فقبل ذلك لسيف فقال : انما فعلت هذا لهماي لأنه يضيق عنه كل شيء ، ثم قال له : أيها الملك غلبت الأغربة علينا في بلادنا ، فقال كسرى : أي الاغربة السند أم الحبشة ؟ قال له : الحبشة . وجئتك لتنصرني ويكون ملك أرضي لك . قال له كسرى : بعدت أرضك مع قلة خيرها ما كنت لأورط فارس في بلاد الحبشة لا حاجة لي بذلك . ثم أجازته بعشرة آلاف درهم وكساه بكسوة حسنة ، فلما خرج سيف نثر ذلك الورق للناس . فلما بلغ ذلك الملك قال : ان لهذا شأنًا ، ثم بعث إليه

فقال : عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس ، فقال ، ما أصنع به ما جبال
أرضي كلها الا ذهب وفضة يرغبه فيها . فقال : فجمع كسرى مرابته
وقال : ما ترون في أمر هذا الرجل وما حاله ؟ فقال له رجل منهم : أيها
الملك ان في سجونك رجالاً حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فان يهاكرا
كان ذلك الذي أردت ، وان ظفروا كان ملكاً زاده الملك إلى ملكه فبعث
كسرى بمن كان في سجونهم معه - وكانوا ثمانمائة رجل - واستعمل عليهم
وهرز وكان ذا سن فيهم وفضل وحسب ، وخرجوا في ثمان سفن فغرقت
سفينتان ونجا منها ست إلى ساحل عدن . وجمع سيف من استطاع من
قومه وقال لوهرز : رجلي ورجلك حتى نموت جميعاً أو ننصر . فقال
وهرز : انصف الرجل . فخرج إليهم يكسوم بن أبرهة بجنوده ، فأرسل
إليهم وهرز ابناً له فقاتلهم ، فقتل ابن وهرز ، فزاده ذلك حنقاً عليهم .
فلما أخذ الناس على مصافهم قال وهرز : أروني ملككم ؟ فقالوا له : هو ذلك
الذي على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين
عينيه ياقوتة ، قال : قد رأيته اتركوه .
ووقف طويلاً وقال : أين هو ؟ قالوا له : قد ركب البغلة .
قال وهرز : بنت الحمار ذل وذل ملكه سأرميه ، فان رأيتم أصحابه لم
يتحركوا فليبتوا إلى أن أؤذنكم فاني قد أخطأت الرجل وان رأيتم القوم
واقدا اجتمعوا فقد أصيب فاحملوا عليهم . ثم أوتر قوسه وكان لا يوترها
غيره لشدها ، ثم رمى يقصد الباقوتة التي بين عينيه فنفذت النشابة من
الباقوتة وخرجت من قفاه واستدارت الحبشة عليه وحملت عليهم الفرس
وقبائل اليمن فانهزموا وقتلوا وهربوا في كل جهة . ثم قال سيف بن ذي
يزن في ذلك :

يظن الناس بالملكين أنهما قد التأمنا

ومن يسمع بأمرهما فان الأمر قد فهما
قتلنا القيل يكسوما وارويننا الكثيب دما

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في ذلك أيضاً : وقال في غير
الكتاب أمية بن أبي الصلت :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن إذ ريم البحر للأعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلته فلم يجد عنده بعض الذي سالا
حتى أتى بني الأحرار يحملهم إليك عندي لقد أشرفت اقبالا^(١)
لله درهم من عصبة صبروا ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أضحي شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان دارا منك محلالا
واطل بالمسك اذ شالت نعماتهم وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعداً بوالا

(سيف بن ذي يزن أول ملك متوج)

وأقام سيف بن ذي يزن ملكاً من قبل كسرى يكاتبه ويصدر في
الأمور عن رأيه إلى أن قتل وكان سبب قتله أنه أخذ من أولئك الحبشة خداماً
فخلوا به في منضدة^(٢) فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا فطلبهم لأصحابه
فقتلوه جميعاً . وانتشر الأمر باليمن ولم يملكوا أحداً على أنفسهم غير
أن كل ناحية ملكوا عليهم رجلاً من حمير ، وكانوا كمثل ملوك الطوائف
حتى أتى الله بالإسلام . وهذا ما كان من أخبار الملوك الدابرة والأمم

(١) في السيرة أنك عمري لقد أسرعت قلقاً لا .

(٢) كذا ويحتمل أنه - في قصره .

الغابرة والحمد لله على ذلك كثيراً كما هو أهله . تم الكتاب بحمد الله الوهاب .

وما ذكر من أخبار سيف بن ذي يزن الحميري في نسخة من غير هذا التأليف . قيل : لما ظفر سيف بن ذي يزن الحميري بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنين^(١) أخته وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من آلائه وطلبه بثار قومه . فوفد عليه عبد المطلب بن هاشم وأميه بن أبي الصلت وأميه بن عبد شمس وخويلد بن أسد في جماعة من أهل بيته وإذا الملك جالساً في رأس غمدان - وهو الذي يقول فيه أميه بن أبي الصلت لطلب الوتر :

ان المكارم والأفضال في يزن	لحج في البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعمته	فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عشرة	من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يقدمها	تخالمهم فوق متن الأرض أجبالا
من مثل كسرى وما دار الملوك له	ومثل وهرز يوم الموت اذ صالا
لله درهم من عصبة خرجوا	ما ان رأيت لهم في الناس امثالا
لا يفخرون وان جدت مفاخرهم	فلا ترى منهم في الطعن ميالا
غر حجا حجة بيض مراحجة	أسد تربب في الغيطان اشبالا ^(٢)
يرمون عن شدف كأنه عطب	في جحفل جعل الأموات اسجالا ^(٣)
أرسلت أسداً على سيود الكلاب فقد	أضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعا	في رأس غمدان داراً منك محلالا

(١) في دلائل النبوة - بسنتين .

(٢) في السيرة - بيضا مرازبة غلبا أسورة - اسد اتررب في الغيصات اشبالا - ح .

(٣) كذا - وفي السيرة كأنها غبط - ح .

ثم أطل بالمسك إذ شالت نعماتهم وأسبل اليوم في برديك أسبالاً
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئاً بماء فعاداً بعد أبوالا

ثم استأذن وهو على سريرته وتاجه على رأسه ووميض المسك في مفرقه
وسيفه بين يديه وعن يمينه وشماله الملوك والمقاول وأبناء الملوك ، فسلم
عبد المطلب ، ودنا واستأذنه في الكلام . فقال له سيف : ان كنت ممن
يتكلم بين أيدي الملوك فقد أذنا لك . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، إن
الله جل اسمه قد أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً وانبثك منبتاً
طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعته في أكرم معدن
وأطيب موطن . وأنت أيها الملك رأس العرب وربيعها الذي به تخصب
وأنت عمودها الذي عليه عمادها ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد ، سلفك لنا
خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف ولن ينحمد ذكر من أنت سلفه ولن
يهلك من أنت خلفه ، نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا الذي
أبهجنا إليك لكشف الكرب فنحن وقد التهنئة لا وفد الرزية . فقال سيف :
أيهم المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . قال : ابن
أختنا ؟ قال : نعم أصلح الله الملك . قال : مرحباً وأهلاً وناقاً ورحلاً
وملكاً ربحلاً يعطى عطاء جزلاً قد سمع الملك مقالكم وعرف قرابتكم
وقبل وسيلتكم ، فأهل الليل والنهار ما أقمت ولكم الحباء إذا ظعنتم ، ثم
انهضوا إلى دار الضيافة وأجرى عليهم الانزال وأقاموا لا يصلون إليه ولا
يأذن لهم شهراً . ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأحضره وأدنى
مجلسه ورفع قدره . ثم قال له : يا عبد المطلب اني مفوض إليك أمراً لو
كان غيرك لم أبع له به ، وجدتك معدنه فأطلعتك عليه : اني أجد في الكتاب
المكنون والعلم المخزون خيراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة

وفضيلة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة . فقال عبد المطلب : أيها
الملك عز جلك وطال عمرك ودام ملكك ، فهل الملك مخبري بإيضاح ،
فقد وضع لي بعض الإيضاح . فقال سيف : هذا حيه الذي يولد فيه أو
قد ولد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه وقد وجدناه مراراً والله باعته
جهاراً وجاعل له منا انصاراً يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ويضرب
الناس عن عرض ويستبيح بهم كرام الأرض يعبد لرحمن ويكسر الأوثان ،
قوله فصل ووجهه سهل ولمره عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر
ويبطله غضيف الطرف عفيف للفرج مبارك الطلعة ميمون الفرة ، صادق
اللهجة تظله الغمام ويهتدي به الانام . قال : فخر عبد المطلب ساجداً لله .
فقال سيف : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا كعبك ، فهل أحسست من
أمره شيئاً ؟ ال : نعم . أصلح الله الملك كان لي ولد وكنت به معجباً وعليه
شفيقاً فزوجته بكريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن
زهره فجاءت بغلام سميته محمداً . مات أبوه قبل أمه وكفلته أنا وعمه .
فقال سيف : والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب ، انك يا عبد
المطلب بخده غير الكذب ، فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له
عدى ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً وأطوما ذكرت لك دون هؤلاء الذين
معك ، فليست آمن أن تداخلهم النفاسة بأن تكون لك الرياسة فيبتغون لك
الفوائل وينصبون لك الحبائل وهم غافلون عن ذلك وآباؤهم^(١) ولولا ان
الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار
مملكته . فاني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون أن يثرب استحكام
أمره ودار هجرته وأهل نصرته وموضع حفرته ولولا أني أخشى عليه

(١) كذا - ويحتمل - فاعلون ذلك وابناؤهم - ح .

الآفات واحذر عليه العاهات لاوطأت رقاب العرب كعبه وأعليت على
حدائة سنه ذكره ولكني ساصرف ذلك اليك من غير تقصير مني ، ثم
امر لكل واحد منهم بثمان من الابل وعشرة من الخيل وعشرة من البقر
وعشرة من الفم وعشرة من العبيد وعشرة أرطال ذهب وعشرة أرطال
من الفضة وبكرش مملوءة عنبر أو بكرش مملوءة مسكاً ، وأمر لعبد المطلب
بعشرة أضعاف ذلك وقال : يا عبد المطلب إذا كان رأس الحول فأتني
بخبز ابنك وما يكون من أمره . فمات سيف قبل رأس الحول . فكان عبد
المطلب يقول : لا يغبطني أحد بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما سيبقى
لي شرفه وذكره إلى يوم القيامة — والله أعلم :

تم (١) الكتاب بحمد الله تعالى ومنه وكرمه وحسن توفيقه فله الحمد
على كل حال وكان الفراغ من رقبته وقت العصر من يوم الأحد الرابع عشر
من شهر جمادى الآخرة أحد شهور سنة أربع وثلاثين بعد الف من الهجرة
وذلك بخط الفقير إلى الله سبحانه وتعالى المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن
الامام شرف الدين وكتبه يومئذ في الدار الحمراء ولي سبع سنين وثلاثة أشهر
أسيراً . فله الحمد على ما قسم لي واسأل الله بحق القرآن العظيم

أن يضاعف الأجر ويمن بحسن الصبر والقبول لما كتبه

الله وأن يفك أسري بحق محمد المصطفى ويفك أسر

الجميع من المسجونين آمين آمين آمين

وصلى الله على أشرف خلقه إليه

وأقربهم منزلة لديه خاتم النبيين

وسيد المرسلين صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه

أجمعين

(١) هذه عبارة الأصل .

أخبار عبيد بن شريفة الجرهمي في أخبار اليمن
وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال
والحمد لله على كل حال

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين)

الحمد لله حمد الشاكرين وسبحانه تعداد الأيام والسنين وصلى الله على
رسوله خاتم النبيين وخيرته من خلقه الأمين وعلى آله الطاهرين ورحمته
وسلامه . حدثنا ^(١) عبيد بن شربة الجرهمي عن البرقي يرفع الحديث : أن
معاوية بن أبي سفيان كان أميراً للأمير المؤمنين عمر بن الخطاب عشر سنين
وليها لعثمان أيضاً عشرأ ، ثم وليها بنفسه عشرين سنة ، ودانت له
المشارك والمغارب ونال رفاعة الملك - وهو أول من تملك واتخذ المقصورة
ووقف على رأسه إذا سجد وجمع الأموال - وكانت افضل لذاته في آخر
عمره المسامرة وأحاديث من مضى . فقال له عمرو بن العاص : لو بعثت إلى
الجرهمي الذي بالركة من بقايا من مضى فانه أدرك ملوك الجاهلية وهو أعلم
من بقي اليوم في أحاديث العرب وأنسابها ، وأوصفه لما مر عليه من
تصاريف الدهر . فبعث اليه معاوية ، فأتى في محمل بعد أيام كثيرة وشدة
شوق من معاوية إليه ، فدخل عليه شيخ كبير السن صحيح البدن ثابت

(١) كذا في نسختي الأصل و (ب) والصواب (حديث) وكأنه كان في الأصل الأول
(حديث عبيد بن شربة الجرهمي) عنواناً ثم ابتداء فقال عن البرقي ... الخ . والبرقي تلميذ ابن
هشام مؤلف التيجان وقد استنتج المستر كرنكو من هذا ومن ذكر بعض مشايخ ابن هشام في هذا
الكتاب ان الجامع له ابن هشام وكان القائل عن البرقي أحد تلامذته - ح .

العقل متنبه ذرب اللسان كأنه الجذع فسلم على معاوية بالخلافة ، فرحب به معاوية وقال له : اني أردت اتخذك مؤدباً لي وسميراً ومقوماً ، وأنا باعث إلى أهلك وأنقلهم إلى جوارى وكن لي سميراً في ليلي ووزيراً في أمري . قال : يا أمير المؤمنين (رأيته ورأيت رحلي) فأرسلها مثلاً في العرب ! قال له معاوية : فذلك أخف لمؤونتك وأحلى للزومك . فأمر به معاوية فأنزله في قربه وأخدمه وأمر من يجري وضيافته ووسع عليه والطفه . فإذا كان ذلك في وقت السمر فهو سميره في خاصته من أهل بيته وكان يقصر عليه ليله ويذهب عنه همومه وأنسائه على كل سمير كان قبله ولم يخطر على قلبه شيء قط الا وجد عنده فيه شيئاً وفرحاً ومرحاً . فإذا به كان يحدثه وقائع العرب وأشعارها وأخبارها أمر أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوه ويدونوه في الكتب . فبينما هو ذات يوم في مجلس لمعاوية وفيه عمرو بن العاص وجماعة من قريش - وقد أخذوا في الحديث وعبيد بن شربة يحدثهم - قال له معاوية : كم أتى عليك من العمر يا عبيد ؟ قال : كثيراً يا أمير المؤمنين ، كفاك أنه لم يبق جرهمي غيري أتى علي مائة سنة وخمسون سنة ^(١) . قال له معاوية : هل شهدت دخول الحبشة ورجمها البيت الحرام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . انما كان ذلك بالأمس ، ولقد أدركت عامة ملوك لحم وكندة وحمير وغسان . قال له معاوية : حدثني يا عبيد كيف كانت الجاهلية باليمن ولم يكن لبني معد بن عدنان معهم ذكر ولم يظفروا منها طائل ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ومثلك يجهل هذا انما كانت مضر بالأمس وكانت اليمن وملكت ولم يكن مضر ولا معد ولا عدنان ولا اسماعيل ، انما اليمن من ولد هود واسمه بالسريانية عابر وبينه وبين

(١) كذا - وفي كتاب الممرين - أن معاوية قال له ان خبرني كم اتى عليك قال مائتان

وعشرون سنة - ح .

ابراهيم عليه السلام ثمانمائة سنة وعاش صلوات الله عليه مائتي سنة وقيدار
 عاش مائة سنة وأربعين سنة ومضر من ولد قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم
 فكيف حتى ولد عدنان ومعد ونزار ومضر وكيف حتى شعبت الآثار
 وانتشروا في البلاد؟ قال له معاوية : صدقت وبررت . أخبرني عنك مالك
 إذا ذكرت ابراهيم لم تملك أن تصلي عليه ، وقد ذكرت والدكم هوداً
 نبي الله فلم تصل عليه وهو نبي الله ! قال : يا أمير المؤمنين والله هو أحب
 إلي من أبي الذي حملني في صلبه وأحب إلي من أمي التي أرضعتني ولا
 أعدل بنخليل الرحمن أحداً ولا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ولا هوداً
 صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء . قال له معاوية : انك لمنصف فخذ في
 حديثك يرحمك الله عن ملوك اليمن . وقد بلغني عن حمير وسيرها في
 البلاد وملكها في مشارق الأرض ومغاربها وكيف كان ذلك تسخر العرب
 والعجم ؟ وعن افتراق السنة الناس وعن أهل بابل ؟ ومتى كان ذلك ؟
 وكيف كان ذلك ؟ وسألتك الاتمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد الا ذكركه ؟
 قال : يا أمير المؤمنين لك في غير هذا الحديث ما يقصر ليلك وتلذ به في
 نهارك فان فيه ما تهوى وما لا تهوى ومغضبة وشغفاً للملوك ! ونعش المودة .
 قال : عزمت عليك الا اتبعت هواي وحدثني ما علمت مما أسألك عنه
 فأنت في جوار الله وذمته وآمان مني ومن غضبي ونعش مودتي . قال جميع
 جلساء معاوية : ولك منا ذلك من جميعنا . وأمر معاوية كتابه أن يدونوا
 ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية . قال
 عبيد : سل يا أمير المؤمنين ، قال معاوية : فمن العرب العاربة ومن العرب
 المستعربة ؟ قال : يا معاوية أتعلم أنت وغيرك من أولي العلم انما هي عاد
 وثمود وطسم وجديس وأرم والعماليق وجرهم وقحطان بن هود ، فهم

كانوا أوائل الناس منهم يعرب الذي تكلم بالعربية كل أخذه من يعرب
ابن قحطان بن هود واليه تنسب العربية . فقيل : عربي لأن يعرب أول من
نطق بها وليس أحد غيره تكلم قبله بها ، فهذه الأجناس التي سميت لك
تكلمت بكلام يعرب بن قحطان بن هود ، النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى
كان اسماعيل ونقله أبوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده فأنزله
بمكة فكننا نحن جرهم أهل البلد الحرام فنشأ اسماعيل فينا وتكلم بكلام
العربية وتزوج منا . فجميع ولد اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو
الجرهمي ، وأبوه واسماعيل منا . وأنتم يا قريش منا ، والعرب بعضها من
بعض . ألم تعلموا أنكم من ولد اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم ،
وابراهيم ونحن ولدناه وأبوه آزر واسمه تارخ بن ناحور بن ارغو بن
شارخ بن فالغ بن عابر - وهو هود - فهو أبونا وأبوكم فنحن ولدناكم
وأنتم منا ونحن منكم - قليل في كثير - قال معاوية : كأنك تحدث عن
حديث الجاهلية ! قال عبيد : يا أمير المؤمنين لك في الإسلام ما يغنيك عن
ذلك ، فقد محق الإسلام ما كان قبله - كما محق الشمس ضوء القمر -
قال : عزمت عليك ألا حدثني عما أسألك عنه ؟ قال : يا أمير المؤمنين
كان من خبر أهل بابل وافتراق السنة الناس ، أنه لما كثر ولد سام ويافث
وحام - أولاد نوح - في بلاد الله وأراد الله أن يفرقهم في البلدان ويخالف
بين ألسنتهم ، فبعث عليهم الأرواح الأربع ، قال معاوية : ما هذه الأرواح
الأربعة ؟ قال : الشمال والجنوب والصبا والدبور ، فضمتهم الأرواح
الأربع من أربع جوانب من كل ناحية كانوا بها ساقطهم فجمعتهم ببابل
وكانوا بها ، ثم مكثوا بها ثلاثة أيام يموج بعضهم في بعض وعلموا أن
ذلك أمر من السماء ولا يدرون ما يراد بهم غير أنهم لا يشكون أن الله

الذي فعل بهم ذلك، والله مظهر ارادته . فلما كان اليوم الرابع سمعوا من قبل السماء صوتاً ينادي : الا أن الله مفرق بين ألسنتكم ومسكنكم أطراف الأرض فأيا قوم توجهوا وجهاً فكلامهم ولسانهم واحد . قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟ قال عبيد : سرياني أوله وآخره وهو لسان أيننا آدم عليه السلام ونوح وادريس . قال معاوية : كيف اختصت أرض بابل باجتماع الناس فيها ؟ قال عبيد : هي سرّة الأرض في فضلها وأراد الله ذلك بها . قال معاوية : ومن أول من أنطقه الله غير السريانية ، وأول من توجه من بابل ؟ قال : أول من توجه من بابل يعرب بن قحطان ابن عابر - وهو هود النبي عليه السلام - بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح توجه من بابل بجميع ولده ومن اتبعه ، ثم نادى اني سائر في بلاد الله فمن تبعني فله ما لي وعليه ما علي . قال معاوية : بالعربية أم بالسريانية ؟ قال عبيد : لم ينطق بغير اللسان السرياني حتى استقر به قراره في بلد سوى بابل . قال معاوية : سألتك ألا أخبرني بما تكلم يعرب أو ما تكلم ؟

قال : يا أمير المؤمنين ذكر اسم ربه عند نزوله بالعربية وتكلم شعراً وتكلم بها بعده ولده . قال معاوية : أذكر الشعر الذي قاله يعرب . قال عبيد قال يعرب :

أنا ابن قحطان الهمام الأصيل	لست بنكال ولا مؤمل ^(١)
والمبتدى باللسان المسهل	بالمنطق الا بين غير المشكل
برزت الأمة في تبليل	نحو يمين الشمس في تمهل
ونقهر الأمة في تفضل	قد جاءنا نوح بقول فيصل
ونوح جد للجدود الأول	لا بد في عقب الزمان الأطول

(١) مضى في صفحة ٣٩ فارجع اليه إن شئت - ح .

خيركم ينطق بالمرسل بالنحو والاعراب والتنزل
وكل خير ما روى الرواة لي من الآله ذي الجلال المفضل

قال معاوية : فأين توجه ؟ قال عبيد : لما خرج يعرب بجميع ولده -
وكان أقوى ولد سام بن نوح - وأعظمهم شأنًا لم يقصر حتى نزل بأرض
اليمن التي هم بها اليوم . قال معاوية : فمن شخص بعد يعرب ؟ قال : عاد
ابن عوص بن أرم بن سام بن نوح حتى جاوره . قال معاوية : فما صار
إليه شأنه وبما أنطقه الله ؟ قال عبيد : لما توجه إلى ما قبل يعرب تكلم بكلام
يعرب . قال : فهل نطق بشيء من الشعر ؟ قال : نعم كثير . قال : فاذا ذكر
بعض ما ذكره فانا نرويهِ ، قال عبيد : سأذكر لك من كل شيء سبباً .
قال عبيد : لما استقر بعاد قراره أنشأ يقول :

اني أنا عاد الطويل النادي	ذو العز والقوة والسداد
والبطش والأموال والأولاد	يا قوم أجيئوا صوت ذا المنادى
فقد سمعتموه إذ ينادي	من غير ما شخص ترون بادي
ففيه عبرة لذي السداد	فسرت بالطارف والتلاد
حتى حلت بالهمام عادي	قد قال نوح خيركم أولادي
عاد المعادي غالب الأعادي	من ولد عوص الغرذي الميعاد

وحل عاد بالأحقاف ، ثم شخص بعده ثمود بن عابر بن أرم بن سام
ابن نوح في وادي صنعاء ليعرب حتى حل في جهتهم وتكلم بكلامهم -
وبعض ما قال حين نزل مضاهياً لقول بني أعمامه :

يا قوم سيروا واعلموا القعودا لعلنا نترك ذا الوفودا (١)

(١) كذا - وهو كما ترى - ح .

ويعرب المتوج الصنديدا وخلفوا الأرذال والوغودا
والمعشر الأنذال والعبيدا قد مات نوح راشداً محمودا
وقال ان خيركم ثمودا وسوف بعدي يوصفون جودا
ويبعث الله لكم وليدا نبي صدق راحماً ودودا

ونزل هؤلاء الحجر إلى قرح وهو نحو وادي القرى بين الشام
والحجاز ، قال ثمود أيضاً يدعو أخاه جديساً ويرغبه في اتباعه اياه :

أيا جديس يا جديس ويحكا أخوك لا تؤثر عليه عمكا
ولا تصر من منه حيلكا ويعرب الهمام بادر مجدكا
وعاد ما عاد فاطوا الملكا لا تكثرن في المقام رأيكما

قال : فلما انتهى قوله إلى جديس رحل في طلبهم بجميع ولده ومن
اتبعه معهم فنزل بقربهم ونطق بكلامهم كلام يعرب - وبعض ما قال
له جديس :

أيا ثمود قد اجبت صوتك وقد عرفت أن المجد مجدك
فدتك نفسي يا ثمود أنك دعوتي فما عصيت أمرك
وكيف صبري يا ثمود بعدك وبعد عاد لا عدت قربك

ثم شخص بعده عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح متوجهاً في
أثرهم حتى حل بقربهم بجميع ولده ومن ينسب إليه فتكلم بلسانهم وهو
كلام يعرب . قال معاوية : سألتك ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من
الشعر ولو ثلاثة أبيات ؟ قال عبيد : في بعض ما قال عمليق :

لما رأيت الناس في تلبيل وسار مناخيرنا في أول
خير الملوك يعرب المفضل بالسادة الغر ذوي التجميل
أهل الحجا والنبل والتبتل وسار عاد ذو القوام الأطول
فجد منا في لحاق المعقل بمورد الحزم بأمر فيصل
فقلت سيروا غير ما تخزل فسرت طرداً بالسوام النقل

فقلت يا طسم الي فاعجل اني أنا عمليق غير مشكل
أريد أرضاً ذات ملك أطول لعلنا نحل دار العلم

ثم اتبعه طسم بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح حتى لحق أخاه عمليقاً
فتكلم بكلام يعرب وقال :

اني أنا طسم شبيه سام ووالدي لاوذ بن أرم
لما رأيت من بني أعمامي وإخوتي الرحيل باعتزام
قد اقتدوا بيعرب الهمام كرهت بعد أخوتي مقامي
وكيف صبري بعد آل سام عمليق ثم عاد ذي القوام
ويعرب ذي العزم والاقدام وخلفنا يافث وآل حام

قال معاوية : هؤلاء أجمع ولد سام بن نوح ؟ قال عبيد : نعم لم يرحل
معهم سواهم . قال معاوية : فنزلوا جميعاً أم اشتاتاً ؟ قال : كل ذلك
بأمر المؤمنين لما ناداهم الصوت ببابل كل قوم توجهوا ناحية واحدة
وكلامهم واحد توجه يعرب أول من توجه بولده ولحق به ولد سام
فتكلموا جميعاً بالعربية نزلوا جهة واحدة : فنزل يعرب وولده باليمن
ونزل عاد بالأحقاف ، ونزل ثمود مما يليهم على الساحل وجاور بعضهم
بعضاً ، وبقي ببابل ولد يافث وولد حام . قال معاوية : فلم صار أمرهم
إليه ؟ قال : يأتي عليك في الحديث حتى أخبرك خبراً يغنيك ، انه لما كثر
ولد يعرب وولد عاد وثمرود وطسم وعمليق وجديس ضاقت بهم أرضهم ،
فأول من رحل منهم عمليق وولده حتى أتوا الحرم فنزلوا به كافة . قال
معاوية : وهم يعلمون أنه حرم الله ؟ قال عبيد : نعم قد كانوا يعلمون أن
آدم وادريس ونوحاً كانوا يعظمونه . قال معاوية : فمن قال في نزولهم

الحرم شعراً . قال : نعم قد قال أصغر بن الحارث بن يعفر بن عمليق :

أنا ابن مأمون الجوار الأصغر الحارث المفضال نجل يعفر
وجدني السيار غير المنكر عمليق إذ سار بجيش مشهر
لما رأيت الدهر ذا تغير فسرت سيراً بالجموع البهر
من آل عمليق الكريم المفخر إلى حريم الأرض أرض المحشر
من أرض سام جدنا الموثر

فلما رأى ذلك ولد جديس رحلوا بأجمعهم حتى نزلوا بأرض اليمامة
فاتسعوا بها . فلما رأى ذلك جميع ولد طسم لم يهتئهم المقام بعد ولد جديس
وضاق بهم المقام وقد بلغهم عن بني جديس سعة بلادهم فرحلوا حتى حلوا
بهم وقال في ذلك الأعجب بن مهراق بن سلام بن جديس :

غرنا الدهر بطول للبقا	ورمى الدهر فأودى إذ رمى
فلقد أخنى علينا كلكلا	مهد القوة منا والقوى ^(١)
رحلت طسم إلينا للقضا	بعدها ضاقت بها الأرض الفضا
فقبلناها على ما كان من	حدث الدهر وقلنا مرحبا
ليس عيش دونكم يصفو لنا	كل عيش بعد طسم لا صفا
ابلغا يعرب عنا كلما	دارت الشمس وأوفت بالسما
يا خليلي سلاماً دائماً	من عشير بهم شط النوى
ليت شعري كيف أنتم بعدنا	يا بني يعرب يا أهل الحجا
يا بني يعرب أنتم سادة	كنتم من آل سام في الذرى
ولقد فضلكم خالقكم	بلسان فيه نور وسنا
فجميع الناس طوعاً لكم	كلهم فالعز فيكم والسننا

(١) كذا - ولعله مد - ح .

وبنو عاد جميعاً غلبوا من يناويهم بعزوبها
وبني عمليق منا فاذكروا وبني طسم وكل قربا
انما ابكي لنأيي عنهم وبحق يسأل منا من بكى
ذل من أصبح من أختيارنا نازح الدار وأمسى موهنا
لست أنساه إذا نادى بنا يوم نادانا بلا شخص يرى
فانصرفنا إلى أوطاننا بكلام غير سر بيننا
بعدها كان لساناً واحداً صار اثنين وسبعين سوا^(١)

قال : فما صنع من بقى ببايل من ولد حام ويافث وقد سبقهم ولد
سام إلى أفضل البلدان ؟ قال : فسار طسم بن لاوذ بن يافث بن نوح راغباً
عن مسير ابن عمه حتى دخل أرض فارس ، فيقال ان جميع أجناس
الفرس من ولده ، فلما رأهم جميع ولد يافث بن نوح قد رحلوا ،
بأجمعهم حتى حلوا بين المشرق والمغرب من ناحية الجرياء - وهم فيما
يقال الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وبرجان والروم والاسبان - والروم
ولد ياوار بن يافث بن نوح وولد ياجوج وماجوج بن يافث بن نوح ،
الترك وأجناسهم وماشج بن يافث بن نوح وبرجان من بني يافث بن نوح ،
والصقالبة ولد اشميل بن يافث بن نوح ، ثم سار جميع ولد كوش بن حام
ابن نوح وأجناسهم حتى حلوا أطواف المشرق والمغرب . وأما ولد كنعان
ابن حام بن نوح فهم ولد كنعان بن كوش بن حام - وهم البربر - فسار
حتى جاز بفلسطين وبيت المقدس وفي أطراف الأرضين وكانوا بها حتى
بعث الله نبيه داود وهو الذي أسس بيت المقدس وسليمان بن داود معه
ولقد بلغني أن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم سأل الله أن لا يدخل

(١) هذه القصيدة غير خفي ما فيها من التعريفات - ح .

بيت المقدس مؤمن بالله ورسله وكتبه إلا أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته
أمه فأعطاه الله ذلك ولم تسخر الريح بعده لأحد ولا الشياطين ولا العفاريت
ولا الطير ، وبلغني أنه لم يملك أحد ملكه . فدعا داود البربر إلى الله فكذبوه
وقاتلوه كما سمعت في كتاب الله (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك
والحكمة) وبلغني عن هذه الآية (أن فيها قوماً جبارين) أنهم أولاد بربر
ابن كنعان بن كوش بن حام ، فقتلهم بعد ذلك يوشع بن نون ، فلم يزل
يقاتلهم حتى نقلهم إلى أطراف الأرض ملك من ملوك حمير يقال له
افريقيس .

ثم أبرهة ذو المنار بن الرائش كثير الغزو ومغير في الأرض . فلما
دخل أرض أفريقية وباسمه سميت أفريقية ، فرأى أرض المغارب طيبة
خالية طنجة وتنيس فنقلهم إليهما وعمر بهم المغارب وأطراف الأرض .
وأما أخوتهم ولد قبط بن مصرايم بن حام فتزلوا بفلوات المغارب ففيهم
أنزل الله (ان فيها قوماً جبارين) و (قتل داود جالوت) وهم يدعون إلى
قيس وكانت البربر ولم تكن قيس قاطنة مصر - وهم ولد سام بن نوح
والبربر من ولد حام - فأين الملتقى إلى نوح ولكنهم بالأمس نظروا أهل
تنيس إذ كانوا بيت المقدس ولو دعاهم أحد إلى نسبه أيضاً أجابوه ولكنهم
ولد بربر بن كنعان بن كوش بن حام ، وذووالاحلام منهم يعلمون ان
هذا باطل - وهم أقدم من ذلك - وهل يجهل ما وصفت لك أهل العلم
منهم - وهم أخوة النوبة - وولد قوط الحبشة ، وفيهم ما في ولد حام من
عزة النفس والشجاعة والشدة وقلة الرحمة ونساءهم أرحم من رجالهم ،
وفيهم الخفاء والخلف ترى ثقل أهل الحلم منهم ، فنقول : صالحون ما لم
يغضبوا فان غضبوا كفروا، دين أحدهم على طرف لسانه أصحاب غدر

وسحر لا يعرفون المكر من جاء إليهم منعه كان على الحق أو غيره . ولا ينقادون بعضهم لبعض - تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى - لهم بأس وصبر وقد حرموا النصر يربحون ولا يربحون ولا يدينون وان قهروا يتبعون أهواءهم ويعصون أمراءهم الا ان كانوا من غيرهم ، حالفهم الخسران ولا ينظرون في النقصان ، يكثرون الحجج من غير نية ويحلون في الحمية واومات أحدهم على غية ، أطوع الناس لمخلوق في معصية الخالق أصحاب لهو وطرب ، وأمورهم عجب من العجب لا يوقرون كبيراً ولا يرحمون صغيراً ، يسيغون الأنساب ويتبعون الأغراب من جاءهم بالافك صدقوه ، وان دعاهم أجابوه ، ويهينون الأموال ويكثرون الانتقال ، يطرحون المودة ويخلفون الصديق ، والقسوة من رجالهم والرحمة من نساءهم .

وبلغني في الحديث يرفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان الملح والشهرة نزعت من بني اسرائيل وجعلت في نساء البربر) وبلغني أن أولاد بربر بن كنعان بن كوش بن حام الذين يزحفون لرجل من ولد فاطمة حتى يردوه إلى مكة - وهو صاحب العدل في آخر الزمان - وأصحابه يقال لهم الغرباء .

قال له معاوية : قلت الصواب ان شاء الله وان كلامك طيب وشفاء لما في الصدور ، فاخبرني من كان الملك ؟ قال عبيد : كان الملك يومئذ فارس بن أرم بن سام بن نوح ، وافترقوا في البلدان ، ثم ملك يعرب جميع ولد سام وكل جنس ملكهم منهم . قال معاوية : اخبرني عن القبط ، من أبوهم وهل ملك منهم أحد ؟ قال عبيد : أبوهم مليط بن ماش : وكان ملكهم دارا بن دارا الذي قتله الاسكندر . قال معاوية : فهل ملك القبط ؟

قال : نعم كان ملكهم نمرود بن كنعان بن كوش بن حام وهو الذي أرسل إليه ابراهيم الخليل صلوات الله عليه قال : قد كان ادعى الربوبية قال : نعم يا معاوية يا سبحان الله لقد رغبته نفسه إلى أمر عظيم . قال عبيد : وقد كان فرعون قال أنا ربكم الأعلى ولم يملك الا مصر وحدها وقوله : يدلك على ذلك أنه قال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) قال معاوية : فما فعل نمرود ؟ قال عبيد : لم يزل ابراهيم صلى الله عليه وسلم يدعوهم وأهل مملكته فعصى فأهلكه الله ومن معه من الكافرين ، فأقام ابراهيم يدعوهم ما شاء الله ، ثم دعا بالختان فزعموا أنه اختن وهو ابن عشرين سنة ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأمر بالمسير إلى بيت الله الحرام ووضع عند البيت ابنه اسماعيل وأم اسماعيل وكان أهل البيت يومئذ العمالق وجرحهم وكانت أمور كثيرة بعد .

قال : يا معاوية كان صالح وهو د قبل ابراهيم بمائتي سنة ، ولقد بلغني أن بين موت هود وصالح خمسمائة سنة . قال معاوية : كذلك بلغني . قال معاوية : فما الذي أخرج جرحهم من دار اليمن إلى الحرم ؟ قال : لما تبلبلوا ولد يعرب وكثروا وضيقوا عليهم وتمادوا بأجمعهم على جرحهم فرحلوا إلى الحرم . قال معاوية : فكم كانوا ولد قحطان الذين من صلبه خاصة ؟ قال عبيد : كان جميع ولد قحطان أكبرهم يعرب وهو أول من تكلم بالعربية وأول من حيى بتحية الملوك أبيت اللعن وهي تحية الملوك ملوك الجاهلية وهو أول من حيى بها ، والحارث بن قحطان وحضرموت بن قحطان ولام بن قحطان والعاص بن قحطان والشمر بن قحطان والمتمس بن قحطان وتحاسم بن قحطان وماعز بن قحطان وتبع بن قحطان والقطام بن قحطان وظالم بن قحطان وجرحهم بن قحطان وأهمهم

امرأة من ولد عاد وكلهم قد ملك ملكاً عظيماً غير ظالم كان يسير بالجيوش.

(حديث هلال عاد)

قال معاوية : فحدثني يا عبيد عن هلاك عاد وكيف كان هلاكهم ؟
قال عبيد : يا معاوية . أنه كان عاد بن عوص بن سام بن نوح - وهو
الذي أحدث له عشرة من الولد وهم : شداد وهو أول من ملك منهم وطال
ملكه وهو الذي عمل أرم ذات العماذ ، والخلود وهم رهط النبي هود
صلى الله عليه وسلم ، وتيم بن عاد وبر وبهار والعنود والحقود والصور
وهم رهط أبي سعيد المؤمن وصدوهم رهط لقمان بن عاد صاحب النور ،
ووفد وثمود ومتاب وهم رهط صاحب السحابات وأس وفدغار^(١)
ورمل - وكانت عاد عشر قبائل وكانوا عرباً ، وكانت مساكنهم الأحقاف
- وهي الرمال ما بين حضرموت وبحر عدن - وذلك قول الله تعالى :
(واذكر أخا عاد إذا نذر قومه بالأحقاف) ، وكانوا قد كثروا وانتشروا
في البلاد من أرض اليمن كلها وما قاربها من البلاد وقسوا في البلاد ، وكان
الله قد أعطاهم بسطة في الجسم وقوة في الأبدان وسعة في الأرزاق ومهلاً
في الأعمار لم يعطه أحداً من الخلق من بعد قوم نوح ، وذلك قول الله عز
وجل : (وزادكم في الخلق بسطة) ، وقال سبحانه : (أمدكم بأنعام
وبنين وجنات وعيون) . فكفروا ربهم وطغوا بما فضلوا به على غيرهم
فافسدوا في الأرض وعتوا عتواً كبيراً واغتروا بجهلهم وقالوا لنبيهم
هود : ان هذا الا خلق الأولين ، وقال الله عز وجل : (وأما عاد
فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) الآية . فلما كثر

(١) بالأصل - فدعا .

عتوهم وكفرهم وظهرت فيهم المعاصي بعث الله نبيه هوداً صلى الله عليه
حجة عليهم لينذرهم وابعثه اليهم ، وكان من أوسطهم بيتاً وأكرمهم
حسباً وأعزهم زهطاً ليمنع من سفاهتهم حتى يبلغ رسالات الله ، وقد
سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : ان الله لم يبعث نبياً قط إلى
قومه الا من أوسطهم بيتاً وأعزهم ليمتنع من سفاهتهم حتى يبلغ رسالات
الله . قال : صدقت يا أخا جرهم ، فهل تعرف أحداً من شعر العرب
ذكر هوداً في شعره ؟ وان في كتاب الله لشفاء من العمى وبياناً من الجهلة
ونحب أن نزداد ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :
(ان من الشعر لحكمة) ؟ قال عبيد : يا معاوية قال فيه حسان بن ثابت
الأنصاري حيث يقول :

وان أخا الأحقاف إذ يعدلونـه يجاهد في دين النبي ويعذل

قال معاوية : صدقت يا ابن شربة ، فحدثني حديثك عن عاد ؟ قال :
يا معاوية ، وكان لعاد أصنام يعبدونها دون الله تسمى صداء وبغاء وصمود .
قال معاوية : فهل قيل فيها شعر ؟ قال عبيد : نعم . قال أبو سعيد المؤمن —
وهو من بيت سعيد — حيث قال :

لنا صنم يقال له صمود يقابله صداء والبغاء

قال معاوية : صدقت ، فخذ في حديثك عن عاد . قال : فبعث الله إليهم نبيه هوداً صلى الله عليه برسالاته وداعياً إلى عباداته فبلغهم الرسالة ونصح لهم ما استطاع ، فردوا نصيحته وطرحوا قوله وكرهوا ما جاءهم به وكان من قولهم ما ذكر الله في كتابه في غير آية ولا آيتين : (وقالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلھتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

أن نقول الا اعتراك بغض آلهتنا بسوء) . قد سمعت ابن عمك يقول :
أصابك بغض آلهتنا بجنون ، قال هود : (اني أشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه) الآية . وسمعت ابن عمك يقول : اني بريء من
آلهتكم الذين تزعمون أنها أصابتني بسوء فأصيبوني بأعظم من ذلك أن
أحببتم ، وقوله تعالى : (اتبنون بكل ريع آية تعبثون) — يعني بكل نجد —
والربع هو النجد مما ينصبون من الحجارة في النجاد وهي للناس^(١) . سمعت
ذلك من ابن عمك أيضاً .

قال : صدقت يا عبيد وجئت بالبرهان الواضح ، فحدثني عن هود .
قال : نصح لهم هود بجهده وآتاهم بالحق من ربه ، فلم يزدادوا إلا طغياناً
وكفراً وتمادياً في معصيته . وأسلم مع هود منهم نفر يسير لا يبلغون أربعين
رجلاً وأسلم رجل من أشرفهم وساداتهم وذوي أحسابهم يقال له : أبو
سعيد بن سعد بن عفير ، وكان يكم إيمانه — وهو رأس الوفود وصاحب
البر والتقوى وودها — وقد بلغني يا معاوية أنه كان سائراً ذات يوم اذ مر
بجماعة منهم في نادي قومهم فدعاهم إلى الله ووعظهم فحمل عليه رجل
من سفهائهم بحجر فأدمى كعبه ، فدعا عليهم هود عليه السلام أن يتليهم
الله بالقحط ويحبس القطر عنهم ثلاث سنين ، فاستجاب الله له فحبس
عنهم المطر وابتلاهم بالقحط ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك . قال معاوية :
لله أنت يا عبيد فهل قيل في ذلك شعراً ؟ قال عبيد : نعم . قال : فاسمعي
ذلك . قال : لما دخلت السنة الأولى عليهم علموا أنها سنة قحط وأزمة
فسموها ججرة . فقال في ذلك رجل من المسلمين — يقال له حماد هذا الشعر

(١) في الأصل — الباس .

قد نزلت بأرض عاد جحره
 فأرضهم جادبة مغبره
 ليس لها في يومها مسره
 حلاوة الاثراف فيها مره
 وفي معاصيه الردى والحسره
 إذ أرضهم يابسة كالصخره
 مستبدلين خيره مضره
 لها هيب وعليها غبره
 جاحمة وحرثها مصفره
 ولا لعين بالنهار قره
 لطاعة الله وفيها عبره
 فقد رأوا منك عظيم القدره
 موحشة دون البلاد قفره
 إذ لم تزل تربتها مغبره
 وصادفت من ربها المعره

فأجابه رجل من المشركين قال : وما اسمه ؟ قال : اسمه الخلجان
 ابن الوهم فأنشأ يقول :

ان السنين حلوة ومره
 فمرة جذب وخصب مره
 معينهم ليست تدوم العره
 محتالة للكسب ذات قدره
 لهم بعز شوكة مسره
 وهم معافي الخافقين عبره
 ناخرة ولدنة مخضرة
 ليست بنكر سنة مغبره
 وعاد اولو همة وخبره (١)
 وكلهم ذو وسعة بمره
 كأنهم عند اللقاء جمره

قال : فلما دخلت الثانية سموها كحلاً . فقال رجل من المسلمين
 يقال له مبتدع شعراً يقول فيه :

قد نزلت كحل بآل عاد
 حين بغت عن سنن السداد
 من في القرى منهم وفي البوادي
 من السنين الازم الشداد
 تذلل ذا الاثراف والفساد
 كلوحها على العزيز بادي

(١) كذا - في الأصل والله أعلم - ح .

تمنع عاداً سنن الايراد عقوبه من ملك العباد
إذ جانبت عاد هدى الرشاد ثم طغت في البغي في البلاد
مفتره بأوهن الأجناد بعد اصامتنا مع المراد (١)
فأصبحوا في سمة الحساد وسلكوا في طرق الفساد

فأجابه رجل من المشركين يقال له جيحون :

ان السنين لم تزل تجاد لم تزل السنين في ترداد
لها بروق جمعة الارعاد بروقها رائحة غواد
من غير ما وعث ولا فساد أمر قضاه ملك العباد
ولا تضر دعوة الانداد وكل أنداد إلى المعاد
إلى العلى الخالق الجواد يرجون امراً حاضر السداد
شفاعة ترجى لآل عاد قد علمت جماعة الأوغاد
وكل ذي رأي وذي فؤاد من ساكن القرى أو البوادي
بأن عاداً صعبة القياد قاطنة الأوطان والمهاد
قاهرة الاقران في العناد شديدة الأركان والاعضاد
قوية في البطش والعماد غالبة جماعة الحساد
نصيب بالمخالب الحداد ذا المنعة المغالب المعادي

قال : فلما دخلت السنة الثالثة سموها كلح . فقال رجل من المسلمين

هذا الشعر :

كيف لعاد بعد كحل بكلح بذات قحط وغبار وبلح
تمنع ذات (٢) لذات الفرح لأن عاداً حاربت نهج الفلح

(١) كذا - فليظن - ح .

(٢) كذا - ولعله - ذا اللذات - ح .

ولم تطع نبيها حين نصح
فانكرت دين الهدى لما وضع
فاتبعت من المحارب جمع
فذكره منقطع اذا افتتح
ورام أن تصلح فيمن قد صلح
وغرها التمهيل من رب صفح
من الصمود ذبحة لما ذبح
فخف في ميزانه وما رجع

فأجابه رجل من المشركين يقال له الخلجان أيضاً :

ان لعاد قوة لن تفتلح^(١)
والأمر فيما بينها أمر صلح
وأمر شاويها إذا شاء سرح
عارفة غبوقها والمصطبح
تذل بالعزة منها من جمع
وكلهم ذو منعة وذو فرح
وعزها راس لها أن يقترح
والعز فيها خالد لا يطرح
تم لها فيها مناخ منفسح
نحو الذي يكسب كساب النقع
ومن : ي عمدأ عليها أو طمح
وان يشأ من خرد بيض نكح

قال معاوية : لقد جئت بالبرهان في حديثك يا عبيد فماذا فعلوا ؟
قال : يا معاوية ، لما توالى عليهم سنون بأزماتها وحطمتها ، فاشتد فيها
قحطهم وهم في ذلك غير تائبين ولا مطيعين لنبيهم هود صلى الله عليه . ثم
قام رجل من أشrafهم وذوي أنسابهم - يقال له زميل بن عتر أخو القيل
ابن عتر - وكان القيل رأس عاد وسيدها في زمانه وصاحب السحابات
والريح التي أهلكت عاداً بإذن الله عز وجل - فقام زميل فنادى قومه ،
فقال : يا قوم إني فكرت لما نزل بكم من هذا القحط ورأيت رأياً وقلت
فيه قولاً وأنا عارض ذلك عليكم - ان رأيتم ذلك - فقالت له الجماعة :
إن رأيك لأصيل وان فعلك لحميل فقل نسمع ما تقول . فقام زميل فيهم

(١) كذا بالأصل - ح .

منشداً هذا الشعر حيث يقول :

ألا نزلت بنا حجج ثلاث	على عاد فما تحتال عاد
فدمعهم يبل التراب منها	وما يدرون ما بهم يراد
وقد علمت بنو عاد بن عوص	بأن مشورتني لهم سداد
واني عارض رأيي عليهم	وما مني به فيه انفراد
بأن يتخيروا وفداً يسروا	إلى البيت العتيق لهم سداد
من القول السداد إذا آتوه	وهينة لهم فيها اقتصاد
فيستسقوا الملك البرغيثا	به تحي البرية والعباد
وقد جربتم ذاكم فعرفي	لديه في بدايته السداد
لأن الله مقتدر حكيم	غفور رازق بر جواد
فان يسمع مقالتنا سقانا	فقد نزلت بنا ازم شداد
وان نهلك فأمر الله ماض	له منا المقادة والقياد

قال : فلما سمعوا مقالته أجمعوا على المسير إلى بيت الله الحرام يستسقون الغيث . قال معاوية : لله أنت يا عبيد وكيف كانوا يطمعون ان الله يستجيب لهم وهم مقيمون على الشرك بالله وعبادة الأصنام ؟ قال عبيد : يا معاوية . كان الناس في ذلك الزمان العرب وغيرهم من المشركين ، إذا نزل بهم فادحة أو نابهة أو جاهدة قحط أو غيره فزعوا إلى الله ، فيأتوا إلى البلد الحرام يطلبون من الله الفرج ، فيعطون مسائلهم ويعرفون من الله الاستجابة عند بيته الحرام فيجتمع بمكة بشر كثير مختلفة أديانهم يطلبون من الله حوائجهم كلهم عارف بمكة وحرمة فلا يرحون حتى يعطى السائل سؤاله مما سأل .

قال معاوية : فهل كان في ذلك الوقت يعرف موضعه ؟ قال عبيد :
نعم يا معاوية . قد كان موضعاً منذ وضعه الله لآدم إلى أن بناه إبراهيم عليه
السلام معروفاً مكانه ، ولم يكن مبنياً يومئذ . فلما أجمعت على المسير إلى
مكة استسقوا جهزوا من عظمائهم وأشرفهم وذوي أحسابهم سبعين
رجلاً . ثم وضعوا على السبعين أربعة منهم قيل بن عنز وهو رأسهم
وصاحب أمرهم واقمان بن عاد - هو صاحب النسر - وأبو سعيد مرثد
ابن سعد - وهو خير النفر - وجلهمة بن الحيري . فساروا حتى أتوا مكة
- وسكانها يومئذ انعماليق - وهم يومئذ ملوك الحجاز وأرضها ، فنزلوا
على رجل منهم يقال له بكر بن معاوية قد تزوج امرأة من عاد وهي أخت
جلهمة بن الحيري فولدت ابنه معاوية بن بكر وجميع ولده وكانت أخت
لبكر بن معاوية وهي هزيلة ابنة هزال بن معاوية متزوجة في عاد وزوجها
أبو سعيد المؤمن مرثد بن سعد ^(١) ، فولدت عمرأ ، عامراً وعميراً أبناء
مرثد بن سعد وهي وولدها التي نجت من العذاب يوم الريح - وبنو أبي
سعيد هؤلاء هم عاد الآخرة - فلما قدم وفد عاد إلى الحرم نزلوا على
صهرهم بكر بن معاوية وابنه معاوية ، وكان منزلهما بظهر مكة خارجاً
من الحرم ففرحوا بالوفد وأكرمهم وأحسنوا منزلتهم عند ابن أختهم معاوية
ابن بكر . وكان معاوية قد كبر وضعف وكانت الرئاسة لابنه بعده ، فأنزل
أخواله وحبسهم عنده شهراً يأكلون الخبز واللحم ويشربون الخمر وتغنيهم
قينتان يقال لهما الجرادتان - ويقال أنه أول من اتخذ القينات في الأرض
للغناء - وكان أكثر العرب مالاً في زمانه . فأقبل وفد عاد في اللهو
والشراب وتركوا ما جاءوا له . فلما رأى ذلك معاوية بن بكر غمه ذلك

(١) كذا - في الأصل - وعبرة الكامل - (أن لقيم بن هزال تزوج هزيلة بنت بكر
أخت معاوية وذكر الأولاد كما هنا وزاد عبيد - ح .

وقال : لئن تركت أخوالي وأصهارى أنها هلكتهم وهلك من خلفوا من أهلهم وقومهم في بلادهم - وهم أيضاً ضيفي ووجوه قومي - وأنا استحي أن آمرهم بالشخص لما قدموا له . فلما طال مقامهم ولم ينظروا في ما قدموا له قال شعراً ، ثم حفظه لجاريتيه وأمرهما إذا انتشى القوم وأخذ فيهم الشراب أن تقوما على رأس كبيرهم وشريفهم قيل بن عترة وتغنياه . فأضاف لهم الطعام والشراب . فلما انتشوا قامت الجاريتان على رأس قيل بن عترة ، وأنشأتا تقولان :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم	لعل الله يصبحنا غماً ما
فيسقي آل عاد ان عادا	قد أضحوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فما تراهم	ولا الشيخ الكبير ولا الغلاما (١)
وان الوحش تأتيهم نهراً	فما تخشى لعادي سهامها
وقد كانت نساؤهم بخير	فقد أمست نساؤهم أيامي
وأنتم ها هنا فيما اشتبهتم	نهاركم وليلكم نياما
فقبح وفدكم من كل وفد	ولالقوا التحية والسلاما

قال : فلما قالتا الشعر ووعته أسماعهم فزعوا لذلك وتركوا ما هم فيه من اللهو وحلو الحياة وقال بعضهم : يا قوم انما بعثكم قومكم لهذا البلاء الذي قد نزل بهم وقد أبطأتم فسرتم شهراً من بلدكم وأهلكم إلى ها هنا ولكم منذ شهر ها هنا فانطلقوا إلى بنية ربكم واطلبوا الغوث من ربكم لقومكم .

فقال أبو سعيد المؤمن : يا قوم هلمكم لأمر أدعوكم إليه تذكرون به

(١) مضى هذا البيت في ص (٥١) من التيجان مخالفاً لما هنا - ح .

حاجتكم وتغيثون به قومكم . قالوا : وما ذاك ؟ قال : تؤمنون بنبيكم
هود عليه السلام وتؤمنون بربكم فذلكم خير لكم . قال : فكم هو قوله
وردوا النصيحة . قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : نعم .
قال في ذلك أبو جلهمة :

أبا سعيد كأنك من قبيل	سوى عاد وأمك من ثمود
أتأمرنا لنترك دين وفد	ورمل وآل صد والعنود
أنترك دين أقوام كرام	ذوي حسب وتتبع دين هود
وأنا لا نطيعك ما حيننا	ولسنا فاعلمن على عهد

قال : فغضب من ذلك رجل من الوفد من قوم أبي سعيد فأجابه :

فمرثد مخ عاد في ذراها	وأنت لساقط وغد كنود
نماه يا زنيم إلى المعالي	من أخوال وأعمام صمود
وأفضل قوم عاد بعد هود	وخيرهم الكريم أبو سعيد

قال معاوية : فما فعل الوفد يا عبيد ؟ قال : ان الوفد لما أرادوا المسير
إلى الكعبة سألوا بكراً وابنه أن يجسبا أبا سعيد ففعلا وكلماه في ذلك .
فقال : نعم . ووقف عنهم هو ولقمان بن عاد ، ومضى سائر الوفد إلى
البيت يتقدمهم قيل بن عنز وصف الوفد حوله ولاذ بالكعبة ودعا وتضرع
فسمع منادياً ينادي من السماء يقول : يا قيل بن عنز ما جئت تطلب فاسأل
نعط ، فقال : جئت أطلب القطر الذي ينبت الشجر ويكثر الثمر ويحيي
به البشر ويصلح به قومي وبلادي . قال : فأنشأ الله ثلاث سحباب بيضاء
وحمرراء وسوداء ، ثم قيل له : اختر أيها شئت ، قال : أما البيضاء فجهام
ليس فيها مطر ولا لغيشها روي ، وأما الحمرراء فجهام غير أتى الذي ^(١) ينفي

(١) كذا - ولم يظهر وجهه - ح .

السراء ويأتي بالضراء ولا حاجة لنا فيها ، وأما السوداء فكثيرة الماء والروي
معقبة لرخاء مبلغة المنى غائظة الأعداء وقد اخترتها لقومي وبلادي .
فناداه المنادي رماداً أرمداً لا يبقى من عاد بن عوص أحداً لا والدأ ولا
ولدأ إلا القبيل الأبعدا .

قال معاوية : لله أنت من يعني بقوله إلا القبيل الأبعدا . قال : من ولد
عملوق بن لاوذ - وهي أخت بكر بن معاوية - يعني هزيمة بنت هزيل
العمليقة - وهي أخت بكر بن معاوية ، وهي زوجة أبي سعيد المؤمن ؟
وقد بلغني يا معاوية أن هزيمة كانت امرأة فاضلة في عقلها وأدبها وكانت
محبة لهود عليه السلام وأصحابه وتلطف بهم وتوسع عليهم في مالها وكانت
كثيرة المال . وقد كان الإسلام وقع في قلبها وهي تكتم ذلك من قومها
فنجأها الله من العذاب وولدها وانصرف وفد عاد إلى منزلهم عند بكر بن
معاوية فرحين مسرورين أنهم قد أصابوا الغيث . ولما رجعوا انطلق أبو
سعيد المؤمن ولقمان إلى البيت العتيق ، فتقدم أبو سعيد المؤمن إلى البيت
فلاذ بالكعبة ودعا وتضرع وقال : رب إني جئت في حاجتي فاعطني
سؤالي ، فسمع مناد من السماء يقول : يا أبا سعيد بن مرثد ما جئت تطلب
سل تعط ؟ قال : جئت أطلب البر والتقوى ، فنودي : ألا قد أوتيتهما ولك
بهما الفضل الكبير .

قال معاوية : أهبل في ذلك شعراً ؟ قال عبيد : نعم يا معاوية . قد قالت
العرب في ذلك أشعاراً فإن أحببت انشدتكها وان شئت في آخر الحديث فإنه
أصلح لحديثك . قال معاوية : سمعناها في آخر الحديث فهو أحسن . قال :
ثم تقدم لقمان بن عاد فلاذ بالكعبة ودعا وتضرع وقال : اللهم إني لم
أتك وافداً إلا لنفسي فاعطني سؤالي ، فسمع منادياً من السماء يقول : يا

لقمان بن عاد ما جئت تطلب وما تريد فاسأل تعط ؟ قال : جئت أطلب العمر ، قال فنودي : اختر عمر سبعة أنسر حين تنفلق عن الفرخ البيضة أحب إليك إلى أن تبقى كثيراً ، فإذا هلك نسر أعقب نسر آخر أو تبقى سبع بقرات سمر من سنوات عفر في جبل وعر لا يمسها قطر ^(١) ؟ فقال لقمان : بل عمر سبعة أنسر . فنودي : ان قد أوتيت سؤالك ولا سبيل إلى الخلود . فانصرف لقمان وأبو سعيد إلى الوفد في منزل بكر وابنه ، وأقاموا معاً حتى آتاهم هلاك عاد . قال عبيد : وكان هلاك عاد يا معاوية ، أن السحابة السوداء التي اختارها قبل بن عذر لقومه جعلها الله سبحانه ريحاً عقيماً عقوبة من الله ونقمة منه عليهم ، ومضت السحابة بأمر الله وقلبرته ترجيها جنود الله وذلك قول الله عز وجل : (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) . قال : سمعت ابن عباس يقول : انما عقت من الرحمة ولقحت بالعذاب . قال الله سبحانه : (بريح صرصر عاتية) . سمعت ابن عباس يقول : عنت يومئذٍ على خزنتها خزنه الريح خرج منها مثل منخر الثور فبه أهلك الله عاداً . قال : وسارت الريح يزجيها أمر الله وقلبرته معها جنود الله وملائكته ، ملائكة العذاب يقودونها بازمه حتى انتهت إلى بلاد عاد فأتتهم من قبل واد يقال له « مغيث » كان يأتيهم من قبله الغيث . فلما رأوه فرحوا واستبشروا وطمعوا أنها غيث من قبل الله ، ولم يعلموا أنها نكال عليهم وعقوبة . قال الله تعالى : (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها) وقولهم لنيهم هود عليه السلام : (فآتينا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) . سمعت ابن عباس يفسر ذلك . قال معاوية : صدقت . فماذا قال ؟ قال : كان أول ما تبين به أنها ريح

(١) تقدمت بالفاظ في التيجان ص ٧٠ - ح .

عقوبة من الله لهم جارية يقال لها مهد^(١) فانها لما رأتها صاحت ، ثم صرخت ، ثم غشي عليها فاجتمع إليها قومها . فلما استفاقت قامت تنوح وهي تقول :

البلية	البلية	ما جنى الوفد عليه
ان وفد الريح كانوا	شر وفد في البريه	
ارسلوا يبعون غيثاً	فأتوهم	بالبليه
سخرت ريح عليهم	تركت عادا خليه	
سخرت سبعا عليهم	لم تدع منهم بقيه	

ويقال : يا معاوية . انها أول نائمة ناحت في الأرض ، فقال لها قومها : ويحك ماذا ترين وماذا دهاك ؟ قالت : الويل لعاد التي طفت في البلاد فاكثروا فيها الفساد . أرى رياحاً كأمثال الجبال لها لحم بأيدي رجال كأن في وجوههم شهب النار ، والرجال الذين ذكرت ملائكة الله عز وجل مع الريح . قال معاوية : هل قيل فيه شعر ؟ قال عبيد : نعم يا معاوية . قد قال أمية بن أبي الصلت أو النابغة الذبياني في ذلك شعراً حيث يقول :

رأت ما رأت مهد فقيل لها ماذا ترين فقالت انظر العجبا
أرى رياحاً كأمثال الجبال لها لحم بأيدي رجال تشبه اللهبا

قال معاوية : خذ في حديثك . قال : فلما تبين لهم أنها ريح عقوبة من الله عليهم ، قاموا إلى صعيد واحد ووضعوا العيال والذراري . قال : ثم بنوا عليهم بالأبنية والمتاع كالردم العظيم فوقهم ليقبهم بزعمهم من الريح فاجتمع جميع أولي القوة والجلد والبأس وصفوا بينهم وبين الريح على فم

(١) في الكامل - فهد - ح .

وادي وانتدب منهم رجال كالاطواد العظام - وهم عمرو بن خلي والحارث بن أسد والمقدم بن سفر والحلجان بن الوهم وصيد بن سعيد وزميل بن عمرو وزمر بن أسود - فبرزوا دون قومهم وقالوا : نرد هذه الريح عنكم ^(١) .

قال معاوية : فما كان من أمر هود عليه السلام ؟ قال عبيد : ان هوداً كان فيهم وكان يدعوهم إلى طاعة الله . فلما رأى أن العذاب قد نزل بهم وعلم أن الله مهلكهم اعتزل عنهم في ثلاثين رجلاً ممن أسلم معه وانطلقوا حتى وقفوا على حظيرة على تل قريب من الوادي يسمعون كلامهم ويتظرون ما الله فاعل بهم . فلما انتهت الريح إلى عاد . قام عمرو بن خلي أحد الجبابرة السبعة وهو رأسهم فبرز دون أصحابه يلقي الريح ، وأنشأ يقول :

من ذا الذي تحذر عاد أوهنه هي الجبال في البلاد الممكنه
الصعبة الشاغة المحصنة هي الأسود الضاريات المكبنة
وكلنا فيها ربية عسونه قاسية عند اللقاء محببته
من جرب الدهر آراه الونه وطنه أكلبه واقفنه
فسمع هود صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه المسلمون قوله ، فأجابه رجل منهم وأنشأ يقول :

هل عاد الا أنفس مضمنه إلى مدى آجالها مرهنه
وكبل ليس يحمي مدنه من ريب دهر كاد يدفنه
يبعث أيدي أنفس موهنه إلى مدى أنفسها مضمنه
وقد أتتكم آية مبينه في أنفس لموتها موطنه

(١) قد تقلست اسماؤهم في التيجان ص ٥١-٥٢ مخالفة لما هنا - ح .

وقد أتتكم صولة مغلنة
 بها أفانين الردي مكنونه
 بعاصف عايكم . ووطنه
 يهلك فيها الأسرة الملوته
 من بعدما كانت عليها ممكته (١)
 قال : ثم عصف الريح بعمر بن خلي فقام مقامه الحارث بن أسد
 وأنشأ يقول :

يا عاد إن العز فيكم قد رسخ
 كسفرة عتقتها بعد الفتح

فصرعته الريح . قال : ثم قام مقامه المقدم بن السفر وأنشأ يقول :
 يا عاد قومي انما الأمر نزل
 اني أرى الدهر بحتف قد أطل
 بكم بكم يا عاد والكيد بطل
 قد شرب الدهر عليه وأكل
 أولى لمن أوردنا هذا المحل
 أفأ له دهر أو تعساً ونكل

فصرعته الريح . قال : ثم قام مقامه صيد بن سعيد وأنشأ يقول :
 يا ويل قبلا ثم يا ويل أمه
 والاهر غير معتب من لومه
 ماذا جنى لنفسه وقومه
 من لومه طارت بيت حومه (٢)
 وليلة هلاكه في يومه

فصرعته الريح . فقام مقامه زمر بن أسود وأنشأ يقول :
 يا ويح عاد كيف أدهاها الزم - ن
 أف له دهرأ وتعساً وغبن
 واغتاها الدهر بذحل واحن
 قد احتوى الأهل جميعاً والبدن

فصرعته الريح . ثم قام بعده الخلجان بن الوهم وأنشأ يقول :
 يا لك يوماً غاب عنا شمس
 لم يبق إلا الخلجان نفسه
 يوم شديد لا يؤدب أمسه
 لم يبق إلا سيفه وترسه

(١) هاتان القطعتان فيهما الفاظ لم تظهر لنا - ح .

(٢) كذا - ح .

يا خير فرع قد أصيب أسه طوبى لمن وارى قرار رسمه
يا من كجذع النخل ثاو حسه أمكن مني السد فان قوسه
من بعد ما كان منيعاً مسه

ثم صرعه الريح مع أصحابه ، فهلكت الجبابرة السبعة باذن الجبار .

ولقد بلغني يا معاوية أن أحدهم يلقي الجاري بيديه فلا يجري . ثم
عصفت الريح على جماعة آل عاد فأهلكتهم بقدرة الله تعالى ، لم تدع منهم
عيناً تطرف لا صغيراً ولا كبيراً . ثم طفقت الريح تقلب أجسامهم بين
السماء والأرض في الجو مصعدين ومنحدرين سبع ليال وثمانية أيام حسوماً
حتى تركتهم كأنهم اعجاز نخل خاوية . وذلك قول الله عز وجل : (كأنهم
اعجاز نخل خاوية) . وهدمت البيوت وتركتهم كأنهم جذوع النخل اليابسة
وخربت القصور والحيطان والبساتين اقتلعتها من أصولها ، حتى كأنها لم
تكن على وجه الأرض ولم تترك منهم أحد إلا هزيلة بنت هزال العمليقة
وبنيها - وهي امرأة أبي سعيد المؤمن - فان الله نجاهم من العذاب بإيمان
أصحابهم وأمر الله سبحانه وتعالى الريح فحملتهم برفق وشفقة هي وولدها
لم تؤذهم ولم تضرهم حتى أتت بهم مكة فألقتهم في منزل بكر بن معاوية
الذي فيه وفد عاد وأصحابه .

قال : فبينما القوم في هولهم ولذتهم إذ أقبلت هزيلة بينيها حتى هجمت
على عمها الشيخ بكر بن معاوية في منزله . فلما رآها فرع منها فرعاً شديداً
وقال : ويحك ما دهاك وما وراءك ومن قدم معك من أصحابك ،
فاستعبرت هزيلة باكية وقالت : الخبر أفظع وأوجع وأجزع من أن أصفه
لك . قال : ويحك خبريني ما ذاك فقد أكثرت وجدي ! قالت : وأين

وفد عاد ؟ قال : هم أولاء في منزل ابني معاوية . قالت : ما فعلوا ؟
قال : فرعوا إلى بيت ربهم فأعطى السائل منهم سؤاله . قالت : كلا ورب
الكعبة قد اعطوا الخزي الطويل والذل الذليل . قال : ثكلتك أمك يا هزيلة
اخبريني ما ذاك ؟ قالت : ما أنا مخبرتك بشيء حتى تحضر إلي جميع الوفد .
فأرسل إليهم بكر فأخبرهم بمكان هزيلة ، فأقبلوا يبتدرون فرعين
مرعوبين . فلما توافوا عندها قالوا لها : ويحك أخبرينا من الذي جاء بك
ومن جاء بصحبتك وما وراءك وكيف تركت قومك ؟ قالت : بل أخبروني
عن مسيركم وأمركم . فأخبروها . قالوا : سرنا شهراً وأقمنا شهراً عند
عمك وابنه ، ثم فرعنا إلى البيت العتيق ، فأعطى السائل منا سؤاله ، وقد
توجهت السحابة نحوكم بالغيث فما عندك من الخبر ؟ فقالت هزيلة : ان
الخبر أفظع وأشد وأوجع من أن اسمعكموه قيلاً ولكني سأقول شعراً
وأرويه الجراداة تسمعكموه ، فقالت هزيلة هذا الشعر :

إن عاداً	آثرت حقاً	على الرشد	الصلودا
لم تقل في	غيبها حين	عتت قولاً	سديدا
بل طغت بغياً	وقالت	لن نطيع الدهر	هودا
كذبوا عبداً	تقيا	مسلماً براً	رشيديدا
وعصوا رباً	عظيما	قاهر البطش	مجيدا
قادرأ	امسى له الخلد	حق معاطراً	عبيدا
فدعا	هود مليكا	مبدياً لهم	معيديدا
ان يذنبهم	بايد	يقمع العاصي	الكنودا
فاستجاب له	آله	عز مقتلراً	حميدا
جل رباً ذا	اقتدار	منعماً عدلاً	أبيدا

كي يتوبوا فأراهم
 من سنين ما استطاعوا
 ازما جاءت ثلاثا
 جحرة تبعث بكحل
 لم يتوبوا بل تعصوا
 عابدين من ضلال
 يطلبون الغيث منه
 الذي يحوي سفاها
 أفقوا من حيث طاعوا
 ثم قال لهم زميل
 اسمعوا قولي ورأيي
 نحو بيت الله كيما
 أن يغيث الخلق منا
 بعثوا سبعين كهلاً
 ثم أربعة أرادوا
 بعثوا لقمان رأساً
 وأبا جلهمة القر
 ثم قيل نجل عترة
 ثم ساروا بسوادٍ

ما يرد الصدقودا
 للنكال لها ردودا
 ما يبيل القطر عودا
 واحتوت كلح السعودا
 عن ذو الفضل البرودا^(١)
 صنماً يدعى الصمودا
 بعدما خروا سجودا
 سألوا منه رفودا
 فيه شيطاناً مريدا
 بعدما ذاقوا الجهودا
 وابعثوا وفداً جنودا
 يسألوا الرب ودودا
 متهماً ثم النجودا
 تبعوا قيلاً جليدا
 هم على الوفد شهودا
 وأبا سعد مزيئدا
 م فتى الحي الحقودا
 قائد ليس مقودا
 نحو حسد آء أسودا^(٢)

(١) كذا - ولم يظهر - ح .

(٢) كذا - فتأمله - ح .

فاتوا مكة سحاً
أحسن الناس اعتدالاً
كلهم أكرم عاد
نزلوا بالمرء بكر
يشربون الخمر صرفاً
ثم هبوا بعد ما هب
ثم غنتهم بصوت
نهضوا إذ سمعوها
فاتوا بيت ملك
فدعوا فاختر لقما
بيقا عمر نسور
اسرا تبقى صحاها
وحبا الله أبا سم
فنجنا بالبر زادا
وأرى قيلاً ثلاثاً
قطعة بيضاء كانت
ثم حمرا لم يردها
فارتضى السودا التي صا
ثم سارت نحو عاد
خيلوها إذ رأوها
فاكتسوا فرحاً وبشرى
ابصرت مهد على الر

بين خزا وبرودا
ووجوهاً وخلودا
أمهات وجلودا
وابنه شهراً جديدا
لا يملون الركودا
سا لهم بكر نشيدا
قينة تسمى الجرودا
كانهم كانوا رقودا
لم يزل للخلق عيدا
ن فتى الحي الخلودا
جمعة دهرأ أبيدا
وخلوداً لن تبيدا
سد تقاه والسعودا
ثم تقوى الله زيـدا
من سحابات فرودا
ما بها في الغيث جودا
ظنها غيثاً ثميدا
ورت بها الأقطار سودا
كي تذيبهم كؤودا
غيمها السود عبيدا
بارزين لها الصعيدا
يح مطيعين ركودا

في اكفهم لها لجم	يخيلسن	الوقوفودا
قالت الويل لعاد	ويلها ويلاً جديدا	
ليلة حلت به الد	هر على عاد الصنودا ^(١)	
ان ترى السبعة منهم	كلهم كانوا حسودا	
كل قرم مثل طود	لابس فيها الحديددا	
كي يردوها ومن ذا	يستطيع لها ردودا	
خلفت أجسامهم في	الجو والقفر بديدا	
عذبت سبع ليال	أمة كانت يهودا	
ثم أياماً ثمانا	ما هبوطاً ما صعودا	
تحسب الأصوات إذ	يهوون في الجو رعودا	
ثم خروا في قصور	صيرت فلماً بديدا	
استباح الدهر صدا	ومناًفأ والخلود	
وجهاراً لم تنره	وهباء والعنودا ^(٢)	
وبنو سرد ورفد	صادفت دهرأ كنودا	
فهم كالنخل صرعى	ليس للضر الخلودا	
قبل فانظر أين عاد	ثم دع عنك السمودا	
لن تراهم آخر الدهر	كما كانوا قعودا	
ثم نجاني الهي	وبني جدي الاييدا	
قد تفانوا ثم بادوا	في ديارهم حصيذا	
حملتني وبني	نحوكم ربح برودا	
ونجا هود وأصحا	ب له خروا سجودا	

(١) انظره - ح .

(٢) انظر اسماء القبائل أول حديث هلاك عاد - ح .

للذي	نجاهم	لـ به	افى	العديدا
معه	ثم	ن	يقيمون	الخلودا
نزلوا	الاحقاف	رين	بالعرف	الوفودا
سكنوا	الأرض	شكروا	الرب	الحميدا
ثم	ناهين	من	خاف	الوعيدا
أعيني	جودى	ليس	يبدو	أوجمودا
وابكيا	عاداً	من	دموع	ثم
أسعداني	بدموع	من	درور	ثم
		جودا		

وقال أسد بن ناعض يذكر أمر الوفد والسحابات والتخير على
حديث مرثد بن سعد يقول فيه شعراً :

بعثت	عاد	إلى	الله
ورسول	الله	فيهم	
ثم	أعطى	بعضهم	بعضاً
أنهم	لن	يتبعوا	هو
أو	يتوبوا	فيكونوا	
فاجر	هدّ	القوم	للغي
فتوافوا	ليردوا	إلى	
غضباً	حتى	إذا	ما
ثم	عادوا	فتلقوا	
فدعا	هود	وصلى	
ودعا	القوم	آله	النـ

لتسقي	الغيث	وفدا
رغبة	عنه	وزهدا
ضاً	على الغية	عهدا
د	طوال	الدهر
شرعاً	في الموت	حصدا
وعافوا	الرشد	رشدا
ربح	كل	جد
جعلوه		للحديدا
ها	عناقاً	يتصدى
ثم	عادوا	ثم
س		بدا
س		جهدا

(١) كذا والله أعلم - ح .

(٢) بياض بالانسختين .

فأجيبوا	ان سلوا ما	شتم	تعطوه	قصدا
فدعا	لقمان بالعم	ر ليعطي	العمر	مدا
فجباه	بمناه	غير ان	لم يعط	خلدا
ودعا	ثم	يرتجى	براً	وحمداً
فجبا	بالبر والحم	سد أبا	سعد	وسعدا
ودعا	قبل فقال الغي	ث يسقي	العيش	رغدا
دعوة	فارق فيها	قصده	وازداد	بعدا
فرأى	نشء	فاصطفى	السوداء	فردا
انشأوا	منه	يرديهم	وتردى	(١)
بترك	الأقوام	ر د	الصخر	خددا
أفعمت	حي	من حيا	حير	جهدا
سمعوا	فيها	شبهوا	ذلك	رعدا
ولقد	قاموا	كي	يردوها	مردا
ولقد	قالت	فعصوا	في القول	مهدا
ان في	الريح	عجبا	يا قوم	اذا
من	أحايش	جم	بالأفواه	مدا
ورجال	كحريق	سارشدوا	اللجم	شدا
لا	يراخون لها	سم تهد	الأرض	هدا
صدقوا	هوداً	تصملوا	الخيرات	صمدا
وترجيهم	فرد تـ	هم	عباديد	وكندا
جاءت	الريح	بثبوت	الحي	خددا

(١) كذا بالأصل - وما ظهر لنا - ح .

أسبلت سعد نساها	لم تجد من ذاك بدا
أينما كانت عناكم	ثم سلماكم وهندا
أهلكت زمر أو رفدا	وأبا سود وصدا
ولقد كانوا عتوا	وعلى ذا الناس أسدا
كل جبار كنود	مرة للحق جندا

وقال المهيل بن ناعض المسلم رحمه الله تعالى رحمة واسعة :

لو ان عاد أسمعت من هود	وقبلت من رأيه الرشيد
وقد دعا بالوعد والوعيد	ما أصبحت عائرة الخلود
صرعى على الأنف والخلود	ما فضلة الأجساد بالوطيد
من عصف ريح عوهج سجود	آتية من الالهاب السود
ما جابه الوفد من الوفود	على ابن صيد ثم آل سود
ذاهبة كالعمرس الصبخود	يبلى صداها جدة الحديد
أتهم بالطائر الفقيد	فغادرتهم كالهشيم المودي
أحدوثة لأبد الابد	

وقالت هزيلة بعد مصيرها إلى عمها حين نظرها تبكي على عاد وهي

تقول :

ما جنيت أيها الوفـ	د على القوم الحضور
شرة عمت على عا	د أحاطت بالشور
أهلكت عاداً جميعا	من صغير وكبير
فعلى وفدهم من	بعدهم ريح الابرور
سيقت البلوى إليهم	بالعذاب القمطرير

منوه	بعد	فها لا	مؤدني	وهريز ^(١)
خافت	الموت	فولت	أمرها	قوم الزئير
والاهيين	حال		لغير	أو حمير
يتعارين	جميعاً		سرة	السر الشرور
لو رأيتم	ما رأوا	من	غصة	الموت السعير
يوم جرتهم	شعوب		بالفناء	المستطير
وشايب	شايب		ب	كاهدام الكسير
انما	أهلك	عاداً	عهدا	يوم الصدور
كرهوا	العدر	فأمسوا	حطب	النار السعير
كل	يوم	لهم منها	اعذاب	ذو كروور
سبعة	ثم	آتاهم	ثامن	بالعنقفير
فتوافوا	شرك	المو	ت	وصاروا للمصير

قال : فلما سمعوا قولها يا معاوية وعلموا ما أنزل الله بقومهم من العذاب والعقوبة ورأى أبو سعيد مرثد بن سعد ما صنع الله له إذ نجى أهله وإذا هم إليه سالمين ازداد إيماناً و يقيناً بالله وأظهر إسلامه عند ذلك ، وأنشأ يقول :

عصت	عاد	نبيهم	فأمسوا	عطاشا	ما	تبلهم	السماء
لقد	كفروا	بربهم	جهاراً	فارقهم	مع	الجوع	الظماء
وساروا	وفدهم	شهرأ	ليسقوا	فحل	بهم	مع	القحط البلاء
فقد	امسوا	كمثل	النخل	صرعى	على	آثار	عاد
الا	قبح	الاله	حلوم	عاد	فان	حلومهم	صفر
من	الخير	الشفاء	إذا	رأوه	وما	يغني	التخبط
							والبكاء

(١) لا يخفى على الناظر ما فيها من التحريف - ح .

فنفسي والبنون وأم ولدي
آتانا والقلوب مصمعات
على صنم يقال له صمود
فابصره الذين له أنابوا
فاني سوف أنحو نحو هود
وأخوته إذا دخل المساء
لنفس نبينا هود فداء
على ظلم وقد أظف الضياء
يقابله صداء والبغاء
وأذك من يكذبه الشقاء
وأخوته إذا دخل المساء

وكان لأبي سعيد أخ يقال له جنحوي بن سعد - وكان كافراً غاشياً
متبعاً لعاد ولم يكن رأيه رأي أخيه وكانت له امرأة من قومه - يقال لها جفينة
لها منه ابن يقال له عفير وابنة يقال لها عنجهور - فسأل أبو سعيد امرأته عن
أخيه وأهله فأخبرته بهلاكهم وكيف رأت الريح تفعل بهم فرق لهم عند
ذلك ، وأنشأ يرثيهم وهو يقول :

كأني الآن أنظر جنحويا
عليك وأنت في كربات موت
تنادي يا جفينة أين يهوى
فينا ذاك إذ هبت شمال
فأودى بالرياح وكل حي
بهذي الريح لم تضر غريبا
تفرقهم بأفهار صلاب
وقد أمست بلادهم خلاء
كشبه النخل خاوية جناها
وقد قال النبي لهم أقيموا
فان الجور يعطب سالكوه
وانا لا نطيعك ما بقينا
عليه الريح عاصفة تدور
آتاك بها ملك لا يجور
عفير والبنية عنجهور
كما يتقاذف البحر الزخور
على الدنيا إلى الموتى يصير
سوى عاد أصابهم النكير
وتدمغهم وليس لهم نصير
وهم فيها وما قدم المشير
كذلك فاعلموا هذا الكفور
على الحق المبين ولا تجوروا
وفي الحق السلامة والسرور
وأنت مكذب فينا حقير

فنادى فاستجاب له ملك عظيم لا يجار وقد يجير
فأهلكهم بما كسبوا جهاراً هو القهار والملك الكبير

قال معاوية : لله درك فقد جئت بالبرهان ، فما فعل أبو سعيد ، وما
كان من هود وأصحابه ؟ قال عبيد : يا معاوية ، تحمل أبو سعيد بأهله
وولده حتى أتى هوداً وأصحابه مؤمناً مسلماً ووجدتهم على ساحل البحر
مما يلي أرض عاد فأقاموا جميعاً يعبدون الله على أحسن حال . ووهب الله
لأبي سعيد المال والولد حتى كان أكثر العرب مالاً وولداً في زمانه ذلك .
وبلغنا يا معاوية ان عاداً الآخرة من نسله .

قال معاوية : وهل عاد غير هذه ؟ قال : نعم يا معاوية . فان أحببت
أنخذت في الحديث حتى آتي بحديثهم . قال : بل خذ في حديثك . قال
عبيد : كان هود وأصحابه يعبدون الله حتى ماتوا وانقرضوا .

وذكر^(١) بعض أصحاب السير عن عبيد بن شربة بأمر هود . قال :
أخبرني البخري عن محمد بن اسحاق عن محمد بن عبدالله بن أبي سعيد
الخراعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكنانى عن علي بن أبي طالب
صلوات الله عليه ، أن رجلاً من حضرموت جاء يسأله العلم فقال له علي
عليه السلام : يا حضرمي أرأيت كثيراً أحمر تخلطه مدرة حمراء فيه آراك
وسدر في موضع كذا وكذا من بلدك ، هل رأيت قط أو تعرفه ؟ قال
الحضرمي : نعم والله يا أمير المؤمنين . قال علي : فان فيه قبر النبي هود
صلى الله عليه وسلم .

(١) ولعل هذه العبارة كانت حاشية فادمجها بعض النساخ في الأصل ومع ذلك فهذا عبيد
ابن شربة ليس له دخل في هذه القصة - ح .

رجع الحديث إلى عبيد بن شرية ومعاوية . قال معاوية : يا عبيد أخبرني عن وفد عاد ما فعلوا بعد هلاك قومهم ؟ قال عبيد : يا معاوية . ان الوفد لما سمعوا قول هزيلة فيما أصاب قومهم أقبلوا على قيل بن عتر يعذلونه ويلومونه وقالوا : أنت شأمتنا وجررت علينا الهلاك . فقام رجل من أشرافهم - يقال له موت بن يعفر بن عرعر - وهو يقول :

لو أن عاداً أرسلت زميلاً	أو تبعت هوداً لنالت نيلاً
لجاءها الوادي يسيل سيلاً	بالماء يحيي آيلة وأيلاً
فضلاً من الله له وطولاً	لكن عاداً أرسلت قبيلاً
ويلاً لعاد ثم ويلاً ويلاً	دعوت يا قيل لعاد عيلاً
فصادفت دعوتك الضليلاً	فجاءت الريح تجر ذيلاً
تقصد أحياناً وحيناً سيلاً	تخترم النساء والرجيلاً
ولم تدع زرعاً ولا بقولاً	كلاً ولا تيناً ولا نخيلاً
ألا رماداً	أرمداً خشيلاً

وقال موت : يذكر الريح والوادي الذي جاءت منه ، ومنه اهلكوا وأنشأ وهو يقول :

أفعمت حي مغيث	من حيا صير جهدا
سمعوا في الريح صوتاً	شبهوا ذلك رعداً
ولقد قاموا إليها	كي يردوها مرداً
أهلك عاداً وزمراً	وزميلاً ثم صدأ
ثم مقداماً وحراراً	ثم من بعد الاعدا
خلجاناً تركته	مثل جذع النخل جرداً
عين فابكيهم بدمع	يخضب الحدين ورداً

قال عبيد : ثم انهم أقاموا بالحرم عند بكر بن معاوية وابنه ما شاءوا
 ومكثوا على ذلك ما شاء الله . وقد بلغني أنهم أقاموا سبع سنين ، ثم انهم
 تذكروا الأوطان وحنّت نفوسهم إلى البلاد ، فأرادوا المسير إلى بلادهم ،
 فأقبل عليهم بكر بن معاوية وابنه وقالوا : يا قوم انا نكره لكم أن تأتوا
 أرضاً قد هلك فيها قومكم فترون ما تكرهون وأنتم هاهنا في حرم الله
 وأمنه والسعة والرحب ، ولكم الأثرة في المال ما بقينا ، فامكثوا . فقالوا
 لهما : ان النفوس قد حنت إلى الأوطان والآثار ولا بد لنا من اتيانها والنظر
 إليها . فأجمعوا في ذلك . فأرسلوا إلى ركا بهم — وكانت في بادية لبكر من
 بوادي مكة — فأتوا بها سمناً حسناً فقال في ذلك حسان أبو كلهدة هذه
 الأبيات وأنشأ يقول .

رعيّنا السرب والريان حتى إذا ما هاج وامتنع المذاقا
 وصار كأنه أصفار نمل إلى تيهاء تدفنه دقاقا
 أتينا ننقل الأوتار منها لنفض الريح غيثاً أو دفاقا (١)

قال : ثم ارتحل وفد عاد جميعاً سوى أبي سعيد المؤمن ولقمان بن عاد
 حتى أتوا أرضهم ومنازلهم بالأحقاف فنظروا إليها مقلوبة مهدومة موحشة
 من الأهل والمال ورأوا ما نزل بقومهم من العقوبة والنكال فدعوا إلى الله
 عز وجل فقالوا : اللهم ألحقنا بقومنا وانزل بنا ما أنزلت بهم . فأماهم
 الله بصاعقة من السماء فدمرتهم ، فماتوا إلى النار . فسحقاً لأصحاب
 السعير .

قال معاوية : وأبيك ! لقد أتيت وذكرت عجباً من حديثك عن عاد

(١) هذه الأبيات كما تراها — ح .

وقد علمت أن الشعر ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم في الجاهلية ، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحكمة) . قال : لقد صدقت يا معاوية ، ولقد سمعت ابن عمك يذكر عن رسول الله ذلك وأخبرك يا معاوية أنه لما كان من وفد عاد ما كان ، وما قد حدثتك عنه وصارت عاد ووفدها أمثالا وأحاديث وقالت العرب فيها أشعاراً منها ما حفظنا ومنها ما لم نحفظ . قال معاوية : فهات اسمعني ما حفظت من ذلك . قال : عبيد ان أبا سعيد المؤمن من مرثد بن سعد عند هلاك القوم ، قال شعراً :

عجبت لعاد وأمثالها	تحاول بالعز والمكرمات
وحالوا العيال وشلوا اللقاح	بأجساد مر انديسات ^(١)
فقالوا ونحن أولو قوة	ومن ذا يخاف تبار السناات
فاضحوا وقد همدوا في الديار	بريح غشتهم من العاصفات
وأهلك عاد وأصحابه	بوقع عواصفها المهلكات
بأيد الملك وسلطانه	وقدرته ذل باغ وعات

وقال في ذلك العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي وهو يعظ رجلاً من قومه - كان ظالماً لعشيرته - ويزجره عن الظلم فيها ، وأنشأ يقول :

أراك امرءاً في ظلم قومك جاهداً	وما لك في ظلم العشيرة من رشد
فالا تدع ظلم العشيرة طائعاً	تلاق امرأ من بعض قومك ذا حقد
من الرجل الساعين أو تلق فارساً	على فرس في الخيل أدهم ذي ورد
جواد كنصل السيف أين لقيته	فيضربك أو يطعنك طعناً على عمد
ألم تر عاداً كيف فرق جمعها	قييل وقد ما جار عن منهج القصد

(١) كذا - ولأبيات كما ترى - ح .

وقالت بنو عاد هلكنا فجهازوا
وكان أبو سعد وقيل فعوقبوا
فلما أتوا عزف الجراداة اخلدوا
فقبل لهم أعطيتم فتخيروا
دعاكم قبيل بالمنية ربه
وقال أضربوا رأسي ولا تتهيبوا
فماجله وقع الصواعق كالذي
وملك لقمان الحياة فردها
وكان يحب الخلد لو حصلت له
وقال أبو سعد الهي فاعطني
فزوده برأ وتقوى كلاهما
وقال عباس بن مرداس أيضاً :

خيارهم أهل الرفاعة والمجد
بلقمان أذرد الحبيب إلى الجعد^(١)
ثلاثين يوماً ثم هبوا على وجد
مناكم ولكن لا سبيل إلى الخلد
ولله قيل ذلك من وفد
تجورا من الأطواد ذي أجد صلد
أراد سفاهاً والسفاهة قد تردي
إلى ناهض حرقوا أئة نهد
أفاحيص صار ليلة القطر والرعد
مناي على ما كان أذهب من وجدي
وما كان عن وفد الوفادة من صد

ويل لقوم لقد حاولت بينهم
إلا ثلاثة أحلام فتزجرهم
اني أرى الحلم محموداً عواقبه
أمت سرة بني سعد لقومهم
إذ لا يردون للمظلوم مظلمة
في كل يوم لنا وفد نجرهم
كانوا كوفد بني عاد أضلهم
عند الجراداة تسقيهم وتسمعهم
قاموا فلم يجدوا من دار قومهم

في القول لو أن لهم في المجد أحلاما
فان في عدم الأحلام اعداما
والجهل أفنى من الأقوام اقواما
حرباً وكانوا لهم من قبل أعماما
بل يجمعون له لوماً واسلاماً^(٢)
من حر باحتنا طراً واجساما
قيل واتبع من هاماتهم هاما
حتى اذا فقدوا مالا وانعاما
إلا مغانيها وحشا وآراما

(١) كذا - والقصيدة كثيرة التحريف - ح .

(٢) كذا - فانظرها - ح .

وقال في ذلك عبيد بن الأبرص الأسدي للنعمان بن المنذر وأنشأ يقول :
 يخبرني نعمان في يوم بؤسه خصالاً آتا في كلها الموت قد برق
 كما خيرت عاد من الجو مزنة سحاباً وما فيها لمختارها اتق
 وفي ذلك يقول الأعشى بن نصير أعشى بني وائل وأنشأ يقول :

ولو كان حي خالداً و معمرأ لكان سليمان البريء من الدهر
 براه الهي واصطفاه لخيره وملكه ما بين درتا إلى مصر
 وسخر من جن الملائك تسعة قياماً عليه يعملون على أجر
 فأت الذي ألهيت قبلا بكأسه ولقمان اذ خيرت لقمان في العمر^(١)
 فقبل اما والصار تختار في الصفا يكر له الابعار في ظلل القطر
 فيبقى بقا أبعارها في كهوفها محصنة من قطر سار اذا يسري
 لنفسك أن تختار سبعة أنسر إذا ما خلا نسر خلوت إلى نسر
 فقال نسر حين ظن بأنها تلوم وهل تبقى النسر على الدهر

وفي ذلك يقول أسد بن ربيعة الكلابي وهم القرون الأولى فأنشأ يقول :

ألم تر إلى حي عاد أفناهم الليل والنهار
 بادوا فلما مضوا باد على أثرهم قدار
 وبعدهم غالت المنايا عاداً فلم ينجم حذار
 وأهل جو أت عليهم فانتدبت عليهم وباروا
 وحل بالحي من جديس يوم من الشر مستطار
 وأهل غمدان قد ابعدوا بالدهر ما يجمع الخيار
 فصبحتهم من الدواهي جائحة عقابها الدمار
 ومر دهر على وبار فاضت لها وحشة ونار

(١) كذا - وقد مضت في التيجان ص ٨٦ - ح .

يا ليت شعري فأين ليت وهل تدوم لي المغار
وهل يعودن بعد عسر على أخي شدة يسار

في ذلك يقول كريم بن معشر التغلبي لبعض قومه في جرهم :

لا تكونوا قومي أحذوثة كبني طسم أو الحي أرم
بعثوا قبلاً ووفداً كلهم طائش الحلم وبش المدعم
ولقيماً ومرثداً ذا التقى وسفار اوان عوف والصنم
خرجوا وفداً إلى خالتهم حين أبطأ عنهم غيث الديم
بعدهما ردوا نبياً مرسلأ وتعاطوه بتفخيم الحرم
عجلوا حرباً من الله لهم لم تدع خفاً ولا ذات قدم

قال معاوية : لله درك يا عبيد حدثتنا عجباً من أمر عاد فالحمد لله
القادر على ما يشاء من أمره فهات يا ابن شرية فحدثني عن لقمان بن عاد
صاحب النور ، وكيف كانت نسوره وكيف يناديه المنادي ، وكيف كان
يجيبه وما كان عمر نسوره وعمره وما قيل في ذلك من الشعر ؟

قال عبيد : يا معاوية . أنه لما وقع من وفد عاد وقتل أصحابه من النشاجر
فارقهم مرثد بن سعد المؤمن واعتزلهم لقمان . قال لقمان بن عوص : قال
لا يا معاوية ، ولكنه لقمان بن عاد بن هزيل بن همل بن صدر بن عاد بن
عوص . قال : صدقت فحدثني حديثك عنه . قال : عبيد : وأنه لما توجه
لقمان مع الوفد حدثك بحديثه وأنه اختار طول عمره فكان من دعائه
حين سأل طول العمر وترك ما وفد له أن قال فيما دعا :

اللهم يا رب البحار الخضراء والأرض ذات النبت بعد القطر
أسألك عمراً فوق كل عمر

فنودي أن قد أعطيت ما سألت ولا سبيل إلى الخلود فاختر إن شئت سبع بقرات من ظبيات عفر في جبل وعر لا يمسها قطر وإن شئت بقاء سبعة أنسر سحر ، كلما هلك نسر أعقب نسر . فكان اختياره بقاء النسر

(النسر الاول)

فبينما لقمان يدور ذات يوم في جبل أبي قبيس بمكة سمع منادياً لا يرى شخصه وهو يقول : يا لقمان بن عاد المغرور ببقاء النسر اطلع رأس ثبير ليس يعد وقدرك المقدور ، فطلع رأس ثبير فإذا بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما فاختر لقمان أحد الفرخين ، ثم عقد في رجله سيراً ليعرفه وسماه المصون ، ثم قال : المصون الخالص المكنون من بيت المصون ومحدور السنون وغبط العيون والباقي بعد الحصون إلى آخر الدهر الخؤون .

قال معاوية : لله أنت يا عبيد كيف كان اختياره وفرقه بينهما ، وهما فرخان لنسر واحد ؟ قال عبيد : بلغني أنه كان ينظر إلى أعظمهما رأساً وأجلهما عظماً فلا يشك أنه الذكر منهما فيختاره ، لأن الذكر أبدي وأقوى وأصلب وأحذر لأن مضغة الطير تشك . قال معاوية : فخذ في حديثك يا ابن شرية . قال عبيد : وكان لا يغفل عن اطعامه حتى تم طائراً مسخراً له يدعو به باسمه للمأكل فيجيبه حتى أدركه الكبر ، فضعف فلم يطق أن يطير فبينما لقمان يطعمه لحماً قد بضعه له إذ غص بيضعة منه فخر ميتاً ، فجزع لذلك جزعاً شديداً وقال هذا بلاء - وأنشأ يبكي نفسه ويقول شعراً :

موت المصون دل على أنا نذوق الحمام حقاً يقينا

أفنى الدين للناس حتى غدا لا يلبس المنا والمصوننا^(١)
فكلانا نبيكه يوماً فلم يـ لـق رشداً اختاره بل شجوننا
انسرا تبقى كما ليس يبقى بعرفي الطياح تلقى كنيـنا
في ذرى ما أن يراه بصير حين مد إليه طرفاً حصينا
ان كل النفوس من خلق ربي للمنايا أمسى وأضحى رهينا
ضل رأيي عند اختياري واني خفت من حسرتي عليه جنونا
حين القيت تاركاً من خطامي كيد رشد يراه غير مبينا
فعلى رأيي ابكي وابدي بالغنى الردى وبالفضل دوننا

(النسر الثاني)

وكان لقمان يومئذ بالطائف ، فينما هو يبكي نفسه ، إذ سمع المنادي
ينادي : يا لقمان دونك البدل رأس الجبل فوق مرعى الوعل رأس السرماج
المعتزل مأمور بطاعتك كالأول . فطلع لقمان حيث وصف له المنادي فإذا
بوكر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما فاختار أحد الفرخين وعقد في
رجله سير ليعرفه ، فسماه عوض ، ثم قال : أنت العوض المبرأ من تلف
العرض وآفات المرض وتعواج الجرض وحقك علي أفضل مفترض أوديه
كلما عرق نبض . وكان لقمان لا يغفل عن اطعامه حتى نهض طائراً له
يدعوه باسمه فيجيبه حتى أدركه الكبر فضعف ، فدعاه لقمان ذات يوم
تحت شجرة ومعه اللحم قد بضعه له ليطعمه إياه ، فأقبل النسر كاسراً
بجوزة غصون الشجرة فخر ميتاً . فهال لقمان موته هولاً عظيماً ، فأنشد
يبكي نفسه ويقول :

(١) تأمل هذه القصيدة فانها كثيرة التصحيف - ح .

أيقنت أن مايتي تلف
أرمني بسهيمهما على كسر
ما كان لي نعثاً مرعياً عمري
اسلو وأرجو اليأس في طمع
هل عمر الباقيات الا كمن
ما لي صبر عن المصون وقد
فارقهما الموت من حمامهما
كذاك أفنى حقاً كما فنيا
كذاك الحمام لن يصد إلى
تخرج نفسي من كل مدخلها
متى يكون شيء منزله
وكل من ظن ان مهجته
أصبر للموت والردى عرضاً^(١)
أعطني عبطة المنا مرضاً
حسبته مبرم العرى نقضاً
ومن رجا ساطع المنا قبضاً
عمر منها الأمر صحبتي فمضى
عوضت من بعده عوضاً
واخلفا ما رجوت فانقرضاً
أجرع كأساً ممزوجة عرضاً
تكركر الحفظ بل تمخضاً
كم هال من محنة لديه قضى
منفضاً أو مجرعاً ممضاً
تدوم في عيشة فقد دحضاً

(النسر الثالث)

قال : وكان لقمان يومئذ بالسراة - فينما لقمان يبكي نفسه تحت شجرة - إذ سمع منادياً ينادي : يا لقمان بن عاد اطلع الصفا تجد عند العرتون شرفاً تصادف فيه خلفاً وشبحاً مأموراً يطيعك منصفاً لمن تجد عنده خلفاً واسمه خلف واقبل بالحياة نصفا .

قال : فطلع لقمان رأس الجبل ، فوجد وكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين ، وعقد في رجله سيراً ليعرفه

(١) كذا - والقصيدة مختلفة - ح .

به ، وسماه خلفاً ، ثم قال : أنت الخلف كما وصفك من وصف احترازاً
من التلف وأبقى مما قد سلف ولك عندي أفضل النصف . وكان لا يغفل عن
اطعامه حتى نهض طائراً مسخراً له ، يدعو له للطعام فيجيبه ، حتى إذا أدركه
الكبر وضعف ولم يقدر أن يطير ، أخذ له لقمان قفصاً يحمله فيه حيثما
توجه ويطعمه فيه — ويقال أنه يا معاوية أول من حمل طائراً في قفص —
فبينما لقمان في مجمع عكاظ ومعه نسره ذلك في قفصه ، إذ اجتمع إليه من
حضر من العرب بعكاظ وطلبوا إليه أن يريهم نسرهم . فبينما هم يقبلونه
وينظرون إليه إذ مات النسر في أيديهم وبينهم ، فاغم لقمان لموته وجزع
عليه جزعاً شديداً وانحل جسمه وقال في ذلك شعراً :

يا نفسي أبكي عليه أن تجدي	اختياري أن عندي لك النصف
اخترت من هفوتي بلا حدث	ولا احترام متى لك التلف
عليك أبكي إذ صرت نصب الردى	ولست أبكي بعبرتي خلفا
أيقنت أن النفوس لاحقة	لا شك في ذا كم بمن سلفا
والموت لا شك فيه يطلبني	وهو مدركي وملحقي قرفا
عيناى لا تبخلا بد معكما	علي بل فاهطلا به وكفا
واسعداني بمسيل سرب	محلراً دانياً ولا تقفا
فمن عليه يجود دمعكما	بعدي بأدراره وان نرفا
واستعبرا بالدماء بقاء كما	ولا تضنا به فقد أرفا
موتي فجودا لمبع درر	من نهر جرت بالشيخ معرفا
ثلاثة كلهم قد كن لي حزنا	وصيرت نفسي للردى لها هدفا
فما نجاتي من مدركي هربا	ومن غلوب علي قد عكفا
فالقلب مني لخوف سطوته	واحدة في الوقت قد رجفا
والخوف منه أن سوف يلحقني	في غفلي سادراً قد التحفا

وكان عمرو بن نمارة بن لحم ملكاً من ملوك العرب في ذلك الزمان -
وكان قد شهد عكاظ بجنوده يوم هلك نسر لقمان بن عاد الذي سماه
خلفاً - وكان عمرو بن نمارة قد عرف أمر لقمان فقال في شعر له ، وهو
يعظ قومه يذكر لقمان بن عاد :

انعم الرأي ليس ذو أرب	يدعى اريباً إلا بما قد رأى ^(١)
كونوا لدى الحزم والتوكل ما	لاقاه أتى وان فلا صبرا
أنتم كلقمان في بنيكم	أمسوا كما يمسي لم يكن صفرا
فمن رأى منكم الملموم ومن	لاقى سروراً يقول قد ظفرا
في أمر لقمان عبرة لكم	إذ قال نسراً يختار أو بعرا
في كهف طود ولا ترى أبداً	وطأة وأط ولا ترى مطراً
أو أنسر سبعة لها أمد	يفني فقال الشقي بل أنسرا
فقاته الخلد إذ تخيره	يفني كفاكم بذاكم عبرا
خير فاختر جاهداً تلفا	فصار للموت والردى جزرا
من ذا إليه حوى مناه ومن	عنه بما احتال يصرف القدرا
والخير والشر ملك مقتدر	كلا بعز وقدرة قهرا

(النسر الرابع)

قال : ثم توجه لقمان يا أمير المؤمنين إلى جبل قريب منهم . فلما دنا
من الجبل سمع منادياً ينادي به : يا لقمان بن عاد اطلع إلى الجبل تلق عند
السهور ^(٢) ذي الرتب في تلة العرتون المنتصب مغيباً لم يغب من حلول موت

(١) هذه القصيدة والتي قبلها في الخط سواء - ح .

(٢) كذا فحرره - ح .

قد كتب على أهل المشرق والمغرب ، فطلع لقمان ذلك الجبل حيث وصف
الذي ناداه ، فإذا هو بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختر
أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه به وسماه مغيباً ، ثم قال : أنت
المغيب - كما سماك من لا يكذب - عيشك معي العيش المخصب ويزاح
عنك المكدم المخرب وأنا عليك حذب في بقائك مرتقب ، فكن ابقى ممن
قد ذهب . فكان لقمان لا يغفل عن إطعامه حتى نهض طائراً له يدعو
باسمه للمأكول فيجيبه حتى إذا كبر وضعف ودعاه لقمان ذات يوم من
رأس الجبل فلم يجبه ، فطلع إليه فوجده ميتاً . فهاله ذلك من موته هولاً
شديداً ونزل به كرب عظيم فأنشأ لقمان يبكي نفسه وهو يقول :

أملت ما لا أناله أبداً	إذ أزم الرأي نال ما طلبا
مرثد نلت العلى ونلت بلا	أرعى نسوراً بقاؤها عزبا (١)
أرعى نسوراً لم يرعها أحد	قبلي كأني بذاكم نصبا
أن تقبلي وادياً فالسدر يقلعها	كي لا يصد القرى به جدبا
أو دين عنا فصرت في عمر	رث القوى واهياً وما انتصبا
لا مغيب كاسمه فيا عتب	بل زاد قلبي اقراحه ندبا
أورثتها بالذي كسبت وذا	اللحوم له غبطة بما كسبا
على شقائي إذ صرت أسفاً بما	خيرت جهلاً لا ينقضي عجباً
قد نال منه السرور والفضل في	أسرابه والشقي قد كتباً

(النسر الخامس)

فبينما لقمان في تلك الحال يبكي نفسه ، إذ سمع منادياً يقول : يا

(١) كذا - والقصيدة كما تراها - ح .

لقمان بن عاد لك في الجبل الأيسر بين منبت الشت والعرعر فوق الشاهق
الأغر ، فأخرجه منه واستبشر فبطاعتك قد أمر وإلى الموت يصير البشر
فطلع لقمان الجبل ، فإذا هو بوكر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخين فاختر
أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه - وسماه ميسرة - ثم قال : أنت
الميسر الباقي المحب إليك اليسر انك النسر الباقي بقاء الدهر وكان لقمان لا يغفل
عن اطعامه حتى نهض طائراً مسخراً له يدعو به باسمه فيجيبه للمأكل حتى
أدرك ذاك النسر الكبير وضعف ، فدعاه لقمان ذات يوم ليطعمه فأقبل
نحوه كاسراً فوق على منكبه يصيح ومعه لحمه قد بضعه له ، ثم حركه
لينهض فلم يطق أن يطير ، فذهب لقمان فجمع له عيداناً لينحت له قفصاً
يجعله فيه فوجده ميتاً . فهاله لقمان موته وجزع لذلك جزعاً شديداً كادت
أن تذهب نفسه فأنشأ يقول :

دنا الموت إذ نشاب موتي شوارع	إلى بنيران المنياسا تسمر
رجوت بأن أبقى وعمر ميسر	فقات وأودى مفرد إلى ميسر
فصرت أرجي واحداً بعد واحد	نور وهل تبقى على الدهر أنسر
فلا تعجبوا بالرأي بعدي فاني	جهدت اختياراً حين نادى المخير
فقلت ستبلى بعرة الضأن ذلة	ولم أك فيما كان مني أفكر
وتبقى نسور سبعة كل واحد	طويل المدى يوقى الردى ويعمر
ولو عشت أضعاف الذي عشت لم يكن	من الموت بد ذاك حتم مقدر
وما هو آت قبل ورد حلوله	على غفلة مني به لست أشعر
كأنني على ما ينقضي من سنيننا	وطول زمان قد مضى لست أذكر
فما قد مضى ينسى وما هو آتي	قريب وصافي العيش قد يتكرر

(النسر السادس)

فبينما لقمان يبكي على نفسه ذات يوم ، إذ سمع منادياً يقول : يا لقمان بن عاد اطلع فوق الصفا الأملس مستقبلاً مطلع الشمس تجد وقرة كالترس فيها راسخ محترس عن طاعتك لا يحتبس وستموت كل نفس . فطلع لقمان حيث وصف له المنادي ، فوجد وكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختر أحدهما فرخين ، ثم علق في رجله سيراً ليعرفه وسماه أنسا ، ثم قال له : أنت الأنس من روعات اللحس والدهر غير التعس وحياتك ببقاء النفس . وكان لقمان لا يعدل عن إطعامه حتى نهض طائراً مسخراً له يدعوه باسمه إلى المأكل فيجيبه حتى كبر وضعف . فبينما لقمان سائراً من الطائف إلى مكة ومعه لحم قد بضعه له والنسر يحوم فوقه إذ دعاه لقمان باسمه فأنقض كاسراً نحوه فوق مبيتاً . فاغتم لذلك لقمان غماً شديداً واستغل صدره وذهب عقله وبكى عند ذلك وأنشأ لقمان يبكي نفسه وهو يقول :

أمرضني سادس النسر وقد	جدد حزناً وكان قد درسا
سميته لي لوحشتي أنسا	أودى لعمرى ولم يدم أنسا
شبهت ما قد مضى ومترلي	كنهية من مسافر نعسا
أخلف ظني وذو طمع بالخلد	قبلي أخطاه ما حبسا
هل يبتني المبتني بلا أسس	الله الباني إذ بنى أسسا
ما عمر الحي غير ما نفس	تمام إذ لا ترى له نفسا
فان أمت قد حيت مجتنباً	للعب لم أجر سادراً دنسا

(النسر السابع)

فبينما لقمان يبكي نفسه إذ سمع منادياً يقول : يا لقمان بن عاد لك

فوق الصفا الأسود حيث الشجر المتلبد خلصة بيت الرشد فرخ به وفاء الموعد مأمور بطاعتك فاصعد . فصعد لقمان رأس ذلك الجبل ، فإذا هو بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه به وسماه لبدأ وقال : أنت لبد الباقي المخلد إلى آخر الأبد عيشك معي رغد ويزاح عنك النكد ويوفق لك الرشد وعمرك لا ينفد — وكان لقمان لا يغفل عن اطعامه — حتى نهض طائراً مسخراً له يدعوه باسمه للمأكل فيجيبه حتى أدركه الكبر وضعف .

وبلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من عاد الآخرة جاء إلى لقمان فقال له : يا عم ما بقي من عمرك غير هذا النسر ، فقال : يا ابن أخي هذا لبد . قال معاوية : لله أنت ما اللبد ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين قد علمت أن اللبد في لغة العرب الدهر . سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : ويذكر في كتاب الله عز وجل يقول (أهلك ما لا لبدأ) يقول كثيراً . قال معاوية : صدقت فخذ في حديثك . قال عبيد : فلما دنا أجل لقمان وبلغ الميقات ، أقبل ذلك النسر لبد حتى وقع على شجرة المنتظب فدعاه ليطعمه من لحم قد بضعه . فأراد لبد أن ينهض فلم يطق أن يطير ، فأقبل لقمان فرعاً مرعوباً حتى قام تحته وقال (انهض لبد أنت الأبد لا يقطع بي الأمد نهضاً شدد نهض الملك المجرد الحارث بن ذي شدد) . قال معاوية : لله أبوك من الملك المجرد الحارث بن ذي شدد الذي يعني ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين هو الرائش ملك من ملوك حمير باليمن — فان شئت حدثتك حديثه — قال معاوية : بل أتم حديثك حتى أسألك عما أريد — ان شاء الله تعالى — قال عبيد : فلم يطق لبد أن ينهض وتفسخ ريشه ، فهال ذلك لقمان هولاً عظيماً ووقع موته منه موقعاً جسيماً ، فأنشأ لقمان يبكي نفسه ويقول :

موتني اني أموت اليوم يا لبد وحسرتي ان قد تصرم الأبد
 فطر كما كنت سالماً لبدأ نحيبا ونحيبا معاً ونحتفد
 لاني وإياك في تفرقنا سيان شقا كالروح والجسد
 ان مت لم أبق انما أجلي ما عشت فابق ما ان لك الرشد
 ما لي سوى ما بقيت من عمري فليس لي من سبيلك السدد
 قد هالني ما أرى وأرعبني اني واجد فترة كما تجد
 أنكرت ظهري وركبتي ويدي فالبطن والصدر فيهما ويد
 قد غالي كلما أرى نفسي والموت آت إذا انقضى لبد
 وان يكن آتياً سأكرمه لأنه متعب للمراد يرد
 يسل نفساً من المفاصل لا يخلف ان جل موعد لقد (١)

ثم سقط لبد ميتاً ، فجاء لقمان لينهض فاضطربت عروق ظهره وخرَّ
 ميتاً - وكان أمرهما هذا بمرأى من رجل من العمالقة ، يقال له المثني بن
 عمرو العمليق - والعمالقة يومئذ سكان السراة والحجاز كلها ، وكان المثني
 شاعراً حافظاً ، حفظ قول لقمان وشعره وعابن كيف كان هلاك نسر
 فقال وهو يبكي على لقمان ويرثيه :

فنيث وافني الله نسلك من نسر هلك وأهلك من عاد وما تدري (٢)
 فمن ذا ينجي بعد لقمان فكره يخلصه يا قوم من تلف الدهر
 فاسنوا منكم أنفساً ببقائها فما لكم في الرأي في ذاك من عنر
 وخيرها فاختار لم يك عالماً محيطاً بها الاعلى الشك أو نسر

قال : ثم انطلق المثني إلى ناس من قومه العمالق فأخبرهم بأمر لقمان

(١) كذا - فليظن - ح .

(٢) في التيجان ص (٨٦) وقد أهلك عاد وما تدري - ح .

ونسره فانطلقوا حتى دفنوهما ، والمثنى صهر لقمان بن عاد . وبلغني أن موت لقمان كان في زمان ملك فارس .

قال معاوية : لله أنت يا عبيد! أخبرني كم كان عمره ؟ قال : بلغني أن عمره كان الف سنة وسبعمائة سنة وأربعاً وستين سنة . قال معاوية : فعمر النسر من ذلك كم ؟ قال عبيد : اني سمعت ابن عمك يقول : كان عمر كل نسر مائة سنة وزيد لبد عليها نيفاً . وذكر غيره أن أعمارها كانت مختلفة ، والله بالصواب أعلم . كان عمر النسر التي متع بها الف سنة وأربعمائة ونيفاً ، وكان عمر لقمان قبل النسر ثلاثمائة ونيفاً وستين سنة . قال معاوية : لا يفضض الله فاك يا عبيد ، لقد حدثت بالعجائب ! أخبرني هل قيل فيه شعر ؟ قال : نعم يا معاوية ، كان لقمان ونسوره مثلاً في العرب ، فقال لبيد بن ربيعة الكلابي شعراً يقول فيه :

لما رأى لبد النسر تطايرت	رفع القوادم كالعقير الأعزل (١)
من تحته لقمان يرجو نهضه	ولقد رأى لقمان أنه لا يأتلي
ولقد جرى لبد فأدرك شأوه	ريب المنون وكان غير مغفل
غلب الليالي خلف آل محرق	وكما فعلن بتبع وبهرقل
وغلبن أبرهة الذي الفينه	قد كان يخلد فوق غرفة موكل
والحارث الحراب كانت داره	داراً أقام بها ولم يتحمل
تجري مواهبه على من نابه	جري الفرات على قرار الجداول

وفيه يقول النابغة الذبياني حيث يقول :

أمست خلأ وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

(١) مضت في ص ٨٦ من التيجان - ح .

قال معاوية : من أين علمت أنه آخر النور ! وكيف علم ذلك النابغة
حيث قال فيه ؟ قال : الخبر فيه يا أمير المؤمنين مع الأعشى قد فسر ذلك في
شعره . قال معاوية : وكيف قال الأعشى ؟ : قال يا أمير المؤمنين في شعره
الذي يقول فيه :

فلو كان حياً خالداً أو معمرأ لكان سليمان البريء من الدهر
حتى أتى إلى آخر الآيات ، وقد ذكرناها في كتابنا هذا . وهذا ما
كان من خبر لقمان بن عاد وخبر نسوره وطول عمره من جهة أخباره
بعد نسوره ، والله أعلم بالغيب .

(يتلوه حديث عاد الآخرة)

قال معاوية : لله أنت يا أخا جرهم ، لقد ذكرت من حديثك عجباً
فله الحمد على ما قضى في خلقه ، فقد سمعتك ذكرت عاد الآخرة في
حديثك فهات حديثي حديثهم ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين ، أنه لما
هلك عاد الأولى وتوفي هود النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وبقي
ولد أبي سعيد المؤمن ، فكثروا وانتشروا في البلاد وحدثت منهم القرون
حتى كثروا وعتوا وبغوا في الأرض بغير الحق ، فلقى الله شرهم بينهم
وأهلك بعضهم ببعض وأفناهم الله بذلك . قال معاوية : لله أنت يا عبيد !
وكيف كان ذلك ؟ قال عبيد : كان منهم رجل - يقال له سالم بن هزيمة -
أحد بني عفير بن لقيم سادة عاد الآخرة ، فكان رأساً في قومه وفيهم العدد
والقوة والثروة - وكان سالم بن هزيمة رئيسهم وصاحب أمرهم - ثم ان
رجلاً من قومه إلا من غير أهل بيته هو من بني لقيم - يقال له لقمان بن

عاد بن عمرو بن لقيم - تزوج أخت سالم ، فمكثا على ذلك دهرأ طويلاً
 فلما أراد الله بهم ما أراد من الهلاك القى بين أخت سالم وبين زوجها التشاجر
 وكان بينهما شر كثير حتى تناوها فضربها وأساء إليها فخرجت المرأة إلى
 أخيها بأسوأ حال ، فغضب سالم مما صنع لقمان بأخته وصرخ في قومه
 فاجتمعت إليه جماعة منهم ، فانطلق بهم حتى أتى صهره لقمان فكلمه فيما
 صنع بامرأته ؟ فرد عليه قولاً سيئاً ، وكانت بينهما منازعة شديدة حتى ساء
 الحال فيما بينهما والتحمت الحرب بينهما . فاجتمعت قبائل عاد إلى بني
 عفير بن لقيم ، ثم إلى سالم بن هزيمة ، واجتمعت بنو عمرو بن لقيم إلى لقمان
 ابن عاد والتقوا فاقتلوا قتالاً شديداً ، فظفر لقمان بن عاد وقومه بسالم بن
 هزيمة وقومه من بني عفير وبجميع ما كان مع بني عفير من سائر فرق عاد
 فقتلوهم جميعاً حتى أفنوهم ، ولم يتركوا منهم أحداً إلا امرأة - يقال لها
 صنبة من بني عمرو بن لقيم ، كانت متزوجة في ثمود رجلاً من أشrafهم
 فولدت له رجلين ، يقال لهما الوضع وغانم - ثم ان زوجها مات فرجعت
 إلى من بقي من قومها عاد الآخرة - أهل بيت لقمان بن عاد - الذين قتلوا
 أهل بيتها ومعها ابناها ، فأقامت معهم ما شاء الله وشب ابناها فأدركا .
 قال : فلما كان ذات ليلة إذ نزل بها ضيف من أصهارها من ثمود بينه
 وبين أبيها قرابة - يقال له حبيب بن جارية - فوثب عليه رجل من عاد
 - يقال له معاوية بن مرثد بن لقمان بن عاد - فقتله . فلما رأت ذلك منبة
 - وكانت امرأة أنفة عارمة ، غضبت لقتل ضيفها وجارها فدعت إلى
 ابنها - فقالت : اذهبا إلى هذا الفاسق فقد عدا على ضيفكما وابن عمكما
 فقتله ، وقبل ذلك فان جده وأهل بيته قتلوا جدودي وأهل بيتي فاذهبا إليه
 فاقتلاه . قال : فانطلق الغلامان حتى أتيا معاوية فقتلاه ، ثم انطلقت منبة

هاربة في ليلتها بأبنيتها ونفسها ، حتى صارت إلى اختالها من ثمود - وهم يومئذ أمنع العرب وأعزهم - فاستجارت برجل من ثمود - يقال له غم ابن عمرو بن مبلغ - فأخبرته خبرها ، وأنشأت تقول :

أتيتك يا غم بن عمرو بن مبلغ بنفسي وابني الوضيع وعاديا
فررت اليكم من سفاهة معشر ومن قدرة تعلي علي الافاعيا
وقالوا أأهلك ابن زيد ^(١) سفاهة فلا صلح فينا بعد قتل معاويا
بنو حرب ولقمان بن عاد عدونا وقد كان لقمان زماناً رجائيا
فاخلف لقمان رجائي. وذمتي بقتلهم جاري حبيب بن جاري
فلا تسلمني يا بن غم إليهم فتبلغ مني ان فعلت الدواھيا

فأجارها غم بن عمرو وقام دونها ، وطلبها بنو لقمان بن عاد وابنيها ليقتلوها وابنيها ، فمنعهم غم عن ذلك هو ورهطه ، وكادت أن تهيج بينهم حرب حتى أصلح بينهم ردم الطسمي - وكان يومئذ حكم العرب - فاصطلحوا ومكثوا على السلم ما شاء الله ، ثم ان رجلاً من بني لقمان بن عاد قتل رجلاً من غم بن ثمود ، فنهضت عليهم ثمود وغضبوا في قتل صاحبهم غضباً شديداً فحاربوهم وأعطوا عليهم الظفر فقتلوهم جميعهم حتى أفنواهم عن وجه الأرض فلا أعلم لهم اليوم بعقب ، والله أعلم . فهذا ما كان من حديث عاد الآخرة يا امير المؤمنين وأخبارهم .

(يتلوه حديث ثمود بن عابر بن أرم بن سام)

ابن نوح بن ملك بن متوشلخ بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم - أبي البرية صلى الله عليه وسلم وعلى الطيبين من ذريته الطاهرين

(١) تقدم في صدر الصفحة - مرثد - ح .

والأنبياء المنتخبين والأئمة التابعين والأولياء والأصفياء الصالحين.

قال معاوية : تبارك رب العالمين ، ثم قال : حدثني عجباً منهم يا عبيد ! فحدثني بحديث ثمود قوم صالح صلى الله عليه وسلم وعن أخبارهم وكيف كان سبب هلاكهم وقصص أمورهم ؟ قال عبيد : يا معاوية ، لما أهلك الله عاد الأولى والآخرة وانقضى أمرهم خلفت ثمود بعدهم ، وانتشروا في البلاد وملأوا الأرض وآثروها وتكبروا وعتوا وطفغوا وساروا في الأرض بغير الحق وأكثروا فيها الفساد وعبدوا الأصنام ، وكانت منازلهم بالحجر - وهو وادي القرى إلى رملة فلسطين -- وهو ثمانية عشر ميلاً بين الشام والحجاز . ذلك قول الله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) . وكانوا قوماً عرباً ، وكان الله جل جلاله قد أعطاهم فضلاً من القوة والأبدان وسعة في الأرزاق وطولاً في الأعمار ، فلم يزدتهم إلا طغياناً ، فلما كثر عتوهم على الله عز وجل ، بعث إليهم صالحاً - عليه السلام - وكان من أوسطهم بيتاً وأكبرهم حسباً وهو صالح ^(١) بن عمرو ابن وهبة بن كماش بن أحقب بن الوذ بن عابر بن أرم بن سام بن نوح - فأرسله حجة عليهم ، وكان بعد هود وصالح إبراهيم خليل الله - عليه السلام - فأتاهم صالح برسالة ربه على ما شاء بأمره ، فمكث يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وترك عبادة الأصنام ويخوفهم عذاب الله ونقمته حتى صار شيخاً كبيراً أشمطاً ، وكان من دعائه إليهم وردهم عليه ما ذكر الله تعالى لنبيه في كتابه في آيات كثيرة . فلما ألح صالح على قومه بالدعاء لعبادة الله وترك عبادة الأصنام وحذرهم عذاب الله ونقمته لأعدائه ،

(١) في المبر - صالح بن عيل بن اسف بن شالخ بن عيل بن كائر بن ثمود بن كائر ابن ارم - الخ - ح .

فأخبرهم بما عنده لمن عبد الله من الفضل الكبير الدائم وبما عنده عز وجل لأوليائه ، فلم يتبعه إلا القليل المستضعفون في الأرض ، فلما طال عليهم دعاؤه إياهم ، اجتمع إليه ذات يوم أشرافهم وذو القوة منهم وذو الرأي منهم . فقالوا : يا صالح قد أكثر علينا الدعاء وخوفتنا العذاب وأنت بشر مثلنا وذكرت لنا ان الله أرسلك إلينا ، ونحن نحب أن تأتينا بآية وترينا آية نعتبر بها ويكون ذلك مصداقاً لقولك لعلنا أن نتبعك ، وذلك قول الله عز وجل (ما أنت إلا بشر مثلنا فات بآية ان كنت من الصادقين) . فقال لهم صالح : أين تريدون ؟ قالوا : نخرج معنا في عيدنا فما سألناك من شيء أو طلبناك فعلته لنا . قال صالح : فإذا فعلت ذلك لكم وفعله لي ربي ما الذي تفعلون أنتم لربكم ولي ؟ قالوا : نعبد ألهك ونؤمن به ونتبعك ، فأخذ عليهم صالح العهد والميثاق في ذلك وتأكد عليهم أشد تأكيد . وكان لثمود عيد في كل سنة يخرجون فيه إلى بعض نزهاتهم بأوديتهم فيخرجون بالبحر والطعام والاجزار ويخرجون معهم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله تعالى فيذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرابين ويقيمون هناك أياماً يأكلون ويشربون ويلعبون وتضرب لهم القيان بالدفوف والمعازف ويجمعون لذلك العيد من قراهم كلها في ذلك الموضع لذلك اليوم - وكان رأس ثمود من أشرافهم وسادتهم ، يقال له جندع بن عمرو بن خراش بن الدميل بن عاد بن ثمود ، وهو صاحب أمرهم والمطاع فيهم وكان معه أشراف منهم ريان بن صمغة بن خليفة بن خراش وهو كاهنهم وذوؤاب بن عمرو بن أبيسد بن خراش - وهو صاحب أوثانهم والجناب وشهاب ابنا خليفة ابن عمرو وليد بن خراش وهو صاحب حربهم وبأسهم ، وهؤلاء أهل بيت واحد ومعهم أشراف من بني غنم وعبيد بن ثمود ليسوا ببلونهم في الشرف والعز ، فخرجوا في عيدهم بزيتهم ولهولهم وما احتاجوا إليه من

صالحهم ، وخرج معهم صالح - صلى الله عليه وسلم - وهو يرجو إسلامهم فأتوا مكان مجيعهم فقصوا ما كانوا يحتاجون إليه يومهم ذلك فاعتزلهم صالح في ناحية قريباً من شجرة كانت هناك يصلي ويعبد الله فلما كان في الغد اجتمعوا إليه بأجمعهم ، فأتوا صالحاً فتحدثوا عنده ما شاء الله ، ثم نظروا إلى صخرة عظيمة منفردة في قاع أفيح فأعجبته فقالوا : يا صالح ان طلبنا منك أن تخرج لنا من هذه الهضبة - يعنون الصخرة - ناقة حمراء شعراء وبراء مہرجة ، والمہرج من الابل : يمشي كل النجب لها ضجيج وعجيج ورغاء شديد تفور لبناً سائغاً . فان فعلت ذلك فعلنا لك ما عاهدناك عليه وإلا علمنا أنك كاذب. وانما سألوا صالحاً ذلك استهزاء به فظنوا أنه لا يفعل ولا يكون منه ذلك ولا يقدر عليه . ولم يكن الله ليحقر نبيه - وهو القادر على ما يشاء - فقال لهم صالح : زيدوا فأعطوني عهدكم ومواثيقكم على ذلك . فأعطوه ما وثق به ، ثم قام صالح فصلى ما شاء الله ، ثم رفع رغبة إلى الله ودعاه وتضرع إليه . فسمعت ابن عمك عبد الله بن عباس يقول :
فبينما هم على ذلك - وهم يدعون أصنامهم أن تحول بين صالح وبين ذلك - وهم ينظرون ما يفعل لصالح الهه وما تفعل لهم أصنامهم إذ نظروا إلى الصخرة تتحرك وترتعد من خشية الله تعالى ، ثم اضطربت فنظروها تتمخض كما تتمخض المرأة للولد ، ثم انصدعت وتغلقت عن ناقة عظيمة على ما سألوا ووصفوا إلا أن الله عز وجل عظم خلقها على خلق كل دابة في الأرض فكانت كأنها تلود عظيم رأسها كأعظم بعير ، ثم أقبلت إلى جماعة القوم حتى ظنوا أنها مهلكتهم ونظروا إلى أمر عظيم هالهم من أمر الله وعزته وقدرته. فلما رأى ذلك رئيسهم جندع بن عمرو خروا ساجداً وسجد معه بشر كثير من عظمائهم وسفلةهم وأقر الله عين نبيه - عليه السلام - وصدق ظنه

وكانت العامة من ثمود عند ذلك قد خشوا أن يموتوا تلك الساعة . فقام فيهم نفر من مشائخهم - مشائخ الكفر والضلالة - منهم : ريان بن صر^(١) - صاحب كهانتهم - والجناب بن خليفة وذؤاب - صاحب أوثانهم - فكلّموا ثمود ونهّوهم وزجروهم عن الإسلام . وقول الله عز وجل (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) . يقول : هداهم أراهم آية عظيمة فاهتلوا وابصروا ثم استحوذ عليهم الشيطان وأطاعوا سادتهم وكبراءهم فارتلوا إلى الكفر وهو العمى .

قال عبيد : سمعت ابن عمك يقول ذلك . قال : صدقت فخذ في حديثك . قال عبيد : وثبت جندع بن عمر رئيسهم وسيدهم على الإسلام وناس معه حتى ماتوا - رحمهم الله وغفر لهم - وكان شهاب بن خليفة بن عمرو قد أسلم مع جندع بن عمرو ، ثم رجع عن ذلك مع من رجع وارتد من ثمود ، فدعاه جندع بن عمرو إلى الإسلام فعصاه فكان ممن استحب العمى على الهدى ، فخاب . وفي ذلك يقول رجل من المسلمين اسمه مهوش ابن علقمة شعراً فأنشأ يقول :

دعونا عصبة من آل عمرو إلى دين الاله دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعاً فيأبى أن يجيب ولو أجابا
لا صبح آمناً فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الفواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ارتيابا
قال : ومكثت الناقة في أرض ثمود بين أظهرهم ترعى الشجر وتشرب الماء ، ثم ان صالحاً عليه السلام خشي عليها سفهاء ثمود فزجرهم عنها . وأوحى الله إليه بذلك .

قال : يا معشر ثمود (هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض

الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) . قال : ثم قسم الله الماء بينها وبينهم . وأوحى إلى صالح نبيه ونبيهم صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى (ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) فقال (ها شرب ولكم شرب يوم معلوم) قال : فكان شربها يوماً معلوماً يقام يوم الأربعاء ، فكانت ترد يوم شربها ، فإذا وردت وضعت رأسها في الوادي فتستقيه حتى لا تدع قطرة . قال : فرفع رأسها فتقوم فتفجع لهم ، ثم تلمر فيحلبون ما شاؤا من لبن فيشربون منه ما اشتهاوا حليباً ويدخرون منه ما أحبوا يتزودونه في أسقيتهم كما يتزودون الماء ، فيكون لبنها لهم خلفاً من الماء ، ثم تصدر من غير الموضع الذي منه وردت لا تقدر أن ترجع من حيث وردت لضيق ذلك عليها من عظمها - وسموها الهجول - وإذا كان يوم وردهم وشربوا من الماء ما شاؤا وأدخروا ما شاءوا ليوم وردها ، فكانوا من ذلك في سعة وفضل وحالة حسنة . وكانت الناقة إذا كان الصيف طلعت ظهر الوادي فهربت منها المواشي والدواب من البقر والغنم وغيرها من الوحوش ، فهبطت منها المواشي إلى بطن الوادي في برد شديد وحر شديد وجذب ذلك . ان الدواب كانت تنفر منها وتخاف أن تتخطفها ، وإذا كان الشتاء والبرد شتت في بطن الوادي ونفرت منها وارتفعت إلى ظهر الوادي في برد شديد وجذب ، فاضر ذلك بمواشيهم وذلك للبلاء الذي أراده الله بهم وقتله عليهم وجعلها سبباً لهلاكهم وكانت مراعيهم ما بين حسمى إلى وادي القري . فلما كان ذات يوم أصبحت الناقة في بطن الوادي ومعها سقب لها على مثل خلقها وهيئتها ، ألا أنه لم تبلغ . فلما رآها كفار ثمود قالوا : سحر صالح الناقة حتى نتجت سقياً وكذب أعداء الله . فمكثوا على هذه الحالة حتى دنا الوقت الذي أحب الله فيه هلاكهم ، فنبغت منهم

عجوز فاسقة ملعونة يقال لها أم غم وهي عنيزة أم غم^(١) بن المختار - وهي من بني عبيد بن المهمل وهي العجوز الملعونة التي ابتليت بها ثمود - فكانت تحت ابن عمرو زوجة له ، وكانت ذات ماشية كثيرة من ابل وغم وبقر فألقى الله بغض الناقة في قلبها لحال ماشيتها ، وكانت لها بنات حسان منهن الرباب التي كانت أجمل نساء العرب في زمانها ، وكانت لها أخت من نساء أشراف ثمود - يقال لها الصدف ابنة المحيا بن زهير بن المحيا سيد بني زهير وصاحب كهانتهم وأوثانهم في زمانهم الأول - وكان واديهما يقال له « وادي المحيا » وكانت صدف ذات جمال وكمال ومال كثير واسع من ابل وبقر وغم ، وكانت هي وعنيزة متواخيتين ملعونتين ، وهما كانتا من الأسباب التي قدر الله عز وجل نقمة لثمود وكانتا من أشد نساء ثمود بغضاً لصالح والناقة ، وكانتا تحبان عقر الناقة لمكان ماشيتهما ، وكانت صدف تحت رجل - يقال له ضيم - قد أسلم مع صالح وحسن اسلامه ، وكانت الصدف قد فوضته في ماله كما تفوض المرأة زوجها ، فكان ضيم ينفقه على من أسلم مع صالح ومن اتبعه يريد بذلك وجه الله . فلم يزل على ذلك حتى رق المال في يده واطلعت صدف على اسلامه وما يفعل بالمال فشق ذلك عليها ولامته وعابته على فعله . فلما أكثر عليه أظهر لها اسلامه ودعاها إلى الإسلام ورغبها فيه ، فأبت عليه وأظهرت له الشناعة وانتقلت إلى أهل بيتها بني عبيد الذي هي منهم وأخذت بنيه وبناته فبعثتهم إلى بني عمها ، فقال لها زوجها ضيم : ردي علي ولدي ، قالت : لا أردهم حتى أناظرك إلى ضبعان أو مبدع ابني عبيد . فقال لها : بل أناظرك إلى بني مرداس ، وذلك أن بني مرداس كانوا قد سارعوا إلى

(١) في مروج الذهب والمرأتان - عنيزة بنت زعيم وصدف بنت المحيا فتدبر - ح ٥٠ .

الإسلام وأبطأ عنه الآخرون . قالت له الفاسقة : لا أناظرك إلا إلى من دعوتك إليه . فاستمعان عليها ببني مرداس فقالوا لها : والله لئن لم تدفعني إليه ولده طائعة لتدفعنهم إليه كارهة ولتقومن من دونه . فلما رأت الفاسقة ذلك علمت أنه لا طاقة لها ولا إرمطها ببني مرداس ، فدفعت إلى ضميم ولده ، فذكر ضميم أمر صدوف ومعاتبتها إياه على الإسلام وعلى المال فقال في ذلك شعراً يقول فيه :

تقول كان ضميم لا منبت له فقلت ذو رحم مني ومن زال^(١)
ان ابن أمي أغواه وأفسده فأهلك المال في أسباب أخوالي
فقلت ويحك ان الله بصرفي دين الهدى فاشتريت الدين بالمال
وقلت حسبي بدين الله أبلغه في آل صالح ادباري واقبالي
قال معاوية : لله أنت يا لييد ، وما يعني بقوله هذا : قال : يا معاوية .

قوله ذو رحم مني ومن زال فكان زال آخاها لأبيها وأمها وهو زال بن المحيا قد أسلم مع صالح ، ثم استقام على الهدى . وقوله أغواه وأفسده تقول إن آخاها أفسده زوجها وأغواه حتى أسلم وأفسد المال وهي الغوية لعنها الله ليس هما ، وأما أخوالي فهو خال صدوف وخال أخيها ذلك وكان مسلماً ، وكان ممن أنفق عليه ضميم فهلك في صبيحة صالح عليه السلام وذلك قوله : أفسد المال أسباب أخوالي ، ثم ان الفاسقين لعنهما الله عزيزة وصدوف أجمع رأيهما على عقر ناقة صالح فأخذتا في المكر والحيل لأسباب الشقاء الذي حل بشمود فأتت الصدوف رجلاً من قومها - يقال له الجنباب ابن خليفة من أشراف ثمود ومترفها - فدعته إلى عقر الناقة وعرضت عليه نكاحها وما لها فأبى عليها ذلك ونزعه نفسه عن طاعتها ، فبعثت إلى

رجال ثمود وأشرافها تدعوهم إلى ذلك ، فأبوا عليها حتى أتت ابن عم لها - فاسقاً فاجراً ملعوناً مقدماً على المكاره والشراب يقال له مصدع بن مخرج بن المحيا - فدعته إلى عقر الناقة، ونكاحها ان فعل فأجابها إلى ذلك لما رغب فيه من جمالها وكماها وسعة ماها ، ولما كتب الله سبحانه وتعالى عليهم وانطلقت عنيزة الفاسقة إلى أشراف ثمود ومترفيها تدعوهم إلى عقر الناقة وتبذل ماها وابنتها الرباب لمن يفعل لها ذلك ، فلم تجد أحداً يتابعها على ما طلبت حتى أتت المدينة قرح^(١) - وهي المدينة التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، فقال (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) - قال : فكلمت رجالهم حتى أتت إلى رجل منهم يقال له - قدار بن سالف بن مليف بن جندع ، وكان فاسقاً فاجراً ملعوناً جرياً على الله سبحانه وعلى المحارم والفواحش ، وكان من صفته أنه كان أحمر أزرق أكسف ولد زنا - ويقال أن أمه باغية ملعونة ، وكانت تفجر برجل من قومها - يقال له ضبعان بن عبيد - وكان قدار شبيهاً به ، فكان قومه يقولون أنه ابنه ، ولكنه ولد على فراش سالف فادعاه فالولد لضبعان والاسم لسالف وقدار هو الشقي الذي عقر الناقة وبه شقبت ثمود ، وكان قدار - مع حاله هذه - مقدماً عزيزاً منيعاً في قومه .

وذكر محمد بن اسحاق في غير حديث عبيد بن شرية ، قال محمد ابن اسحاق ، حدثني هشام بن عروة بن الزبير في حديث زمعة بن الأسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم يخطب الناس على المنبر فذكر الله وذكر ناقة الله التي عقرت ثمود ، والذي عقرها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قام

(١) كذا - وفي تفسير الألوسي وهي الحجر - ح .

إليها أحمر أصعر أزرق منيع عزيز في قومه مثل زمعة بن الأسود في قومه .

رجع الحديث إلى عبيد بن شربة . قال عبيد : فكلمته عنيزة الفاسقة بعقرها وبذلت ابنتها الرباب وأي بناتها شاء ، فأجابها عدو الله إلى ذلك - وكان قدار عدو الله محباً للرباب وامقاً بها ، وكان قد طلبها فلم يجد لها سبيلاً ، وكانت الرباب أجمل امرأة في زمانها وأتمها - فلما ذكرتها مما لعدو الله تآقت نفسه إليها فطاوعها ، فاجتمع هو ومصدع فتكلما في ذلك ، ثم ناديا في ثمود فاستغويا ناساً غواة سفهاء من سفهائهم ومترفيهم من أهل المدينة مدينة قرح فاتبعهما تسعة نفر من أشباههما فكانوا تسعة نفر ، وهم الذين ذكر الله تعالى في كتابه (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) . وهم : قدار بن سالف - وهو رئيسهم في الشر - ومصدع بن مهرج ، ومبلغ بن غم - وهو خال قدار ، وكان عزيزاً في قومه - ودعيم بن حلاوة بن المهمل ، وذؤاب بن مهرج - أخو مصدع - وأربعة لم تحفظ أسماؤهم ، وكلهم من أشراف ثمود وأعزائهم وأهل النعمة منهم - وهم الأذلة عند الله - فتتابعوا وتحالفوا على عقر الناقة . وفي حديث وهب بن منبه : أن اسم الرهط الذين تحالفوا على عقرها - قدار بن سالف ومصدع بن مهرج وذؤاب بن مهرج والهزيل ابن متروك وغم بن غم وعفير بن كردم وعاصم بن مخرمة وسليط بن حلقة وبسيط بن نعيق ^(١) .

رجع الحديث إلى عبيد ، قال : فاجتمعوا في بيت الفاسقة عجوز النار

(١) كذا - وفي تفسير الألوسي عن وهب - الهذيل بن عبد رب - وغم بن غم - وذؤاب بن مهرج - وعفير بن كردية - وعاصم بن مخرمة - وبسيط بن حلقة - وصحمان بن مني - وقدار بن سالف - ح .

أم غم وأختها الصدوف فبالتا عليهم بما شاءوا من الخمر واللحم وعمدت إلى ابنتها الرباب فزيتها وحلتها وألبستها قرفيراً^(١) وازاراً وخماراً ، وأبرزتها إليهم وأمرتها أن تبدي محاسنها . فلما رآها الفاسق قد دار ذهب عقله وتاه حلمه ، وتبرجت الصدوف لمصدع ، فذهبت بعقله - وكان ذلك يوم الأربعاء يوم ورد الناقة - وكانت الفاسقتان اعتمدتا ذلك ولم يدخرا شيئاً من الماء ليوم ورد الناقة اعتماداً منهما على ذلك . فبينما هم في اربهم ذلك إذ قل عليهم الماء لمزج الخمر : فطلبوا ماء ، فلم يجدوا شيئاً ، فقالتا لهم الفاسقتان : إذ لم يجدوا ماء لمزج الخمر ان عندنا خمرأ كثيراً فلا بد له من فراج فاطلبوا لنا الماء ، فذهبت التسعة الرهاط بأسيافهم يطلبون الماء فوجدوا الناقة قد شربته جميعاً ، فلم يقدرُوا منه على شيء ، فرجعوا إلى مجلسهم ، وقد جسرهم على عقر الناقة فأكد بعضهم على بعض في عقرها ، وطلب قدار ومصدع من المرأتين أنفسهما ، فقالتا : ما إلى ذلك سبيل حتى تريحانا من هذه الناقة التي قد أهلكت مواشينا وقطعتنا من الماء . وشاع خبر قدار وأصحابه في قومهم وما هموا به من عقر الناقة ، فشق ذلك على عظماء ثمود ومشائخها ورأوا ذلك هولاً عظيماً ، وعلموا أنهم لا طاقة لهم برهط قدار وأصحابه لعزمهم ومنعتهم في قومهم . وبلغ ذلك صالحاً صلى الله عليه فأتى الرهط ، فقال لهم (هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) ، فلم يزدهم ذلك الكلام - كلام صالح الا عتواً ونفورا وجرأة على عقرها - وهو بصالح ، فخرج هارباً إلى قومه . ثم ان علو الله قدار وأصحابه جلدوا في عقر الناقة فصقلوا أسيافهم وأخذ قدار معولاً فسنه ، ثم تقللوا أسلحتهم ، فأخذ قدار معوله

(١) كذا ولم يظهر - ح .

وساروا يريدون الناقة في يومهم ذلك في يوم وردها ، فانطلقت معهم
 عنيزة الفاسقة معها ابنتها قد زيتنا وألبستها ثوباً معصفاً وقلبتها بدر
 وياقوت ، وسارت معها صدوف على مثل ذلك حتى أتوا على طريق الناقة
 التي تصدر منها ، وكن لها قدار في أصل شجرة على طريقها ، وكن لها
 مصدع في أصل شجرة . فلما صدرت الناقة من الماء وقف الرجلان عنها
 وجبنا عن عقرها واستعظما أمرها . فلما رأت ذلك عنيزة وعرفت حالهما
 أخذت دفها وجاءت بابنتها الرباب حتى وقفت على رأس قدار ، وأنشأت
 تقول :

فدت نفسي لقدار أعز قومي	ومفزعهم إذا المكروه نابا
به عزت ثمود فان دعت	ليكشف كربة عنها أجابا
وكان لها لدى الحدثان حصناً	يذل من الأولى عز الرقابا
أطاعته ثمود فعز طرا	وأحصنها كما أوتوا كتابا
فقدم للذي أكدت عهداً	لعلك في المكاره أن تنابا
ولا تجبن فان الجبن عار	وكان أبوك يكره أن يعابا
فقد أشبهته جوداً وبأساً	ولم تشبه صميماً ^(١) ولا ذوابا
فانقذ من يحول الشر قومي	فلست بمتبع فيها عقابا

وطفقت تضرب بدفها وأقبلت صدوف الفاسقة في زيتنها حتى وقفت
 على رأس مصدع وهي تضرب بدفها وتنشد هذا الشعر :

الان الشعر احلو لي وطابا	وودعنا المكاره والتبابا
ونؤتي بالذي نهوى جميعا	ونهدي نحو مصدعنا الشرابا

(١) كذا - وقد تقدم ضم - ح .

فنفسي قد وهبت وكل مالي لمصدع بالذي أهوى ثوابا
فعندي ما اشتهيت فثق بقولي ولا تخش لما قلنا انقلابا
فمثلك قد أراح النفس مما رأوا منها ينبهم عتابا
فما في ناقة عقرت عقاب لآل ثمود قد كانت عذابا

قال : فلما سمعوا عدوا الله قول الفاسقتين ابتدرا فحمل عليها مصدع
فمرت به فرماها بسهم فانتظم بالسهم عصبة ساقها وحمل عليها قدار
فضرب عرقوبيها بمعوله حتى أبانها فخرت صريعة لها رغاء شديد ، ثم
طعن بالسيف في لبتها فنحرها وهرب سقبها فتعلق بجبل يقال له صنو ،
ولاذ بصخرة - يقال لها الكتانة - ولحقه مصدع وأخوه فامتنع منهما
بالصخرة ولم يقدرأ عليه وسمع الناس بعقر الناقة وبنحرها فتبادروا إليها
فما كان كشيء حتى اقتسموا لحمها .

وذكر محمد بن اسحاق من غير رواية عبيد بن شربة ، أنهم قد
أصابوا السقب مع أمه ، قال : وتبعه مصدع وأربعة نفر من الذين عقروا
الناقة فرماه مصدع في لبتة بسهم - وكان أرمى أهل زمانه شلت يده - فانتظم
قلبه فجر برجله حتى أنزله فalcوا لحمه مع لحم أمه .

قال ابن اسحاق : فلم يسمع بأن السقب قتل إلا في حديث واحد عن
رجل لم يتابعه على هذا الحديث غيره ولم يقل في ذلك أحد من ثمود ولا
من غيرها من العرب شعراً إلا رجل واحد من أصحاب صالح عليه السلام
ولا يمكن هذا ان يكون وإنما كانت الصبيحة التي أصابتهم من صبيحة
الشقب .

رجع الحديث إلى عبيد بن شربة . قال عبيد : واكب قدار وأصحابه

على الناقة فذبحوها وجزوا لحمها أعضاء وأتتهم عنيزة والصلوف بالحر
والقلور فنصبوها وشوها وشربوا وأكلوا وظلوا في ذلك المكان ينعمون
ويماون ويقولون الأشعار فكان ما روي لنا مما قالوا هذا الشعر :

قد أصبح صالح فرداً حقيراً	وما يرجو بناقته نصيراً
عقرناها بأيد ثم عز	ولم نخش لذي ثار نكيراً
وما تلقى لنا فيما فعلنا	بها إلا الكرامة والسروراً
وأصبح لحمها فينا غريضا	بلهوجه وطائفة وغيرا
سنطلب صالحاً ومصدقيه	لنلحقه بناقته عقيراً
سنطلبه لنقتله فمن ذا	يكون له وان هرب المجيراً

فأجابه رجل آخر من المسلمين وهو يقول :

عصت بغياً ثمود رسول ربي	أخاهم صالحاً وعصوا قديراً
على الأشياء أخرج كي يتوبوا	لهم من صخرة الوادي بعيراً
كما سألوا نبيهم فكانوا	لما قد عاينوا من ذاك بوراً
سقام مثلها ماء معيناً	وأرواهم لها دراً غزيراً
فما اعتبروا بها أبداً ولكن	طفوا وبغوا وغالوها كفوراً
وقالوا فاعقروها ثم ملثوا	لنا من لحمها الوادي قلورا
أطاعوا مصدعاً وقدار غيا	ورھطاً سبعة كسبوا الشرورا
فسوف ترى ثمود ومن أطاعت	عواقب ما أتت حوباً كثيراً
وتعلم حين يأتيها عذاب	من الجبار من ورا (١) نكيراً
ويعلم مصدع وقدار ماذا	يجازي إذا عصى الله الكبيراً

(١) كذا - والله أعلم - ح.

قال : وكان صالح ، صلوات الله عليه - نازحاً عنهم في دار قومهم لا علم له بما فعلوا بالناقة، حتى بلغه الخبر وقيل : هل علمت أن ناقة الله قد عقرت ويقسم لحمها ؟ وغلت بلحمها وشحمها المراحل ؟ فخرج نحوهم مسرعاً في عصابة من قومهم حتى وقف عليهم ، فإذا لحم الناقة عندهم وهم يأكلون ويشربون ، فقال لهم صالح أعقرتموها ؟ وماكم الله بما لا طاقة لكم به من العذاب وأنتم تنظرون وستم قومهم من ثمود وأوعدهم العذاب الأليم فشتموه . فقام صالح فصلى ودعا إلى الله - وهم يسخرون منه - فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام أني قد قبلت دعاءك واني مرسل عليهم صيحة تزهق أنفسهم وتهلكهم أجمعين وذلك نازل بهم إلى ثلاثة أيام . فقال صالح : يا رب اعجل من ذلك ، فقال الله تبارك وتعالى : اني إذا قضيت أمراً فلا مرد له وان وعدي غير مكذوب ، ثم أقبل صالح على القوم فقال : اجترأتم على الله وانتهكتم حرمة فانتظروا نقمته واعلموا أن العذاب نازل بكم بما فعلتم ، فقالوا : - وهم يستهزؤون به - ومتى يكون ذلك يا صالح ؟ فقال : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ، فقالوا : - وهم يسخرون منه - وما علامة ذلك يا صالح ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى : أن علامة ذلك أن تصبح وجوههم غداة يوم الخميس مصفرة ، ثم تصبح يوم الجمعة محمرة ، ثم تصبح يوم السبت وجوههم مسودة ، ثم يأتيهم العذاب غداة يوم الأحد مشرقين .

يقال ، قال لهم صالح : ان علامة ذلك أن تصبح وجوهكم غداة مؤنس مصفرة ، ثم تصبح في عروبة محمرة ، ثم تصبح يوم شيار مسودة ، ثم يأتيكم العذاب يوم أول . قال : وكانت العرب تسمي الأيام في الجاهلية الأحد يوم أول والاثنين أهون والثلاثاء جباراً والأربعاء دباراً والخميس

مؤنساً والجمعة عروبة والسبت شياراً ، فذلك الذي عنى بهم صالح ، صلوات الله عليه . فلما سمعوا قوله كذبوه واستهزؤا به وتآمروا بقتله وقالوا : هلموا فلنقتل صالحاً وأصحابه في ليلتنا هذه ولنلحقه بناقته ونستريح منه فان يك صادقاً ، فقد عجلناه ، وان يك كاذباً فقد اشتفينا منه . فتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا على ذلك عليه واجتمعوا على قتله . فانطلق الرهط التسعة قدار وأصحابه حين أمسوا حتى أتوا منزل صالح وهم يريدون أن يقتلوه فوجدوه وأصحابه المؤمنين قعوداً يذكرون الله . فلما طال عليهم ذلك تآمروا فقالوا : هلموا بنا فلنقتله وأصحابه المؤمنين ولا يعلم أحد من قتلهم ، فان طلبنا أحد من أوليائهم أقسمنا لهم ما شهدنا مهلك أهله ولالك قول الله عز وجل في كتابه (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون وذاك رضى ولا يصلحون ، قالوا : تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) .

سمعت ابن عمك يقول ذلك يا أمير المؤمنين . ثم وثبوا ليقتحمروا البيت على صالح ، فبعث الله جل جلاله نفرأ من الملائكة معهم حجارة من نار فدمغتهم الملائكة بتلك الحجارة فقتلتهم جميعاً ، فهلك قدار وأصحابه من آخر ليلتهم وآذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وأنزل بهم نقمته وقدرته قبل قومهم وما أعد لهم من العذاب في الآخرة أشد وأخزى فسحقاً لأصحاب السعير . وكان العامة من ثمود وجلهم قد رحلوا مع قدار وأصحابه بعد عقر الناقة وأكلوا لحمها ورضوا بعقرها جميعاً والتي منهم يومئذ ما لا يحصى عدده فلما أبطأ قدار وأصحابه عن قومهم انطلقوا إلى منزل صالح وأصحابه في طلبهم ، فوجدوهم على بابه موتى قد رموا بحجارة ، ولم يكن صالح وأصحابه علموا بشيء من قتل قدار وأصحابه ولا بمجيئهم إليهم ، فأخنوا صالحاً فقالوا له : أنت فعلت هذا وقتلت أصحابنا هؤلاء قتلوا على بابك . فوثب رهط صالح دونه وقالوا : والله لا وصلتم إليه أو

نموت دونه عن آخرنا ، وقد أخبركم أن العذاب نازل بكم إلى ثلاثة أيام
فإن يك صادقاً فذاك أعز له وإن يك كاذباً أسلمناه إليكم بما جنى على نفسه
من الكذب - وكان رهط صالح أعز بيت وأشرفهم في ثمود وأمنعهم
وأكثر عدة وعدداً - فرضيت عنهم ثمود بذلك وتركوا صالحاً . وأوحى
الله إلى صالح بأمر قدار وأصحابه الرهط ، قال الله عز وجل (أنا دمرناهم
وقومهم أجمعين) - أي بالصيحة التي تأخذهم - قال : فلما رأوا ذلك
أيقنوا بالعذاب وعلموا أن صالحاً قد صدقهم وازدادوا كفراً وطغياناً
وجراً على الله وتعصباً لنبيه صالح واجتمعوا على قتله وقتل أصحابه ،
وقالوا : لسنا ندعه يعيش بعدنا هو وأصحابه ، وشغل عنه رهطه بما جاءهم
من الأمر وبلغ صالحاً عليه السلام ذلك عنهم ، فهرب بنفسه حتى أتى بطناً
من ثمود - يقال لهم بنو غم بن مبلغ ، وكانوا أعز بطن في ثمود وأمنعهم
منزلاً ، رئيسهم وسيدهم نفيل ، وكان مشركاً وكان يكنى بأبي هذب ،
وهو نفيل بن عمرو بن غم بن مبلغ وكان هو وقومه مشركين فلجأ إليهم
صالح وتحرم بأبي هذب فأواه وآجاره ومنعه وخفي على المشركين أمر
صالح ، فلم يقدرُوا عليه ، ولم يعلم به أحد ، فأخذوا أناساً من أصحابه
فعدبواهم أشد العذاب وعرضوهم على القتل ليدلوهم عليه ، فقتلوا منهم
نفرأ - رحمهم الله تعالى - فلما رأى ذلك رجل من المؤمنين - يقال له مبدع
ابن هرم الشاعر - انطلق حتى أتى صالحاً ، فأخبره الخبر وقال له : قد قتلوا
منا نفرأ وقد خشيت أن يقتل أضعافنا وأحداثنا حتى يدلوهم عليك ، فما
ترى يا نبي الله ؟ قال صالح : دلوهم علي ولا حرج . قال : نحن بحل من
ذلك . قال : نعم لا جناح عليكم - غفر الله لكم - فرجع مبدع فأخذه
المشركون وقالوا : دلنا على صالح وإلا قتلناك وأصحابك ، فأنشأ مبدع

يقول :

فان يك صالح أمسى مقيماً ببلدتكم فلن يعدو قليلاً
وان يك صالح في آل غم فلم تجدوا إلى غم سبيلاً
بنو غم سراة ثمود طرا وان كانت بنو غم قليلاً
وظني أن سيمنه رجال بضرب يترك الأعناق ميلاً
أبو هذب وأخوان هذب إذا فزعوا رأيت لهم خيولاً
مجردة لدى الهيجاء بلقا تجاوب بعضها بعضاً صهيلاً
أخافوا صالحاً لما دعاهم فظلوا حول حجرته حلولا
وأشباع هنالك من شباب وأشياخ تخيلهم فلولاً
وقالوا لن نخاف وأنت فينا كفاك برغمنا فينا كفيلاً
فلا تخش التجبر يا آل قومي كفى لكم بذلكم دليلاً

فلما سمعوا قوله هذا وعلموا مكان صالح حيث هو كفوا عن المسلمين وانطلقوا بأجمعهم حتى أتوا أبا هذب وقومه فكلموه في صالح . فقال لهم أبو هذب : هو عندي وقد أجرته وآويته فلا سبيل لكم إليه . فقالوا : أتبع دينه وتترك ديننا ؟ قال : لا ، ولكن قد أجرته ولن تخفروني في جواربي ، فتركوه وانصرفوا عنه ، وشغلهم ما نزل بهم من العذاب وجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم من التغير ، ثم أصبحوا ووجوههم يوم الخميس مصفرة ، ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرة ، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة . فلما كان ليلة الأحد ، خرج صالح من بين أظهرهم ومن معه من المسلمين إلى الشام فنزل إلى رملة فلسطين ، وتخلف رجل من أصحاب صالح ، صلوات الله عليه يقال له

مبدع بن هرم ، فنزل قرحاً - وهو وادي القرى - وبينه وبين الحجر ثمانية عشر ميلاً ، فنزل على رجل يقال له عمرو بن غنم - وكان سيدهم وكان قد أكل من لحم الناقة ولم يشرك في عقرها - فقال له مبدع : يا عمرو اخرج من هذا البلد ، فان صالحاً قد قال : من خرج من هذه البلد نجاً ومن أقام بها هلك . فقال عمرو : والله ما شاركت في عقرها ولا رضيت بما صنع بها . وأمسك عنه مبدع ، فلما أصبح الأحد ورأوا ما نزل بهم من العذاب اجتمعوا كل قوم في مجلسهم فحفروا لأنفسهم قبوراً في بيوتهم وتحنطوا ولبسوا أكفانهم - وكانت أكفانهم الانطاع وحنوطهم المر - وجلسوا في حفرهم . فلما ارتفع الضحى أخذتهم الصيحة . فلم يبق منهم أحد لا صغير ولا كبير إلا جارية من ثمود يقال لها العلوى ابنة ينيع وكانت جارية مقعدة وكانت كثيرة العداوة لصالح ، فأطلق الله رجلها بعدما أخذ قومها العذاب ، فخرجت حتى أتت إلى قرح فأخبرتهم بما رآته من العذاب وبما أصيب به قومها ثمود . ثم هلكت الجارية حين أخبرتهم . فقال : وقد سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : ان الله تبارك وتعالى بعث جبريل حتى وقف على الفج الذي عقرت فيه الناقة ، فصاح فيهم فخرجت أرواحهم من أبدانهم فهلكوا جميعاً إلا هذه الجارية المقعدة قد حدثك حديثها . إلا أنه ذكر أن اسمها الذريعة - وهي كلبة بنت سلق - قال : ونفرت الوحوش والبهائم ، فكانت لا تطوف إلا حولها .

قال عبيد : وسمعت ابن عمك يقول : إن الله تبارك وتعالى لما أهلك ثموداً عجل لأهل الحجر العذاب فأخذتهم الصيحة يوم ثالث عقر الناقة وأهلك أهل قرح من ثمود بعد ذلك لاحدى وعشرين ليلة لا يواشهم صالحاً - صلى الله عليه وسلم - يوم أراد قومه قتله ، فذلك قول الله عز وجل (فتلك

بيوتهم خاوية بما ظلموا) - يعني ساقطة خربة - قال معاوية : لله درك يا عبيد قد حدثت بعجب، فهل قيل في ذلك شعر وذكرهم أحد من العرب في شعره ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قد قالوا في ذلك أشعاراً . قال بعض شعراء العرب فيهم أيضاً . قال معاوية : فهات فأنشدني ما تروى من ذلك ؟ قال عبيد : قد قال مبدع بن هرم في شأن الناقة وأمر عذرة بنت غم^(١) والصدوف هذا الشعر الذي يقول فيه :

أبى الله إلا أن يحل بأرضنا	من أجل صدوف والعجوز وخرابها
دعت أم غم شر حلف علمته	بأرض ثمود كلها فأجابها
ازيرق من فرخ دعت وربما	دعت أم غم للقيح شبابها
فنادت نداء لم تجد لشقائه	سوى ابن جديع ^(٢) إذ رآته ربابها
وقالت اطع تعط لرباب وأختها	فلونك أم السقب فاهتك حجابها
فصم غاو عند ذاك لعقرها	ونادت صدوف عند ذاك جنابها
فقال جناب اني غير مائل	إليك فنادت مصدعاً فأجابها

وقال مبدع بن هرم يذكر قدراً وأم غم في شعره فقال :

دعت عجوز من عبيد غوية	لتنكحه بنتاً لها إذ ترفعا
وقالت له أنت ابن سالف أن تنل	عقيلة غم تترك المجد أجمعا
إذا ما عقرت الناقة اليوم وابنها	فبني لك الوسطى وإن شئت مروعا
أختها الصغرى أحسن من مشى	وأكرمها إن نلتها الدهر موضعا
من آل ثمود لم تر الدهر مثلها	ولو طفت حتى تقطع البر اكتمعا
أجاب قد آرام غم وبنتها	ونادت صدوف عند ذلك مصدعا

(١) كذا - وقد مضى نسبها في ص ٣٨٢ بخلاف ما هنا - ح .

(٢) تقدم جندع - ح .

فقام إلى سيف حديث صقاله
لقد لبثت فينا ومعها فصيلها
قريرة عين ما تخاف فراقه
وكان قدار أخبث الناس كلهم
إذا ما دعوه يوم ضر أجابهم
فقل له لا تتبعن ابن سالف
لعقر التي نادى بها المرء صالح
ينادون عبراً لا يجيب دعاءهم
إلى الله رغبا أخرج اليوم ناقه
فأخرجها من صخرة لابن مبلغ
جعلنا له عهداً بأن لا نضرها
قد كان يدعو جندع ثم ربه
ينادي إلهي أنزل اليوم رحمة
فانا نخاف اليوم من ظلم قومنا

فبت به العرقوب ما ان تورعا
بوادي الجحان^(١) يرتعان به معا
وما أن أشاروا نحوها قط اصبعا
إذا ما دعوا يوماً إلى الشر أسرعاً
فلما دعوه للعجوز تسرعاً
فانا نراه بابن غم قد ازمعا
غداة رأيت الناس بالواد ركعا
وإذ صالح يدعو الإله تضرعاً
تكون لنا عذر فاعطه ما دعا
تؤم وجوه الناس عجللاً متبعا
بشيء أشهدنا على ذاك جندعا
بصوت حزين يتزع الدعى من دعا
علينا لا تشمت بنا الحى متلعا
من جهلهم بالله أن نتمزعا

وقال رجل من أصحاب صالح وكان مسلماً يذكر أم غم وقولها
لرجال بني عدي^(٢) وهم رهطها الذي هي منهم، حين رأت ما بوجوههم
وعرفت صدق ما وعدهم صالح وأيقنت بالعذاب، فقال هذا الرجل
من أصحاب صالح يصف ذلك وأنشأ يقول :

فقلت يوم مؤنس أم غم لضبع والعبيد وآل عرس

(١) كذا - ولعله وادي المعيا - وقد تقدم ما يشير إلى ذلك - ح ٥ .

(٢) كذا - وقد تقدم في ص ٢٨٦ بني عبيد - ح .

آراكم يا رجال بني عبيد^(١) كان وجوهكم خضبت بورس
 لا قالت رجال بني هلال وما قال النبي لهم بالأمس
 بأنكم لناقته حسدتم تغيرت الوجوه أبي ونفسي
 فداء للمعاشر من عبيد وابناء الدميل بني العمرس
 ويوم عروبة احمرت وجوه مصفرة ونادوا يال مرص
 ويوم شيار اسودت وجوه من الحين قبل طلوع الشمس
 فلما كان أول في ضحاء أتتهم صيحة عقت بنحس

وقال مبدع بن هرم كان مسلماً يذكر الفرحي^(٢) عمرو وقد جعل
 يهزأ به ، فقال مبدع في ذلك شعراً ، حيث يقول :

يقول ابن غم لي وقد رمت نصحه يعود إلى دين النبيين مبهما
 برئت من الدين الذي ترعمونه تكون له يوم القيامة مخرجاً
 تضاحك بي عمرو بن غم وقال لي يسرك أن آتيك بالذئب مسرجاً
 فتركبه عدواً فتأتي نبيكم فتخبره أني تركتك مخرجاً
 بأرض بني كنعان ما بك قوة فترجو نجاة أو نجد لك موبلاً
 وقد أكلوا لحم الفصيل وأمه طبخاً ومنه ما أضاعوا ملهوجاً
 فلما رأيت القوم لا خير فيهم ركبت قلوصي ثم يمت مدبلاً
 إلى صالح حتى أنحت بصالح على واضح من دينه ليس أعوجاً

وقال مبدع أيضاً يذكر بلادهم وما أصابها من العقوبة :

أقمنا بدار الكوش^(٣) عشراً كواملاً وخمس سنين بعد عشر واربعاً

(١) كذا - وفي المروج - عبيد - ح .

(٢) كذا - ح .

(٣) كذا ولم تقف عليه - ح .

فنادى مناد الحقوا ببلادكم
وان بلاد الحجر أضحت وما ترى
على كل قصر قد تخرب جوفه
فلما هبطنا أرض حجر وقرحها
وقال مبدع أيضاً يذكر ثمود ما أصابها :

لعل عدوكم نزل البطاحا
فكانت غارة منهم إليكم
فان تكن اللقاح ذهبن منكم
فكانت غارة قلرت عليهم
فقلت بلى غدواً حلّ صباحاً*
فكانت صيحة لم تبق شيئاً
فخر لصوتها أجيال حجر
وأدركت الوحوش فقبعتها
ونجى صالحاً في مؤنيسه
وقال مبدع أيضاً وهو يذكر الذريعة وكانت مقعدة ، وهي كلبه

ابنة سلق حين خرجت من الحجر لما عاينت حتى أتت أهل قرح
فأخبرتهم بهلاك ثمود ، ثم أصابها ما أصابهم فقال :

نشدتك يا ذريع لتخبريني
أبا لوادي فكيف نجوت منه
فقلت إن قومي خلفوني
وقالوا ان حسست ذريع شيئاً
فان غداً يكون هلاك حجر

بأي الأرض أدركك المقيـل
وقد هلك الأرامـل والكهول
بحيث أضر بالعلم السبيل
فحرزك ذلك الجبل الطويل
ولا يبقى بواديهم رجـيل

* هكذا وردت في طبعة « حيدر اباد »

فلما ان حسنت الصبح أني نهضت كأنني هيق جفيل
فقت خلال أبيات المحيا إلى جبل تطوف به الوعول
ألا يا ليت نفسي في أناس غداة آتاهم الأمر الجليل
نصبت لهم كئلي في حياتي ولم أفعل كما فعل الجهول
ألا فابكي الأكارم من هلال فهم عوني الذين بهم أصول

وهلال ، الذي ذكر أخو النريعة - وبنو هلال بطنها الذين كانت
منهم - ومما قال قدار عدو الله بعد عقر الناقة هذا الشعر :

هل لبطاح الأرض من نازح أم هل لفلق الطود من ناطح
أم هل لسقب عقرت أمه من آخذ يأخذ من جارح
لا فارقت ساعدها راحة لم ترتعش من صيحة الصائح
ما هاله ما هال من قبله من باكر منها ومن رائح
لم يخش أن ينظرها صالح فاخلف المظنون من صالح
قدار لا تسأل ولا تنتزع ولا تزل في العمل الرابع
فأجابه رجل من المسلمين من أصحاب صالح صلى الله عليه فأنشأ
وهو يقول :

يا فعلة أردت قداراً وكم راح لها من هاتف صائح
جاء قدار وأبوه معاً على ثمود بالردى الجائح
لا ناقة الله رعوا حقها فيهم ولا موعظة الناصح
سما رجال حاولوا عقرها من باكر منهم ومن رائح
جاءوا بعوجاء لها عائد صارت عليهم شفرة الذابح
يومهم يوم المحيا بما لاقوا من اليابس والناصح
قد كان فيهم لكم عبرة لو قصدوا المنهج الواضح
فابصروا اليوم بما قبله قد يعرف القابل بالبارح

من يتق الله يكن زانحاً لا يبرح الدهر مع الرابع
أضحوا بما قد فعلوا ضحضحاً فيه العساقل بلا فادح
حتى يسير الراكب المغتدي فيه على البازل والقارح
ويترك الأ جبال مأمونة جمامه الماء بلا ناصح
ما الله عن ناقته غافل يوماً ولا عن عبده صالح
ويل قدار بالذي قدمت له عجوز الحجر من جارح

وقال حسان بن ثابت يذكر ثموداً وعبدالله (١) :

يكوى إذا رام الهجاء لقومه ولاح شهاب من سنا البرق واقد
كأشقى ثمود إذ تناول سيفه يريد هلاك الصقب والصقب وارد
فقبل لهم فاستمتعوا في دياركم فقد جاءكم ذكر أنكم ومواعد
ثلاثة أيام من الدهر لم يكن لهم تصاريف الذي قال زائد

ذكر محمد بن اسحاق عن غير عبيد بن شريفة عن الرواة : أن صالحاً
— صلى الله عليه وسلم — لما آتاه خبر الناقة اجتمع إليه المؤمنون فقال لهم :
توقعوا عذاب الله لقومكم ، قالوا : يا صالح ادع ربك ألا ينزل بهم
العذاب لعلهم يؤمنون ، فقال صالح : ادركوا الصقب ، فلعن ان أدركتموه
ألا يعذبوا . فانطلقوا ومعهم صالح في طلب الصقب ، فإذا الصقب قد
طلع جبلاً منيعاً أتى صخرة في رأس الجبل ، فطلعها فرغا عليها رغاء شديداً
واسم الجبل فيما يزعمون ظلم فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد
عقرت بكى ، ثم قال : انتهكتم حرمة الله تحل بكم نعمته ، فلما رأى
الصقب — وهو على رأس الجبل — قال صالح : يا أمته ، فدعا صالح ربه
بهلاكهم ، فاستجيب له . قال صالح : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ويأتيكم
العذاب يوم رابع ، فانطلقوا يطلبون الصقب ، فلما علا الجبل لم يقدرُوا

(١) كذا ويحتمل أن يكون — وعذاب الله لهم — ح .

عليه ، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالعذاب . فقال لهم صالح : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ويأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب .

ثم رجع الحديث إلى عبيد بن شرية . قال عبيد : يا أمير المؤمنين ومن أشعارهم قول رجل من المسلمين من أصحاب صالح - صلى الله عليه وسلم - يذكر فيه عنيزة والصدوف وقداراً ومصدعاً والرهط وعقر الناقة وأنشأ وهو يقول :

نحسرت ثمود ففعلت بعذابها	من شؤمها وعتوها وتبابها
كانت ثمود عزيزة في أرضها	من سادة شبت وجل شبابها
غوت الغواة وأمعنوا في غيهم	كفرت ثمود بربها غلابها
فأباح ساحتها وعجل خزيها	رب عظيم فلها بعقابها
عقرت ثمود ناقة محبوبة	عند الاله فصبتها بعذابها
فغوت عنيزة والصدوف ومصدع	وقدارها الغاوي لب لبابها
هلكوا جميعاً فالسباع عليهم	عصب وآمن من نباح كلابها
كان المبارك صالح يدعوهم	بطرائق يهديهم لصوابها
فقصوا وقالوا عصبة كذابة	كذبت ثمود وذاك من كذابها
لو أنهم كانوا أطاعوا صالحاً	فازوا بطاعة صالح وثوابها
بل كذبوا بالحق لما جاءهم	وصفت رؤوسهم إلى أذنانها
قد كان هود قبلهم في قومه	يدعو إلى سبل الهدى وطلابها
فقصته عاد بعد كل بصيرة	سنن الهدى تستن في أثوابها
فأصبين عاداً إذ عصته عواصف	من شمال قطعت قوى أربابها
فعلا ثمود حين لم يتفكروا	بعذاب عاد قبلها وعذابها

عصت الاله إلا وقد أودى بها غضب الاله وهدمها بنحراها

ومن شواهد أخبارهم يا أمير المؤمنين قول أمية بن أبي الصلت يذكر
ثموداً والناقة وما أصابهم وأنه لم ينج إلا الذريعة كلبة بنت سلق حين
ذهبت إلى قرح وموتها حين سقيت عند فراغها من الخبر لما رأت من
العذاب الذي نزل بهم ، فقال في ذلك أمية بن أبي الصلت :

وتمود الفتاك في الدين وفي	ناقة ربي إذ غادروها عقيرا
ناقة للاله ترتع في الأرض	وبينان ثم حوض مديرا
فأتاها أحيمر كأخ السمع	بغضب فقال كوني عقيرا
فأصاب العرقوب والساق منها	ومشت في دماها مكسورا
فرأى الصقب أمه فارقه	بعد الف خلية وظؤرا
فأتى صخرة فقام عليها	صعبة في السماء تعلو الصخورا
فرغا رغبة وكانت عليهم	دعوة الصقب صيحها تدميرا
فأصيبوا غير الذريعة فانت	من جوار لهم وكانت جزورا
سبعة أرسلت لتخبر عنهم	أهل قرح أتهم تغويرا
فسقوها بعد الحديث فمات	فانتهى ربه فواف حفيرا

ثم قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، هذا ما انتهى إلينا من حديث ثمود
وأخبارهم وأشعارهم وما قيل فيهم ، والله أعلم بالصواب .

وكذلك حدثنا الأول فالأول . قال معاوية : خليك يا عبيد أن يكون
هكذا ، فزادك الله علماً وفهماً ، وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا
نحصى أياديك ، فزادك الله فضلاً إلى فضل وهدى إلى هدى ، فقد أضاعت
نارنا ونار قومك ، ثم أطفؤها ، فزادك الله خيراً . ثم خبر ثمود والناقة

وصالح - صلى الله عليه وسلم - وبالله التوفيق .

(حدث جرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم)

قال معاوية : يا عبيد أخبرني عن شخوص جرهم من اليمن الى الحرم وكيف كان ولم فارقوا قومهم ؟ قال عبيد : كان من أمر جرهم يا أمير المؤمنين أن الله تبارك وتعالى لما أهلك عاداً وثموداً وانتشربنو قحطان في البلاد وكثر ولده. قال معاوية : وما كان لقحطان من الولد ؟ قال عبيد : كان له يعرب - وهو أول من حى بتحية الملوك أبيت اللعن (١) - وجبار ابن قحطان وانشار بن قحطان والمعمر بن قحطان والعاص بن قحطان ولاوي بن قحطان وماعز بن قحطان وغاصب بن قحطان ومسر بن قحطان وجرهم بن قحطان والمتلمس بن قحطان والقطامي بن قحطان وظالم بن قحطان والغشيم بن قحطان والمعفر بن قحطان وناقر بن قحطان . وأمهم امرأة من عاد ، وكلهم قد ملك غير ظالم فلم يملك ، وقد كان يسير بالحيوش (٢) . فولد يعرب بن قحطان يشجب ، فولد يشجب سبأ وهو عبد شمس وأدد بن يشجب - وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى السبايا من ولد قحطان - فولد سبأ بن يشجب حمير بن سبأ بن يشجب بن قحطان - وكان يقال له العرنجج - وهم أهل المدن وفيهم كانت الملوك ، وكهلان بن سبأ فملك بعد أخيه حمير حتى ألح به الهرم فرجع الملك الى ولد حمير ، غير أن المشورة كانت في ولد كهلان . فولد حمير بن سبأ الهميسع ومالكاً

(١) قد تقدم ذكر أولاد قحطان في ص السابقة مع اختلاف كثير في الأسماء فراجع - ح .

(٢) تقدم هذا البحث في ص سابقة وهناك كان في الأصل بياض فله كان محلاً لذكر أولاد قحطان كما هنا - ح .

وزيداً وعريباً ووائللاً ومعدى كرب^(١) . فولد الهميسع أيمن وغوثاً
 وزهيراً وتوفين . فولد الغوث بن الهميسع جرهم بن الغوث وثعلبان وحوس
 فولد خليجاً والهائف وسادماً والغوث وجرهمة والديال وحبال ورسال ،
 أمهم قتادة بنت طارق بن جهبذ بن زريق بن مرارة بن منقذ العادية .
 وولد كهلان زيداً ، فولد زيد مالكاً ، وولد مالك نبتاً وعريباً والخيار .
 فولد نبت بن مالك كهلان بن الغوث . وولد الغوث الأزد والقدر . وولد
 عريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . فولد عريب يشجب . وولد
 يشجب زيداً . فولد زيد ادداً ، فولد أدد مالكاً - وهو مذحج ومرة
 والأشعر . فولد مرة الحارث . وولد الحارث عدياً ونحماً وجذاماً وعاملة
 وعميراً - وهو أبو كندة - فهؤلاء ولد عدي بن الحارث بن مرة بن ادد .
 وولد الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان رئيساً ومالكاً ابني الجبار .
 فولد رئيس ربيعة . فولد ربيعة أوشلة . وولد أوشلة همدان والهان - فهؤلاء
 ولد الخيار - ومن ولد الخيار الحارث بن مرة بن ادد بن مالك . فولد
 مالك المعافر وعمرو بن مالك لكل وهم خولان بن عمرو بن مالك بن مرة
 ابن ادد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن
 يعرب بن قحطان . ثم ان جرهم بن قحطان ولد هزان وذيلاً والعاد
 ومصياراً ، وكثروا فوقعت بينهم وبين بعض بني حمير حرب ، ولم يبق
 من ولد حمير فرقة إلا أعانتهم على جرهم حسداً لفضلهم وعقولهم إلا حياً
 واحداً من بني حمير - يقال لهم بنو قبطون^(٢) بن كركر بن حيدان بن

(١) زاد في العقد - مشروحاً واوسا ومرة ودرمي وكهلان - ح .

(٢) كذا - وفي المروج - ابن قنطوز بن كركر - وفي الروض الأنف - قنطورا

ابن كركر .

قطن بن زهير بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير - وكانت حمير أكثر عدداً وعدة ، فنفوا جرهماً وبني قيطون من البلاد . فلما رأت ذلك جرهم ومن كان معها وما دخل عليهم وأنه لا طاقة لهم بحمير ساروا عن البلد وملك بنو جرهم عليهم مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جرهم بن قحطان . وملكوا بنو قبطون عليهم السيمدع بن هوثر بن مازن بن لاوي بن قبطون بن كركر بن حيدان . فساروا حتى حلوا أرض الحرم وأهلها يومئذ العماليق ، وهم نزول حوله - وكان موضع الحرم كثير الشجر ممتنعاً أن ينزل فيه لكثرة شجره . فأمروا بالشجر فقطع ، ونزلت جرهم أعلى مكة ، ونزلت بنو قبطون أسفلها في موضع قبيقان واجباد . قال معاوية : وهل كانوا يعلمون أنه حرم ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قال : يا عبيد فكيف قطعوا شجره ؟ قال عبيد : لم يرو بذلك بأساً لما أرادوا من سكناه وعمارته ، وقد قال في ذلك مضاض هذا الشعر الذي يقول فيه :

هذا سبيل كسبيل يعرب	البادي بالقول المبين المعرب ^(١)
وعاد عوص ذو القوام الأعجب	وعمي الخير ثموداً لا سكب
اني اليهم صاح في التقرب	وهم إلي الدهر في التنسب
مضوا على مهل لأمر معجب	جرهم جدي وابن عمرو الأهدب
أجلب المأمون ذو التنقب	يعرب ذو مجد وعز أغلب
بمكر مات وسنا مرتب	يا قوم سيروا غير فعل الأجنب
قد قال في ذلك خير منجب	ونوح قد قال بقول أصوب

(١) هذه القصيدة كما ترى - ح .

أنتم بنو يعرب أهل معرب وأهل عز باذخ مهذب
وجرهم في الدهر ذي الشعب قوام بيت مكرم مطنب
وزانه الله الهلي الأغلب

وقال السמידع بن هوثر القطري :

سيروا بني كركر في البلاد اني أرى الدهر إلى فساد (١)
قد سار من قحطان ذو الرشاد جرهم لما هدها الأعادي
من حمير الحساد للعباد فلم يضرني دون أهل الوادي
لكم بني عمرو على المبادي بالمقضبات الصقل الحداد
سيروا بنا الأرض بلا ارتباد سيروا وعزنا بلاد الهادي
خليل رب بادي السداد دعوا بني كركر كل عادي
إذ صرحوا المنكر بآثيادي وآثروا العبيد بالوداد
على أولي الأرحام والآيادي فان في الأرض لكل عاد
قوام عيش زائد من زاد

قال معاوية : من أول من ملك من ولد قحطان ؟ قال عبيد : كان أول
من ملك منهم سبأ بن يشجب بن يعرب واسمه عبد شمس - فهو أول من
سبي السبايا - ثم ملك من بعده حمير ، وذلك قبل عاد بزمان. قال معاوية :
وأنى ذلك وحمير أحدث بدهر طويل ؟ قال عبيد : كلا يا أمير المؤمنين .
ان عاداً قد ذكرت حمير في أشعارها . قال معاوية : وكيف قالوا ؟ قال
عبيد : إن عاداً لما بعث وفدها إلى الحرم وأبطأ الوفد عليها كالذي حدثتك
يا أمير المؤمنين ، فرأى جنادة بن الأصم رؤيا - وكان مسلماً مع هود النبي

(١) تقدمت في صفحة سابقة من التيجان - ح .

صلى الله عليه وسلم - أن الوفد قد هلكوا . فقال رجل من المشركين يقال له الخلجان بن الوهم في قوله هذا الشعر الذي يقول فيه :

أفي كل عام بدعة تحدثونها ورأي على غير الطريقة تعبروا
فان لعاد سنة في حفاظها سنحيي عليها ما حيننا ونقبر^(١)
وللموت خير من طريق تسبنا به جرهم والعاد منها وحمير

قال معاوية : صدقت يا عبيد وأتيت بالبرهان ، فخذ في حديثك الأول : قال : فلم تزل حمير كذلك لا يعدون اليمن حتى صار الملك إلى الحارث بن ذي شدد ابن عمرو بن الملقاط بن عمرو بن قطن بن زهير بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ - فكان الحارث أول من غزا وأصاب الأموال وأدخل اليمن الغنائم ، ثم خيرها فسمي بعد ذلك الرائيش - قال عبيد : يا أمير المؤمنين هو الذي قال فيه لقمان الأكبر - لقمان صاحب النور - ما قال - وقد حدثتك حديثه في قوله (انهض لبد أنت الأبد نهض الملك المجرد الحارث بن ذي شدد) .

قال معاوية : صدقت يا عبيد وجئت بالبرهان ، فخذ في حديثك عن ملوك حمير . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أنه لما كان يوتى للحارث وهو الرائيش في بلاده من قبل السند والهند في السفينة من المسك والعنبر وغير ذلك من الأعاجيب من ياقوتها وغيره فتطلعت نفسه إلى غزوها فعبى الجنود وأظهر أنه يريد أرض المغرب بجرأ ، وأعد السفن حتى إذا رأى أنه قد استمكن قدم رجلاً من أهل بيته - يقال له يعفر بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو ابن شرحبيل بن عمرو باثني عشر ألفاً ، وسار على أثره حتى دخلوا أرض

(١) تقدم فراجع - ح .

الهند ، فقتل المقاتلة وسبي الذرية وغنم الأموال ، ثم رحل قافلاً إلى اليمن وخلف يعفر في اثني عشر ألفاً وأمره ببناء مدينة هناك ، ففعل وأقام سنة . قال معاوية : وأي مدينة هي ؟ قال عبيد : لا أدري ما اسمها إلا أن ملوكهم بها اليوم واسمها على اسم الرائي . قال معاوية : كيف ذلك ؟ قال عبيد : قال في ذلك رجل من حمير يقال له يونس^(١) بن سعد بن عمرو بن زيد ابن علاف بن ذي أنس بن يقدم بن الصوار شعراً يقول في ذلك :

من ذا من الناس له ما لنا	من عرب الناس ومن أعجم
سار بنا الرائي في جحفل	مثل مفيض السيل كالأنجم
يوم أرض الهند غازلها	يحوي بها الانجوج كالضيفم
ونستي كل فتاة بها	ريانة الحدين والمعصم
ان ولي الملك من بعده	سليل ذا الملك إذا ينتمي
أعني به يعفر إذ جاءها	يا حبذا ذلك من مقدم
في بحرها المسجود يطوى له	يوم يسير الملك المعلم
فصبح الهند بها وقعة	هدت ملوك الهند بالصيلم
وأقبل الرائي في ملكه	وآب بالخيرات والأنعم

قال معاوية : فما صنع بعد ذلك ؟ قال : أقام يا أمير المؤمنين دهرأ أعلى ذلك حتى أتته هدية من قبل أرض بابل .

قال معاوية : وممن كانت الهدية لله درك يا عبيد ؟ قال : من ملكها . قال : ولم ذلك وهم في عز ومنعة بأرض بابل ؟ قال عبيد : إن الملوك يهادي بعضها بعضاً . قال : مخافة أن يغزوه ؟ قال : أظن ذلك ، والذي كان

(١) تقدم في ص ٨٩ نوفل - وهناك ترى القصيدة مع اختلاف كثير في الألفاظ - ح .

منه في أرض الهند . قال معاوية : ومن أهل بابل يومئذ ؟ قال : بقية من ولد حمير بن يعرب . قال معاوية : خذ في حديثك وأعلمني ما كانت الهدية ؟ قال : بزات بيضاء وسروجاً كرمانية وديباجاً فاخراً وآنية من متاع الملوك من عمل أهل تلك البلاد . فلما رآها الرائي قال للرسول : أكل ما أرى في بلادكم ؟ قال : بعضه أيها الملك وبعضه من بلاد الترك ، وهم من أمرائنا من حالهم كيت . فحلف ليغزون تلك البلاد التي خرج منها ما رأى فاستخلف يعفر بن عمرو ، وسار هو بنفسه في مائة ألف وبعث الرجال في ابتغاء الطريق ، فلم يجد طريقاً خيراً له فيما يذكر من طريق واحدة على جبل طيء حتى خرج ما بين العراق والجزيرة ، وقد سألت يا أمير المؤمنين عن ذلك فبلغني أنه خرج على الأنبار من أرض العراق . قال معاوية : أو قد كانت أحدثت مدينتها يومئذ ؟ فقال عبيد : بل قبل ذلك بدهر طويل ، ثم سار حتى نزل الجبل من أرض الموصل ، وبعث شمر بن القطاف بن المنتاب بن عمرو بن زيد بن عملاق بن عمرو بن ذي أنس في مائة ألف حتى دخل عليهم آذربيجان فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، ثم أقبل فكتب في حجرين أمر مسيره ، فهما اليوم على جدار آذربيجان . قال معاوية : وما بال آذربيجان لله أنت ؟ قال : له أنها كانت من أرض الترك واجتمعوا له . قال : فأين كان ملك بابل عنه ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين إنها كانت لأهل اليمن عدة ولحمير بسطة وقوة والله اني لاستحيي من ذكرها وكانت تنزع الأولاد إلى اليمن والأوطان ، وكانوا يلجون في السير في البلاد وان أهدى لبعضهم ملك من الملوك قبل وطاف إلى غيره . قال معاوية : صدقت فهل بلغك ما في الحجرين بأرض آذربيجان ؟ قال : ذكر مسيره في شعره . قال معاوية : فما قال ؟ قال : قوله :

بني قحطان فانتجعوا وسيروا وخطوا البيت في البلد الحرام

قال عبيد: يا أمير المؤمنين ذلك من قول الحارث الرائي. قال معاوية :
وكيف قال ؟ قال : انه لما سار إلى الترك - وهو الحارث بن ذي شدد - قال
هذا الشعر الذي يقول فيه :

أنا الملك المقدم حين أمضي	جلبت الخيل من يمن الحمام ^(١)
لا غزوا عبداً جهلوا مكاني	بأرض الشرق من ديم الغمام
فاحكم في بلادهم بحكم	سواء لا يجاور في غلام
بنو قحطان فانتجعوا وسيروا	وخطوا البيت في البلد الحرام
بأذن الله خط وهو كتيب	توارثه الهمام عن الهمام
دعوا أحرامه لبني أبيكم	وكونوا مثل يقطان وسام
وكونوا مثل ملطاط بن عمرو	وذي الأنس الأضافد ذي السنام
فتلك ملوك أخيار تواوا	وينحف بعدهم شبل الكرام
فشرف منزلي وعلا مكاني	وملكي فوق أملاك الأزام
فان أهلك ولم أرجع إليكم	فقد هلك الملوك من آل لام
ويملك بعدنا منا ملوك	أولوا عز كعالية الغمام
وينحف بعدهم منا ملوك	يرومون العناد لكل رام
فينتشر الاساود ثم عشرا	عقاب الله في القوم الاثام
ويملك بعدهم رجل عظيم	بني لا يرخص في الحرام
يسمى أحمدأ يا ليت اني	أؤخر بعد مبعثه بعام
ويملك بعدهم منا ملوك	ضعيف أمرهم نكل المرام

(١) كذا - فتأملها جميعاً - ح .

ويملك بعده خف نزور
وتظهر راية المنصور فيهم
فينشر منطوى ملك طوته
فتنبعث الحقوق كما أميتت
ويملك بعده رجل ضعيف
وهو الذي يقول يا أمير المؤمنين :

ان المكارم والعلياء خص بها
أعني به وائلاً والغوث والده
واذكر به سيد الاملاك ذا أنس
واذكر عريار تاج الأرض ان نسخت
وخص مني زهيراً وابنه قطنا
وايمن النازح المشهور رأيت
ابن الهميسع في عز ومأثرة
ذاكم باني سألت الناس كلهم
لو كان ذا الدهر يبقى آل مكرمة
وحمير وسبأ فاذكر فعالهما
وجرهم هو جدي في أرومته
تلك المكارم ان عدت مكارمنا
فسائلوا الناس هل مثل يشاكلهم

خير البرية ملطاط بن حيدان
وعبد شمس آتانا خير انسان
وابن القماقم عمرو الاصيدالثاني
معاقل الناس من أولاد قحطان
عند الحروب إذا كر الفريقان
بني لنا المجد من ذا مثله باني
اني لذكراه ذو بث وأحزان
من مثلنا في دهور الأنس والجان
لخص منا به ذاك الكريمان
لكن ذا الدهر يفنى والجديدان
وعم خالي نبت وابن هزان
هذا لعمر ك مجد ليس بالفاني
أو كان مثلي بهذا أمر لقمان

قال معاوية : يا عبيد هل أحد من العرب ذكر الرائي في شعره ؟
قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال فيه امرؤ القيس بن حجر بن عمرو
الكندي :

تقول بنية الكندي لما
أرى الملك الذي قد كان فينا
ويعطي القينة الحسناء ويروى
ويصبح في البطالة مستطيراً
يبدل بعد جدته شحوباً
فقلت لها وقول الحق مما
ألا اعتري فان الدهر غـول
أزال من المصانع ذا ريش
وذو القرنين قد ملك المعالي
وانشب في المخالب ذا مقار
وافرد ذا مقار وكان قدما
وفجع كندة الأخيار طرا
فبينما المرء في الاحياء حي
وازد شنوءة الأبطال أرخوا لنا
فان يك دار أهل الازد زالت
فان تهلك شنوءة في مسيري
بعزمهم عززت وان يذلوا
جزى الله السموأل يوم تيما
وأصحاب العهود بني غنى

عرفت بها الهوى واللهم نالا
يفيد رغائباً ويفيد مالا
نداماه ويصطنع الثقالا
تخال به إذا وافى هلالا
وأصبح شاؤه خلقاً مدالا
يميل لو عدلت به الجبالا
خوون العهد يلتهم الرجالا
وقد ملك السهولة والقلالا
وللرياش قد نصب الجبالا^(١)
فارداه وسقاه الجبالا
يبالي في سرادقه الشمالا
بعمرو واصطفى حجراً فزالا
رماه الدهر عن جنب فمالا
في العيش أهون اختيالا
فكل الناس ينتظر الزوالا
فان هناك في غسان خالا
فذلهم أبا لك قد انالا
ومن شهد الوثيقة والمقالا
وعمرو الخير من يجري النوالا

قال معاوية : يا عبيد، ما كنا نظن هذا الشعر الا لذي نواس ! قال : يا
أمير المؤمنين قرب هذا وبعد الآخر ، وكان اسم هذا أهون على الرواة .
فأما القول : فوالذي بعث محمداً ، لقد رويت هذا الشعر وان ذا نواس لغلام

(١) كذا - فتدبر القصيدة اجمع - ح .

وان الملك على حمير باليمن لحنيفة ذو شناتر قبل ذي نواس بدهر طويل فقتله ذو نواس . قال معاوية : صدقت ، فكم ملك الراثش ؟ قال : ملك مائتي سنة وخمساً وعشرين سنة . فقال : فمن ملك بعده ؟ قال : ابنه أبرهة بن الراثش — وكان يدعى ذا المنار — وكان من أجمل أهل زمانه — فيما يذكر — فعشقه امرأة من الجن — يقال لها العيوف — ويروى أنها الهيوف بنت الرابع فتزوجها ، فولدت له العبد بن أبرهة ، فسار أبرهة غازياً نحو المغرب ومعه ابنه العبد فسيره على مقدمته واستخلف على اليمن ابنه أفريقيس ابن أبرهة . فسار أبرهة حتى أوغل في أرض السودان براً وبحراً وأمعن فيها . ثم بدا له المقام فأقام وسرح ابنه العبد بن أبرهة في غربي الأرض في عسكر ، انتهى إلى بلاد قوم وجوههم في صدورهم . إذا كان النهار وحرّت الشمس استخفوا في الماء ، فوضع فيهم السيف حتى أفناهم ورجع إلى أبيه يسبي كثير وأصاب من الأموال شيئاً عجيباً وأخذ منهم قوماً فلما قدم بهم إلى أبيه ذعر الناس منهم فسمي ذا الاذعار قال : وانما سمي العبد بن أبرهة ذا الاذعار لذلك .

قال : نعم . قال معاوية : فاخبرني لم سمي أبرهة ذا المنار ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، أنه لما رجع أبرهة من غزوته تلك أمر بمنارة فبنيت وشبت فيها النيران ليتهدى بها جيوشه ، وكان ذلك المنار يا أمير المؤمنين أول منار وضعت الملوكة — فسمي لذلك ذا المنار — قال : ثم رجع إلى اليمن فلم يغز حتى مات . قال معاوية : فهل قيل في ذلك وفي ذي المنار شعر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قد قال فيه رجل من حمير من أهل بيته ومن خاصته — يقال له المحموم ^(١) بن مالك بن يزيد بن غالب بن المنتاب بن

(١) ما تقدم في ص ١٣٨ - ١٣٩ من نسبه بخالف بعض ما هنا - ح* .

بن عمرو بن يزيد بن عملاق بن عمرو بن ذي نواس بن يقدم بن الصوآر
هذا الشعر الذي يقول فيه :

ولقد بلغت من البلاد مبالغا يا ذا المنار فما يرام لحاقتك
قدت الجنود فأمعنت في برها وحملت منها في السفين كذا لك
حتى وطى الجمعان حيث تبوأت أولاد حام ثم جئت بلادكا
أوغلت عبداً فاستقر به النوى حيث العجيب بغير خلق جالك
فاتاك بالنسناس خلق وجوههم في الصدر منهم قابض لقناتكا
أنت القهور فما ترام إلى البلا نعم الخليفة في مدى أفعالكا
من ذا سيأتي من فعالك خطة هيهات ذلك جانح لسنائكا
خضع الملوك لما رأوا من كيده كرمأ لحمير أن علت بعلائكا

قال معاوية : كم ملك ذو المنار ؟ قال : ملك مائة سنة وثمانين سنة .

قال معاوية : استقر الأول ، فالأول حتى سألك عما أريد ؟ قال عبيد :

نعم يا أمير المؤمنين . قال معاوية : فمن ملك بعد ذي المنار ؟ قال :

ملك بعده أفريقيس بن أبرهة فغزا نحو المغرب عن يمين مسير أبيه في أرض
البربر حتى انتهى إلى طليحة الملك فرأى بلاداً كثيرة الخير قليلة الأهل ، فنقل
البربر من بلادهم فلسطين إلى مصر إلى الساحل . قال معاوية : فإنه يقال
أنهم قوم من قيس بن عيلان فهل علمت ذلك ؟ قال عبيد : أما هذا فلا
علم لي به ولكني أخبرك أن البربر قوم من ولد كنعان بن حام بن نوح
وهم بقية من قتل يوشع بن نون قال معاوية : ولم قتلهم يوشع بن نون
لله أنت ؟ قال : إن يوشع بن نون كان عبداً صالحاً مؤمناً مأموراً ، فسار إليهم
داعياً إلى الله ، فتركوا الحق وكرهوا الإسلام وأحبوا المقام على الكفر
فقاتلهم فظفر بهم فقتلهم إلا بقايا منهم كانوا على السواحل ومن هرب

منهم فرجعوا بعد ذلك فقتلهم افريقيس في غزوه الى ارض البربر فهم بها
الى اليوم . قال معاوية : فكيف تقول قيس انهم من ولد بربر الا من قبل
شعر قاله افريقيس، وما ذلك ؟ قال : قال افريقيس يا امير المؤمنين هذا
الشعر حيث يقول :

بربرت كنعان لما سقتها	من بلاد الملك للعيش العجب
قد رات كنعان فيها وهنة	من بني يعقوب يوسف ذي النهب
ورأت قيس لعمرى دارها	ترتقي عيشاً لنا لا يرب (١)
ثم امسوا غير ممسى من مضى	بين ميت وطريد ذي تعب
فاشكري ضبعان شكراً صادقاً	واحذري منى انتقاماً ذا حرب

قال معاوية : خذ في حديثك الأول . قال : فلما بلغ افريقيس حيث
بلغ ، امر ببناء مدينة بتلك الأرض من افريقية ، فبنيت مدينتها - وانما
سميت باسم افريقيس - وكذلك تسميها بربر اليوم ، فأما العرب فتقول
افريقية ان هذا لشبيه .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين قال
السميدع بن عمرو بن عملاق بن مالك بن عمرو بن عملاق بن هزان بن
المنتاب بن عمرو بن غالب بن المنتاب شعراً . قال معاوية : وما هو
يا عبيد ؟ قال : يا امير المؤمنين هذا الشعر وهو :

سرنا الى المغرب في جحفل	فيه لعمرى كل شاب همام
بأمر افريقيس لا ينشني	بكل صهال وعضب مـسام
حتى اتينا ارض بطحائها	من دون بحر غير سهل المرام
نخوض بالفرسان في ماقط	يكثر فيه ضرب ايد وهام

بأمر ماضى الهم ذي حنكة تقهر من شتنا بجيش لهام
نقتل منهم شيخ املاكهم اروع قرم غير وغد كهام
يسكن البربر في قصفص^(١) كتائب سارت كمثل الغمام
ثم ابنتى البنيان في جوفها بغير ما كره لدهر الدوام

قال معاوية : فكم ملك لله ابوك يا عبيد ؟ قال : ملك افريقيس مائة
سنة واربعاً وستين سنة . قال معاوية : فمن ملك بعده يا عبيد ؟ قال : ملك
اخوه العبد بن ابرهة ذو الازعار ، فسقط شقه من الفالج ، فلم يغز بنفسه
وكان يوجه في الغزو سنة ويمكث ثلاث سنين - وكان مهيباً قال : لله
درك يا عبيد ، ما سمعت برجل من اهل اليمن هم له اكثر ذكراً وبمسيره
واثخانته في الأرض اكثر تعجباً منهم له ؟ قال عبيد : ذلك من لا علم له
امير المؤمنين وما كان ذكرهم لذي الازعار ، الا لما كان اصاب من السبايا
مع ابيه وهدية بلغ بها إلى ابيه فيما بلغنا والله اعلم . قال : فهل قيل في ذي
الازعار شعر سمي فيه ذي الازعار ؟ قال عبيد : نعم ، انه لما مات رثاه
رجل من اهل بيته - يقال له المعترف^(١) بن وائل بن يعفر بن عمرو - قال
عبيد : قال المعترف بن وائل يرثي ذا الازعار حيث قال :

عجبت للدهر وبلوائه وصرف ايام له فانيسه
بيننا يردينا اباس الهوى إذ مال لا يبقى على باقيه
لو كان هذا الدهر اذهرنا له ود من الأرباب والحاشية^(٢)
عمرو ذو الازعار في ملكه لكنما الدنيا هي الفانية

(١) كذا - ولم نثر عليه - ح .

(٢) تقدم - المضرب - صفحة سابقة

(٣) كذا وقد تقدمت الأبيات - صفحة سابقة - وفيها تصحيف كثير فراجمها - ح .

وملك جبارهم اصله لم يكن الباقي لدى الداهية
فاكثري التعويل يا حمير على ملك كان بالعالية
من مجد آباء له ما لهم قد قهروا ملك ذوي العاتية

قال معاوية : يا عبيد كم ملك ومن ملك بعده ؟ قال : ملك خمساً
وعشرين سنة . ثم ملك بعده عامر ذو براش . قال معاوية : ما سمعت بدئي
براش ؟ قال : بلى يا امير المؤمنين كان ملكاً من ملوك حمير ، وقد قال
فيه الأفتس بن عفيف - وهو رجل من اليمن - شعراً . قال معاوية :
وكيف ؟ قال عبيد : قال هذا الشعر يا امير المؤمنين حيث يقول :

قد علا الناس بالفضائل والمجد اخو الملك عامر ذو براش
قاد خيلاً يريد ارض قباذ غار فيها بمصلتين كماش
ازهر يقهر الملوك بملك عالي الذكر قاهر غير خاشي
للمنايا اذا تضرمت الحرب بنيرانها الفضاخ الغواشي
فهو ليث لها يقود ليوثاً ليس يثنون عن لقاء الكباش
وهو ليث الحروب في كل حرب ذو براش فنعم ليث الهراش
ملك يبرم الأمور بحزم غير زميلة ولأمر عاش
فل ساسان عنوة وزبرجا^(١) إذ غزاهم بحفل الجياش
بجيوش كأن لمع سناها شهب الليل في الدواجي الفطاش
من سيوف مهندات صقال مرهفات يردن في الامشاش
جاء بالفيء من سر نديب والايـلة حتى اتى بأرض حفاش
من لبيض الحدود في الغرف الشم وفي حسن لذة ومعاش
ذاك قيل مملك حميري ثار في الملك في اكتهاش وناش
غير رعيدة إذا حمى الحر ب ولا يبهومة ولا طياش

(١) كذا ولم تجده - ح .

قال معاوية : لله ابوك يا عبيد ما كنت اظن هذا هكذا وما كنت اظنه
إلا ذا نواس ! قال : بلى يا امير المؤمنين . قال معاوية : فكم ملك ومن
ملك بعده ؟ قال عبيد : ملك تسعاً وستين سنة ، ثم ملك من بعده الهدهاد بن
شرحبيل - وهو ذو يشرح - فكان قد تزوج امرأة من الجن - يقال لها
رواحه (١) بنت السكن - فولدت له بلقيس - وكانت اعقل امرأة سمع
بها في ذلك الزمان وافضل رأياً وعقلاً وتديراً وعلماً ، وكانت ذات مشورة
على ابيها ، حتى عرف ذلك جميع حمير وغيرها منها - فلما حضرته الوفاة
بعث إلى رؤساء قومه واهل الرأي والنبل منهم وامراء خيارهم ، فذكر لهم
انه استخلف عليهم بلقيس . فقال رجل منهم : ابيت اللعن ايها الملك تدع
اهل بيتك وأفاضل قومك وتستخلف علينا امرأة - وان كانت في المكان
الذي هي منك ومنا - قال : يا معاشر حمير قد رأيت الرجال وعرفت اهل
الفضل وخبرت ذوي الرأي من المعاصر وشهدت ملوها الماضين ومن
أدركت منها فلا والذي أحلف به ما رأيت مثل بلقيس قط علماً ورأياً
وحكماً ، مع أن أمها من الجن وأنا أرجو أن تظهر لكم من أمور الجن ما
تنتفعون به باعانتكم ما كانت الدنيا - لأن أمها من الجن - فاقبلوا نصيحتي
فيها فاني مع اختياري إياها مؤدية إلى غيرها من اهل بيتها ، واني قد كنت
سميت الملك لابن خالي هذا الغلام - وهو غلام له عقل ورأي وهو أولى
بالأمر ، فإذا بلغ ولي الأمر إما في حياتها وإما بعد موتها - قال : ومن هو ؟
قال (٢) : ناشر بن عمرو بن يعفر بن عمرو . قالوا : سمعنا وأطعنا وأنت
أيها الملك أنظر لنا وأبصر بنا . فوليت بلقيس أمورهم بعد أبيها الهدهاد بن
شرحبيل ملك حمير .

(١) مضي صفحة سابقة عن تفسير الآلومي - ريحانة - ح .

(٢) تقدم صفحة سابقة ما لك بن عمرو بن يعفر بن حمير - فتأمله - ح .

قال معاوية : فاخبرني كم ملك الهدهاد بن شرحبيل ؟ قال : ملك مائة سنة . قال معاوية : يا عبيد هل كانت بلقيس تريد الرجال ؟ قال عبيد : ما تزوجت قط ، ولا نكحها سليمان عليه السلام ، الا وهي بكر . قال : فمن كان خدماها ؟ قال عبيد : الرجال . قال : فمن كان يخدمها ؟ قال : النساء . قال معاوية : اماء هن أم حرائر ؟ قال : بل بنات اشراف حمير . قال : وكان معها فيما بلغني ثلاثمائة وستون جارية ، وكانت تحبس الجارية ، حتى إذا بلغت حدثتها حديث الرجال ، فإن تغير لونها ونكست رأسها وبدا لها أنها قد أبصرت أمر الرجال ، سرحتها إلى أهلها فزوجوها بعض اشراف قومها ، وإذا رأتها مستمعة لقولها معظمة لأمرها غير متغيرة اللون ولا مستحبة من الحديث عرفت أنها لا تريد فراقها وان الرجال ليسوا ببالها .

قال معاوية : ان النساء في ذلك أطوار تكون على الوصف الاول وانها لبعيدة عن الرجال وتكون على الصفة وهي تحتال على ذلك بالخداع والمكر قال عبيد : يا أمير المؤمنين أنه كان عندها بالأمور علم وكان هذا منها رأياً . قال معاوية : يا عبيد انك لتحدثني عن امرأة أظنها نواراً من النساء ! قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، ومن أين يكون ذلك ؟ وقد قالت لنبي الله سليمان بن داود ما قالت رغبة فيه وحرصاً على أن تكون زوجة له - ولو كانت نواراً لم تقل ذلك - ولكنها كانت من النساء مكرمة لنفسها ضابطة لرأيها وأمرها غير نزوع إلى المساوىء ولا غافلة عن المكارم . قال معاوية : فما كان قولها لسليمان بن داود ؟ قال عبيد : يأتي عليك الحديث يا أمير المؤمنين . قال : افعل ، فوالله انك لتحدث لعجباً ؟ فكم ملكت حتى جاءها سليمان بن داود .

قال بلغني يا أمير المؤمنين أنها ملكت تسعين ^(١) سنة ، فلما أراد الله اكرامها بسليمان ، خرج مخرجاً لا يدري إليها قصد أم إلى غيرها أم مر على بلادها وهو يريد غيرها ، وكان إذا ركب من منزله مرعاً أته ^(٢) فقال : نصف النهار بأصطخر من أرض فارس ، ثم يتروح فيبيت بكابل فغدوه ورواحه مثل ذلك المسير إلى كل وجه يأخذ إليه . وقول الله أصدق القائلين (غلواها شهر ورواحها شهر) . قال معاوية : صدقت ، فهل قرأت القرآن ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما حفظته إلا في شهر واحد . قال معاوية : لله أنت يا أخا جرهم ، فحدثني عن سليمان وبلقيس . قال : لما أراد الخروج على الريح ، فوضع سريره عليها وكرسيه وكراسي جلسائه ، ثم جلس عليه وأجلس الأنس عن يمينه وشماله ومجالسهم من كرامتهم وأجلس الجن من ورائهم على مثل ذلك منهم قائم ومنهم جالس ، ثم قال للريح : أقلينا ، وللطير أظلينا ، فأقلتهم الريح وأظلتهم الطير من الشمس والخيول موقوفة والطباخون في توابيتهم جلوس في أعمالهم ، فلما استقروا عليها أمرها سليمان بالمسير ، فسارت لا تزيل أحداً منهم عن مجلسه ولا تقصد عليه عملاً في يده ولا صانعاً بصناعته ولا طابحاً ولا خبازاً ولا دابة من مربوطها ولا أحداً ممن حملته عليها حتى يأذن لها في وضعهم على الأرض فإذا أذن لها بذلك فعلت ذلك في الحال من سكونهم بقدرة الله عز وجل . ثم ان سليمان سار في أرض العرب ، فمر بموضع المدينة ، فأمر الرياح فوقف ثم أعلم أصحابه ان هذا المكان مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان من العرب اسمه أحمد وهو خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ثم سار إلى

(١) وقد تقدم في صفحة سابقة ان ملكها قبل سليمان سبع سنين - ح .

(٢) كذا - ولعله من تدمر - كما مضى في التيجان - ح .

مكة فأمر الرياح فوقفت ثم قال : هذا بيت الله الذي ابتناه أبي إبراهيم صلوات الله عليه وهو أول بيت وضع في الأرض، أمر الله به أبي آدم عليه السلام فبناه ، ثم نزل سليمان فصلى فيه، ثم سار .

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد فمن كان أهل الحرم يومئذ ؟ قال عبيد : نحن يا أمير المؤمنين وسلفنا على الحق يومئذ . قال معاوية : فمن كان يلي البيت يوم مر به سليمان بن داود ؟ قال (١) : البشر بن عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو .

قال معاوية : خذ في حديثك . قال عبيد : ثم سار سليمان إلى أرض اليمن ، حتى إذا كان على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة ملك اليمن أراد سليمان النزول - وكان لا ينزل إلا على ماء - وكان الهدهد الذي يدلّه على الماء فافتقد سليمان الهدهد حين دخلت عليه الشمس من موضعه - وكان مثل البطة - وذلك قول الله تبارك وتعالى (وتفقّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) إلى آخر الآية . قال : وما يعني بالعذاب يا عبيد ؟ وإنما هو طائر . قال عبيد : يا أمير المؤمنين سمعت ابن عمك عبدالله بن عباس يقول : انه التفت حتى لا يطير مع الطير . قال معاوية : فهل تعرف يا عبيد قوله (أو ليأتني بسلطان مبین) ما هو ؟ قال : العنبر المبین . قال : فمن أين علمت ذلك ؟ قال : من قبل ابن عباس . قال معاوية : فما صنع الهدهد ؟ قال عبيد : كان الهدهد قد تقدم فلقي هدهد أرض سبأ ، فقال لهدهد سليمان : أخبرني ما هذا الذي أرى ما رأيت ملكاً أعجب من هذا راكباً على الريح ومعه الجنود ما لم أره ولم أسمع بمثله ! قال له هدهد

(١) كذا ، وقد تقدم في صفحة سابقة خلاف ذلك في النسب - ح .

سليمان : هذا سليمان - نبي الله - فمن أين أنت ؟ قال : من أرض سبأ .
قال : فمن ملككم ؟ قال : ملكنا امرأة لم ير الناس مثلها في فضلها وملكها
وحسن رأيها وتديرها وكثرة جنودها مع الخير الذي قد أعطيت في بلادها
وأما من الجن مع هذا وهي امرأة من ولد حمير . قال هدهد سليمان :
انطلق بي حتى أنظر إليها ، فانطلق به حتى رآها وجنودها وما أعطيت في
بلادها . ثم رجع إلى سليمان صلى الله عليه وسلم بعد أن مكث غير بعيد كما
قال الله عز وجل ، قال الهدهد : يا نبي الله (اني أحطت بما لم تحط به
وجئتك من سبأ بنبا يقين ، أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء
ولها عرش عظيم وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم
الشیطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتمون . قال سليمان : سننظر
أصدمت أم كنت من الكاذبين ، إذهب بكتابي هذا فאלقه إلیهم ، ثم تول
عنهم فانظر ماذا يرجعون . قال معاوية : لم تقرأ القرآن لهذا الحديث ، ألا
تأتي بالحديث الذي بلغك ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين القرآن أصدق من
الحديث ، ولو لم يكن هذا في كتاب الله لكان الحديث عندي ثقة .
قال معاوية : صدقت . قال عبيد : فكتب سليمان كتاباً ودفعه إلى الهدهد
فأخذه بمنقاره - فيما بلغنا - فانطلق به حتى آتاها وصار بحذاء رأسها وهي
على سرير مملكتها تنظر إلى طائر من فوقها فألقى الكتاب في حجرها ،
فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى إليها بكتاب ، فخاضوا الناس في
ذلك وقالوا : رمى إليها الكتاب من السماء تعظيماً لقدرها ، فبلغها ذلك
فبعثت إلى مقاول حمير - وكانت أول من وضع المقاول تستشيرهم وتأخذ
من رأيهم - فقالت لهم : ما ذكر الله في كتابه (يا أيها الملأ إني ألقي إليّ
كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وآتوني
مسلمين) ؟ قال معاوية : يا عبيد فآخبرني عن الكتاب الذي أمر به ما كان

فيه فيما بلغك ؟ قال عبيد : قد قلت لك يا أمير المؤمنين أني لا أنطق بشيء
ليس بيانه في القرآن ، وقول الله أصدق فكان من جوابهم لها أن قالوا :
(نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر إليك ، فانظري ماذا تأمرين ؟
قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك
يفعلون) . ثم قالت : (واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون)
قال عبيد : فبعثت يا أمير المؤمنين وفداً أربعين رجلاً من رجالها وبعثت
معهم بمائة وصيف ومائة وصيفة ولدوا في شهر واحد لهم ذوائب وقصاص
والزري واحد وختمت على سراويلهم وبعثت بمائة فرس نتجت في يوم
واحد ألوانها واحدة ، وبعثت بحق رصاص فيه من الجواهر والزمرد والياقوت
الأحمر والأصفر والأبيض والأسود ، ملحم لا يوصل إليه إلا أن ينكسر
وبعثت بخرزة غير مثقوبة ، وكتبت إليه أن اثقب هذه الخرزة بغير حديد ولا
علاج أنس ولا جان ، وبعثت إليه بخرزة مثقوبة ثقبا ملوياً وسألته أن يدخل
فيه خيطاً وقالت للوفد : ان قبل الهدية فهو ملك من الملوك فهو أهون علينا
محاربته ، وإن ردها ولم يقبلها فالرجل نبي . وقد كتبت إليه كتاباً ، فادفعوه
إليه واسألوه عما في الحق ، وأن يفصل بين الذكر والأنثى من الوصائف
والوصفاء وأن يميز الخيل وأيها نتج قبل صاحبه وعن الولاء وعن قرابة ما
بين ذلك . فلما قدم الوفد إلى سليمان قرأ كتابها وما سألت عنه من علم
وخبر . فدعا الجن والأنس ، ودعا بالوفد فقرأ الكتاب وقال لعلمائه :
من يميز الغلمان من الجواري ولا يترع ثيابهم ؟ فاعلموه أنه لا علم لهم به
واشتد إعجابه بما جاءه من قبلها وشق عليه بعض ما سألته عنه ، فمكث أياماً
يقلب الأمر ظهراً لبطن حتى علمه الله إياه وأطلعه عليه من حكمته . فدعا
بالغلمان والجواري فأمر بطشت فملئ ماء ودعاهم واحداً بعد واحد وقال :
اغسلوا أيديكم ! فكان الغلمان إذا غسلوا أيديهم حلبوا الماء حدرأ ،

والجوارى يصيبن الماء صباً فميزهم على ذلك. ودعا بالخليل ، فقال : نتجن في يوم واحد ، وقال : هذا خال هذا وهذا عم هذا ، وهذا ابن عم هذا وهذا ابن أخ هذا ، حتى فرغ منهم والوفد ينظرون إليه في كتابهم والنقش بعلامتهم . ثم دعا بالخرزة التي لم تثقب فوضعها بين يديه ثم قال لمن حضر : من يثقبها ؟ فتكلمت دودة بين يديه فقالت : يا نبي الله أنا أثقبها على أن تجعل رزقي في الخشب . قال : نعم . فلزمت الخرزة الدودة تثقبها حتى خرجت من الجانب الآخر في ثلاثة أيام . ثم انطلقت لرزقها . ثم دعا بالحق فحركه ، ثم قال : فيه جوهر عدة الجواهر كذا وكذا والزمرد كذا وكذا والياقوت الأحمر كذا وكذا والياقوت الأصفر كذا وكذا والأبيض كذا وكذا ، حتى فرغ من جميع ذلك والوفد ينظرون . ثم دعا بالخرزة الملوي تثقبها ، وقال لمن بحضرته : أيكم يأخذ هذه الخرزة الملوي تثقبها فيدخل فيها خيطاً ؟ فأجابته دودة تكون في القصقصصة ^(١) وقالت : أنا أدخله فيها على أن تجعل رزقي في الخشب . قال سليمان : ذلك لك . فأخذت خيطاً فاتقته في رأسها ودخلت في الخرزة من تثقبها حتى خرجت من الجانب الآخر ، ثم انطلقت إلى رزقها وهو في الخشب . ثم ان سليمان رد جميع ما أمرت به إليه وقال - وقد ذكر الله ذلك في كتابه (أتمدوني بمال فما آتاني الله

خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ، ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) - ثم قال سليمان حين ولى الوفد إليها : (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) يقول : قبل أن تحرم علي أموالهم (قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا) واني عليه لقوي أمين) . قال : وكان سليمان إذا أصبح جلس بجلساته مجلساً يقضي فيه بين الناس ويأمرهم بأمره ، فلا يزال فيه

(١) كذا - ولعله الصفصاف - ح .

حتى يؤذيه حر الشمس فعنى ذلك المقام . قال سليمان : أريد أعجل من هذا ؛ قال رجل من الأنس - يقال له آصف بن برخيا فيما يذكر قد تعلم اسم الله الأكبر - قال معاوية : هبلك الهول يا عبيد أوكان آصف يعلم ما تقول والسحر يوم نسبته إلى علمه - وهو الذي كان وضعه ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين كان آصف فيما بلغنا كاتب سليمان بن داود وكان من أعلم الناس وأكابرهم عنده وأشدّهم إيماناً به ، وكان سليمان لا يحجبه عنه إذا كان عند نسائه . فلما فتن سليمان أنكر آصف أعمال ذلك الشيطان الذي فتن سليمان - وهو الذي دخل على نسائه يسألهن عن سليمان ، فأخبرنه أن سليمان كان لم يأتين ولم يقربهن عند المحيض ^(١) فإذا قلن له : انا لا نصلي رجع عنهن بعد حرص منه عليهن ، فإذا طهرن لم يأتين ولم يقربهن ولم يرينه - وقال آصف - وقد انكرت من قضائه لما أبصرت من عدله وأظهره من جوره - فيذكر يا أمير المؤمنين أن ذلك الشيطان أمر بسحر فكتب ، ثم دفن تحت كرسي سليمان بن داود وأسند ذلك الشيطان إلى آصف بن برخيا ، ثم أخرجه للناس . فلما رجع سليمان إلى ملكه ورد الله نعمته وكرامته ، لم يلبث إلا قليلاً حتى قبضه الله إليه ولج المجرمون باستعمال ذلك الكتاب وتصديقه . قال معاوية : فكيف لم يعلم آصف بن برخيا أن ذلك الشيطان صنع السحر ودفنه تحت الكرسي والجاه إليه ؟ قال عبيد : دخلت الفتنة يا أمير المؤمنين من ذهاب علمه كما ابتلى به سليمان وهو فتنته لما رأى من سيرته .

قال معاوية : صدقت فخذ في حديثك الأول . قال : فانطلق آصف وتوضأ ثم صلى ركعتين ، ثم دعا بالاسم الأعظم ، فذكر يا أمير المؤمنين أن السرير بما عليه مثل بين يدي سليمان بن داود وكان في جوف بيت في جوف سبعة أبيات ، على كل بيت باب ، ولكل باب قفل حديد ، والمفاتيح عندها - فلما رأى سليمان السرير من ذهب ولؤلؤ وجوهر (قال

(١) كذا - وفي ص ١٦٦ انه يأتينا في المحيض - ح .

نكروا لها عرشها ننظر أتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون) . قال معاوية : وما تلك النكرة يا عبيد ؟ قال : زيدوا فيه وانقصوا منه ننظر أتهدي يقول : تعرف العرش إذا جاءت أم لا تعرفه ؟ قال معاوية : وما يدريك ان هذا كذلك ؟ قال : سمعت ابن عباس يا أمير المؤمنين يذكر ذلك . قال : وسألته عن القرآن أيضاً فما يفسر من الظاهر شيئاً إلا وأنا أعرفه وأعلمه . قال معاوية : أوله باطن . قال : كذلك سمعت ابن عباس يذكر . قال معاوية : ما تركت شيئاً يا أخا جرهم إلا وقد دخلت فيه وطلبت علمه ! قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين القرآن أحق ما دخلت فيه وطلبت علمه . قال معاوية : صدقت ، فخذ في حديثك . قال : فلما دخل الوفد عليها أمرت بالجهاز وسارت في اثني عشر ألف قيل من رؤوس قومها وخيارهم ، وأخذ كل واحد من وجوه أصحابه وجنده وأفاضل أهل بيته وقادة خيوله مائة رجل . فقدمت على سليمان بن داود في اثني عشر ألف قيل ومائة وعشرين ألف فارس غير الرجل . فلما دخلت على سليمان بن داود تركها ثلاثة أيام ، فقال لها قومها : ما تقولين في أمر هذا الرجل ؟ أتدخلين في طاعته أم تحاربينه ؟ أم هل تيقنت أنه نبي ؟ قالت : سأعلمكم منه ما تعرفون - أهو نبي أم ملك من هذه الملوك - أنظروا إليه ، إذا أنا دخلت عليه ، فإن أمرني بالجلوس فهو ملك فإن الملوك لا تجلس عندهم إلا باذنهم - فما أقل من يجلس عند الملك إلا خاصته - وانه إن لم ينهني ولم يأمرني فإنه نبي مع اني سأسأله عن ثلاثة أشياء لا أشك فيها . فان أخبرني بها فإنه نبي وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم به ، وإن لم يخبرني فليس بنبي . فلما أراد سليمان دخولها إليه ووصولها إلى ما بين يديه أمر الجن فجعلوا عن يمينه وعن شماله حائطين موهين بالذهب الأحمر ، وبنوا من وراء ذلك مجلساً له وداراً ، وجعلوا أرض الدار لبناً موهياً بالذهب غير موضع لبنة ،

ثم أذن لها بالدخول ، فدخلت الدار فلما مرت بالحائطين نظرت إليهما ،
ثم دخلت فرأت أرضاً وحيطانها من ذهب فتصغر عندها ملكها ورأت شيئاً
لا يشبه ملكها الذي كانت فيه وسليمان قاعد في مجلسه في أقصى الدار
ومعها لبنة من ذهب تريد أن أمرت بالجلوس أن تجلس عليها فضربت
ببصرها فاذا على باب مجلس سليمان موضع لبنة من فرش الدار ليس فيه
لبنة فكرهت حين رأت ذلك أن تمضي بما في يديها فيتهمونها باللينة ،
فرمت بلبنتها في ذلك الموضع وسليمان ينظر إليها . فلما دخلت عليه سلمت
عليه وحيته بتحية الملوك ، ثم قامت بين يديه ساعة لا يأمرها بالجلوس ولا
ينهاها عن القيام ، حتى إذا طال ذلك عليها رفع سليمان رأسه إليها فقال :
ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، فمن شاء
فليجلس ومن شاء فليقم ؟ قالت : الآن علمت أنك نبي . قال لها : ومن
أين تعلمين ذلك ؟ قالت : علمت أنه لا يجلس عند الملوك إلا بإذنهم ، وأما
القيام فعندهم يقام وما أقل من يجلس عندهم الا من كان من خاصتهم ،
ولكنك قلت قول أهل العلم بالله ، وقد أتيتك وسألتك عن ثلاثة أشياء فإن
أخبرتني بهن دخلت في طاعتك ، وإن لم تفعل رأيت رأيي فيما بيني وبينك
قال سليمان : فاسألي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قالت : أخبرني عن ماء
روى ليس من أرض ولا سماء ، وشبه الولد إذا أشبه أباه وأمه من أين
آتاه ذلك ؟ وعن لون الرب تبارك وتعالى . فسألته عن ذلك وهي مقابلة له
على الكرسي ، والأنس والجن عن يمينه وشماله . قال سليمان للأنس :
هل عندكم في هذا شيء ؟ قالوا : نعم يا نبي الله مر لنا بنخيل نركبها ونجريها
حتى تعرق ، ثم نخللها ^(١) فانه ينصب عرقها فنحن نأتيها من ذلك بماء روي
ليس من أرض ولا سماء . قال سليمان : فأيتوني بذلك فجاءوا به قالت :

(١) كذا - وقد تقدمت القصة - وفيها أن الأنس والجن أجابوه بعدم العلم - ح * .

هذا قد جئت به فالحصلتين اللتين سألتك عنهما قال : أما شبه الولد فان النطفة إذا سبقت من الرجل كان الشبه له وان سبقت من المرأة كان الشبه لها . قالت : صدقت . فالحصلة الثالثة : قال : ليس لي علم بالغيب ولكني أرغب إلى الله ربي ، فرغب سليمان في مجلسه ذلك إلى به فأوحى الله إليه اني قد أنسيتها ما سألتك ، فاسألها عنه . فاسألها فقالت : ما أدري ما سألتك عنه يا نبي الله . فعرض عليها الإسلام فقالت : انظر في ذلك يومي هذا . قال : فقالت الجن فيما بينها قد كنا في نصب من هذا الرجل القليل الغفلة فلا نقدر أن نفعل ما يريد ، فكيف إذا اجتمعت هذه في رأيها وعلمها وعون الجن ونبوة سليمان الآن حجب عنا كل خير ونزل بنا كل شر فتعالوا نرهنه فيها فإنه قد طمع فيها ان أسلمت أن يتزوجها ؟ فقال لهم عفريت من الجن - يقال له زوبعة - : أنا أكفيكم سليمان . فأتاه فقال له : يا نبي الله بلغني أنك تريد تزوج هذه المرأة وأمها من الجن ولم تلد جنية من الأنس قط ابناً الا كانت رجلاه مثل حافر الحمار . قال سليمان : وكيف لي أن أنظر إلى ذلك من غير أن تعلم ما نريد بها ؟ قال : أنا أكفيك ذلك . قال : فصنع زوبعة لسليمان مجلساً وجعل أرض المجلس لجة فيها ماء وسمك يعني حيتاناً . ثم جعل من فوق ذلك صرحاً ممرداً من قوارير رقيق ، ثم قال له : ارسل إليها تدخل ، فإنك ترى الذي تريد منها . فبعث إليها وهو على كرسيه ليس في البيت مجلس غيره . فلما رأت ذلك الماء والسمك تجول فيه ضربت ببصرها إلى مكان تجلس فيه ، فلم تجده فحسبته لجة ، وكشفت عن ساقها لتخوض في الماء إلى سليمان . فلما رآها ونظر إلى ساقها - إذ عليهما شعر أسود في بياض الساقين - فقال لها سليمان : لا تكشفني عن شيء من ساقك ، فإنه صرح ممرد من قوارير . فنظرت فإذا ملكها ليس بشيء مع

ملك سليمان وإذا بها قد أيقنت أنه نبي . فعند ذلك قالت (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) . فلما أسلمت وحسن اسلامها تروجها سليمان ، ودخل بها ثم أظهر لها الكراهة لما رأى من كثرة شعر ساقها فقالت : يا نبي الله ان الرمادة لا يدري ما طعمها حتى تذاق . قال سليمان : انه لا يحلو في الفم ما لا يحلو في العين ثم انصرف . فقال بعض الجحش - وكان يحب ما وافق سليمان : يا نبي الله فهل كرهت منها غير الشعر ؟ قال : لا . قال : فاني أعمل شيئاً فتطلبه فيتركها لك مثل الفضة البيضاء من غير عيب . فقال : افعل فصنع الجحش النورة والزرنيخ ، ثم بعث بها إليها وأحدث سليمان لها الحمام ، فكانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام عمل لأحد ، واتخذ ذلك الشيطان لها مطاحن الماء وضروب الصناعات وأعجب بها سليمان عجباً شديداً ، وولدت له داود بن سليمان وملك سليمان أربعين عاماً ورحلها سليمان إلى مملكته ، وكان سليمان يأتها في كل وقت ^(١) فيقيم عندها سبعة أيام ، ثم يسير في الأرض ، وأعانها بالشياطين يعملون لها - فعامة صناعات اليمن من قبل الشياطين - ثم هلك سليمان - صلوات الله عليه - وولي بعده رحبعم بن سليمان ، فأقام سنة بعد سليمان ، ثم مات واختلفت بعده بنو اسرائيل وماتت بلقيس بعد سليمان بشهر - رحمهما الله تعالى - وبلغنا في حديث آخر أن بلقيس ملكت سبعين سنة . والله اعلم أي ذلك كان .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر : قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قال معاوية : كيف الشعر لله أبوك ؟ قال : قال رجل من حمير يقال له

(١) قد تقدم في كل شهر - ح .

— الأعصم ^(١) بن عمرو بن سلمة بن زيد بن خيار بن المثتاب بن زيد بن

عملاق — هذا الشعر الذي يقول فيه :

ان يكن الدهر أتى عامداً لخير أملاك الدهور الخوالي
معتمداً قهراً نبي الهدى وخير خلق الله في كل حال
أعني ابن داود سليمان اذ علا على الناس بحسن الفعال
ومد في الملك شياً لنا ^(٢) يوم يمن ليس يوم الشمال
فان فينا من بني حمير فوارس الهيجاء يوم النزال
كنا شر الخير واعراقه ومرغم الملك جزيل النوال

قال معاوية : يا عبيد الله أبوك أخبرني عن بلقيس كيف آتاها الهدد
بالكتاب ؟ قال عبيد : قول الله أصدق وقد أعلمتك لست بمحدث بشيء
ليس في القرآن ولست بوصف خبراً بلغني بعدما قال الله تبارك وتعالى،
ولكن قد قال في ذلك رجل من أهل اليمن من أهل بيت الملك شعراً — يقال
له النعمان بن الأسود بن المعروف بن عمرو بن يعفر — قال معاوية : وما
قال عبيد : اسمعني ذلك حتى أعلم، قال عبيد هذا الشعر الذي
يقول فيه :

زال دهري وقد آراني سروراً دهر من كان بالحمام نذيراً
حمير الخير قد رأيتك قدماً قبل دهر به سكنتم قبوراً
حمير الخير قد نزلت عصاراً من زمان الدهور ملكاً هريراً ^(٣)

(١) مضى في صفحة سابقة ، الأعصم بن سام بن نوح — ولعل ما هنا أقرب للصواب — ح •

(٢) كذا وفي صفحة سابقة — فهد بالملك ذرى ملكنا — ح •

(٣) كذا — وفي القصيدة ما فيها من التصحيف — ح •

نعماً يا لها أناخت بشرق الأرض وغرب البلاد بالخير زورا
وغزوت البلاد عوداً وبدأ وعلى ملكنا السحاب المطيرا
صاح ان كان ملك حمير أودى بعد ان كان قبل صنماً حرورا
فهم اليوم جباة وزمام وأرى من بقي إليهم مجيرا
قرة العين من ذوي أهل عز وديار الزمان كفوا هصورا
وسما الملك للنبي سليمان مع البر واصطفاه قديرا
جاءنا بالكتاب منه رسول بعجيب لم يأت فيه غرورا
نظرت نعمة من الله حقاً ببيان الهدى آتاه بشيرا
نظرت في الكتاب بلقيس عجباً فرأت منظراً مهيباً نصيرا
أرسلت في مقال الملك اني ناظر في الغداة أمراً منيرا
فاشيروا بمشورة بصواب ان يزوروا بلادكم يفسدوها
قال أهل النهاء والقول أنا أول الناس نستدل الفجورا
فلإليك الأمر منا فامضي ما أردت الغداة منا سرورا
قالت اهدي وذلك عندي من الرأي وفيها بنو الكرام ظهسورا
وبنا في القلوب من كل سوء بسيروا من عديد ذاك نظيرا
أرسلت بين عاتق و غلام كي يميز من النساء الذكورا
وعتاقاً من الخيول جياداً ملبسات من الملاء حريرا
وزمرد في قهر حق عجيب ملحماً ما يرون فيه فطورا
مع وفد أعزة ذي بهاء قصد خير الانام حتماً وخيراً^(١)

قال معاوية: يا عبيد دع عنك هذا واخبرني عن الملك كيف عاد إلى حمير

(١) هذه الأبيات فيها مواضع غير واضحة فتأملها - ح.

بعد نبي الله سليمان بن داود وبعد ابنه بعد أن خرج من أيديهم وفارقهم
ومن أول من قام منهم ؟ قال عبيد : أول من قام منهم يا أمير المؤمنين .

(ناشر النعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو)

ابن شرحبيل بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث
ابن حيدان بن قطن اجتمعت عليه اليمن وبعث الجيوش إلى كل من ناوَاه
ووطىء البلاد التي كان آباؤه يطؤونها قبله واشتد سلطانه فسماه قومه ناشر
النعم . قال معاوية : ولم سماه قومه بهذا الاسم ؟ قال عبيد : يا معاوية أنعم
عليهم فيما ارتجع من ملكهم وجمع الأمر لهم . قال : ثم سار بنفسه غازياً
نحو المغرب فلدوخها ووطئها حتى بلغ وادي الرمل لم يبلغ ذلك الوادي ولا
تلك الأرض من أهل بيته غيره . فلما أتى إلى الوادي الذي يسيل رملاً لم
يجد مخرجاً ولا مجازاً حتى جاء يوم السبت فلا يجري فلم يجده يسير ، وأمر
رجلاً من أهل بيته يعبر الوادي وكان يقال له عمرو بن زيد ^(١) بأصحابه ،
فلم يرجع منهم أحد . فلما رأى ذلك ناشر النعم كف عن العبور ، وأمر
عند ذلك بصنم من نحاس فنصب على صخرة ، ثم كتب على صدر ذلك
الصنم بكتاب المسند - وهو كتاب الحميري - أبياتاً من شعر كتاباً ابتدعته
حمير ، لأن لا يكتبه غيرهم ، يذكر فيه صفته وما بلغوا . قال معاوية :
وما الكتاب الذي كتبوا والشعر ؟ قال عبيد : كتب فيه (صنع هذا الصنم
الملك الحميري ناشر النعم اليعفري ليس وراء هذا مذهب فلا يتكلف أحد
المضي فيعطب) فاما الشعر فأبيات كتبها في الصنم يقول فيها :

(١) كذا - وقد تقدم في غير ما من موضع من التيجان ابن يعفر - ح .

أنا الصنم الذي هبنا مكاني تبوءة المقاول والهبول
نصبت فلم أزل صنماً مقيماً لحمير للشباب وللكهول
فما أحد يجاوزني فيحياً إلى الجبل المطل على السهول
ليعلم من آتاني من أمامي فليس له ورأني من سبيل

قال معاوية : إنك لتخبرنا عجباً ! قال : يا أمير المؤمنين ان أمر حمير
كان أعجب من ذلك في مسيرها البلاد واستخدامها العباد . قال معاوية :
وما ذلك يا عبيد لله أبوك ؟

قال عبيد : يا أمير المؤمنين كانوا في رفاهية من العيش ونعم من ملك
دنيا زينوها فكانوا يتزعون إلى دار ملكهم ويدعون ما قد احتوا عليه .
فقال معاوية : فهل قيل في ناشر النعم شعر وفي الصنم والوادي الذي انتهى
إليه ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين . قال علقمة بن زيد بن يعفر بن
عمرو شعراً . قال معاوية : ما قال ؟ يا عبيد : قال — قال هذا الشعر :

أيا ناشر الأملاك قد نلت خطة
سلكت غروب الأرض غاز بحفل
تفض جموعاً كالجبال لتنتهي
أتيت بنا واد حثيث مسيره
يسير أنهاراً والليالي دائباً
وأوردته منا أولى الفضل والنهي
فهد جناحي المسقر فجعة
فودعني عمرو عليه تحيتي
فلا مبلغ في البعد يأتيه معشر
بتسطير خط من كتاب ابن حمير
علت فوق أملاك الملوك القماقم
بلاد الأعادي غير أرض الأشام
إلى مبلغ في البعد غير التهام
برمل تراه كالجبال الرواسم
بأمر اله ليس أمر الأوام
لنعلم من أسبابه كل قادم
فذاك ابن عمي وابن غر خضارم
وافردني عمرو لهم مراغم
فيمضي إليه بعد شخص مراثم
بأن أيس بعدي من مضي لحازم

ولا مذهب من خلف ما قد أتته بني حمير خير الانام الأكارم^(١)
قال عبيد : وقد قال يا أمير المؤمنين ابن عمه النعمان بن الأسود بن
المعترف فيما كان من مسيره وما ذكر من رد الملك إلى حمير وأنعامه
عليهم في ذلك شعراً - يقول فيه :

فأنت آيت اللعن في كل شارق
لعمري لقد جللت حمير نعمة
فارجعتها الملك الذي كان قد وهى
ولولا سليمان الذي كان أمره
لما كان أنس يبتغي أن يرومها
ولكن قضاء كان تحويل ملكنا
فذاك سليمان الذي كان أمره
ففتح ملوك الناس قبل نبيه
ونحن ملوك الناس والمقتدى بنا
يكون نبي أمره غير واهن
يكون له منا وأحمد اسمه
وسوف يطا السودان أرض ابن حمير
فببترها الملك الذي كان قد وهى
فيسلبها الملك الذي كان قد وهى
أحمير سيري في البلاد لعزكم

وفزت بملك ذي بقاء إلى الحشر^(٢)
وأفضيت من أكنافها الحي من بكر
فأنت آيت اللعن ذو النعم الزهر
من الله تنزيلاً ووحي على قدر
ولا الجن إذ نحن الا قاصم للظهر
إلى ابن نبي الله داود ذي النصر
من الله تنزيلاً عليه وعن أمر
وقبل أيه الخبر عصراً من الدهر
إلى أن يصير الملك حيناً إلى قهر
رحيم بذى القربى لطيف بذى الوتر
غطاريف صدق في التعاون والنصر
فتعمر عشراً أو قريباً من العشر
شديد مقام الشخص منشرح الصدر
نبي كريم النفس منشرح الصدر
فان المعالي لا تنال بلا قهر

قال عبيد : ثم انصرف من غزوته يا أمير المؤمنين ، فلم يلبث حتى

(١) نسبها - في التيجان ، صفحة سابقة لذي القرنين وفيها اختلاف كثير - ح .

(٢) تقدم في صفحة سابقة حيث بروح الملك في كل شارق .

هلك . قال معاوية : لله أبوك ، فكم ملك ، ومن ملك بعده ؟ قال عبيد : ملك ناشر النعم مائة سنة واحد وثمانين سنة - ثم ملك من بعده .

(شمر يرعش بن أفريقيس بن أبرهة بن الرأش)

قال معاوية : ولم سمي يرعش ؟ قال : لأنه كان به ارتعاش ، وأنه سار بعدما ملك سنين نحو المشرق وسواحل البحر حتى دخل أرض العراق في جمع لا يسمع برجل منهم سار في مثله من الخيل والرجال وكثرة العدد والعدة والقوة ، ثم توجه إلى أرض الصين يريد ما فكانت طريقه على أرض فارس وسجستان حتى دخل خراسان . فكان يأمر أهل مملكته أن لا يتنحوا عنه ويبعثوا إليه بالهدايا خوفاً ويطلبون منه الأمان فيؤمنهم ويبعثون بالأدلاء معه حتى انتهى إلى نهر بلخ فبينما هو يسير كذلك ، إذ أقبل إليه ما لا يعلمه إلا الله من تلك الأمم من الأعاجم ، وكان قد بلغه مسيره فاجتمعت تلك القبائل من أحياء الأعاجم ليصطلموا ذلك الجند من العرب . فقاتلهم أياماً ثم ظفر بهم فمزقهم كل ممزق وتبعهم مسيرة أيام - وكان للقوم مكان فيه سفنهم التي عليها يعبرون - فانتهوا إليها ، والعرب في أثرهم حتى قاتلوهم على سفنهم التي عليها يعبرون فأخذوها وعبر من سلم منهم إلى بلادهم . وركب شمر وأصحابه السفن التي أخذوها منهم فعبروا على أثرهم وهم على مهل فاتبعوا القوم إلى بلادهم ، فأروا بلاداً كثيرة الخير واسعة المنشر ، فحاصروا المدائن وافتتحوا الحصون وحووا الأموال حتى أتوا على جمع لهم عظيم بالسفد فقاتلوهم أياماً ، ثم أن شمر وأصحابه ظفروا بهم فدخلوا مدينة السفد فقتلوا وسبوا وهدموا المدينة - واسمها يومئذ اسم أعجمي ، ثم

سماها الأعاجم بشمر فيقال لها شمر كند - قال معاوية : وما يعنون بشمر كند؟
قال عبيد : يا أمير المؤمنين لأن شمر هلمها فسميت به . قال معاوية :
فما بالها اليوم تسمى سمرقند ؟ قال عبيد : ان لغة العجم غير لغة العرب .

قال معاوية : صدقت : فماذا صنع شمر ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين
بلغنا أنه سار إلى مدينة السغد فتزل بها وأمر بصخرة فكتب فيها بكتاب
حميري وهذا الذي يقال له المسند وهو هذا القول : هذا ملك عرب وعجم
شمر يرعش الملك الأشم من بلغ هذا المكان فهو مثلي ومن جاوزه فهو
أفضل مني لا أعلم إلا ذلك ، فأما الحديث فقد أصبته وهو على ذلك وأنا
أرجو أن يظهر الله أمير المؤمنين بذلك الموضع من الأرض فيعلم إني قد
أديت إليه من حديثي علماً . قال معاوية : اللهم أرنا تصديق قول بن شرية ،
فإنه يذكر عجباً وان شاء ربي فعل ذلك ! فبلغني عن الشعبي أنه ذكر عن
رجل من حيوان همدان - يقال له عبد الله - قال : بينما نحن بالسغد مع
قتيبة بن مسلم الباهلي وافتتح سمرقند إذ نظر إلى حجر ملصق على الباب فيه
خطوط كأنها بالعربية وليست بهاء قال : والله إني لأظن هذا الكتاب لبعض
ملوك حمير اطلبوا إلي منهم رجلاً حديث العهد باليمن يعرف كتابة حمير
فقبل له : هذا عثمان بن أبي سعيد الحيواني قال : فجاء الرسول وأنا وإياه
في خيمة فانطلق به إليه فقرأه على مثل ما ذكره عبيد لمعاوية ورواه عنه من
رواه على مثل ذلك . قال معاوية : فما قال قتيبة ؟ قال : قال شراً ، ثم قال :
لو تقدمت ^(١) سرادقي شيئاً ؟ قال له الحيواني : ليس القليل بالذي عني ولكن
من ملك أرضاً غيرها يتقدم إليها . فاسكت قتيبة وقدم سرادقه وراء ذلك ،

(١) كذا - وقد تقدمت القصة في صفحة سابقة من التيجان ببعض اختلاف - ح

فلم يزل هنالك مقيماً حتى انصرف من وجهه ذلك . ثم قال معاوية : هل
سمعت في ذلك شعراً يا عبيد ؟ قال : نعم ، قال الباني بن المنتاب شعراً .
قال معاوية : فكيف قال يا عبيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين قال هذا الشعر :
تقول عرسي حين جد النوى ^(١) حتى متى أنت تريد الثوى
أليس في عيشي قد أوتيتم مقام ذي الدهر قصي أو دنا
فقلت إذ قالت فما ضرنا إذ نحن لم نسمو لسفك الدما
تأمرني أن أكون جليساً لها وأترك الإقدام يوم الوغا
وحمير تسمو بأفعالها فيها رئيس القوم يوم اللقا
وشمر الراعش قد قادها يريد بالشرق اغتنام النسا
فقد وطئنا الأرض عليانها شرقاً وغرباً كالليوث الضرا
فشمر الراعش إذ قادنا يحفل أرعن يغشى السها
فكان يوماً معظماً شأنه أورد بالعليا وذاك الشفا
فسائلي عنا لكي تخبري في مشرق الأرض إذا الدهر فا
يخبرك العالم عن حمير وجمعها بالسفد يوم الردى
أنا أبجنا أرضها كلها بقوم حرب كعديد الدبا
حتى أبدناهم بها عنوة ثم علوناهم بذبح وحى
وجاءت الفرسان من سيبها بكل ييضاء كعفر الضبا
وغودر الحصن بها عنوة ومثل الخط بصخر الصفا
يكون للعابر إن رامه أمرا عجيبا من ملوك الثرى
ويقال : إن سبب خروج شمر من اليمن إلى المشرق أن ملكاً من ملوك
بابل - يقال له كيقاوش بن كتيكة تجر وبني صرحاً للرقى فيه إلى السماء

(١) تقدم - جد النجا - تريد النوى - ح .

كما فعل فرعون وهامان — فمضى إليه شمر بجنوده فحاربه فظفر به شمر وقفل راجعاً به إلى اليمن أسيراً فحبسه في بئر بمأرب . ثم ان سعدى بنت شمر سمعت كيقاوش يحار في تلك البئر فرحمته ، فلم تزل تشفع إلى أبيها حتى أطلعتـه من السجن ، وولاه على بلاده وردة إليها على خراج يؤديه في كل سنة . وقيل في رواية أخرى أن شمر لما افتتح سمرقند هدمها ، ثم أمر بيناتها ، ثم توجه إلى الصين فخافه ملك الصين خوفاً عظيماً وعلم أنه لا طاقة له به . فجمع ملك الصين وزراءه فاستشارهم وقال : قد أقبل هذا العربي ولا طاقة لنا به فماذا ترون فأتى كل واحد منهم برأي وبقي منهم واحد لم يتكلم . فقال له : ما تقول ؟ فقال : أرى أن تظهر الغضب علي وتجزع أنفي وتأخذ دوري وضياعي وأموالي ودوابي وعبيدي حتى يعلم الناس بذلك ، فكره ذلك ملك الصين لعظم ذلك الوزير عنده ، فلم يعذره ذلك الوزير حتى ساعده وفعل به ما أشار عليه به . فخرج ذلك الوزير من الصين حتى انتهى إلى شمر فأراه جدع أنفه وشكا عليه ما فعل به ملك الصين وأظهر لشمر يرعش النصيحة فجعله شمر يرعش من خاصته ، ثم احتاج شمر إلى دليل يدلّه على الطريق إلى الصين في المفازة العظيمة التي دونه . فقال وزير ملك الصين لشمر : أنا الدليل ولا تجد أيها الملك من يعرف هذه المفازة ويعرف الطريق فيها مثلي . فنهض شمر يرعش بجنوده — وقيل أنه ترك التفتل الذي له ولجنوده في سمرقند — وسلك خلف الوزير ، فسار بهم على غير طريق حتى بعدوا بعداً عظيماً وأشرفوا على الهلاك وأيقنوا به ونفذ ما معهم من الماء . فقال شمر : أين الماء ؟ فقال : لا ماء هاهنا إلا الموت ، أردت أن تهلكنا وتهلك ملكنا وتقتل رجالنا وتسي ذرارينا ، فوهبت نفسي لأهل بلادي فوقيتهم من الهلاك بنفسي وأنت ومن معك أحق بالهلاك من ملكنا

وأهل بلاده . فأمر به شمر فضربت عنقه ، وأيقن شمر بالهلاك وقال لجنده :
توجهوا أينما أحببت ، وفرش له درع من حديد فظل عليه بدرقة من حديد
فذكر عند ذلك قول قوم من المنجمين حكموا في ميلاده أنه يموت في بيت
سقفه من حديد وفرشه من حديد . وذهب جنده كل منهم لوجهه فهلك
أكثرهم في تلك المفازة ، وتناثر من جنده ثلاثون ألفاً فوقعوا في أرض فيها
الشجر والماء والنخيل — وهي بلاد التبت — فملكوها وتوطنوها ، وبعدت
عنهم أرض اليمن فسكنوا بها إلى اليوم ، فزيم زي العرب وأخلاقهم أخلاق
العرب ، ولهم ملك منهم قائم بنفسه ، وهم معترفون بأنهم من عرب اليمن ،
وهم يحبون العرب حباً شديداً — وسمعت يا معاوية في رواية أخرى أن
شمر قفل إلى اليمن غانماً سالماً حتى دخل اليمن وقرب من رثام ، ثم هلك
بينما الحديد من فوقه الحديد ومن تحته الحديد من حر النهار على ما ذكروا
لما أصابه من المرض ثم هلك . والله أعلم أي ذلك كان ! قال معاوية : فكم
ملك شمر يرعش ؟ قال عبيد : ملك مائة سنة وستين سنة . ثم ملك بعده ابنه .

(تبع الاقرن وهو ذو القرنين)

المذكور في القرآن الكريم وسمي الاقرن وذا القرنين لشيب كان فيه
وهو على قرنيه — وكان ملكاً عظيماً عالماً حكيماً قد اطلع على علم الكتاب
وسمع حكومات من ينظر في القرآانات — ويقال أنه القائل :

أنا الملك المتوج ذو العطايا جلبت الخيل من أوطان سام

ويقال : ان أباه شمر الذي قالها . ويقال : بل الحارث الراش قائلها ،
والله أعلم . وغزا تبع الاقرن جميع أطراف الأرض ، فعاد إلى بلاد الروم

وأوغل فيها حتى قطعها ، ووصف له أن بتلك الناحية وادياً فيه الياقوت وأن بالقرب منه عيناً يسمى ماؤها ماء الحياة الذي ظفر به الخضر دون ذي القرنين فلما بلغ إلى هذه الناحية أدرك الشتاء هناك ، فمات فدفن هناك ، وكر أصحابه راجعين خوف الهلاك في ذلك الموضع — وهو موضع الظلمات — ولا يكون مظلماً إلا إذا بعدت الشمس عنه في الشتاء إذا انتهت في الجهة اليمانية ، وهو عند دخول الشمس رأس الجدي تصير تلك الأيام ليلاً لا نهار فيها ، فهلك من قبل أن يدخل في ذلك الوادي . فأرادت حمير أن تحمله إلى اليمن ، ثم بدا لهم فقبروه هناك . قال معاوية : فكم كان ملكه يا عبيد ؟ وهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين ملك مائة سنة وثلاثاً وخمسين سنة . فقال فيه التامر بن عمرو بن الغوث بن ذي الازعار — وهو بن عمه — هذا الشعر . قال معاوية : فهات ، فأنشأ عبيد يقول :

أن تمس باللحد أبا مالك	يسفى عليك المور بالحاصب
بدار بعد من وطأ مغرب	بذي ظلام حندس حارب
بين تراب الأرض في مهمة	قرب مجازو إلى الكارب
فقد رزئنا وسطنا خيرنا	الاقرن الميمون كالغاصب
يعطي جزيل المال لا ينثي	فلا لعمرى لهف من غائب
ويحمل الفرسان يوم الوغى	إلى نجاح الموت كالثاقب ^(١)
عليه أبكي ما أضأ كوكب	في مطلع الآفاق والغارب
ومطلع الشمس إذا أشرقت	تصح في خلق لها سارب
فحمير الأنخيار لا تسأمي	بفارس الأملاك والغالب

(١) كذا ولعله فجاج — ح .

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد لتأتي بالعجب من حمير ! ولقد جئت من ذلك بشفاء واضح ودليل ناصح من أشعارهم ! فان الشعر ديوان العرب والحكم بينها ! قال معاوية : فمن ملك بعد الأقرن ؟ قال : ملك ابنه تبع - وقد قال ابنه تبع بعد انصرافه شعراً يتندم فيه على أن لا يكون حمل أباه حين مات إلى اليمن . قال معاوية : وما ذلك الشعر يا عبيد ؟ قال : قال تبع في ذلك هذا الشعر الذي يقول فيه :

قد كان من رأيي وعزم أرومي	حمل الهمام إلى محل يمانى
أعني ابن شمر حين ودع حميرا	وابن الملوك وقاتل الفرسان
ذاك الغريب بدار بعد ليتني	كنت المواسي حيث كان دهاني
ذهب الزمان به وخلف بعده	أحياء حمير في ردى وهوان
لو كان عدم يوم حمل عاديا	يلقى عايه الكتب غير هواني ^(١)
يا لهف نفسي حين ولت حمير	يوم الرحيل بترك خير زمانى
هلا أقمت لديه يوم أحشه	تحت التراب فكان ذاك مكاني

قال معاوية : يا عبيد هذا التندم منه ؟ قال عبيد : سمعت قبل الإسلام رجلاً من حمير يقول : انهم حملوه حتى دفنوه في اليمن ، ولو كان ذلك كذلك لم يقل فيه ابنه ما قال . قال : لله أبوك يا عبيد ، هذا التبع الذي كان - يقال له أبو كرب - قال : لا يا أمير المؤمنين هذا جد ذلك . قال معاوية : وهل كان فيهم تبع غير تبع واحد ؟ قال : نعم . كانوا سبعة . ولكن تبع أسعد ملك ، فاشتد سلطانه وطال ملكه ، فذهب باسم من كان قبله ، ونسب إليه من كان منهم بعدهم . وسأيتك علم ذلك يا أمير المؤمنين في الحديث - إن شاء الله تعالى .

(١) كذا بالأصل - ح .

قال معاوية : فخذ في حديثك يا عبيد . قال : فمكث تبع الرائد بن تبع
 الأقرن بن شمر يرعش — وهو تبع الأكبر — غزوه — وكان يقال له الرائد
 ثم أقام عشرين سنة لا يغزو فانتقضت عليه الترك والخزر . فلما بلغه ذلك أرسل
 إليهم فامتنعوا منه وحبسوا الهدايا وقتلوا الرسل . فسار إليهم في الوجه الذي
 كان الرائش يسلك إليهم فيه على جبل طيء حتى خرج على الأتبار ، ثم
 مضى إليهم قدماً فلقبهم على الحد من آذربيجان والموصل وقد اجتمعوا
 ونظروا إلى راياته . فاصطفوا للقتال ، فاقتتلوا أياماً ، ثم أنه هزم الترك فقتل
 المقاتلة وسبي الذرية ، وأقام يخرب بلادهم ، ثم رجع إلى بلاده بعد أن
 وطنهم وأذلهم .

قال معاوية : وما الترك وآذربيجان ؟ قال عبيد : هما بلادهم يا أمير
 المؤمنين . فنحوا مما يليهم ومما يتوجه عدوهم إليهم — وهي وجه المحاربة
 لهم — قال معاوية : من أين علمت ذلك يا عبيد ؟ وإنهم اقتتلوا هنالك ؟ قال
 عبيد : يا أمير المؤمنين أهمني ذلك فسألت عنه من وقع إلينا من هذه الأعاجم
 وغزوت أيضاً إلى ذلك الثغر ، فسألت وفي السؤال شفاء من العمي وبيان من
 العمي ، وإذا تقادم الشيء فلم يحى ذكره ذهب أصله وبطلت حقيقة أمره
 وماتت شواهدده .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين .
 وقد قال في ذلك تبع الأقرن في مسيره :

منع البقاء	تقلب الشمس	وطلوعها من حيث لا تسمي
وطلوعها	يبضاء صافية	وغروبها صفراء كالورس
تجري على	كبد السماء كما	يجري حمام الموت بالنفس
لم أدر ما يقضيه حكم غد		ومضى بفصل قضائه أمس
وعلمت أني أن ظفرت بهمني		الا لا غزو مطلع الشمس

حرب تواعدني حلفت لأن
لاوجهن عمراً لمهلكهم
عمرت أو بقيت لها نفسي
ذا الحزم لا بالحامل النكس
حتى يبقر من بطون نسايم
ويذيقهم ما ذاق ذو الرمس
لني إذا هاج الملوك لحربنا
هيجت أبطالاً لذي دعس

قال: فلما رجع إلى اليمن أقام بها دهرأ طويلاً، وهابته الملوك من الأعاجم
وغيرها لما كان من وقعته بالترك، وأتته هدايا من قبل الهند من كتان وحرير
ومناع الصين ومسك وما يكون في بلاد الصين. فقال للرسول الذي بلغ من
بلاد الهند: ويحك أكل ما أرى في بلادكم؟ فقال: أبيت اللعن أيها الملك
نعم. قال: فصف لي ما يكون في بلادكم وما يحول في بلاد الصين؟ ففعل
الرسول. ورغب الملك في غزو الصين. حتى آلى على غزو الصين قال:
فتجهز لغزوها وسار بجيوشه وقومه من أهل اليمن. فسار ساحلاً حتى خرج
على طريق جده الرائش - الذي كان أخذه نحو المشرق - فلما انتهى إلى
خراسان سار عن يمين مسير جده حتى أتى الركائك وأصحاب القلانس
السود ودخل الصين فغنمها وأكثر القتل والسبي والخراب فيها، فكان مسيره
ومقامه ورجوعه من غزوته تلك سبع سنين وعشرة أشهر، ثم رجع
وخلف بأرض الصين رجلاً من خيار أصحابه - يقال له بارض بن النبت -
في اثني عشر ألف فارس من خيار أصحابه وفرسانه رابطة مقيمين معه في
البلد، ثم آلى تبع أن لا يدع أرضاً مما كانت آباؤه قد حوته من أرض الأعاجم
وغيرهم إلا ودع فيها رابطة وعسكراً من رجاله، وذلك حين رجع من
أرض الصين.

قال معاوية: لله أبوك يا عبيد فهل يعرف من خلف بأرض الصين؟

قال عبيد : يا أمير المؤمنين هم البيون ترك وأرم ، إذا سئلوا أخبروا أنهم من العرب أصلهم ، وأن لهم بيتاً يعبدون فيه ربهم ويطوفون حوله سبع مرات ويذبحون - وذلك في شهر من السنة - قال : فلما كثرت الأعداء بين بنيان ذلك البيت - فكنا إذا فعلنا ذلك خرجنا إليه تعظيماً له اعتزلنا دونه - فلما رأى ذلك أولونا جعلوا في بلادهم وموضعهم الذي يسكنونه بيتاً مثل ذلك البيت ، فنحن اليوم نعظمه ونطوف حوله سبع مرات ونذبح له في شهر من السنة ويعظمه ثلاثة أيام من جاء من الناس .

قال معاوية : يا عبيد وما علمك بذلك ؟ قال : غزوت يا أمير المؤمنين أرض الترك من هذه الناحية . قال : من أي ؟ قال : من نحو الخزر - فإذا ناس منهم علماء يدينون - فسألتهم عن أنفسهم ومن يليهم ، فكان هذا ما ذكروا لي . قال معاوية : لقد أخبرت بهذا الخبر عن ترك تبع ولا أدري أي التبابعة هو ترك في الصين قوماً من اليمن ؟ قال : هذا من تفسير ذلك الحديث .

قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال في ذلك تبع الأكبر :

أنا تبع الأملاك من نسل حمير	ملكنا عباد الله في الزمن الخالي
ملكنا هم قهر او سارت خيولنا	إلى الهند والأسباب تردي بأبطال
وكل بلاد الله قد وطئت لنا	خيول لعمرى غير نكس واعزال
فجالت لدى شرق البلاد وغربها	لهتك ستور نكتة ذات هوال
وعطل منها كل حصن ممنع	ونقل عنها ما حوت ثم من مال
وتلك شروق الأرض فيها وطئتها	إلى الصين والاثراك حالا على حال
فابنا جميعاً بالسبايا وكلنا	على كل محبوبك من الخيل صهال
بكل فتاة لم تر الشمس وجهها	اسيلة مجرى الدمع ييضاء مكسال

صموت البرى غرثى الوشاح كأنها من الحسن بد زل عن غيم هطال
أتينا بها فوق الجمال حواسرا بلاد ملج باق عليها وخلخال
تركناهم عزلاً تطيح نفوسهم بلا ساكن فيهم مقيم ولا وال
فما الناس الا نحن لا ناس غيرنا وما الناس ان عد القوي بأمثال

قال معاوية : فكم ملك يا عبيد ؟ قال : مائة سنة وثلاث وستين سنة .

قال معاوية : فمن ملك بعده ؟ قال : ملك بعده .

(ملكي كرب بن أسعد بن تيع الاكبر)

بعد أبيه - وكان رجلاً ضعيفاً لم يكن يغزو أحداً حتى مات ولم يبعث جيشاً - فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتخرج من الدماء . وأما أهل الرأي والمعرفة والبصر بالأمور فإنهم يقولون : لم يكن ذلك منه إلا عن قلة التجربة وقلة الاتفة وصغر الهمة لأنه لم يحدث دعوة في ملكه ، ولم يعبر عن دين ولا طريقة أحد ممن قبله . قال معاوية : وما تغير حال الملك ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين لم يكن يغير من شيء يفعل آباؤه ولا ازال شيئاً من جبروت الملك ولا أحدث تواضعاً ولا قرباً من الناس ولا زال عن تجبره وعتوه وأشد أمره باليمن لا يجاوز أرض اليمن إلى غيرها بلد عرب أو عجم .

قال معاوية : فكيف ملكهم يا عبيد وكيف استقام لهم أمرهم على تلك الحال ؟ قال عبيد : لأنهم أحبوا الدعة والسكون وكانوا قد ملوا الغزو والحروب وكثرة المسير في البلدان . قال معاوية : فكم ملكهم على هذه الحال يا عبيد ؟ قال : ملكهم خمساً وثمانين سنة . قال معاوية : فمن ملك بعده ؟ قال عبيد : ملك ابنه تيع أسعد بن ملكي كرب وهو .

(أسعد أبو كرب الاوسط)

ويزعمون يا أمير المؤمنين أنه لما ملك أكثر الغزو في كل ناحية - وكان رجلاً مجرباً منجماً يعرف السعود من النحوس ، ولا يخرج بقومه مخرجاً

حتى ينظر طوالها ، فيخرج بسعودها — وكان يغزو سنة ويقيم سنة . إذا
قرب المسير عليهم غزا وبعث ، وإذا طال المسير في الغزو غزا بهم ثلاث
سنين وقام سنتين ، وكان يكثر التوجيه لقواده : فإذا سار بنفسه لم يسر إلا
في كل عشر سنين . وإذا خرج لم يترك طريقاً إلا سلكه ولا منهلاً إلا ورده
ولا بلداً إلى وطنه ما وطىء أحد من آبائه وأجداده من البلدان إلا دخله
وقصده ووطنه بنفسه أو بعث إليه عسكريه . قال معاوية : فهل قال تبع شعراً
فيما ظهر منه يا عبيد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين — قال تبع هذا الشعر
الذي يقول فيه :

سيدكر قومي بعد موتي وقائمي	وما فعلت قومي بقيس افاعلا
وما دوخت أرض اليمامة بالقنا	وما صبحت فيها تميماً وواثلا
فكم من ملوك قد قتلنا رجاهم	وكم من نساء قد تركنا ثواكلا
وكم من أسير ظل في القيد ساقه	يبيت يراعي غله والسلاسل
سيدكر قومي نجدتي ومكاري	ويدخل باب العز من كان جاهلا
بنيت لهم مجداً مع النجم سمكه	وصيرته للعالمين معاقلا
فحمير سادات الملوك وخيرها	وهم من قديم الدهر سادوا القبائل
فاسكنت أرض الشام منهم قبائل	وابتعت غسان الملوك الأفاضلا
وغسان حازوا بلدة الروم كلها	وفي الصين صيرنا الملوك الاقاولا
ويوم لقينا العجم في أرض فارس	لقت ضيغماً من نسل قحطان باسلا
فلوخت أرض الفرس حتى تركتها	يباباً مجوباً علوها والأسافلا
ودوخت أملاك العراق ولم أزل	أحل بهم في كل عام زلازلا
يصبحهم في أول العام جيشنا	فيمكث فيهم قابلاً ثم قابلا
حشوت ضحام الملك خيلي ورجلها	وأجريت من بعد البحار المناهلا
ونلت بلاد السند والهند كلها	وفي الصين صيرنا نقيباً وعاملا
ونلت بلاد المشرقين كليهما	ونلت بلاد المغربين وبابلا

ونحن أثرنا في سمرقند ضحوة
وجادت لنا في أصبهان سحابة
بكل قضيب حادث العهد صقله
وتسعين ألفاً تحمل البيض والقنا
سيوف حداد بضجع الناس وقعها
ومروا كتبنا المستدين ببابها
ومثلي يلدن المحصنات مسودا
ومسك عرف الخيل في حومة الوغى
وبحرأ عريضاً للحراب ومقلا
ثلاثين بحرأ قد غشنا . بحيشنا
فلما قضيت الغل من كل بلدة
فأمسيت في غمدان في خير عتد
وريدان قصري في ظفار ومولدي
على اللجنة الخضراء من سهل يحصب
مأثرنا في الأرض تصديق قولنا
وعلمي بملكي سوف يبلي جديده
وملك جميع الناس يبلى وملكنا

جحيماً لظاها يلفح الدور شاعلا
بودق يزيغ المذهلات الحواملا
وسهم منير يفتق الدرع داخلا
دخلنا بهم قصرأ درنخا^(١) وكابلا
وتحكم في عدنان حقأ وباطلا
ليعرف عنا القيل من كان غافلا
مغيرأ إلى الهيجاء للقوم قاتلا
تري البيض فيه والرماح النوابلا
وغيثأ غزيرأ ينبت الزرع عاجلا
فما رام سيفي ساعدي والأناملا
توجهت أرضي أعمد الدار قافلا
منيعأ وصنعا من حذاها المآجلا
بها أس جدي دورنا والمناهلا
ثمانون نهراً تدفق الماء سائلا
إذا ما طلبنا شاهداً ودلائلا
ويرجع ملكأ كاسف للون ماحلا
على الناس باق ذكره ليس زائلا

قال عبيد : فلما فرغ تبع يا أمير المؤمنين عن أرض فارس وما يليها
توجه إلى الشام وذكر ما صنع بأرض معد وغيرها من البلاد ، فقال في ذلك
وأنشأ يقول :

رب هم مؤرق بعد نوم غير ما باطل ولكن يجد
 يا بني مازن فوارس معد سرفي ما فعلتم في معد
 إذ أثرتم مع العجاج عجاجاً وانتضيتهم لهم صفائح هند
 أسروا ثلثهم وثلثا أبادوا ومضى ثلثهم بأنفس جد
 منهم راعي المخاض ومنهم مالىء للحياض في كل ورد
 وبعثنا إلى اليمامة خيلاً فأتيناهم بخزم وجد
 وصرفنا إلى كنانة جنداً فتوافت إلى كنانة جندي
 وتركنا ثقيف تنضح للجنـد بقهر على هوان وكـد
 وجعلنا الحرج منزل قيس قد أقروا بالخرج من غير عهد
 وجعلنا بني نزار هداة يرشدون الطريق في كل قصد
 وجعلنا نصراً وأحلاف نصر خولا بين خادم ومؤدى
 وطحنا قرى اليمامة بالخيـل زماناً نعيد فيهم ونبدي
 وقسمنا بني خزيمة بالجنـد كل عبد لنا وابن عبد
 ثم أحدثت بالمشقر أرضاً وجناناً تحلها الناس بعدي
 ثم أنزلت في عمان رجالاً يستعدون من فوارس أزد
 ثم سرنا إلى العراق بجمع ملأ الأرض بين غور ونجد
 فرى الناس وسطها وعليها أسد غابات من كهول ومرد
 يتردون باليمانية البيض تراها تجر في كل غمد
 وبأيديهم محاصر موف وعليهم مسرودة أي سرد
 فثروا بالعراق حيناً من الدهر يدوسونها على غير عهد
 ثم دوخت أرض فارس طرا وقبازاً وأرض هند وسند
 ثم أنزلت حميراً جبل الصين فذاق الدليل عز الأشد

وركضنا الجياد في عرض الرو م كفعل الكاشح المتعدي
فاذا الحرب أوقدت اسعروها بمساعير بما سناه أشد^(١)
ثم أنزلت حيث أنزلت لحماً وجذاماً وهم جناحي ورفدي
ثم أقبلت أقرب الشام قصداً برجال على ضواير جرد
ثم وجهت نحو يثرب خيلاً لنبيط بها يحلون بعدي
فصدمننا أطام يثرب بالخيـل العناجيج بالمقاول ترددي
وتركنا بها من الأوس والخز رج حسباً من آل بأس ومجد
ثم أقفلت من بها من خيول نحو أرضي ونحو قومي وولدي
وإذا سرت رافقتني جبال ورجال هم جناحي وجدي
فجبالني إذا أحقت حديد ورجالي إذا تأخرت عندي
تقهر الناس والشعاع بخيل تحصد الناس في الوغى أي حصد
من سعى مثل سعي حمير سعيّاً من قبيل فقد آتانا بساـدى
قال معاوية : لله درك يا عبيد زد انشدني شعراً غير هذا فقد أعطى
من العز والقوة والملك ما لم يعط أحد غيره . قال : نعم يا أمير المؤمنين .
قال تبع هذا الشعر الذي يقول فيه :

ان قحطان قد بنى لي بيتاً لا بطين بنى ولا بعمود
ليس مثل الذي بنى الناس بالطين وكلس وأجر مسرود
أريناه عند السماك نجاداً رأسه مصعداً برأس السعود
ورسني أسه فلم يستطعه أحد رام نقبه بحديد
وكسناه الجمال والعز والبهجة منه وحفه بالخنود
حفه الخيل والرجال عليها كل درع مسرد مسرود

(١) كذا - وهو كما ترى - ح .

جعلتها سراة قحطان حصناً
جعلوه فوائداً لبناهم
ان قومي هم الملوك بحق
اني قد ملكت شرقاً وغرباً
وأخذت العراق من آل مرو
وجلبت الخيول للصين حتى
وأقمنا بها ثلاثين عاماً
وأمر مصفد في وثاق
وقعت خيلنا بأرض قباذ
وتركنا ما دون ذاك إلينا
ومضى حكمنا على كل حي
من أسرنا منهم فخير أسير
لو رأى جمعنا فذاك من الخو
مرت بالخيول أقبل الناس جراً
وطوت خيلنا الأعادي طياً
قد براها طول الأناخة والركض وحر الظهيرة الصيخود
تبع أفضل الملوك حسان
ملك يرم الأمور معبد
أخذ الحرب حين شب لظاها
لم يزل نورها على الزند حتى
ايمن الناس طائر أو لقاء
ليس بالطائش الخفيف ولا

ورثوا صنعهم من داود
يعذبون الهياج للمستفيد
شهد الله وهو خير شهيد
من قراها وحرب آل عمود
بسمرقند ثم قرى الأكرود
غادرتها كمثل آل ثمود
وهم بين مقعص وطريد
قد برى ساقه بعض الحديد
وقعة تستبين في الجلمود
لم يعد والد على مولود
ليس حكمي في الناس بالمردود
أو قتلنا منهم فخير فقيد
ف شديد كالتنق المطرود
من أسير يسير سير البريد
ببلاد أعيت بها بعد بيد
ليس يوم الهياج بالرعيد
لم يل الناس رائس كعبد
يوم هاجت نيرانها للوقود
أمكنك من ذرائها المحسود
حين تلقى بالتحفل المشهود
واهن عند اللقاء ولا المحدود

حمير قومنا أقاموا بعزم لو جرى الناس للمكارم يوماً
 فضلوا كل سائد ومسود يترعون الجفان شحماً ولحماً
 وهم مفزع كمثل الأسود لو يعد الأحياء الأيام قومي
 لم يطبقوا الأيام بالتعديد هل أقرت لنا البلاد بخرج
 خبرونا فليس حين جحود أم تقولون لا فزيدوا نردكم
 فلنعم المزيد للمستزيد ولدينا من الملوك ملوك
 كل ملك مملك صناديد ولدني مملكات كبلقيس
 ومن ليس جدودي ملكتهم بلقيس سبعين عاماً
 آل عز وآل بأس شديد وبها جنتان أنشاهما الله
 ورزق من سدها المسدود ما يبالي ألا يرى سيل غيث
 جاءها الماء من مكان بعيد عرشها شرجع ثمانون باعاً
 كلته بلؤلؤ وفريد وبدر قد قيده مع اليا
 قوت والجزع ايما تقييد فلو أن الخلود كان الينا
 باحتيال وقوة وعديد أو بملك لما ملكننا لئنا
 من جميع الأنعام أهل الخلود
 وقال نبع أيضاً حين نزل غمدان يذكر آباءه الذين ملكوا قبله
 وحصونهم التي كانوا ينزلون فيها باليمن . قال معاوية : انشدني قوله .
 قال أنشأ يقول :

إلا أن قومي هم حمير هم الأصل والعز والمفخر
 هم شرفوا المجد حتى انتهى فما نال بنيانهم معشر
 هم أن هم فخرُوا برزوا لهم شامخ الفخر لا ينكر
 أبي ملكي كرب الحميري وحمير قومي فما حمير

لقد كنت فيما مضى لاهياً
أزور الغواني ويزرنني
أدير بكفي رحي العالمين
نماني ذو ماور ذو الندى
وناشر جدي الذي قد بنى
ويعسب خالي الذي قد بنى
فكان بها مر من بعدهم
وشمر ما زال خير الملوك
وكان اذا السرح البحصي
وكان معافر عند اللقاء
وكان صدوقاً ولا ينثني
وكان به بعد ذو نائل
وقد كان يلهب نار الوقود
وشمر يرعش رأس الملوك
وبار أن يهر لما يكن
وذو المر علي فلا تنسه
وفرعان من بيت ذي أصبح
بنو الأنس والجن دانوا لها
يذل الانام لدى ملكنا
ومن ذي الملاحى لنا مفخر

وديني من هوي المنظر
واجتلب الكاعب المعصر
ويوم الهياج أنا المسعر
وخيل^(١) فهو جانبي الأيسر
مكارمه وابنه شمر
وعلهان نهقان قد أذكر
له الحسب الضخم والمعشر
إذا هو كوبر لا يكبر
إذا استحضروه فقد يحضر
يطول لعمرى ولا يقصر
إذا جته الدرع والمفعر
لمن طلب العرف لا يدبر
للضيف والحرب قد يسمر
إليه انتهى مجد من يفخر
جبان لدى الحرب بل يهر
وآباؤه فهم المنشر
وبلقيس كان لها منبر
ودان لها البر والابحر
وللجن والأنس قد يقهر
وشرف ذاك لنا يعفر

ومن ذي سحيم وذي فائش
ومن ذي كلاع ومن ذي رعين
ومن ذي رداع فقد كان لي
ومن ذي معاهر بيت العلاء
وقد كان كالسيف في الثائبات
وقد كان ذا الأمر لا يستقيم
ظفرنا بمنزلنا من ظفار
فكر إلى النقع يدعى له
وما هكر من ديار الملوك
ويئون مبهمة بالحديد
وشهران قصر بناه الذي
ومارب قد نطقت بالرخام
وغمدان حصن لنا مشرف
وكان معسكرنا في أزال
وغيمان محفوفة بالكروم
بها كان يقبر آباؤنا
إذا ما مقابرنا كشفت
فان يفن قومي منايهم
فكل يموت كذاك العباد
فلا الناس لو عمروا يخللون

لنا العدد الأول الأكبر
لي الصلب والرأس والأبهر
لعمر ك أصل به أظهر
بآباء صدق إذا عمروا
إذا هو ضل فلا يقهر
دعاء به الورد والمصدر
وما زال ساكنها يظفر
فهو بأبوابه أبصر
بدار هوان ولا الأهجر
وأبوابها الساج والعرعر
بناه ييئون قد بشهر
وفي يدها الذهب الأحمر^(١)
مأجله حوله تنهر
لنا عسكر دونه عسكر
لها بهجة ولها منظر
وأجدادنا وبها تقبر
فحشو مقابرنا العنبر
وماتوا جميعاً فلا أخسر
ولا بد من قنر يقنر
ولا الموت من ربنا ينكر

قال معاوية : لله أبوك ، لقد حدثني عجباً ! فاخبرني ما صنع تبع

(١) روى الهمداني في كتاب الاكليل - وفي متنها الذهب الأحمر - كه .

لما رجع من طول غزوته هذه ورجعته من ظلم الأرض ودوسه البلاد ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين . ان تبعاً لما رجع من غزوته تلك مر بالمدينة فخلف فيها ابنه خالداً وترك في كل أرض رابطة من الأجناد ، ثم ان أهل المدينة قتلوا ابنه خالداً . فلما بلغ ذلك تبعاً قال في ذلك شعراً . قال معاوية : وما قال يا عبيد ؟ قال : قال هذا الشعر الذي يقول فيه :

يا ذا المعاهر ما أراك ترود	أقذى بعينك عارضاً أم عود
منع الرقاد فما أغمض ساعة	نبط يثرب آمنون قعود
نبط أشاب الرأس مني فعلهم	لا بد أن طريقهم مقصود
لا تسقي يديك ان لم نلقها	جرحاً كان أساسها مجرود
بسيوف حمير . والأقاويل وسطها	والخيل تبدو تارة وتعود
يا ذا الكلاع كأنني مورود	من أمر حمير والدوي عتيد
ما بال يثرب غلقت أبوابها	عني ومثلي للعداة صيود
ما بال يثرب لا يجني ربها	وسراة حمير بالسيوف ركود
فلا وقعن بآل يثرب وقعة	حتى تلاقي حمير ويهود
النازلين حريم خزرج عنوة	فلهم لدي سلاسل وقيود
أعدتها لهم فكلهم بها	لو نزلت فحماهم مقصود
ولا هلكنهم كما قد أهلك	عاد بريح صرصر وثمود
قهرأ كما دانت لنا آباؤهم	ما صاح في طبق الصباح غريد
ولا تركن بلادهم وحماهم	ولهم بذلك في البروز شهود
ولقد وليت على هوازن شهراً	أيضاً فيسي الوالد المولود
ولقد حطمت حصون فارس حطمة	يوماً أشاب لحربها الصنديد
أبناء فارس قد تركت عليهم	حيم السباع صواجر وورود

وتركت سابور الجنود كأنه
ولقد ثغرت لقندهار ثغرة
وتركت أرض السغد ليس لجمعها
وتركت بلخاً والحصون وكابلاً
ولاخضبن سباهم بدمائهم
والهند والسند اصطليت بنارها
والصين لما ان انحت بركيها
والروم قد شربت بكأس مرة
ولقد حوت الأرض من أطرافها
نحن الملوك بنو الكرام وعندنا
وأسير في عرض البلاد معماً
حشو الحرير لباسنا في أهلنا
من نسج داؤد النبي ونسجنا
نصلي الحروب بكل أبيض صارم
والضاربون الكيش في يوم الوغى
وسيوفنا يقطعن كل خصبة
نهب القيان مع الجياد سجية
مخوفة أعناننا بنخيلنا
لو كان يرعش خالداً في ملكه
أو كان حيا خالد في ملكه
من ذا الذي ورث البلاد ولم يمت
اني لاعلم في المواطن أنني

غبر الفلاة مشرد مطرود
فهوى لذلك حصنها المعمود
ملك يهاب ولا قنا معدود
تعي عليهم طيرهم ونرود
وليصلين معاطس وخذود
وبحرها من بعد ذاك جمود
تجي لشمر ذي الندى وتعود
مني وفرق جمعها المعدود
حتى انتهيت وربنا محمود
تسعون الفاً للطراد شهود
بالمك والشرف القديم أقود
ولباسنا يوم الهياج حديد
نسج يشد قتيورها المسرود
ما فيهم عند اللقاء خمود
ورماحنا يوم اللقاء بنود
من صنع يرعش صنعهن حديد
كرماً وليس لفعلنا موعود
للضيف أما يأمننا موجود
خلدوا وأسعد ذو الندى وسعيد
وجذيمة الوضاح والمسعود
أم هل لحي في الحياة خلود
يوماً ساهلك والحياة تبيد

ولقد علمت لن هلكت وأوحشت مني البلاد لأهلكن فقيد
ولتبكين علي كل قرينة كانت تضن بدمعها فتجود
يا عمرو لا تعجل علي مني للملك تأخذه وأنت جؤود
فإذا ملكنا الملك فاعلم أنه حرب فكيف إذا اصطليت تذود
اني وعمرا يوم أطلب نفسه غزوا لا حد ملكة تحميد^(١)
فاعلم بأذك ميت ومحاسب يوماً فينجو متق وسعيد
اسمح لقومك بالكرامة أنهم أهل لذلك والكريم يسود
قحطان جدي لن يلاقي مثله ما عاش ذو روح وأورق عود

قال : ثم ان تبعاً سار إلى المدينة ثائراً في ابنه ، فلما قارب المدينة نزل
على بئر - فسميت بئر الملك - حين نزل عليها فالتقاه مالك بن العجلان
الخزرجي فقال له : أيها الملك ان اليهود قد استولوا علينا وبيننا وبينهم حرب
فانصرنا عليهم فانما نحن منك ولك . قال : وكيف أنصركم عليهم وأنتم
قتلتم ولدي وقد جثتكم أريد قتالكم وخراب قريبتكم فاخبرني كيف كان
قتل ابني خالد ؟ قال : أفسدت أمه بينه وبين امرأته ، ثم احتالت له فقتلته .
قال تبع : ولعبت الحبة بالكبة أو لعبت الكبة بالطبة^(٢) - فذهبت مثلاً -
ثم انصرف مالك بن العجلان إلى أهله فقال لأمه : ان أبا كرب قد وعدني
بالنصرة . فقالت أمه : ليت حظنا من أبي كرب أن يسد خير خيله - فذهبت
مثلاً - ثم أن تبعاً بعث إلى ثلاثمائة من اليهود وثلاثين رجلاً ففرض
أعناقهم وهم بنحراب المدينة ، فقام اليه رجل من اليهود - يقال له كعب بن

(١) كذا - ح .

(٢) كذا - فراجع .

عمرو - وقد أتى عليه من عمره مائتان وستون سنة فقال له : أيها الملك لا تقبل على الغضب وأمرك أعظم أن يطير بك النزق أو يمسك في قلبك الحاح وتنزع إلى ما لا يحمل بك ، وانك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنها مهاجر نبي يخرج من هذه البنية - يعني مكة - وهو من ولد اسماعيل بن ابراهيم - خليل الله - قال تبع : ومتى يكون ذلك ؟ قال : بعد زمانك بدهر طويل . فلما سمع كلامه سكن وكف عن خرابها .

قال معاوية : لقد بلغني يا عبيد أن اليهود كانوا بها ما كان للخزرج معهم فيها أمر ، حتى ان الرجل يتزوج المرأة ، فما يصلها حتى يبدأ بها رجل من اليهود ، وكانوا غلبوهم على أمرهم . قال : معاذ الله يا أمير المؤمنين لقد بلغك ما لم يكن ، ولقد كانت اليهود بها أذلاء ، فكانت الأوس والخزرج أمنع من ذلك وأشد ، ولقد أخرجتهم الأوس والخزرج من المدينة حتى سكنوا خير ، وما كانت امرأة من الخزرج يقدر عليها رجل من اليهود أبداً ! قال معاوية : فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال عبيد : نعم يا أمير المؤمنين قد قال فيه السموأل بن عاديا الفساني - قال ان رجلاً من اليهود عاب اليهود في صنعته - فأثأ وهو يقول في ذلك :

عبت اليهود ودينها لك نافع أيضاً يفوز به الحساب الموثق
دين ابن عمران ويوشع بعده موسى وهارون النبي الموثق

قال معاوية : دع هذا وخذ في حديثك الأول . قال : نعم يا أمير المؤمنين . لما قضى تبع لبائته من يثرب ، توجه إلى مكة يريد خرابها فأتاه رجلان من أحبار اليهود لهما علم وعندهما معرفة ، فأخبراه بأشياء وعلامات فعجب لهما وأدناهما وقربهما إليه ، وقد كان آتاه رجلان من هذيل في نفر

من قومهما ، فقالوا له : أيها الملك إن هذا البيت الذي تعظمه الناس وتزوره العرب فيه أموال كثيرة وكنوز من الذهب والفضة واللؤلؤ والجوهر والدر والياقوت مالا يحصيه أحد ولا يعده ، وكانت جرهم تجمعهم ، وأنت أيها الملك أحق بها مع أنا نرى هدمه ونقل حجارته إلى اليمن ، فيكون في دار الملك وحيث الريف والخصب فتعظمكم لذلك العرب إلى آخر الدهر يكون مكرمة لك ولآبائك ولقومك ويكون لولدك الطول عليهم بوضعك إياه هنالك . فلما سمع تبع مشورتهم وكلامهم هم بذلك فأخذته الحمى - وكان لا يعرفها ، فكانت لا تقره على الأرض - فلما أحس تبع ذلك دعا الحبرين فقال لهما : ما هذا الذي بي ؟ قالا : هذا شيء سلطه عليك رب هذا البيت . قال : ففزع من ذلك ، ثم مضى حتى نزل لرؤيته . ثم عاد فأصبح في الوضع الذي ارتحل منه وأصبح فيه وجع أشد ما أصاب مخلوق . فلما أحس ذلك دعا الحبرين فقال لهما : ما الذي تريان أن أصنع ؟ قالا له : أيها الملك انا قد سمعنا هذين الهذليين وما أشارا عليك به في هذا البيت ، وإن الذي تجد في جسدك من الألم حين هممت بقولهم وأجبتهم إلى ما أشارا عليك به ، فإن أحببت العافية فكف عن هدم البيت وانو له حيراً ، فإذك لا تطيق مبارزة رب العالمين وحدث نفسك باكرامه وإعظامه . قال : ثم سار حتى قرب إلى الحرم فأصابتهم ريح كادت أن تهاكهم جميعاً ، ثم دعا بالحبرين فقال : ما هذا ؟ قالا : له سرت إلى حرم الله ثم بهدم بيت الله لتهلك نفسك . ثم لا يرجع ممن ترى معك عين تطرف وما أراد الهذليون إلا هلاكك وهلاك من معك . قال : فأمر تبع بالهذليين فضرب أعناقهما فقال تبع للحبرين : اني أريد أن أدخل البيت وما أصنع إذا دخلته ؟ قالا له : إن أردت أن تدخله فاسلم لربه واحرم وانحر له فإنه سيؤذن لك في دخوله ، فسار تبع حتى دخل

مكة فأسلم وأحرم وطاف بالبيت وحلق ووقف المواقف كلها ونحر البدن وأطعم الناس وكسا البيت الملاء المعصب والخبرات ، وأقام بمكة سبعة أيام . فلما أراد الانصراف إلى اليمن أراد أن يحمل الحجر الأسود إلى اليمن فنهاه الخبران عن ذلك ، فتركه وانصرف إلى اليمن .

قال معاوية : يا عبيد فهل قيل في ذلك شعر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال فيه رجل من قريش . قال معاوية : وما قال من الشعر ؟ قال عبيد : قال هذه الأبيات :

لعمري لنعم المرء حل لديكم	له المجد والانعام والعز تبع
آتانا كريم ما جد ذو حفيظة	أغر كريم الوالدين سميع
فلم نخش منه إذ أتى البيت زائراً	ولكنه سمع الخليفة أروع
طلبنا إليه أن يقيم بأرضنا	لنا الركن انا حين يوخذ نجزع
فقال نعم نعمي وأنتم ولاته	وليس له عن حرها الدهر متزع
مضى رأيه في قومه غير واهن	فمنه جلود مجدها ليس يدفع

قال معاوية : فانشدني يا عبيد الشعر الذي قال تبع في قتل ابنه خالد قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال هذا الشعر :

ما بال عينك لا تنام كأنما	كحلت اماقيها بسم الاسود
أرقاً لما فعل اليهود يثرب	فلبثت في غمدان كالمتلبد
وحلفت عهداً تبلغن نخيلهم	زبر الحديد عشية أو من غد
فجعلت عرسه منزلي في روضة	بين العقيق إلى بقيع الفرقد
وهنا يثرب روحنا وصدورنا	تغلي جلائلها بحرب محصد
ولقد نذبت إليهم فأجابني	من في الحصون إلى مدينة أحمد

غر كرام لم يدنس عرضهم
ولقد تركنا لايها وسباخها
ثم انصرفت أريد مكة عامداً
لما آتاني من هذيل أعبد
قالوا بمكة كثر قوم دائر
بيتاً يطاف به وينحر حوله
فأردت أمراً حال ربي دونه
فرددت ما أملت فيه عليهم
ما كنت أحسب أن بيتاً طيباً
حتى آتاني من قريظة عالم
قالوا ازدجر عن قرية محجوبة
فعفوت عنهم عفو غير مثرّب
أعفيتهم لله أرجو عفو
فكسوته الریط اليماني رغبة
وجعلت اقليداً لجانب باب
أرجو بذلك عند ربي زلفة
وتركت من قومي بمكة أسرة
قوم يكون النصر في أعقابهم
فركتهم أقبالها وملوكها
من بعد ما دخت البلاد وجبتها
ولقد طحنت الأرض ثم وطئتها
قد كان ذو القرنين خالي مسلماً

نسب النبيط ولا العلوج الاعبد
كقراقر نبت بقاع أصلد
لخرابها لا كالذي لم أعمد
يتنصحنون فرمت أمراً لاعبد
وجواهر من لؤلؤ وزبرجد
بدن لدى حجر وركن أسود
والله يدفع عن خراب المسجد
وتركتهم مثلاً لأهل المشهد
لله في بطحاء مكة يعبد
حبر تدين له اليهود وتقتدي
لني مكة من قريش مهتدي
وتركتها لعقاب يوم سرمد
ولحفظ ما بيني وبين محمد
وطراز عصب المحكم المتجرد
وجعلت بابه صفيح المسجد
وحذار حر من جحيم موقد
ويثرب منهم كرام المحتد
وبقية ممن ينب ويهتدي
وعظفت نحو المستراد ومولدي
وعركتها عرك الاهاب الاجرد
يجدون قصة أمرنا في المسند
طاف البلاد من المكان الابعد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي
فرأى مغار الشمس عند غروبها
وبنى على ياجوج حين آتاهم
رد ما بناه اذ بناه مخلدا
ولقد بنت لي عمي في مارب
فثوت به تسعين عاماً قد حوت
يغلو عليها الف الف كلهم
عمرت به أزمانها في ملكها
فرأت سبيل الرشيد حين تبصرت
نزلت عن الملك العظيم لربها
نحن الملوك فما يرام لضمنا
قال معاوية: لله أبوك يا عبيد فهل قال تبع في رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم شعراً حين ذكر له الخبران أمره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين
قال: - وهو يذكر خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الشعر،
الذي يقول فيه:

شهدت على أحمد أنه
له أمة سميت في الزبور
فلو مد دهرى إلى دهره
وكنت ظهيراً على المشركين
إذا ما صناديدهم كلبوا
واجعل نفسي له جنة
ومن نسل قومي له ناصر
رسول من الله باري السم
فأمة أحمد خير الأمم
لكنت وزيراً له وابن عم
أسقيهم كأس حرب وهم
أغشيهم كل صفر هضم
وأفرج عن صدره كل خم
فيؤونه ثم لا يهضم

فويح قريش إذا جاءهم	وجاش بهم بحرهم ثم طم
نيهم خير أسلافهم	يوالي ذوي الدين دون الرحم
نيهم خاتم الأنبياء	ولم يعط زرعاً وحرم النعم
نبي وجدناه في كتبنا	به يهتدى وبه يعتصم
يسود الانام يرهانه	وبالرغم يسي ذراري العجم
ومنا قبائل يؤونه	إذا حل في الحل بعد الحرم
ويمنعه حد أسيافنا	ووقع الرماح كوقع الرهم
رجال يقومون من دونه	ويوفون بالعهد له واللمم
ملكنا الانام فدانوا لنا	أذل من النعل تحت القدم
ودانت لنا السند في أرضها	ودانت لنا الهند بعد الوهم
سموا وسمونا لهم إذ سموا	وقاضوا وفضنا عليهم بجم
بأبناء قحطان من حمير	بباليل أسد طوال اللمم
أحننا البلاد بأسيافنا	وبالسمهرية تلظى بسم
وكل جواد من الصافنات	على ظهره بطل مستلم
فكم من قبيل سلبناهم	فأمست بهائمهم تقتسم
من المسجدي وكثر اللجين	وبز الحرير وببيض الحرم
وسوف إذا غشيتنا البلاد	يلي الملك بعدي رجال قدم

قال معاوية : يا عبيد فهل قال تبع في الهذليين ، حيث كان منهما ما
كان حين عاقبهم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال فيهم هذا الشعر
الذي يقول فيه :

قد أتني عصابة من هذيل
 زعموا أن بيت مكة بيت
 فهمنا بقلعه فأبى الله
 يأمن الناس أن سألت وفيه
 قال لي الخير لا ترومن هذا
 ثم يأتيهم من الله طير
 فرددت الذي أردت على القو
 ثم صلبتهم بصحر نكالاً
 بحمد الله تبع إذ وقاه
 وآراه السلم في كل وجه
 ثم أصفاه أنه البس البيت
 ذاك بيت مطهر لقريش
 بني بجيء بعد زمان
 قال ذاك الاحبار أن قريشاً
 تجدون اسم أحمد في كتاب
 ومحل ما طيب الله
 لو قضى الله ربنا أن آراه
 ولظاهرتة على كل من رام
 ولذلك النبي منا حماة
 معشراً وتروا بأحمد قلما
 ينصبون الحروب للناس نصباً
 كلهم ناصر ومن نصر
 آل لؤم ومن قبيل لثام
 قد بنوه على كنوز عظام
 إذ هممنا بقلع بيت حرام
 تأمن الطير في وكور الحمام
 ذاك مما يروم أولاد حام
 فرض الرؤوس رض العظام
 م بقطع الأكف والأقدام
 مثبت قد زبرت في الأحكام
 في ممر الشهور والأعوام
 إذ عراه ورده بسلام
 الذي أسسه الخليل المحامي
 أوثروا بالنبي خير الانام
 يمنع الناس خدمة الأصنام
 سوف تأتي بأفضل الإسلام
 ب الله حقاً محرماً للحرام
 تروكا للاصر والآثام
 كنت منه بمنزل الابهام
 سفاهاً له بكل مرام
 من يرامي عن دينه ويحامي
 ببلاد النخيل والآطام
 برماح وكل غضب حسام
 الحسق أضاعت له فجاج الظلام

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد حدثني عجباً ! فأنشدني الشعر الذي قاله
تبع في كسوة البيت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال هذا الشعر ، وأنشأ
يقول :

جددي الحيل لا تربى الوليدا	وصليني ولا تخوني العهودا
أن تجدي وصلنا أم عمرو	ويكفي المتيم المعمودا
فصليني تواصلني أريجيا	أكرم الناس حين أنسب ^(١) عودا
لست بالفاحش القطيع وليست	شيمتي أن أكون باغ حسودا
الصق الحدن ذا الصفاء بودي	وأرمي العدو حتى يقبدا
وسلي عن مسيرنا إذ غزونا	كيقباز والترك والاكرودا
يوم لا تعرف التجارة فينا	ولنا الملك أن نقود الجنودا
ورث الملك تبع وبنوه	ورثه عن الحدود جدودا
وسلى عن مسيرنا من ظفار	بجمع ثوم غوراً بعيدا
يجياد جنبتها بسمرقند	عرايا قبّ الأياطل قودا
وعلينا سوايغ محكمات	قد ورثنا أمامها داودا
كل فضفاضة دلاص ثني	أهم القين قدرها المسرودا
وسيوف قواطع قد جلاها	صانع كان قبل ذاك مجيدا
وارتدينا بكل غضب حسام	أحكم القين صنعه تجريدا
ومعي للقاء تسعون ألفاً	قوم حرب مسر بلون الحديددا
وجعلنا للخيل خيلاً وللرجل رجلاً	وللقرود قرودا
وجعلنا على المجنبة اليمنى	أخاً الحرب ذا الكلاع يزيدا
وجعلنا على المجنبة اليسرى	صبوراً على اللقاء شديددا
حسن الدين والتحرف والجيلة	لا طائشاً ولا رعيددا

(١) في الأصل اشب - ح .

قد غشنا بخيلنا أرض مرو وقتلنا اليهود قتلاً عنيدا
 وزبرجا وقندهارا وميا * ركدت فيهم السيوف ركودا
 وهزمتنا جموع روم وترك ومن السند قد عفرنا الحدودا
 وإلى الصين سرت حولاً جديداً أقتل الكهل ثم أسبي الوليدا
 واستبحنا جميع ملك قباذ وجبيناه صاغراً مصفودا
 وتركنا جبال كرمان مما دعستها الحيات سهلاً صعيدا
 وقتلنا رجال فارس طرا ثم كنا عند اللقاء أسودا
 ثم بهران والهرمزان قتلنا ثم ولي النصيب منا طريدا
 ثم من حمير أثرت وتيم ثم من يثرب قتلنا اليهودا
 فسينا نساءه وبنيه والذي قد حوى فأمسى وحيدا
 ثم أخربت بالمشقر أرضا وآتاني بها النبط وفودا
 واستبحنا البلاد من كل فج وملكنا العباد ملكاً حميدا
 جيت نخونا البلاد بصغر لم يكن غزونا البلاد وحيدا
 وأمرنا الملوك حتى استذلوا فرى حولنا الملوك همودا
 ثم دسنا بالخليل أرض معد وجعلنا لها معداً عبيدا
 وتميم عليهم وهس الرمل ونهدي إلى جيوشي القيودا
 وبني تغلب جعلت وبكراً لبناء المنار طيناً وشيدا
 وهذيل جعلت للبري والريش وكانوا أقل حي عبيدا
 وثقيفاً لدبغ أسقية الجيش وصنع الحبال فتلاقعودا
 ثم ابنا نؤم قصداً سهلاً ورقمنا لواعنا المعقودا
 وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معصباً وبرودا
 ثم طفنا لديه عشراً وعشراً وخررنا عند المقام سجودا

وأقمنا به من الشهر سبعا وجعلنا لبابه اقليدا
وأمرنا بأسرة الجرحميين ونواخرهم بحافتيه شهودا
وأمرنا إلى بريق مساوكننا حين لونا ولا دماً مفصودا
ونحرننا بالشعب تسعين ألفاً فترى الطير نخوهم ورودا
وصفا ملكنا لنا غير أني لست أرجو مع الفناء خلودا
كل ملك يفني سوى ملك ربي فله ملكنا حميداً مجيداً
خلق الخلق فاجراً وتقياً وشقياً بسعيه وسعيداً
قاهراً قادراً يثبت ويحيي خلق الخلق مبدياً ومعيداً
حمير أكرم الانام وقدماً سادة الناس حقنا أن نسود

قال معاوية : يا عبيد أنشد شعراً غيره . قال : نعم يا أمير المؤمنين أنشأ
تبع يمدح قومه ويقول :

أيها الناس لست أعرف قوماً مثل قومي في سالف الأزمان
نحن كنا إلى المآثر والمجد ورثنا العلاء من قحطان
لم نزل حمير لها الفضل في الناس عطاء من واهب منان
فهم سادة الملوك وكل الناس عبد لنا بسوق هوان
لم نزل نملك البلاد بقهر وندوس البلاد بالفرسان
يوم قدنا الخيول نحو معد من ظفار فجاني غيمان
وأثرنا الجيوش من ساحل البحر فما دونه إلى نجران
فتوافتنا لنا بمقل ازال^(١) كشبيه الجراد أو دخان
مائتا ألف فارس كل ألف في لواء مشهر الألوان

(١) ازال - اسم قديم لمدينة صنعاء - لكه

معهم مثلهم رجال مصاليت ليوث يمشون في البلدان
 ثم قلمتهم سوى الألف القا كلهم ماهر بعطف عنان
 يسمع السامعون للأرض منهم هدة لا تزال في رجفان
 يتركون الفضاء ضيقاً بما فيه وما دونه من الغيطان
 ساقهم من بلادهم لبلاد غيرها أسعد أبو حسان
 ملك يبرم الأمور بحزم غير زميلة ولا متواني
 لم يزل يقدم الجيوش بخيل وعليها عديدهم للطعان
 كل قيل مملك حميري ليس بالمشي ولا بالحبان
 يشرع الرمح في نحور الأعادي ويروي القناة بعد السنان
 ويشق الصفوف في حومة المو ت إلى الموت والرماح دواني
 فوطئنا ما بين يثرب والشا م بكلب والجمع من غسان
 وسددنا ثغر الحجاز بازد الصقوا بالحجاز كل هوان
 وورثنا عمان قدما بازد غير هذا فتلك ازد عمان
 ثم وجهت ذارعين بجيش من قرى دامغ وأرض الهان
 ثم سرحت ذا الكلاع بخيل ورجال كالليل من همدان
 ثم قدمت ذا معاهر في الاسرة من منحج ومن خولان
 ثم أردفتهم بيحصب طرا أو بذي فائش وذو بلجان
 ثم تبعتهم وسار لوائي لست أبغي سوى بني عدنان
 فرموهم بجحفل ذي زهاء طحنوهم بكلكل وجران
 تركوهم مع الضباع يلودو ن من الخيل ثم بالكثبان
 فقضيت الأوطار ممن يلينا من تميم والحي من عيلان
 وأقمنا على ربيعة يوماً تذهل المرضعات عن ولدان
 ثم سرنا إلى اليمامة قدضا ق بنا كل غائط ومكان

فقتلنا بها جديساً وطسماً وقصدنا بالمنبت الخيزران
فأبرنا أهل المشقر فسراً ثم رمنا زريخاً مع ساسان
وعركنا العراق عركاً شديداً فمحل الأولى من كرمان^(١)
ودخلنا بخيلنا جبل البلخ إلى نحو شاطيء الخوزجان
فقتلنا ملوكهم واضطميناً بعد ذا بالحديد في الهرمزان
ثم اخربت بعد ذاك سمرقند ثم من بعدها قرى أصبهان
ثم حدثت أن بالصين ملكاً وكنوزاً من خالص العقيان
وجبالاً من اللجين عتيقاً ثم دراً وعسجد المرجان
فتوخيتها بعمره أخي البأس صبور اللقاء غير جبان
فدعست البلاد بالخيـل حيناً ثم وجهتها إلى خيزران
فالتقينا العبيد بالخرج والمال فأبعدتها بجي يماني
وشفينا الصدور ثم قفلنا بعد اثـرنا البلاد بعد زمان
فطحننا يهود خيـر حتى أصبحوا مثل دارس العلوان
ثم سرنا نؤم مكة بالخيـل لنختار عالي البنيان
فأبى الله فعل ذاك فطفنا بسبوع العتيق ذي الأركان
وكسونه خير ما كان يكسى وحمينا له من الأوثان
وحبونا سكانه بعطاء وكتبنا لهم كتاب امان
وقضينا الذي أردنا وابنا وقصدنا نؤم نحو دنان^(٢)
وحمدنا الله الذي أحيانا ووقانا فوادح الحدثان
لم تطب مهجتي ولم اراني نمت حتى اتكأت في غمدان

(١) كذا في الأصل .

(٢) بالأصل - دمان ودلان موضع باليمن ذكره ياقوت - كه .

وفراشي على الأرائك خز ودمقس يعل بالارجوان
وشربت الرحيق صرفاً بمسك صافي اللون منزعاً في الدنان
قال معاوية : لله أبوك يا عبيد ، لقد حدثتني عن حمير بالعجب ولقد
كانوا في رفاهة عيش من دنياهم وأموال قد اوتوها ! فاخبرني ما صنع
تبع بعد هذا ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين : كان تبع إذا أراد أن يخرج في
الغزو أو في سفر دعا أهل النجوم وأصحاب العلم والمعرفة فسألهم عن علمهم
فيأخذ برأيهم فإذا أمروه أن يسير سار . فكان هو أيضاً يعرف النجوم .
قال معاوية : يا عبيد فانشطني ما قال في النجوم . قال : يا أمير المؤمنين
قال هذه القصيدة :

اضمحل الطلول من دار نحفا فرسوم الديار مثل السطور
اقفرت بعد عامر وأنيس من مهاة ومن غزال غرير
ناضر العيش في عمارة ملك ونعيم وبهجة وسرور
طال ليلى لما تذكرت نحفا ودعاني الهوى نحو المسير
فتململت في الفراش وأجمعت مسيراً المصلتين صفور
برجال إذا هم ركبوا الخيل وساروا في الجحفل الجمهور
تتهادى كأسد غاب عليها كل درع مسرد مشهور
قلت لليلة التي طال فيها أرقى في قرى ظفار انيري
فكملت الجموع كشاً رحيباً وارتحلنا بصمة الاحمور
ثم سرنا مسير صدق نؤم الجدي في سيرنا يمين المسير
ثم بالدبر ان دارت رحانا بالصناديد كالرحا المستدير
ثم بالهقعة التقينا فكانت ليلة كرها لكل مغير
ثم بالهنة ارتحلنا جميعاً وقتلنا الوزير بعد الأمير
ثم سرنا وبالنراع نزلنا وظللنا بنعمة وحبور

ثم بالنثر شط مني نوى البعد فاغنيت كل بائس وفقير
ثم بالطرف احتملنا وكنا آل ملك وثررة وفقير
ثم بالنطح لم نزل نطح النسا س بقرن مذلق مطرور
ثم بالدبران خربت أرضا من وعيدي وزجرتي ونقيري
ثم بالصرفة ارتفعنا فكنا جبهة الرأس فوق عين النظير
ثم بالعواء للأعادي نزلنا بقضاء الواحد الكبير القدير
ثم سرنا مع السماك علينا كل فضفاضة كماء الغدير
ثم بالفقر سرت بالخيول قلما بكماة وكل قرم جسور
ثم بالكوكب الزباني معد أزمعت بالعواء بعد الهريز
ثم صبحنا بالاكليل كل عدو واجتلبنا مخبيات الحدود
ثم بالقلب قلبت هام قوم بسيف مذلقات ذكور
ثم سرنا وبالنعام نزلنا يوم رهج وصوله وهدير
ثم بالبلدة اعترضت الأعادي بجموع وكان ذاك سروري
وبسعد ذبحت أبناء سعد ووضعنا المدى بها في النحور
وبسعد السعود أسعد جدي فاستوى الملك واستقام سريري
وبسعد اصطلمت كل عدو ووادت الأحياء أهل القبور
ثم بالفرغ مقدم الدلو حولي بعد نهب وقتل قوم كثير
ثم بالفرغ آخر الدلو صرنا كل قرم متوج محبور
ثم بالحوت قد حوت الأعادي بعد ايغالنا بخير المصير
ثم بالسرطان صاحت معد بالعناجيج والسيوف الذكور
ووطننا بالبطن أرض معد من جموعي إلى العلي الكبير
ورجعنا إلى الثريا فسرنا بالعناجيج نعتلي بالزعمور
يوم تقع وظلمة ديجور

اجعل الفرقدين والحددي يمني حيث دارت بنات نعش ندور
لا أبالي النسرين حيث استقلا وسهيلا اذا أجد مسيري
ثم امت زهرة الردف قصداً لمقامي ونعمتي وحبوري
انما طيرة النجوم لغيري ولنا يمنها بلا تطير
وفعلنا فعالنا إذ فعلنا واستبنا الأمور بعد الأمور
ثم نادوا ان اركبوا فركبنا كل شقراء زينة في الهجير
فاذا البأس راح عنا فانا آل ملك ونعمة وحبور
وقيان يرفلن في غملى الحز وطوراً مظهرات الحرير
فانظري في فعالنا أم عمرو ليس هذا والأعمى مثل البصير^(١)
هل ثبتت البلاد من بعد طي وطويت البلاد طي الحرير
وانظري في البلاد هل مثل ملكي وسلي الناس عن فعالي وسيري
خبري عن فعالنا أم عمرو نجدني علم ذاك عند الخبير
تعلمي أننا عصارة ملك حبذا طيب عودنا المنصور
نفرغ اللحم للضيوف وشحما في جفان سرية وقدر
ليس مثل الذي تعلل بالحنظل من جوعه واكل الفطير واصبحني وعليني براح
يفزع الخلق ثم يرعد مني وأنا الغيث في البلاد المطير
قد كتبنا مسانداً في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور
وذكرت الذي يكون لحيني أن ملكي للباقي المنصور

قال معاوية : فهل قال تبع الأوسط في شعره شيئاً يذكر فيه ما وطىء
من البلدان ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : تبع ملكي كرب يذكر

مسيره وما وطئه من البلدان ، وأنشأ يقول :

ام عمرو فعجلي لي بزاد
أيها الناس رأينا رأي حق
بالعوالي وبالعناجيج نمشي
وبجيش عرمم حميري
شهر البلق جانبيه ويزهو
الف الف كمثل ذاك وخلفي
ولذا سرت سارت الشمس خلفي
ومعي حمير وحمير قومي
لا يرون العدو الا فسادا
فطويت البلاد طية برد
وملكننا ما بين ابين والرس
ليس للناس في المكارم حظ
ما تركنا للناس في الأرض مالا
أو رئيس يرى يقود إلينا
أو رأينا ناراً تشب علينا
أو حشدنا خيلاً لا هلاك قوم
أو آتانا من البلاد وعيد
أو رمانا العدو الا رمينا
أو سما للعلاء الا سمونا
أو أراد الكبار الا كبرنا

قد بدا لي من الحوادث بادي
ومن الرأي سيرنا في البلاد
بالبطاريق مشية القواد
جحفل يستجيب صوت المنادي
من ذراها إلينا مثل السوادي^(١)
موكب فاعلمي شديد المقاد
ومعي في الجبال في كل وادي
آل مجد ونجدة وجلاد
وكراماً ليسوا بأهل فساد
وثبت القفار ثني الوساد
وزادت به الجيوش مزاد
غيرنا اننا بنو الانجاد
لم نصبه من طرف وتلاد
خيله لم يبت لنا في صفاد
لم تعد نارها الى اخماد
لم ندعها شداً بلا أيعاد
لم نزل فوق ذاك في الميعاد
هـ بمشحوذة صلاب شداد
نحو بيت لنا طويل العماد
من أراد الكبار يوم الحساد

(١) كذا - ح .

أو دعا للنهاب الا دعونا
قد شككنا الخيول ما بين نجرا
علم الله قد صدقت واني
ولقد سرت بالمساعدة الفر
ورجال من المقاتل تردى
جمع قحطان في السور يعدو
حمير معشري وحيدان قومي
كندة الخير عن يمين مسيري
والبهاليل مذبح مسترادي
ومعي من بجيلة الفر قوم
وأسود من خثعم غير ميل
فهم أسرتي وعز رجالي
وتوافت إلى همدان تمشي
وتناهت الي طي مع الاز
وبنو الحارث الاسود إذا ما
وزيد والأشعرون ونحولا

آل خطب يأتون كالوراد
ن إلى يحصب فارض مراد
لمصيب في كثرة التعداد
بييض مأثورة وصعداد
فوق جرد من الخيول جباد
ومعداً جعلتها لو ساد
وهم سلوتي وجمع مرداد
بالسكون السكاسك الأنجاد
أجلس الخيل في عراض البلاد
يحسنون الطعان يوم الجلال
لا ولا عزل ولا انكاد
وهم مفخري وذكر مقادي
مستعدين مثل رجل الجراد
د وعبس والحي حي اباد
ركبوا الخيل كان يوم جلال
ن وعز توافي جماعة الحساد (١)

وأنت مذبح من الحزن والسهل
فتهاب الليوث حين تراهم
وإذا ما رأيت حمير خلفي
ثم أيقن بأن قومي كرام
وجدت يرون بالرياسة والمملك
ابحنا بمذبح كل وادي
خلقوا في الكمال خلقة عاد
وأمامي فذاك يوم الحصاد
آل بأس وهم سمام الأعادي
وقتل العداة يوم التعادي

(١) بالأصل - وحسادك على كل فهو غير مستقيم - ح .

ثم خل الطريق عنك وأيقن
فهم ينزلون للطعن والضر
قد بدا لي الغداة أنعت خيلا
فابيد اللثام آل معد
وعنيد في الدهر قدما معد
وكذا كان من مضى من معد
ثم سيري أريك منا جلادا
وأريك الليوث يا أم عمرو
وأريك القياقي الغبر فيها
وأريك النواعم البيض تمشي
أم عمرو فلو شهدت انتقالي
أم عمرو فلو شهدت جلادي
لعرفت الكرام يا أم عمرو
وجعلنا النبط لحماً عبطا
سائلي الترك والصقالب والزنج
وسلي عن ثمود في أرض حجر
وسلي آل حام السود عنا
وسلي عن أخي التجارب والبا
سلي النبط والقرايات عنا
قومنا حمير المقاديم في الحر

أنه ليس ذاك يوم شهاد
ب إذا كان ذاك حين الورد
تتعادي بالصيد أي تعادي
أي واشفى غليل آل اباد
ولنا العز في جميع البلاد
من ايننا وسالف الأجداد
ترعد الناس وقعة في الأعادي
المصاليث كل واري الزناد
من سيول الدما كصب المزاد
بين قومي كمشي غير تهادي
كل حي من حاضرين وبادي
واحتزاز الأعناق في كل وادي
ونسيت اللثام آل الفساد
وطحنا الأعداء طحن الحراد
وأهل القريض كيف اجتنادي
تستبيني أمراً لكل العباد
ثم أولاد يافث والرفاد
س رؤوساً فسائليها تنادي
قد حكمنا في أهلها بالسداد
ب فزوع الأيام يوم التنادي

قال معاوية : ما فيهم ابني ولا أظلم من هذا في قوله ؟ قال عبيد : يا
أمير المؤمنين كذلك كان في عنف بغيه وجبروته في زمانه وزاد ما وطىء من

البلاد من آثار آبائه وأجداده وما انتهى من مسيرهم قوة في نفسه وجبروته .
قال معاوية : لله أبوك زد أنشدني شعراً من شعره . قال : نعم يا أمير
المؤمنين - وأنشأ هو يقول :

انعم صباحاً أسعد الكامل	يا ناقاً بالثار والتابل
اثني على الله بالائه	الواحد المقتدر الفاضل
في كل ما أولاك من نعمة	وكل ما أعطاك من آجل
في العام أعطاك الذي تبتغي	ثم يزيد الضعف في قابل
سرنا إلى الأعداء في أرضنا	لم نك نرجو قفل القافل
في جحفل كالليل من حمير	قد حضروا بالاسل الذابل
ومثلهم أعددت لي موكباً	مستوسقا مثل الدبا السائل
ومثلهم يقدمنا في الوغى	إذا دعا النازل بالنازل
كم فيهم من بطل معلم	من كل ذي ترس وذي نابل
قد ضاقت الأرض بسرعاتها	من فارس نهد ومن راجل
ما يفقد الغائب من جيشنا	وعندنا الغائب كالأهل
يا أيها السائل عن خيلنا	عبت عن المخبر والسائل
تسمون ألفاً عدداً بلقها	ودهمها كالعارض الوابل
والكمت والجرد تعادي بنا	بكل قرم بطل صائل
الطاعن الطعنة يوم الوغى	يقصم فيها مفصل الكاهل
فحمير قومي وهم معشري	أهل الندى والحسب الفاضل
هم معشري حقاً وهم أسرتي	أهل القرى المستحشد العاجل
ما فيهم عند اشتباك القنا	في الروع من نكس ولا خاذل
بل قد يرومون لأعدائهم	حتفهم في الموكب الهائل
سائل معداً عندها علمنا	فليس من يعلم كالجاهل

ألم نكن يوم لقيناهم
حتى رفعنا السيف عن قتاهم
لم ندع في الأرض من أقطارها
إلا أذقناه بها حتفه
تراهم صرعى بمبسوطة
لم يجلوا من حتفهم مهرباً
كانوا عناديد فمن هارب
ومن صريع بين أرماحنا
ومن أسير مصمت قلبه
مكت بأعلى خندف تركها
واستترلت قيساً وأحلافها
ما برحت قيس لنا طعمة
حتى استجالت خيلنا والتوت
في جبل الديلم ثم انثنت
ومن سجستان فما دونها
ومن قرى الشام فما حولها
والروم قد أدت لنا خرجها
والهند قد صبحهم جيشنا
وكانت السفد لنا موعدا
يجمع قحطان وأتباعهم
كم نكحوا من ذات بعل بلا

نقتلهم بالحق والباطل
وهم كنبت البلد الماحل
من شائع الذكر ولا حامل
حتف ثمود كان في العاجل
من بين منكب ومن زائل
إذ يتقي المقتول بالقاتل
ومن قتل مقعس مائل
مجنل ذي فرس جائل
ومن جريح ذي جوى داخل
وأفرغت ذلاً على وائل^(١)
حتى التقى العالي على السافل
نأكلهم بالناب والراول
تطلب ذحلاً في بني باسل
بالحد والحزم على كابل
فساحة القفر إلى بابل
في أرض مصر فالى الساحل
من قبل أن يأتهم عامل
بكل نهد ساخط صاهل
والخيل تعدى في قرى كابل
ما فيهم من عاجز خاذل
مهر ومن بكر ومن حامل

(١) كذا في الأصل بلا نقط والله أعلم - ح .

تزويج قهر غير ذي طاعة قول صدوق قائل فاعل
ومن نكاح رشدة نلبنا ^(١) للغازي المجتاز والعاقل
والذهب الأحمر يجي لنا إلى ظفار الملك والماجل
والمسك والانجوج يهدي لنا والدر في أصدافه الذابل
فكل أهل الأرض عبد لنا لا شك من حافٍ ومن فاعل
ان الذي نالته أرماحنا زاد على وصفك للقائل
ما تبع ان قلت ما تبع ان نصح المسؤول للسائل
هو الذي ينكى أعداءه فكلهم في نصب شاغل
ومن يقول الناس ان امحلوا عليكم بالملك الفاضل
النافع الضائر والمرتجى للخير والمنعم للواصل
نال الذي نال بإيمانه فليس بالنكس ولا الجاهل

قال معاوية : لله أنت يا عبيد ! فأين قول تبع الذي قال على الباء :
أرقت وما ذاك بي من طرب ولكن تذكر ما قد ذهب

قال عبيد : يا أمير المؤمنين إنك لتكلفني أقوال أقوام قد ذهبوا، كانوا
ملوكاً فإذا قالوا صفروا غيرهم لقلوبهم وعظمتهم . قال معاوية : يا عبيد
قد غاب ذلك عنا فقل فما جراننا ^(٢) لذلك أن تكن حمير ملكت كما ذكرت
فقد أورثنا الله ذلك من ملكهم فهو لنا اليوم قد انتزعه الله بنبيه محمد - صلى
الله عليه وآله وسلم - وهو منا فنحن أسرته وخير الناس بعده ، ولولاه
لم نكن شيئاً وجعل حميراً لنا ، والحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وأورثنا أرض

(١) كذا - ح .

(٢) كذا - ح .

أعدائه الجبابرة العتاة فقل غير متق شيئاً ولا سائب أحداً فأنت في ذمتي وجواري والله لك علي بذلك شاهد .

قال عبيد : يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل تبع بن ملكي كرب في جموع حمير من اليمن ومعهم عيالهم وأولادهم حتى وقفوا بأرض العراق للذي بلغه من رفاهية عيشها وكثرة خيرها يريد الأعاجم وملكها قباذ . وان تبعاً سار حتى نزل موضع الحيرة اليوم ، فعسكر بجموعه بالحيرة إلى الكوفة مما يلي شط الفرات قبل أن تكون الحيرة والكوفة. قال معاوية : الحيرة قبل الكوفة ؟

قال عبيد : وقبل البصرة بزمان ، والآن قبل البصرة بزمان طويل .

قال معاوية : خذ في حديثك عن تبع . قال عبيد : بلغ الأعاجم جمع تبع فاجتمعوا إلى ملكهم قباذ بيبابل - ولم يكن تبع يدرك تلك القبائل - فأجمعوا على الحرب ، فبعث تبع ابن أخيه شمر ذا الجناح على مقدمة الجيوش وجرد معه الخيول وأمره أن يجد في الطلب حتى يلقي قباذ وأصحابه وجموعه . ورحل تبع في الأثر مجداً في الطلب فتحير في صحراء الحيرة ثم نظر تبع فإذا هو غير بعيد من مكانه الذي رحل منه قال تبع : ان لهذا المكان نبأ عظيم فخلف العيال وذوي الزمانة والضعفاء والأثقال وخلف معهم عشرة آلاف فارس تحفظهم وسماها تبع « الحيرة » للذي كان من تحيره فيها ومضى تبع حتى واقع قباذ وجموعه بيبابل فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم قباذ وجنوده حتى أتى الري فاتبعه شمر ذا الجناح بالري ، وقد جمع بها من عسكره جموعاً كثيرة ليقاتلهم بها - فواقعه شمر ذو الجناح فقتل قباذ بالري وفض جموعه بها وأقبل تبع حتى نزل الحيرة بعد هزمه قباذ

بيابل لف بها من أرب أن يخلف مما جرى عليه من الأعاجم ، وسار
على وجهه ذلك إلى خراسان ، وفي ذلك يقول الشعر الذي قال على الباء .
قال معاوية : فاسمعي قوله ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فأنشد عبيد
عند ذلك :

أرقت وما ذاك بي من طرب	ولكن تذكر ما قد ذهب
تذكر ما فات مما مضى	وهل يطرب الثائر المقتصب
وأمر همت بامضائه	إذا هم خالطني والنصب
وأوتيت ملكاً من الله هاج	فطم على خلقه والتهب
حباني به الله من عنده	ولم به صدعنا والشعب
نعم البلاد ونفسي النجاد	عزيزي المعادة والمنقلب
نهد الحصون ونعلو الحزون	ونبكي العيون بكاء الحرب
فدان به الناس طرا لنا	وقد خاب من جاءني بالكذب
توارث ذلك آباؤنا	قديم الزمان أبا بعد أب
لقد رمت أمراً فأمضيته	ومثلي إذا رام أمراً صلب
اعالج أمراً لامضائه	وذو العز هي وذاكم أرب
وخبرت بالصين لي بغية	ثياب الحرير وكتر الذهب
فسرت إليهم بجيش هام	شديد الزهاء كثير اللجب
بابناء قحطان من حمير	بهاليل أسد صميم الحسب
بابطال قومي شم الأنوف	كرام الحدود السراة النجب
غزوت الأعاجم في أرضها	فاعطوا القياد واخلوا السلب
ولما هبطنا بلاد السواد	وفر قباذ سريع الهرب
فاتبعته شمراً ذا الجناح	فسار حثيثاً سريع الطلب

فكان	يبابل	يوم	لهم	طويل	العناء	شديد	الكلب
فلما	انتهوا	عند	غيبوبة	من	الشمس	كفوا	وقل الصخب
فيستقون	سماً	ويسقونه	قفر	بأسياف	صدق	كمثل	الشهب
واضحوا	كأن	لم يكونوا	بها	وكان	العزیز	بها	من غلب
وطاروا	ومروا	أقاصي	البلاد	كذاك	الزمان	إذا	ما انقلب
سبقنا	البرية	في	غزونا	فزالت	همومي	وولت	كرب
ولبس	الدروع	وقود	الحياد	بحمل	المزاد	ونوط	القرب
فدانت	معد	لنا	عنوة	إذا	ما قضينا	قضاء	وجب
فمنهم	رعاء	لأموالنا	نمبراً	وكلهم	ما لهم	من حسب	
خزيمة	كان	عليها	الدباغ	عليهم	خراج	لنا	مقتصب
نمياً	جملت	لبري	القдах	وخذ	النعال	ووضع	اللب
وقباً	وضعت	بأرض	الحجاز	وقد	السيور	وفتل	السلب
هذيلاً	جملت	لنحت	البرام	وشحد	النصال	ورصف	القصب
جملت	الرباب	لحفر	البثار	لنسج	العباء	وخرز	القرب
سليماً	جملت	لسقي	الحجيج	وكانت	كذاتة	فيها	القتب
جملت	ربيعة	تهدي	الطريق	وميح	الدلاء	عليها	الكرب
وازدأ	تركت	بأرض	عمان	كذاك	اليمني	إذا	ما غضب
لرادة	أن	يسكنون	بها	مناراً	علم	القصد	حيث الشعب
ومنهم	جملت	بأرض	الحجاز	ليوث	الغازي	كرام	الحسب
قضاة	منا	إذا	ينسبون	وأن	يقتلون	بها	من نصب
وحيدان	منا	وهم	معشري	لمن	شد	من أهلها	أو هرب
				وفي	غيرنا	الدار	والمغرب
				إذا	ما غضبنا	اجلوا	الغضب

يشبون	ايقادها	باللهب	وخولان	سحمانها	والفراع
إذا رام	داهية	لم يهب	لعمرو	ايهم	عقيد اللواء
على شرف	وهو فيهم	ذنب	يشدون	بنيان	من قد بنى
إذا ما نأت	وإذا تقرب		لهم	صولة	لا يرى مثلها
وهمدان	منا وطيء	العصب	فمنا	السكاسك	ثم السكون
ومنا	المعافر	أهل النجب	ومنا	بجيلة	والأشعرون
ومذحج	طراً	عليها اليلب	وجمع	العشيرة	في صفنا
كرام	الحدود	طبال القضب	وفي	صفنا	الأزد أخواننا
جدام	ونحم	وفينا الخطب	ومنا	الحياصم	ما يتشون
ففيها	العديد	وفيها الندب	كرام	المعافر	والدارعين
كراماً	ليوثاً	كمثل الشهب	نعد	من الأزد	أخواننا
عليهم	جواشئهم	والزعب	وفي	صفنا	حمير كلها
وسائل	بذلك	تنبأ العجب	وحمير	أرباب	أهل البلاد
كرام	نعد بهم	من خلب	ومنا	المقاول	من حضرموت
وفي فرع	حيدان	لي منتخب	ففي رأس	قحطان	من ما مضى
وحمل السلاح	وفضل	الحسب	أولئك	قوم	سموا للعلی
إذا رام	داهية	لم يهب	وما منهم	كان	إلا فتي
وننسى	قبائل	كانت ذنب	نعد	بطوناً	بأسمائها
علي المرام	رفيع	الرتب	لها	كاهل	مشرف رأسه
وأخطاه	بالقتل	يلقي الحرب ^(١)	فمن	ذا	من الناس لم نبكه
قتلنا	فزاره	شر العرب	قتلنا	القبائل	في أرضها
وفي الصين	جيش	لنا ذو سلب	وفارس	والروم	نجبي لنا

وديلم	والترك	تجبي	لنا	وكلهم	ذاعن	مغتصب
وبربر	والزنج	والاحباشون		فكلهم	عندنا	تعب
لنا	الهند	والسند	والاريسون	وأهل	الشروق	وأهل الغرب
وخاقان	الجمته	كالخمار		واقبته	صاغراً	بالقنب
فأذعن	إذ	ذاك	تحت	الوكاف	وسمح	في
فألبسته	نخشات	المسو		ح	بعد	الحرير
وملحان	كالبغل	أسرجته		وغيبته	عانياً	باللبس
ونفير	أوثقته	بالحديد		وأدخلته	صاغراً	بالشرب
ورسم	وسابور	والهرمزان		بشر	نكال	وأقوى
نعذب	أرواحهم	بالحريق		ونظليهم	بدواء	الحرب
واضحوا	جميعاً	بضر	الذي	وكانوا	مجوساً	ورغلاً
جبوت	المجوس	وأجناسها		لخدمة	قومي	وأهل
وقد	كان	لروم	يوم	عصيب	طويل	العناء
وعذبت	قنطورة	بالسياط		وأسمعته	السم	فيه
وازرتة	بازار	الصفار		وكلفته	ثم	حمل
وذاق	النجاشي	من	وقعها	عذاب	ثمود	كذلك
صنيع	أبي	كرب	الحميري	يقول	بحق	وما
فدع	ذا	ولكن	لما	يذكرو	ن	من
فزلت	بجالوت	ثم	النعال	وخلى	بلاد	ولاة
فدانوا	ودنا	لما	يذكرون	قرأنا	الكتاب	وزدنا
لطول	الحصار	غرسنا	النخيل	وحق	أكلنا	جناه
وأهل	المواشي	من	بعدهم	سيعطون	ملكاً	طويل
ويأتي	على	الناس	من	بعدهم	زمان	عصيب
					كثير	الشغب

يكونون في غمرات العمى	فيأتيهم رجل منتخب
فيهدبهم لسبيل الهدى	ويكسر أصنامهم والصلب
فلو مد دهرى إلى دهره	لكنت نسياً له في النسب
ويأتي على الناس من بعده	ولاة يضيئون من لم يرب
وهم يملكون جميع البلاد	لسفك دماهم والحرب
وقد قيل أملكهم راهب	فاني لأعجب كل العجب
لأمر يحيى على معشري	يرى في جمادين أو في رجب
ويملك من بعدهم ذو التقى	وأهل القضاء وأهل الحسب
هم الراشدون وأهل الهدى	أبوهم أخو صالح المنتخب
ويأتي على الناس من بعدهم	زمان كما قال أهل الكتب
تمني العجوز لأولادها	فراق الحياة وترك النصب
وبالسط أجه من قوما	ويستفصب الملك منهم حقب
هو القرم في الأرض مستفتحاً	يكون له الملك بعد الأرب
هو الخلف من بعدي المرتجي	لفض الجموع وجمع العصب
علينا اليلامق والسابغات	صلبنا الملوك وما نستلب
لنا ملكنا اليوم نقضي به	ونحكم في ما لنا ما نحب
نجيز الأمور بسلطاننا	لنبغ ملكاً به مفتصب

قال معاوية : ويحك يا عبيد من يعني بهذا البيت الذي يفتصب الملك ؟
قال : يعني رجلاً من ولد قحطان يسمى القحطاني اسمه على ثلاثة أحرف
تجمع له الأرض يدعو إلى الله وذلك عند انقضاء ملك قريش . قال معاوية :
قال ملكها ليغرب قبل انقضاء الساعة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا
اختلفت قريش بينها لم يكن شيء حتى يخرج بعدها عيسى بن مريم يظهر

الحرمين ، فعند ذلك يخرج الرجل من ولد قحطان . قال معاوية : نخذ في حديثك الأول عن تبع الأوسط أبي كرب وهو اسعد الكامل ، واسمعي من بعض أشعاره ما حضرك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال تبع هذا الشعر الذي يقول فيه :

جلبنا	الكتاب	من	منكت	فجنبي	أزال	إلى	الواعره
كتاب	كالليل	من	حمير	بأيديهم	القضب		الباتره
سرايلهم	كل	ففضاضة	دلاص	مساميرها	ظاهره		
أتاني	بأن	معداً	تقول	حمير	شرذمة		خادره
وأسعد	يثأر	في	عصبة	عوائر	ليست	ها	ثائره
فلما	أتاني	كلام	العبيد	أثرت	لهم	عصبة	ثائره
نصبت	الحروب	فقاستها	ولم	أور	للخطة		الخاسره
فمرت	يميش	له	أزمل	يخط	به	البلو	والخاضره
بأبناء	قحطان	من	حمير	على	كل	سلبية	ضامره
فمرت	نميم	وأشباعها	ومن	باليمامة	من		غاضره
وفرت	نمير	ومن	نمرت	وكانت	قشير	هي	القائره
وفارت	بسعد	قلور	لنا	بأمثالهم	لم	تزل	فائره
وعاجلت	عجلاً	لدى	دارها	بصاعقة	فيهم		بائره
صبحنا	حنيفة	ملومة	فأمست	جدودهم	عائره		
وكرت	هذيل	إلى	أرضها	وكانت	لهم	كرة	خاسره
وفرت	ثقيف	وأحلافها	فلاقت	ثقيف	بنا		الفائره
وجامت	كنانة	تبغي	الامان	هنالك	عانية		صاغره
فركت	ديار	بني	كاهل	يبابا	معطلة		دامره

وقائع من مضر تسعة وفي غيرهم كانت العاشرة
فما عطفني لهم رحمة ولا أصرني لهم آصره
فكيف رأوا حمير أهل حمت لما قالت الفئة الفاخرة
حمت عز قحطان من أن يضام وكانت لمن رامها قاهره
بجبل تكرص بالدارعين وشبه الوعول على الظاهره

قال معاوية : أحسنت يا عبيد . فهات انشدني الشعر الذي قال في
الزهد . قال : نعم يا أمير المؤمنين قد كان تبع حين نظر إلى البيت الحرام
وعرف فضله ما ذكر له الخبر أن الله تعالى وتبارك نبياً من قريش وقع
ذلك في قلبه وترك عبادة الأصنام فكان فيما قال هذا الشعر الذي يقول
فيه زهداً :

أنبوا للذي وضع الكتابا وسوى دونه سبعا صلابا
فسواهن سبعا مشرفات عظاماً حين تنظرها رعايا
وزين هذه الدنيا نجوماً تناثر عند مغربها انصبابا
مصايحاً يضيئ بكل أفق هدى للناس تنسرب انسرابا
علوت فليس فوقك رب شيء وما شيء يدانيك اقترابا
علمت الغيب والأسرار منا وتعلم من أساء ومن أنابا
نصبت بقلرة حرساً علينا ليحصو ما نجيء به كتابا
يرون بما نجيء ولا نراهم ولا ذكراً نحس ولا خطابا
نموت ونترك الدنيا لقوم ونصبح بعد جدتنا ترابا
فيعثنا وقد كنا رميماً فيخلقنا وقد نخرت صلابا
وينشرها فيكسوها لحوماً ويبعثنا كما كنا شبابا
أعد الله للكفار ناراً أحاط بهم سرادقها عذابا

إذا القوا مع القرناء عجوا
واعرض دونها حرس شداد
بأيديهم مقامع من حديد
إذا قرنوا الشقي وصار فيها
وصبوا فوق رؤوسهم حميماً
ألم تعلم بأن الله ينشي
وقد ذاقوا المذلة والتبابا
بعيد رحمهم خلقوا غضابا
بحر النار تضطرب اضطرابا
علوه بالمقامع ثم غابا
وأستقوهم وكان لهم شرابا
سحاباً ثم يردفه سحابا

قال معاوية : لله درك يا عبيد انك لتحدثني عجباً ما شفاني عنهم وعن أخبارهم وما كان منهم أحد غيرك . فاخبرني عن قتل تبع أسعد الكامل ؟ كيف كان ولم قتله قومه ؟ قال عبيد : يا أمير المؤمنين ان قوم تبع لما هموا بقتله - وكان سبب ذلك أن حبرين من اليهود من اليمن دخلا عليه فأحب أمرهما وما هما عليه ورأى أن الذي هما عليه أفضل فأمن بالله وصدق بنبيه موسى بن عمران - عليه السلام - وما أنزل الله من التوراة . فأمر الحبرين أن يدعوا إلى دينهما في لطف ورفق ففعلوا ما أمرهما . فلما رأت ذلك حمير خرجوا إلى تبع فقالوا : أهلكنا بالغزو فصبرنا لذلك فأما على ديننا وما كان عليه آباؤنا فلا نصبر لك ، فقد فرقنا في البلدان فأتعبتنا فاقتل عنا هذين الحبرين . قال : معاذ الله أن أقتلها وهما مني في ذمة فعليكم بهما فكلموهما وحاكوهما إلى من شئتم . فأجمع رأيهم أن يحاكوهما إلى نار في اليمن - يقال أنها كانت بصنعاء - فانطلقوا حتى أتوا النار فنحروا عليها الجزر وقربوا القربان ، ثم تقرب الحبران فلم يزالا يقرآن كتاب الله من التوراة حتى خرجت لهما فمضيا فيها حتى جاوزاها ودعا تبع سادة أهل اليمن فاجتمعوا وأرسلت النار نحوهم فأحرقتهم ونجا الحبران وأمرنا النار أن تطفأ فطفأت . قال : فثارت عليه حمير وأرادوا قتله فقال : لا تعجلوا علي حتى أوصيكم وأوصي ابني حسان . فقالت طائفة منهم اقتلوه ، وقالت طائفة

منهم : مهلاً مهلاً فان في هلاكه هلاككم ، ولكن اسمعوا منه يتم لكم عزكم فان عنده علماً . قال تبع : أما إذا كنتم قد أجمعتم على قتلي فادفنوني قائماً ليتم لكم عزكم ولا يخرج منكم ملككم ، ثم دعا ابنه حسان فأوصاه أن يأتي جبلاً باليمن إذا هو ملك ، ثم ينظر من يأتيه من ذلك الجبل فيأكل ما أطعم ويشرب ما سقى ويفعل ما أمر . ثم وثبوا على تبع فقتلوه فأرادوا أن يدفنوه قائماً فلم يستقر لهم ومكثوا يعالجون ذلك منه حتى ملوا وضجروا وقالوا : أشقيتنا حياً وميتاً وندموا على قتله ، فدفنوه مضطجماً ، ثم ولوا أمرهم حسان بن تبع - وكان ملك تبع ثلاثمائة سنة وعشرين سنة - فلما أراد حسان الخروج إلى الجبل الذي أمره أبوه تبع استخلف أخاه معد يكرب وانطلق حتى أتى الجبل والموضع فلقيته امرأة فرحبت به وقالت : اقعد ، فلما أراد القعود اذ هو بدود كثير على فراشه ووساده فأبى أن يقعد ، ثم قدمت إليه رؤوس الناس وقالت : كل من هنا فأبى أن يأكل وقال : أقعدتني وأطعمتني رؤوس الناس لا حاجة لي في هذا . قالت له : ويحك ما أبعد حظك من حظ أيك وما أقل ما تملك قومك ؟ إذا ما عصيتني فاشرب ما في هذا لثناء فإذا فيه دم فقال : لا حاجة لي في هذا قالت : هذا الذي أوصاك به أبوك وإن الأمر الذي كان يعمل به أبوك من عندنا أصابه ، فأما إذا لم يكن لك نصيب مثل نصيب أيك فاقتل من أمرك بقتل أيك وبقاؤك في قومك قليل ، ثم رجع فسأله أمه لما ذهب له فقال لها : صنع لي هكذا وقيل لي هكذا ! فقالت : لو أنك جلست على الدود لاستوطأت الملك ومد لك في العمر ولو أكلت الرؤوس دانت لك حمير وذلت لك العرب وأهرقت دماء أهل الأرض .

قال معاوية : لله أبوك يا عبيد ، ثم صنع حسان ماذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أقام حسان بحمير زماناً لا يغزو بهم ، حتى طمع في ملكهم ناس

من أهل اليمن وجرهم - وكان باليمامة حيان يقال لهما طسم وجديس وهما ابنا لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ، وهما من العرب العادية ، وكان منزلهما باليمامة، وكان اسمها يومئذجو القرية بنفسها - قال : وكان طسم ظلوماً غشوماً لا ينهاء شيء عن هواه مع اضراره بجديس وتعديه عليهم وقهره إياهم واذلاله لهم ، فثبت في ذلك عصراً من دهره وقد غير عليهم النعمة وانتهك الحرمة - وكانت بلادهم أفضل البلاد وأمنها وأكثرها خيراً وأقربها مسيراً - ولهم أصناف الثمار من النخيل والاعناب في دار أنيقة وقصور مصطفة ، فلم يزل ملكهم على ذلك حتى أتته امرأة من جديس وزوج لها قد كان فارقها فأراد قبض ولده منها فأبت عليه حتى دار بينهما كلام ، فارتفعا إلى الملك عمليق - وكان اسم المرأة هزيلة واسم زوجها قاشراً - فلما وقفا بين يدي الملك سألهما عن حججهما فقالت له هزيلة : أيها الملك اني امرأة حملته تسعاً وأرضعته سبعة ، ولم أر منه نفقاً حتى إذا تمت أوصاله واستوى وصله أراد أن يأخذه كرهاً ويتركني ورهاء . قال زوجها : أخذت المهر كاملاً ولم أصب منها طائلاً الا وليداً جاهلاً فافعل ما كنت فاعلاً . قال : فأمر الملك بالفلام أن يقبض منها وأن يجعل في غلمانه وقال لهزيلة : ابغيه ولداً ولا تنكحي أحداً ؟ قالت هزيلة : أما النكاح فبالمهر وأما السفاح بالقهر وما لي فيها من أمر ! فأمر عمليق عند ذلك أن تباع هزيلة وزوجها ويرد على زوجها خمس ثمنها ويسترق ويرد على هزيلة عشر ثمن زوجها ويسترق . فقالت هزيلة في ذلك هذا الشعر وهي تقول :

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا	فأبرم حكماً في هزيلة ظالماً
لعمري لقد حكمت لا متورعاً	ولا كنت فيما يرم الحكم عالماً
نلت ولم أندم واني لفرة	وأصبح بعلي في الحكومة نادماً

فلما بلغ قيلها عملياً أمر أن لا تتزوج بكر من جديس حتى يبدأ بها
فيفترعها قبل أن يتصل بها زوجها . قال : فأصاب القوم من ذلك ذل ذليل
فلم يزل ذلك الملك يفعل بهم حتى تزوجت امرأة منهم - يقال لها عفيرة
ابنة عفار الجديسية أخت الأسود بن عفار - فلما كانت الليلة التي يهدى
بها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ليبدأ بها قبل زوجها ومعها القيان يغنين
وهن يقلن :

أبدي بعلاق وقومي فاركي وبادري الصبح لأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلي وما لبكر عنده من مهرب

قال : فدخلت عفيرة على عملاق فافترعها وخلي سبيلها وخرجت إلى
قومها شاقة ثيابها ودرعها عن دبرها وهي تقول في ذلك :

لا معشر أذل من جديس أمكذا يفعل بالعروس
لكل قرن أشوس عبوس عذمتكم يا سقط النفوس
ثم قالت لقومها : ويحكم أيرضى بهذا الحر من رجالكم وقد أعطى
هذا المهر كاملاً والله ليأخذ الموت أهون عليه من أن يفعل هكذا بعمره
وأنشأت عفيرة ابنة عفار تعرض قومها وتذكر ما فعل بهم العملاق وهي
تمشهم على الحرب .

أتصبح تمشي في الدماء فتأتيكم صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تفضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تغبوا من الكحل
وهادونكم طيب العروس فأنتم خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فلو أننا كنا رجالاً وأنتم نساء لما كنا نقر على اللل
فعداً وسحقاً للذي ليس ناكفاً ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم بضرب تلظى كالظرام من الجزل
ولا فخلوا بطنها وتحملوا إلى بلد قفر وهزل من الهزل
ولا تجزعوا يا قوم للحرب إنما يقوم رجال للمعالي على رجل
فيهلك فيها كل وغد موكل ويسلم فيها ذو النجادة والفضل

قال : فلما سمعت جديس قولها استحققوا غضباً وتلظوا كلباً فقام
الأسود ابن العفار - وكان فيهم سيداً مطاعاً - فقال : يا معشر جديس
أطيعوني فيما أمرتكم وأدعوكم إليه فانه عزكم الدهر وذهاب اللل عنكم .
قالوا وما ذاك ؟ قال : والله لتطيعوني أو لا تكين على سيني هذا حتى
يخرج من صليبي . قالوا : لك الطاعة علينا فما ذلك ؟ قال : إني صانع للملك
وقومه طعاماً ، ثم أدعوه إليه فإذا هم أقبلوا يرفلون في حللهم نهضنا إليهم
بأسيافنا ، ثم أخذ كل رجل منكم جليسه فضربه بسيفه . قالت العفيرة : لا
تعنن يا أخي وباد القوم في ديارهم تظفروا وتقلروا ، فأبوا أن يطيعوها .
فقال العفيرة في ذلك شعراً تريد أن تسمع قومها - فأنشأت تقول :

لعمرك ما في الفلر اذ تركبونه وفاء ولا عنر وما فيه من حصن
رأيت لواء الفلر في كل مجمع من الناس نصباً للمدلة واللعن
ولا خير في الأقوام حتى يكاثروا بناهضة الأبطال قرناً إلى قرن
فان مرام الفلر يا قوم فاعلموا صغار بتقصير من الفلر في الأمن

وقالت العفيرة في ذلك أيضاً :

لا تغنن فان الفلر منقصة وكل أمر له غب وان ظفرا
اني أخاف عليكم مثل تلك غدا وفي الأمور بنا عنر لمن نظرا
كروا عليهم كراراً في مصارخة فكلكم باسل فرجو له الظفرا

وباشروا القوم ضرباً في ديارهم ضرباً ^(١) حتى تهلموا القصر
فأجابها أخوها الأسود وهو يقول :

أنا لعمرك ما نبدي مناهزة	نخاف منها صروف الحين ان ظهرا
ففي التحيل للأقوام مدركة	وكل أمر بها نرجو له الظفرا
كفى لديك فلا تبغي لعاقبة	عن الذي قد رآه الرأي أو خطرا
فليس يمنع رأياً أن ندبره	زجر الزواجر حتى نركب الخطرا
لاني زعيم لطسم حين تحضرنا	عند الطعام وذاك الرأي ان قلرا
فإن تلاقوا على بغي ومظلمة	ضرباً يبين أكف القوم والقصر

قال : ثم صنع الأسود طعاماً ، ثم دعا الملك وقومه من طسم فأقبلوا
يرفلون في حللهم ، ثم دفنت جديس أسيافهم في الرمل حيث وضعوا
الطعام . فلما أتهم طسم وثبوا إلى أسيافهم وشدوا على عملاق وأصحابه
فقتلوه حتى أفنوهم جميعاً ، وأنشأ الأسود يرتجز وهو يقول :

لا أحد أذل من جديس	أهلكا يفعل بالعروس
جاءت تمشي في دم حميس	كالريح في مسهومة اليبس
يا طسم ما لاقيت من جديس	من البلا واليب والنحوس

وقال الأسود أيضاً :

ذوقي مجلة للحرب نافعة	فقد أتيت لعمرى أعجب العجب
انا انتقمنا فلم ننفك نقتلهم	والبغي هيج منا سورة الغضب
فلم يعودوا لبني بعدها أبداً	ولم يكونوا لذي أنف ولا ذنب
فلو رعيم لنا قريى مؤكدة	كما الأقارب قد ترعى للذي النسب

وقال خزيمة بن المستنجم الجديسي في ذلك شعراً :

لقد نيت أنا طسم وقلت له	لا تذهبن بك الأهواء والمرح
وأخش العقاب فان الظلم منقصة	وكل فرحة ظلم بعدها الترح
قد أطاع لنا أمراً فنعذره	وذو النصيحة عند الأمر يتصح
فلم يزل ذاك ينمي من فعالهم	حتى استقاد والأمر اني فافتضحوا
فباد أولهم من بعد آخرهم	ولم يكن عندهم رشد ولا فلاحوا
فنحن بعدهم للحق نملكه	نسقي الغبوق كما يسقى ونصطبج
فتلك طسم على ما كان اذ فسلوا	كانوا بما فيه من بعدها صلحوا
إذا لكنا لهم بجرأ وممنعة	أنا إذا وزنت أحلامنا رجحوا

وقالت امرأة من طسم - ترثي قومها وتوحيهم - وهي تقول (١) :

ها هنا انقضت النسخ كلها وقد تم الكتاب ، والحمد لله تعالى وصلى الله على محمد نبي الرحمة وعلى آله الطاهرين وسلم .

(تمام الحديث عن تاريخ الكامل لابن الاثير)

ثم إن بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه ، فسار إلى اليمامة ، فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم . ان لي أخاً متزوجة من جديس - يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث وإني أخاف أن تنلر القوم بك فمر أصحابك فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه . فأمرهم حسان بذلك ، فنظرت اليمامة فأبصرتهم ، فقالت لجديس : لقد سارت إليكم حمير . قالوا : فما ترين ؟ قالت : أرى رجلاً في شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل ينصفها وكان كذلك ، فكذبوها

(١) يياض بالأصل بقدر سبعة أسطر - ح .

فصبحهم حسان فأبادهم وأتى حسان باليمامة ففقأ عينيها فإذا فيها عروق
سود فقال : ما هذا ؟ قالت : حجر أسود كنت اكتحل به - يقال له
الائمد ، وكانت أول من اكتحل به - وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد
أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم . ولما هلك جديس هرب الأسود قاتل
عصيق إلى جبلي طيء فأقام بهما ، وذلك قبل أن تنزلهما طيء - وكانت طيء
تنزل الجوف من اليمن - وهو الآن لمрад وهمدان ، وكان يأتي إلى طيء
بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم ولم يعلموا من أين يأتي .
ثم انهم أتبعوه يسرون بسيره حتى هبط بهم على أجا وسلمى جبلي طيء -
وهما بقرب فيد فرأوا فيه النخل والمراعي الكثيرة ورأوا الأسود بن عفار
فقتلوه وأقامت طيء بالجبليين بعده فهم هناك إلى الآن - وهذا أول مخرجهم
إليهما .

وقد ورد في آخر نسخة ب وهي المحفوظة في المتحف البريطاني
بلندرة تحت رقم ٢٩٠١ .

تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فله الحمد على كل حال
وكان الفراغ من تحصيل هذا الكتاب من نسخة سقيمة يوم الجمعة المباركة
في غرة شهر شعبان الكريم سنة إحدى وثلاثين بعد الألف من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم بخط أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته
على بن سعيد بن محمد بن هاجر القملائي غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين أجمعين - آمين يا رب العالمين .

- وقال كاتب نسخة الأصل :

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب يوم السبت ٢٦ شهر رجب الخير
سنة أربع وثلاثين واللف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام . وكتب بالدار الحمراء التي هي السجن بقصر صنعاء اليمن ولنا

فيها سبع سنين وخمسة أشهر نسأل الله أن يفك أسرنا ويفرج عنا وعن كل
مسجون من أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والحمد لله أولاً
وآخراً وظاهراً وباطناً ، بخط أسير الذنوب الراجي رحمة ربه علام الغيوب
الفقير إلى كرم الله تعالى مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الإمام شرف
الدين غفر الله له ولوالديه وليعثر الناظر فيه فإن النسخة سقيمة

وان تجدد عيباً ففسد الحللاً فجل من لا عيب فيه وعلا

تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فله الحمد على كل حال .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(خاتمة الطبع)

الحمد لله الذي قهر ملكه وسطا سلطانه وغلبت قدرته وبهر برهانه
والصلاة والسلام على الرسول النبي الكريم الذي نور المشرق والمغرب
نور هدايته ولمعانه وآله الأبرار وأصحابه الأخيار الذين سلكوا مسلكه
الذي لا يخفى بيانه .

وبعد فغير خاف على الناظر البصير أن أرباب المجلس لا زالت شموس
عنايتهم طالعة على رؤوس التابعين لما رأوا نسخة قلمية من كتاب التيجان
في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وأرادوا طبعها من جهة ندرة تلك النسخة
ورغبة الطالبين إليها فجعلوا يفتشون عن نسخ أخرى من الكتاب لتصحيحه
وطبعه فوجدوا نسختين أحدهما في برلين والأخرى في المتحف البريطاني
بلندرة فأرسلوا نسخة المكتبة إلى مستر سالم كرنكو الألماني مصحح دائرة
المعارف المقيم بلندرة للمقابلة من تينك النسختين فقابلها لصاحب الموصوف
بهما وكتب الاختلافات التي فيما بينها بحيث ما أفاد في صحة الكتاب إلا
ازدياد الاختلافات من جهة أن النسخة التي في المتحف البريطاني هي منقولة
عن نسخة الهند الموجودة في المكتبة الآصفية كما سيظهر لك عن التنبيه
المكتوب في ذيل هذه العبارة وفي نسخه المكتبة أغلاط كثيرة جداً لم ينبه
المستر المومى إليه على تصحيحها ومن نسخة برلين وذلك يدل على اتفاق
النسختين في تلك الأغلاط وهو برهان على قرب النسبة بينهما .

وبالجملة فان النسخة قديمة جداً والكاتب غير مراعى لصحة الألفاظ وغالباً يترك الأعجام بالنقط مع غرابة كثير من الأسماء والأشعار والقصص التي في هذا الكتاب ففيها خبط كثير بحيث لا يخفى على البصير .

وبعدما رجعت النسخة من لندرة بعد المقابلة فوضها المجلس إلينا للطبع فاشتغلنا به ومن جهة ضيق الوقت وعدم المواد التي كنا نحتاج إليها في تصحيحها من النسخ المكررة والكتب المتعلقة بها ما أمكننا تصحيحها كما ينبغي - ومع ذلك فبذلنا الجهد بقدر سعة الوقت والمواد التصحيحية التي بأيدينا . وعلى ذلك فالقصص والأشعار التي ذكرت في هذا الكتاب أغلبها نادرة جداً وغريبة حق الغرابة بحيث لا يوجد أكثرها في غير هذا الكتاب وهذا من جملة المشكلات في التصحيح وما وجد في غير هذا الكتاب كان بغاية التخالف والاضطراب وكثيراً ما كنا نجد الاسم الواحد أو القصة قد اضطربت فيها الكتب على عدة وجوه بحيث لو أثبتنا الاختلافات بالهامش لصارت الحواشي أكثر من الأصل وعلى ذلك كله فقد قال في صبح الأعشى (وبالجملة فأخبار التبايع غير مضبوطة وأمورهم غير محققة) ولذا ما برىء الكتاب عن الخطأ والزلل كما ينبغي فالمرجو من الناظر البصير العفو وغمض البصر عما بقي من الخطأ واصلاحها وتصحيحها ان امكن (والعذر عند كرام الناس مقبول) .

السيد زين العابدين الموسوي
مصحح دائرة المعارف العثمانية

(تنبيه)

من مستر سالم كرنكو مصصح دائرة المعارف

الأصل : هو نسخة حيدرآباد المنقولة من أصل محفوظ في صنعاء في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة .

ب - علامة عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ٢٩٠١ وهي منقولة من أصل النسخة الهندية بعينها قبلها بثلاث سنين ولكن فيها بعض النقصان وزيادات يسيرة .

ل - علامة عن نسخة محفوظة في المكتبة العمومية في برلين وهي أقدم من النسختين المتقدمتين مع اختلاف كثير في الألفاظ ونقصان وزيادات ولكنها غير كاملة فانه فقد آخرها منذ زمان .

ك - علامة عن مستر سالم كرنكو الألماني .

ح - علامة عن مصححي دائرة المعارف .

الفهرست

٥	مقدمة الطبعة الثانية بقلم : دكتور عبد العزيز المقالح
٩	احوال خلق العالم
٣٣	نسب ولد حاتم
٦٠	ملك حمير
٦٤	وائل بن حمير
٦٥	ملك وائل بن حمير
٦٦	ملك السكسك بن وائل
٦٧	ملك يعفر بن السكسك
١٦٨	عامر ذو رياش
٧٣	ملك المعافر بن يعفر
٧٤	ملك شداد بن عاد
٧٤	قصة المغارة التي فيها شداد بن عاد
٧٨	والصعاليك الثلاثة حين دخلوها وما جرى عليهم
٨٧	ملك لقمان بن عاد
٨٨	ملك الهمال بن عاد
٩١	ملك الحارث بن الهمال
١٠٢	ملك الصعب ذي القرنين
١٣٦	وصية الخضر عليه السلام
١٤١	ملك أبرهة
١٤٣	ملك العبد بن أبرهة
١٤٤	ملك عمرو بن أبرهة
١٤٤	ملك شرحبيل
١٤٧	ملك الهمداه ابنه
١٥٩	ملك بلقيس
١٧٩	ملك بلقيس بنت الهمداه ملكة سبا
١٨١	ملك رجبعم بن سليمان عليه السلام
٢٢١	ملك مالك بن عمر بن يعفر
٣٣٢	ولاية عمر بن الحارث بن مضاض
٢٧١	ملك شمر يرعش بن ناشر النعم
٢٧٣	ملك تنبع صيفي بن شمر يرعش بن عمرو ناشر النعم
٢٩٧	عمرو بن عامر مزيقيا ملك متوج دبع
٢٠٣	عمرو بن جلفنة اول من تتوج من ملوك غسان بالشام
٣٠٩	ربيعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين اضعاف التابعية
	تيدان اسعد ابو كرب ملك متوج باليمن

	قصة النار التي كانت تعيدها حمير وكيف تركتها
٣٠٧	ورجعت الى دين اليهودية
٣٠٨	حسان بن قبان اسعد ابو كرب ملك متوج
٣٠٩	عمر بن قبان ملك متوج
٣١٠	عبد كاليل بن ينفوف ملك متوج
٣١٠	تبع بن حسان ملك متوج
٣١١	ربيعة بن مرشد ملك متوج
٣١١	حسان بن عمرو ملك متوج
٣١١	لخيلة بن ينفوف ملك متوج
٣١٢	ذو نواس زرعة بن قبان اسعد ملك متوج
٣١٤	أبرهة الاشرم
٣١٥	يكسوم بن أبرهة الاشرم ملك متوج
٣١٧	سيف بن ذي يزن اول ملك متوج
	اخبار عبيد بن شربة الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها
٣٢٣	وانسابها على الوفاء والكمال
٣٣٨	حديث هلاله عاد
٣٧٠	النسر الاول
٣٧١	النسر الثاني
٣٧٢	النسر الثالث
٣٧٤	النسر الرابع
٣٧٥	النسر الخامس
٣٧٧	النسر السادس
٣٧٧	النسر السابع
٣٨١	يتلوه حديث عاد الآخرة
٣٨٣	يتلوه حديث ثمود بن عامر بن ارم بن سام
٤١٠	حديث جرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم
٤٣٩	فاشر النعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو
٤٤٢	شمر يرعش بن افريقيس بن ابرهة بن الزائش
٤٤٦	تبع الاقرن وهو ذو القرنين
٤٥٢	ملكي كرب بن اسعد بن تبع الاكبر
٤٥٤	اسعد ابو كرب الاوسط
٤٩٩	تمام الحديث عن تاريخ الكامل لابن الاثير
٥٠٢	هاتمة الطبع